

ناتج العرب

(مِطْوَل)

بقلم

الدكتور فيليب حقي

الدكتور أودور ديجري الدكتور جبرائيل جبور

الجزء الثاني

١٩٥٠

دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع

كتاب

العلم

في

الرياضة

والفنون

المختارة

١٢٧

تأليف

فهرس المحتويات

القسم الثالث - الدولتان الاموية والعباسية

- الفصل السابع عشر - الخلافة الاموية . معاوية يؤسس دولة ٢٥١-٢٦١
التخلص من طائفي الخلافة - معاوية مثال الملك العربي .
- الفصل الثامن عشر - العلاقات المدنية بين العرب والروم ٢٦٢-٢٦٩
المردة .
- الفصل التاسع عشر - الدولة الاموية في اوج عزها ٢٧٠-٢٩٠
الحجاج عامل الامويين الخازم - الفخوخ فيما وراء النهر - الفخوخ في الهند - الحملات
على البيزنطيين - شمالي افريقية واروبا الجنوبية الغربية - تعريب الدولة - الاصلاحات
المالية وغيرها - المنشآت في البناء .
- الفصل العشرون - السياسة والاجتماع في العصر الاموي ٢٩١-٣٠٧
الجيش - حياة البلاط - المصحة - الحياة الاجتماعية - المولي - اهل الذمة - ميثاق
عمر - المدينة ومكة .
- الفصل الحادي والعشرون - مناحي الحياة الفكرية في العصر الاموي ٣٠٨-٣٤٨
البصرة والكوفة - الصرف والنحو - الحديث والشرح - تدوين التاريخ - القديس
يوحنا الدمشقي - الخوارج - المرجئة - الشيعة - الطلابة - الرسائل - الشعر - التربية
والتعليم - العلم - علم الكهنة القديم - فن البناء والفنسة المعيارية - مسجد المدينة -
المساجد الاولى في الامصار - فبة الصخرة - المسجد الاقصي - المسجد الاموي - القصور
قصر حمراء - قصر الحير وخربة مفر - التصوير - الموسيقى .
- الفصل الثاني والعشرون - انحطاط الدولة الاموية وسقوطها ٣٤٩-٣٥٨
القبية واليانبة - مشكلة الاستغلاف - اصحاب علي - الدعوة العباسية - اهل
خراسان - الضربة الاخيرة .
- الفصل الثالث والعشرون - قيام الدولة العباسية ٣٥٩-٣٦٨
ابو جعفر المنصور مؤسس الدولة الحقيقي - مدينة السلام - القرامكة .

الفصل الرابع والعشرون - العباسيون في عصرهم الذهبي ٣٦٩-٣٩٢

العلاقات مع الأفرنج - العلاقات مع الروم - بغداد في مجدها - البيقطة الفكرية -
الهند - فارس - الثقافة الهندية - المتوجمون - حنين ابن اسحاق - ثابت ابن قرة .

الفصل الخامس والعشرون - دولة العباسيين ٣٩٣-٤٠٨

الخليفة العباسي - ديوان الخراج - دواوين أخرى - ولاية القضاء - النظام الحربي -
العامل .

الفصل السادس والعشرون - الحياة الاجتماعية في العصر العباسي ٤٠٩-٤٤٣

الخدمات - الأهل - الأرقاء - الحياة الاقتصادية : التجارة - الصناعة - الزراعة - أهل
الزعة : النصاري - الساطرة - اليهود - الصابئة - الجوس وسواهم من الثانوية - انتشار
الاسلام - انتشار العربية .

الفصل السابع والعشرون - التقدم العلمي والأدبي ٤٤٤-٤٩٤

الطب - علي الطبري - الرازي - ابن سينا - الفلسفة - الكندي - الفارابي - اخوان
الصفا - الفلك والرياضيات - البتاني - البيروني - عمر الحيام - التنجيم - الارفاهم الفندية -
الخوارزمي - الكيمياء - الجاحظ - كتب في الجواهر - الجغرافيا - المظان اليونانية -
قبة الارض - الجغرافيون الأدباء - ياقوت - كتابة التاريخ - أقدم المؤرخين الرسميين -
الطبري - المسعودي - علوم الدين - علم الحديث - كتب الحديث السنة - الشريعة -
مذاهب السنة الأربعة وأئمتها - الفلسفة الأدبية الأدب - الأدب بمعناه الدقيق - ألف ليلة
وليلة - الشعر .

الفصل الثامن والعشرون - التربية والتعليم ٤٩٥-٥٠٦

التعليم الابتدائي - دور التربية العالية - تربية السالفين - دور الكتب - حواشيت
الوراقين - الورق - مستوى الثقافة .

الفصل التاسع والعشرون - الفنون الجميلة ٥٠٥-٥١٦

هندسة البناء - التصوير - الفنون الصناعية - فن الخط - الموسيقى - أصحاب
الموسيقى النظرية .

الفصل الثلاثون - الفرق الإسلامية ٥١٧-٥٤٠

الحصومة بين العقل والدين - الفحة أو ديوان التفنيس - انتشار الأشعرية - الغزالي -
التصوف - الزهد - سلوك المتصوفين - الاتصال بالله - شئون الألوهية - الشعر الصوفي
والفلسفة الصوفية - الطرق الصوفية - السبحة - تكريم الأولياء - الشيعة - الإسماعيلية -
الباطنية - القرامطة - الحشاشون - النصيرية - فرق شيعية أخرى .

الفصل الحادي والثلاثون - تجزؤ الخلافة ونشوء دويلات في الغرب ٥٥٣-٥٤١

١. في الاندلس - ٢. الادارسة - ٣. الأغمالة - ٤. الدولة الطولونية - الاشتغال العامة - ٥. الدولة الاخشيديية - خصي ونجبي - ٦. المحدثيون - ازدهار الادب - غارات على بلاد الروم .

الفصل الثاني والثلاثون - امارات مختلفة في الشرق ٥٧٩-٥٥٤

١. بنو طاهر - ٢. بنو الصفار - ٣. بنو سامان - ٤. التزنويون - محمود الغزنوي - الحرس الاميراطوري - ثورة الزنج - امير الامراء يصل الى الحكم - ٥. دولة بني بويه - عند الدولة - ٦. السلاجقة - ولاية طغرل - الب ارسلان - سلطنة السلاجقة في ذروتها - نظام الملك الوزير الاممي - تجزؤ مملكة السلاجقة - بغداد في غلة عن الحملات الصليبية - شاعات خوارزم - ظهور جنكيز خان .

الفصل الثالث والثلاثون - انحلال الخلافة العباسية ٥٨٥-٥٨٠

هولاكو في بغداد - آخر حماة الاسلام .

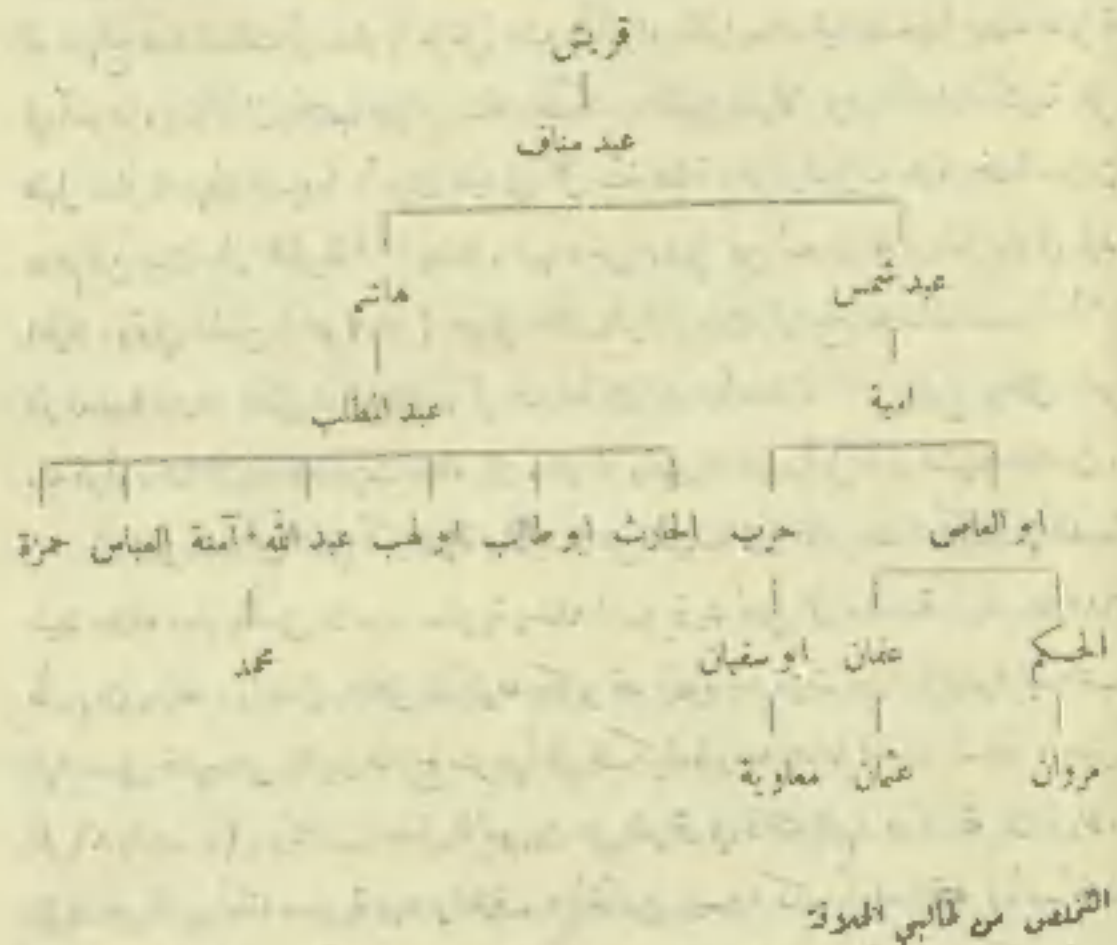
القِسْمُ الثَّالِثُ
الدَّوْلَتَانِ الْأُمَوِيَّةُ وَالْعَبَّاسِيَّةُ

كتاب التلخيص

في بيان حقيقة الدين

الفصل السابع عشر

الحلافة الأموية . معاوية بن أبي سفيان



وودي بمعاوية خليفة في البقاء (سنة الفقه) سنة ٤٠ / ٦٦١ م وباعتلته عرش الخلافة أصبحت دمشق (التي كانت مركز حكومة اقليمية) عاصمة الامبراطورية الاسلامية . ولكن هذه الامبراطورية لم تسكن آنذاك تضم العالم الاسلامي كله . وكان عمرو بن العاص وهو يد معاوية اليمنى قد انتزع مصر من العلويين بعد التحكيم . ولكن

اهل العراق بايعوا الحسن ابن علي خليفة شرعياً فعلياً . اما مكة والمدينة فلم يكن ولاؤها
لآل سفيان قوياً ولم تؤخذ بالمواثيق او العروض التي قدمها السفيانيون ، ولم يكن هؤلاء قد
قبلوا الاسلام الا بعد سقوط مكة ومن هنا قد اتهموا أن اسلامهم كان عن مصلحة لا عن
إيمان . غير ان الحسن ابن علي لم يكن يهم كثيراً بالمرور الياسة والادارة والحكم بل انقطع
الى امور حياته الشخصية وما لبث ان نزل عن الخلافة معاوية واعتزل في المدينة . وقد يسر (١)
له انتهاز هذا المسلك أن معاوية عرض عليه ما أخرجه . قالوا بعث اليه بصحيفة يضاء مختومة
في آخرها ، وسأله ان يكتب فيها ما يشاء . فكتب الحسن اموالاً وضياعاً واماناً للشيعة علي
قبل معاوية بهذه الشروط وأجرى عليه في كل سنة عطاءً وافراً وأجاز له طلبه خمسة ملايين
درهم من بيت مال الكوفة (٢) بضاف اليها دخل مصر من أمصار فارس ما دام في قيد
الحياة . وتوفي الحسن (نحو ٦٦٩) وهو في الخامسة والأربعين والراجع انه مات مسموماً (٣)
أر دسيسة دبرها بعض نساءه فقد ذكر عنه انه كان مزواجاً مطلقاً (٤) تزوج وطلق نحو
مئة امرأة . اما الشيعة فقد عرت مقتله الى معاوية واعتبرته شهيداً بل سيد الشهداء اجمعين .
اما اخوه الحسين الذي آثر العزلة والابتعاد عن السياسة اول الامر فقد اعتكف في المدينة
طيلة خلافة معاوية حتى اذا مات معاوية وخلقه ابنه يزيد دعي الى مبايعة يزيد سنة ٦٨٠
فأبى ان يبايعه . واتصل به اهل الكوفة وكانوا قد بايعوه بعد موت اخيه وتابعوا الكتب
اليه حتى حملوه على القبول فخرج متوجهاً الى الكوفة ومعه جماعة (فيهم تساؤه وبعض
أقربائه وانصاره) . وكانت عامل الأمويين على العراق في ذلك العهد عبيد الله بن زياد .
وزياد هو الذي ألحقه معاوية ببيته واعترف به أخاً من ايئه اكتساباً لصداقته وتألفاً له .
واقام عبيد الله للحسين الأرصاء على جميع طرق الحجاز المؤدية للعراق ثم ارسل كتيبة من
اربعة آلاف مقاتل عليهم عمر ابن سعد ابن ابي وقاص ، وهو ابن فاتح العراق ، وذلك في

(١) ابن جرير ج ٢ ص ١٣ : الطبري ج ٢ ص ٢٣١ .

(٢) الطبري ج ٢ ص ٣ .

(٣) الطبري ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٤) ابن عساکر ج ٤ ص ٢١٦ .

العاشر من محرم سنة ٦١/١٠ تشرين الأول سنة ٦٨٠. فوافى عمر ابن سعد الحسين في كربلاء على مسيرة خمسة وعشرين ميلاً إلى الشمال الغربي من الكوفة وكان الحسين قد تزفها مع جهائنه التي لا تزيد عن مئتي نفس. وأخرج سبط الرسول فأثر القتال على الاستسلام فأحاطوا به من كل ناحية وقد دونه حتى قتل أكثر أصحابه وفيهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته ثم أمر بحيرة فشققها ثم لبسها وأخرج سببه فذلل حتى قتل. واحتز رأسه وحمل إلى يزيد ابن معاوية الذي بدمشق فامر يزيد برد الرأس إلى اخت الحسين وابنه الذين كانوا قد رافقوا الرأس إلى دمشق فخذاه ودفن مع الجسد في كربلاء. وقد ظهر من الحسين يوم استشاده من العبر والافتاء والتجدة ما حدا بالناس الشيعة إلى تحديد ذكره بما يقيمونه له كل سنة في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم من ألت ثم وضروب النذب والحداد احتراماً لمقامه من الرسول ولتأييداً بصفوته وآلامه وصبره على النجاة التي ألت به. وهذه الذكري التي تعيها الشيعة هي أشبه ما يكون بمائة أربعة عشر في مشهدين يختم الأول منها يوم عاشوراء (العاشر من محرم) وتتل وقائمه في السكطين على مقربة من بغداد تكاد تقتل الحسين، ويقام المشهد الثاني بعد الغصاء الأربعين يوماً على عاشوراء وذلك في كربلاء. ويطلق على وقائمه اسم رجوع الرأس.

وكان دم الحسين أكثر أثر من دم علي في تنمية روح الشيعة وازدياد اتباعها بل يصح القول أن الحركة الشيعة ولدت في العاشر من محرم. ومنذ ذلك اليوم أصبح تعقد الامامة لذرية علي سنة لها في عقائد الشيعة ما نبوة محمد من قدر في الإسلام. وكان من يوم كربلاء للشيعة فوق ذلك صيحة حرب جديدة هي « يا ثارات الحسين ». وقد أثبت الوقائع فيما بعد أن هذه الصيحة نفسها كانت من العوامل التي قوضت بنيان الدولة الأموية. أما أهل السنة فقد ذهبوا إلى أن يزيد ابن معاوية إنما كان الخليفة الذي بايعته جمهرة العالم الإسلامي وأن الخروج عليه خيانة يستوجب صاحبها العقاب. واتسعت شقة الخلاف بين الفريقين وحدث الصدع في الإسلام ولم يربأ حتى اليوم.

وما إن استمر المثلث ابني أمية وقد أخذوا من العلويين حتى انضج انت النزاع على
الخلافة انما هو مثلث الأركان فلامويون في ركن والعلويون في آخر وأتباع عبد الله بن الزبير
في ركن ثالث . وكان عبد الله ابن اخت عائشة أم المؤمنين وقد لزم المدينة طوال حكم معاوية
متظاهراً بالرضى . أما الآن وقد اعتلى كرسي الخلافة يزيد ابن معاوية المعروف بظهوره وفسقه
فقد تبدلت الحال . وهنا أعلن ابن الزبير عدم رضاه عن الخليفة الجديد وما زال بالحصن حتى
اغراه على القبة بفلك القاهرة التي كلفته حياته فخلع لابن الزبير الجوارح وأصبح بذلك المنافس
الوحيد ليزيد . وما كادت الحجاز تنبع ان الزبير وثور على بني أمية حتى أسرع يزيد الى
تحرير مكة تدبيرة على الثأرين فيها . وسارت الحملة الى المدينة وكان من رجالها عدد كبير من
نصارى الشام وعلى رأسها مسلم ابن عقبة وكان شيعياً من أتباع عوز (وليس له صلة قرى
بعقبة ابن نافع فابح شمالي إفريقيا وبني القيروان (١) وعسكر مسلم في السهل البركاني
المعروف بالقرية بظاهر المدينة شرقاً . ونزل الثأرين يوم ٢٦ آب سنة ٦٨٣ هـ فملهم . أما ما
رواه بعض الرواة من ان اهل الشام استباحوا المدينة ثلاثة ايام وانتكحوا حرماتها فأمر بشك في
محتة . وقد شخص مسلم بعد ان فتح المدينة متوجهاً الى مكة فأتى في الطريق وخلفه الحصن
ابن عبد السكوت (٢) اقتبعت الحملة سيرها الى مكة . وكان ابن الزبير قد احتسب بالبيت
الحرام ففقدته الحصن وحاصره وبني البيت بالتحقيق . وفي أثناء الحصار انفلت نار ستار
الكعبة فأحرقت واحترقت الكعبة وانصدع الحجر الأسود في ثلاثة أمكنة (٣) . وورد ان
يزيد في تلك الاثناء فخشى ابن عبد القيس في الشام فوقف أخرب في ٢٧ ايلول . وبهذا
انتهت الحرب الأهلية الثانية في الاسلام وكانت كآخنها الاولى التي شنت بين علي ومعاوية
قد قامت على النزاع في سبيل الخلافة .

واشتد امر ابن الزبير بعد موت يزيد وجلاء جيش الامويين عن الجزيرة فنبوع

(١) من « كايون » فارسية ومنها « curawan » . لاكتبرية ي فنية .

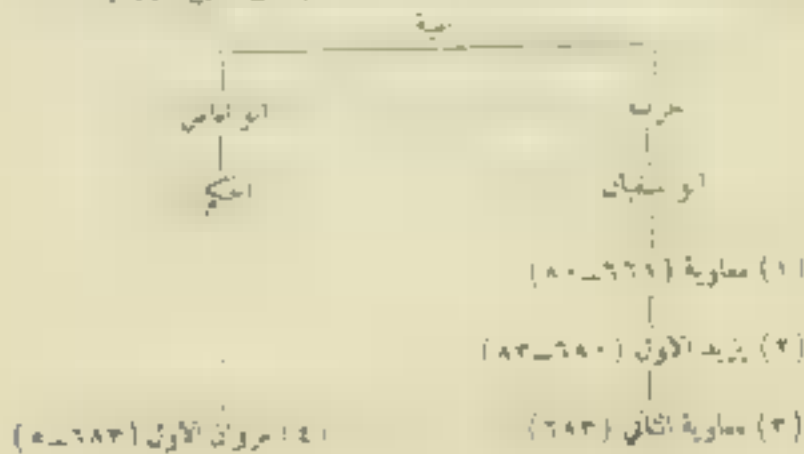
(٢) من قبيلة كندة وكان عاملاً على حمص في ذلك . فخرى ج ١ ص ٢٢٢ . يعقوبي ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٣) الفهرست ج ٢ ص ٤٤٢ . تاريخ طبرستان ج ١ ص ١٨ . تاريخ طبرستان ج ٢ ص ٣٠ . وقد روى الكعبة ابن الزبير
بعد جلاء الامويين .

له بالخلافة لا في الحجاز مقر ولايته فحسب او في العراق حيث جعل اخاه مصعباً والياً بل في جنوب الجزيرة ومصر ايضاً وفي بعض انحاء الشام . وكانت الضعفان ابن قيس القهري وهو زعيم القيسية (عرب الشمال) قد اظهر ميله للزبيريين ودلاهم لهم فالتفت قيس حوله واخذت تدرى المشائين بالعرش من بني امية . وانتهى الامر اخيراً في ان التقى الجحمان بمرج راعط (١) او غلبت قيس وقتل الضعفان في ثور سنة ٦٨٤ . وكانت هذه المعركة صفية ثانية للامويين تغلب فيها بؤكك البشتون على القيسيين . وكانت قبيلة كلب تقيم في سورية من قبل الفجرة وكان اكثر قبيلتها متعصبين . وهكذا فقد بايع اليمانيون مروان ابن الحكم خليفة وهو ابن عم الخليفة عثمان ابن عفان ووزيره فقبل الى الشام وأسس الفرع المرواني من دوحه لأسرة الاموية وذلك بعد موت الخليفة المنصور معاوية الثاني (٦٨٣) . وكان معاوية هذا قد حكم نحو الالة أشهر وما يترك بعده خلفاً (٢) ونزل ابن الزبير خليفة في الحجاز والعراق بندهم بن امية في الشام حتى اياه عند الملك ابن مروان . واخيراً وفي هذا حجة الى العراق فتمتعه من مصعب ثم عبد الله ثم سيرة الجحاج ابن يوسف القائد الشهير الى مكة فدمرها ابتداء من ٢٥ آذار سنة ٦٩٢ ومعب الجحاج

١٩ سوال الى التعريف من حرية معاملة العرب حتى عبر وصف السلطة الخارجية التي يولها مروان في هذه المعركة خاصة في كتاب الامم ج ٢ ص ٢٩٠ - ٢٩١ السويدي ج ٢ ص ٢٠٦ وفي هذه مصابات واصحاب التي مات بن عبد قيس . ترجمته من خلال حرية وبن كلب البشتون الذين مصرعوا بن امية ودموا ملكه . كانت من الاموال التي اوتى آخر الامر الى سلطنة الدولة الاموية ومنه من هذه حدة بن الحزب القيسي والحزب البشتون في كيفية سياسة خارجية في الشام وسورية حتى عرب الشام وغيره .

(٢) جدول نسب بين الاموية الفرع الثاني من الامويين مؤسس الفرع المرواني :



عليها ورمى أهلها بالحجارة . وكان الحجاج في أول أمره يحترق التدريس في الطائف ثم انخرط في جند بني أمية وظهرت مواهبه العسكرية في إخضاع العراق فاختاره عبد الملك لأخضاع الحجاز . وطال الحصار نحو ستة أشهر ونصف وتختلف الناس عن ابن الزبير حتى اضطراب يقائل وحيداً . وقد لجأ إلى أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين طالباً نصحتها حين أخرج وعرض عليه أن يسلم فقالت له أمه : « أرى أن تموت كريماً ولا تتبع فاسقاً شياً » فعاد إلى القتال ولم يزل يدافعهم عن نفسه حتى قتل فاحترق رأسه ومات الحجاج به إلى دمشق (١) وعلقت جثته على خشبة ثم دفنت إلى أمه أسماء . وموت ابن الزبير زال ركن من أركان المذهب الصالح من رجال الإسلام . وخلال الجولاميين وتم الانقسام لعلمان وتعطيت قوة الانصار فاخذ بعضهم يرحل عن مكة والمدينة للانضمام في جيوش الإسلام التي كانت تقايل في شمالي إفريقية وإسبانية وسواهما من ساحات الحرب . ومنذ ذلك اليوم أصبح تاريخ الجزيرة العربية يتناول أثر العلم الخرجي فيها لا أثرها في العالم الخارجي . إن الحيوية التي أبدتها الجزيرة الأم قد تلاشت الآن .

معاوية مثال الملك العربي

وبعد أن ظهر معاوية بالسيطرة على الأحزاب المعارضة انطلق بوجه جهوده تمهيداً لعدو الإسلام الأكبر الروم . وكان قد وجد في عكا بعد فتح الشام دور صناعة بحرية فاستعان بها على إنشاء الأسطول الإسلامي . ولراجع أن دور الصناعة هذه التي عرفت في عكا كانت أعظم دور لانشاء السفن في تاريخ الإسلام البحري بعد دور مصر . أما دور الصناعة السورية فقد روى البلاذري (٢) أن الأمرين قلوها بعد ذلك إلى صور (٣) حيث ظلت حتى العصر العباسي . وليس هناك مجال للشك في أن بناء هذا الأسطول كانوا من السوريين الأروام الذين مارسوا الملاحة وأمور البحر وحذقوه بينما كان أعراب الحجاز - مادة الإسلام -

(١) الطبري ج ٢ ص ٨٨٢ .

(٢) ص ١١٨ .

(٣) انظر : Le Strange , Palestine under the Moslems (Boston , 1890) , p . 342 .

وقابل ابن جبير ، رحلة (لندن ١٩٠٧) ص ٣٠٠ .

يجهلون شؤونها وليس لهم كثير انعام بركوب البحر. فقد كانت سياسة عمر ألا يفصل بينه وبين جنده بحر. ومن هنا استطاع ان تدرك الباعث الذي حدا به الى منع معاوية من غزو قبرس. وكان عثمان هو الذي أذن لمعاوية بذلك (سنة ٦٤٩) بعد تتي. من التردد شرط ان يستصحب زوجته معه وكتب اليه يقول: «لما ركنت البحر ومعك امرأتك فركبه ماذوناً والآ فلا.» وقد كان مسيرها معه ذليلاً على قرب هذه الجزيرة من الشام وعلى السهولة التي يمكن ان تفتح بها. ولم يكن ملك معاوية عهد توطيد الدولة فحسب بل كان عهد توسع في رقعتها ايضاً. ففي هذا العصر كانت الفتوحات في شمالي افريقية التي تمت على يد عتبة ابن رافع. اما في الميدان الشرقي فقد تم فتح خراسان كلها (٦٦٣ - ٧١). وكانت البصرة (١) مركز القيادة العامة وغير النعمان حييون (الأكسوس) وعزوا غزوى (٦٧٤) من اعمال تركستان الثانية. وبذلك لم يعد معاوية مؤسس دولة فحسب بل أصبح مد عمر المؤسس الثاني للمخلافه. وقد اعتمد معاوية في توطيد عرشه وتوسيع الفتوح الاسلامية على اهل الشام وسوادهم الاعظم يومئذ مصرى. واستعان كذلك بالغرب السوريين واكثرهم ثمانيون ولا يعتمد كثيراً على اهل الحجاز. وقد اخبرت المصادر العربية بالاختلاف عن طاعة اهل الشام له وتعلقهم به. (٢) ولا جدال في ان معاوية كان دون علي في القومية والغرب ولكن احداً من معاصريه لم يتقدمه في مظهر الادارة والتنظيم الحربي. فقد وجد من اهل الشام مادة حربية غايف جيش حزب فكان اول جيش منظم في الاسلام وظهره من آثار العصبية القبلية المتخلقة عن المهور المايقة واستخدمه لضبط الأمن والنظام في الداخل وأثار الجهاد في الخارج. ثم اتسول الادارة الحكومية فاقى كثيراً من مضاعفها التقليدية وانشأها على الاساس البيروني السابق واقام جهازاً حكومياً منظماً وخلق مجتمعاً اسلامياً جديداً. وينسب اليه المؤرخون فضل سبق في وضع ديوان الخاتم وهو عبارة عن دائرة خاصة للكتابات الذين تولوا امر المراسلات الحكومية في الدولة. ويؤمنون انه اول من اهتم بأمر البريد (٣) الذي

(١) البيهقي ج ٢ ص ٢٥٨ : البلاذري ص ١١٠ : الطبري ج ٢ ص ١٦٦ ومايلي.
(٢) الطبري ج ١ ص ٣٢٠٩ : المدون ج ١ ص ١٠٠ : قبل ج ١ ص ٢٠٧.
(٣) الطبري ص ١١٨.

صار في أيام عبد الملك مصلحة راقية تربط أجزاء الدولة المركزية الأطراف ، وكان معاوية عدد من الزوجات ربما كانت أحظاهن عنده ميسون وهي عربية سورية من بني نخل من قبيلة كلب وكانت تنخر حياة البلاط في دمشق وتؤثر عليها حياة البادية التي أنتمت بها ، والتي ينسب الرواة الأبيات المشهورة التي منها :

للبن عبدة ونقر عيسى أحب إلى من ليس الشوف
وبت تحلق الأربع فيه أحب إلى من قصر أميف^(١)

وسواء أصبحت نوبة هذه الأبيات إليها أم لا فإنها تعبر عن الحنين الذي كان شعربه البدوي نحو البادية حين ينقطع عنها ويتصل بعمدة الحضر .

وكانت ميسون نصرانية على مذهب اليمانية كذات زوجة عمران التي كانت من بني نخل إلى قبيلة كلب . وكثيراً ما كانت تصطحب ميسون معها ابنها يزيد إلى الديرة حول بدمر حيث كانت تقيم قبيلتها . وهناك تيسر قبل العهد أن يتم الصدد القروية وشرب الخمر وقرض الشعر ، وأصبحت البادية الثابتة منذ ذلك الحين مدرسة للأمراء الأمويين يتعلمون فيها العربية الخلصة^(٢) من الفحكة أو الرمانة الآرامية ويتجولون من أوسنة الذين . وقد هذا الخلفاء الأمويون فيها بعد ومن بينهم عبد الملك وهشام والوليد الذي هذا الخلفاء فيها منازل ريفية طم على حدود الصحراء كانت تعرف بقصور البادية .

كذلك كان منصور^(٣) ابن سرجون (سرجيوس في اليونانية) الذي هدم في تسليم دمشق للحرب بصرانياً من أسرة سورية كان يتولى بعض وجاتها شؤون بيت المال أيام البيزنطيين . وكان حفيد منصور القديس يوحنا الدمشقي الذي عرف عنه أنه كان في شبابه أحد الدماء يزيد ، وكان طبيب الخليفة إسماعيل بصرانياً - ابن أدل - وقد ولد معاوية

(١) أبو الفداء ج ١ ص ٢٠٣ .

(٢) البلد ج ١ ص ٢٩٣ .

(٣) وتجد النيس الأثر على مؤرخي حرب صعموط بين هذا الرجل وبن سرجون أنه . راجع الطبري ج ٢ ص ٢٠٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، السموذني ، الخبيصة ص ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، وديلم

Theophanes, p. 305 .

(٤) بعد أصبحت ولاية لثاق في الاسلام ثم اوقاقت بعد قيادة الجيش .

على جباية خراج حمص (١) وهي وظيفة عليا لم يسبق لتصراني قلعه ان وصل اليها في تاريخ الاسلام (٢). وكان الاخطا الخليلي التصراني شاعر العرش الأموي وكان من بدماء يزيد واصدقاء القديس يوحنا المذكور وكان يدخل على الخليفة عبد الملك والعلي بن مدني من عنقه ولحيته تنفض خراً فينشد الشعر ويضربه . وقد كان البعاقبة والموارنة يحتكمون الى الخليفة (٣) في الامور الدينية التي يختلفون عيهم فيقضي فيها بينهم . ويمرونيوفانس (٤) الى معاوية بناء بيعة للتصاري في اريحا . وقد هدمها الزنزان فيما بعد .

وما جعل معاوية ولاية العهد ليزيد (٥) سنة ٦٧٦ وحمل الوفود على ان تأتي من مختلف الامصار لمبايعته ادخل بذلك الى الخلافة مبدأ الوراثية واصبح وعدة سيرة عبيد لدول الاسلامية ومنهم دوة العباسيين . وعمرية على هذه الباقية كانت الخليفة يرشح من يرى فيه الكفاءة من ابناءه او اصحابه ويعمل الناس على مبايعته سلفاً . وكان يبدأ في ذلك بمبايعة فتواخذ البيعة من اهلهم ثم تنوهد امهات المدن في سائر الامصار .

وليس من شك في ان قصداً غير قليل من الترحيل الذي اعرضه معاوية انه يرجع الى غلبة من الاعوان الذين قاربهم اليه شخص بالكرامتهم عمرو بن العاص وعمل وادي مصر الخصب والمنيرة ابن شعبة امير الكوفة المنردة وزيد بن ابيه والي البصرة السحفة . وقد كانت هؤلاء وعلى رأسهم معاوية هذه الاسلام الاربعة . وكانت زياد قد كفي بان ابيه اربعة في معرفة من هو ابوه وكانت امه سمية أمه في الطائف او مومساً عرف ابو سفيان ثم حضرت لرحل آخر قبل مولد زيد . ونشأ زيد فذا هوام مع العنانيين . وفي ساعة من الساعات الخرجية استلحق معاوية سب زياد ما به واعترف به أخاً شرعياً . وقد رهن زياد على ابيه نعم العون لآخيه فقد اخضع البصرة وكانت مركزاً لشعبة واشتدت وطأته على اهلها حتى حملهم على السكون . ثم مات المنيرة وعمل الكوفة فرقي زياد الى امانة الكوفة واصبح بذلك

(١) ابن عساكر ج ٥ ص ٩٠ .

(٢) البغوي ج ٢ ص ٦٦٥ ورحله في يوسن في كتابه *Das arabische Reich* ص ٨٤ تحت امر نصيبه غير ثابت .

(٣) *wellhausen Reich*, p. 84 .

(٤) *Theophanes*, p. 356 .

(٥) الطبري ج ٢ ص ١٧٥-١٧٦ السموقي ج ٥ ص ٦٩-٧٥ .

الحاكم المعلق على شرقي الامبراطورية الاسلامية ومنها الجزيرة العربية نفسها وقارس . وقد اتخذ زياد له حرساً خاصاً مدرباً قوامه ٥٠٠٠ رجل كانوا له العيون والارصاد وكانت منهم الشرطة لحفظ النظام . واستطاع بهذا الحرس ان يحكم بشدة وبطش واستبداد متعقبا كل من كان هواد مع علي او بدرت منه بادرة عداوة مدوية .

واوفي معاوية نصيباً من التدبقة والحكمة السياسية لما ينال مثله فيما ترجع خليفته آخر . وقد ذكر المؤرخون ان اظهر فضائله كانت اخر^(١) التي اشهر به . هذه المقدرة على ان لا يابح الانسان الى المنف الا حين لا يرى محبة عنه وان يتزعج في الاحوال الاخرى الى الذين وانسانة - شدة في غير عيب وابن في غير ضعف - فكان قريش لينة باخرا فبتزعج بذلك من خدمه سلاحه واجعل معارفه وكان بذلك معه وبكظم غيظه ومن هذا استطاع ان يكون دائماً سيد كل موقف . وقد روي عنه انه كان يقول : « لا اضع سيفي حيث يكفني سوطي ولا اضع سوطي حيث يكفني لساني وقد ان بني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، اذا مدوه حانتها واذا جدوه مددها »^(٢) وكانت في كتابه الى الحسن ابن علي حين نزل له عن الخلافة : « اما بعد فانت اولى بهذا الامر واحق به قرابتك ولو عصت لك اضبط له واحوط على حريم هذه الامة واكيد ليرثك فل ما شئت »^(٣)

ومما يرم معاوية - على ما عرفت عنه من حزم وسياسة - من نقد المؤرخين . ذلك انهم يعتبرونه اول ملك في الاسلام . والعرب يكرهون هذا النقب والغيب عندهم ان يطلق على سلاطين الاعاجم . وفي اقوال المؤرخين صدى ليول القدماء الذين اتهموا معاوية بتحويل الاسلام الى دولة وجعل الخلافة ملكاً^(٤) أي زعامة دينية . فقد اخذوا عليه احداثه المقصورة^(٥) في الجامع وجعلها مقاماً لاصلاة خاصاً به . واخذوا عليه انه اول من خطب

(١) الطبري ص ١٥٥ ؛ المفيد ص ٢٠١ ؛ السجستاني ص ١١٠ .

(٢) البغوي ص ٢ ؛ ٢٨٣ ؛ المفيد ص ١٠٠ .

(٣) الطبري ص ٢ ص ٥ .

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ص ١٦٩ وما يلي ؛ البغوي ص ٢ ص ٢٥٧ .

(٥) البغوي ص ٢ ص ٢٦٥ ؛ الفيدي ص ٢٢٩ ؛ الطبري ص ٢ ص ٢٠٠ .

قاعداً (١) وأنه أول من اتخذ سرير الملك (٢) . غير أن معظم ما دونت من تاريخ العصور الأولى يرجع إلى العصر العباسي وقد ألف بعضه تلميذاً للعباسيين أو تحت تأثير الشيعة فأذكرت على معاوية فضائله وأشك في تمامه . أما رأي المدرسة السنية من المؤرخين - هذا الرأي الذي يحفظه ابن عساکر في تاريخه - فنحصر معاوية يظهره مسنداً ودرعاً ثقيلاً . ولقد تأثر خلفاء بني أمية بهذه الصفات التي عرفت عن معاوية من لين وحكمة ودراية ودهاء وسياسة ومهمة ونشاط ، وأراد كثيرون منهم أن يحاكيوه (٣) فيها فلم يصلوا إلى حظه ولا بلغوا انجانه للسياسة . ومن هنا نرى أن معاوية لم يكن أول ملك في الإسلام فحسب بل هو بلا جدال من أعظم ملوك العرب على الإطلاق .

(١) ابن الأثيري من ١٨٨ .

(٢) ابن خلدون - المقدمة من ٢١٦ - ٢١٧ تصديده . صبح الأعشى (القاهرة ، ١٩١٣ - ١٨) ج : ٦ ، ص ٦ .

(٣) السموهلي ج ٢ من ٧٨ . ولا يزال في معاوية في مقبرة باب الخير بمسجد يزار إلى اليوم .

الفصل الثامن عشر

العلاقات العدائية بين العرب والروم

وبينا كان معاوية يحاول أن يخذل الفرس الداخلية التي تهدد مركزه رأى من مصالحة
أنت بوم (٦٥٨ م أو ٩) امبراطور الروم كوستنس الثاني (٦٤٢ - ٦٨) على الصلح
ويؤدي اليه جزية سنوية ذكره ثيوفانس^(١) وأشير اليها بالآخرى^(٢) إشارة سطحية .
ولكنه ما كان يستطاع له الأمر حتى رفض دفع الجزية وحدد الفارسات على مناسكات
البيزنطيين وأمر على شكل ما استطاع أن يعرضه فيه بعد من خلة ثم اليه شريعت
كأدت أن تصل يده مابين في الاسيا على عاصمة القسطنطينية . وكان الكبرياء في شأن
الفارسات على منطلق الروم في آسيا الصغرى هو الرعية في المدينة على الرغم من أن شيوخ
القسطنطينية المباني في الألف العبد كان يستهوي المرأة في حشد كبير . ثم تدرجت هذه
الفارسات حتى أصبحت جملة حولة تعريف بالعوائل لا . كانت لشأن كل صيف وكانت
خير ما عول عليه انخفاء من خطط تقرب الجيش وترويض الجند والذرة الحسة عيه . إلا
أن العرب لم يفتحوا قط في شيت اقدامهم في آسيا الصغرى وذلك لأن معظم قواهم كانت
توجه شرقاً وغرباً إلى الأقاليم التي قلت القدمة فيها . ولم لا هذا السكان شأن العلاقات بين
العرب والبيزنطيين في آسيا الصغرى وفي وراء مضيق الدردنيل غير ما نرى . وقد قامت جبال
طوروس والجبال التي تقابلها حاجزاً منيعاً أمام العرب كسائر الطبيعة حصنها حذاً اسدياً بين
البلدين . واستطاع أن يقول على سبيل المحزن أن الثقة العربية تجمدت على منحدرات هذه الجبال
فلم تعبرها إلى بر الأمان . وعلى الرغم من أن السلاجقة والعثمانيين الترك قد استطاعوا فيما

(١) ٣٤٧ م

(٢) م ١٥٩ .

إمدان ينزعوا آسية الصغرى من الروم ويدخلوها في رقعة الاسلام فان جزءاً منها لم يصبح يوماً عربى اللسان ، والواقع ان عمدة السكان في الاناضول منذ عهد الخديين كانوا دائماً غير ساميين وان اقليم ايلاد بارد بطبيعته فربما يطب العيش فيها لغربي ولم تتصل جذور مدينته هناك .

أما نطاق الحصون الاسلامية التي امتدت من منطية (او منطية - ملتي) اليونانية) على اعالي انقرة الى طرسوس بطرب البحر المتوسط فقد شملت أذنة والمنصيص (مونسوتيا) ومرعش (حرماسيا) وهي مراكز استراتيجية عند تقاطع الطرق العسكرية او داخل الممرات الجبلية . وقد سميت هذه العقول وما يحيط بها بالعوامم ، ولكن لفظ العوامم في معناه الأدق كان يقصد به خط الحصون الداخلي في الجنوب فقط . اما خط الحصون الخارجي الشمالي فسمي بالشمور .^(١) وقد تضمن خط الشمور على عهد العباسيين فلكا يمتد من أولاس على البحر المتوسط الى طرسوس فاستبساط على انقرة^(٢) . اما خط العقول التي أخذت تدفع عن انقرة فقد أطلق عليه اسم الشمور الخارجية كما ان خط الدفاع عن سورية هو الشمور الثانية^(٣) . وهيمت طرسوس على مركز الدفاع عن مدخل البلاد الجنوبية الشهير باباب كيكبك وهو ممر شروس فجعلها العرب قاعدة حرية شنوا منها الغارات على مناصق الروم . ولا يبعد طرسوس اكثر من اربعة وخمسين ميلاً من اموسفور في خط مستقيم . وكان هناك ممر آخر لا حفراف جبال طوروس في الشمال الشرقي وهو يعرف بطرب الخدات وينحدر من مرعش شمالاً الى انابا^(٤) بين (١) الا ان الناس لم ينسكه كما سلكت امير الآف المذكور . ولم تكن هذه التجوم منسكا لغريق دون آخر بل كانت معاقبة متداولة بين العرب والروم تبعاً لتقلبات الزمن وقوى الفريقين . وقد قتل العرب في سبيل كل شهر من هذه الاراضي قتلاً عريضاً

(١) Guy Le Strange, *The Lands of the Eastern Caliphate*, (Cambridge, 1903), p. 128 .

(٢) الاممغري ص ٦٩ - ٨٠ .

(٣) المادري ص ١٩٣ وما على ، ص ١٦٣ وما على .

(٤) يفتوت . بلدان ج ١ ص ٩٣ - ٩٤ . وفي Le Strange, *Eastern Caliphate*, p. 133 .

واسمها ايرعش ايسنا . وفي يونانية اريس وفي نرية ثنائيرة الجمان .

في فترات متعددة في عهود الأمويين والعباسيين ، ونفسه ليس في آسية كلها ارض خضبت
بدماء المتقاتلين في الحروب المختلفة كما خضبت هذه الأرض .

وسير معاوية حين كان غاملاً على الشاء في خلافة عثمان استولوا الى الشل عليه أسير
ابن أبي ارمطة (١) اشترك مع استول معمر الذي كان يقوده عبد الله ابن أبي سرح في
مقابلة عمارة الزره وعليلها كوستس الثاني ابن هرقل وذلك في فينكس (فنكي اليوم) على
ساحل ليبيا سنة ٦٥٥ / ٣٤ . واستمرت المعركة عن اول انتصار بحري الحزبه السفون . وقد
عرفت هذه المعركة البحرية في الاخير العربية بذي (أو ذات) الصواري (٢) وقد قلب
فيها العرب قتل البحر وجموده قتل بر يذربوا السفن العربية الى السفن البيزنطية (٣)
فوقبت ارجل على ارجل يضطربون بأسفوف على سفور السفن ويتواجهون بالخناجر فكانت
هذه المعركة برموكاً ثانياً على الزره (٤) . وقد وصف الطبري (٥) ما به البحر فيها فقال ان
الدم كان غائياً على الماء ، ومطرت الامواج جثث القتلى ركاماً ، ولكن العرب مع ذلك لم
ينتهزوا هذه الفرصة فبهجموا على القسطنطينية . والراجح ان مقتل الخليفة عثمان وما تلاه
من القتل الداخلي حال دون ذلك .

وقد حاصر جيش الأمويين القسطنطينية ثلاث مرات ولم يتمكن العرب في غيرها من
بلوغ الاسوار الثلاثية القائمة حول هذه العاصمة النفيسة . وكانت اول حصار بقيسادة يزيد
سنة ٦٢٩ / ٢٩ حين كان ولياً للمهد . فكان جنده اول من شهد (٦) بزنطية من جنود
الاسلام . وقد قصد معاوية من ارسال يزيد على هذه الحملة البحرية ان يجمعه سنداً لفضلة
ابن عبيد الانصاري الذي توجه براً وكانت قد قضى شتاء ٦٦٨-٩ في خلقيدونية (ضاحية

(١) ان عبدالمجيد من ٦٨٩-٩٠٠ ابن حجر ج ١ ص ٦٦٣ .

(٢) رجع هذه التسمية اما ان نوسع الذي ذكر فيه الطبري الذي تصنع منه سوارى السفن او لوفرة
الصواريخ التي كانت عند السحام الأسطولين العظمين .

(٣) ابن المجد من ١٩٠ .

(٤) Theophanes, pp. 332, 345 - 6 .

(٥) ج ١ ص ٢٨٦٨ .

(٦) الطبري ج ٢ ص ٨٦ وقابل ص ٢٢ .

القسطنطينية (الاسيوية) وانت يرد من ناحية ثانية على هؤلاء الذين كانوا يرون في كفاءة يزيد لولاية العهد ولا يرغمون عن بيعته . اما اخضر الذي وليه يزيد وفضله في ربيع سنة ٦٦٩ فقد انتهى في صيف تلك السنة . وكانت ان اوقع عرش بيزنطة في تلك الاثناء امير بطور حارم شيعي هو قسطنطين الرابع (٦٦٨-٨٥) .

وقد جاء في الروايات والاساطير العربية ان يزيد اظهر في هذه الحرب من الشجاعة والبأس ما اكسبه لقب قتي العرب . وذكر صاحب الاغني^(١) انه في الله اخضر نظر يزيد الى قبتين مبيتين عليهما ثياب الدجاج فذا كانت الخلة لمسممين ارفع من احداهما اصوات الدفوف والزامير وذا كانت الخلة فاروق ارفعت اصوات من الاخرى فقال يزيد عني فقبل له هذه بنت ملوك الروم وبنت خولة ابن الابهج وكل واحدة مني تظهر السرور بت عمله عشرينها فتحمس يزيد يزيد ان يقص على ابنة ملك غسان . الا ان نزل هذه العصابة الخفية في الاساطير هو ابو ايوب الاسدي الذي نزل محمد في بته عند الفجرة^(٢) الى المدينة وكان يعمل راية النبي في المعرك . وقد اسطبحه يزيد على قتله سنة اربع مائة حضوره لا الاطماع من درايته الحربية . وكان ان اصيب ابو ايوب برمح فمات ودفن قريباً من الاسوار . فقفا فسكن النصارى من اليونان بعد ذلك يتعاهدون قبره ويرمونه ويسلمون به اذا فعلوا^(٣) . وفي سنة ١٤٥٣ حاصر الترك القسطنطينية فغزوا على هذا القبر وقد اظهره لهم فيها روي الشعة نور عجيبة . وهذه القصة تذكر . بقصة الكشف عن الخربة المدسة في العاكية . هذا الكشف الذي تم على يد اوائل المسلمين . وبنى الاثرك بعد ذلك عند قبر ابي ايوب مسجداً وتصبح هذا الرجل وهو شيخ بقي من النصرانية ولياً عند العرب والروم والترك .

وحاول العرب مرة ثانية اقتحام القسطنطينية الله الحرب المعروفة بحرب الستين السبع^(٤)

(١) ج ١٩ ص ٢٢ .

(٢) البلاذري ص ٥ .

(٣) ابن سعد ج ٣ قسم ٢ ص ٥٠ . وقد تبعه في ذلك الطبري ج ٣ ص ٢٢٢ . والنسائي بمحله واه
ابي ايوب في سنة ٥٢ هـ . ومعنى يرم يصنع .

(٤) انظر I B. Bury, A History of the Later Roman Empire (London, 1893), vol. II, p. 310.

(٦٠-٥٥ / ٦٧٤-٨٠) . وقد اشترك في هذه الحرب اسطولاً اثنتين تجاه القسطنطينية . وكان العرب قد اتخذوا قاعدة بحرية لها في بحر مرمرة على شبه جزيرة سيزيكوس^(١) التي سموها « جزيرة الرواد »^(٢) وجعلوها مقر الجيش العربي ومشتى يتربصون فيه مقدم الزبيج فيعيدون الكرة على العدو . وتضطرب الروايات العربية عن هذه الحملات وتختلط الامر على المؤرخين . ولقد قيل ان المدينة نجت من ايدي العرب بفعل النار اليونانية وقد كانت من مادة مدينة الاشعث بحيث انهمب على سطح الماء ويمضي اكتشافها الى مهاجر دمشقي اسمه كانيبيكوس . وقد اسست المراجع اليونانية في ذكر هذه النار ووصف ما اوتلته من الضرر لحق العرب . كذلك اكد القديس السجعي^(٣) الذي اخذ عن نيوفانس ان الروم قد عودوا استخدام النار في الحرب وكانوا سبق الشعوب الى استعمالها .

والى هذه الحقبة يرجع احتلال رودس (رودس ١١١ ٦٧٢) وصربيت (افرطس ٩٧٥) احتلالاً موقفاً . واحتل العرب رودس مرة اخرى من سنة ٧١٧ الى ٧١٨ وكان العرب قد غزوها قبلاً سنة ٦٥٤ وبسببها وابعوا سنة ٦٥٦ بقية المدينت من نسطار الشجر لتساجر قبل انه استكرى سبع مئة رجل للظلم وكذلك فكت رودس بعد ذلك مرة اخرى على يد جماعة من القاطنين العرب وقد اتوا من اسبانية .

وعند موت معاوية (٦٨٠) انسحب اسطول العرب من البوسفور وبحر ايجة ولجئوا الى الحملات على « بلاد الروم » لم يتوقف وحده في الاحبار ذكر الصوائف التي كادت ان تكون سنوية . غير انه لم يكن بين هذه الغزوات غزوة ذات بال الى ان كانت خلافة سليمان ابن عبد الملك (٧١٥ - ١١٧) . ولقد حسب سليمان انه هو المقصود في الحديث الذي يذهب الى ان خديجة تعمل اسمي بفتح القسطنطينية . ووقع الحصار الأخير الذي ضيق به المسلمون الخلفاء على

(١) Theophanes. pp. ٢٤٣ - ٤ .

(٢) الخطابي ٢ من ١٦٣ : البلاذري ص ٢٣٦ .

(٣) كتاب عمون لعمد شفي نصرغيسيم في (Patrologia Orientalis, (Paris, 1932), vol. VIII, p. 492 .

(٤) البلاذري ص ٢٣٦ .

القسطنطينية (آب ٧١٦ - أيلول ٧١٧) ١١١ وقد قام به سفنة ابن عبد الملك اخو سليمان . وهذا الحصار الباهر الذي يعتبر اشد هجوه قام به العرب على القسطنطينية واكثره خواراً على الدولة الرومانية الشرقية هو اشهر حصار لكثرة ما ذكر عنه في كتب التاريخ المخطوطة . وقد ناست الامدادات لمحاصرين راء وعرا واجدهم الاسطول المصري . واستخدم العرب الناط واستعاروا نوع من المدفعية (١٢) محصورة الروم من كل جانب . وكان على حرس سفنة رجل يدعى عبد الله البطال شهير في تلك الحرب وأبلى بلاء حسناً فقبوه بزعيم الاسلام . ثم قتل بعد ذلك (٧٢٠) في حجة لاحقة . وفي القيد التي شئت بعد أصبح عبد الله البطال يعرف باسم غداي واعتبر من ابطال لامة التركية . وقد اثنى على قبه وقرب من اسكني شهر ككية ومسجد لأبيه . الطريقة النكشبية لا يزال لان في اليوم . وكان البطال قد زعموا أحد أهل البوس والمحنة من المسلمين الذين صورهم الروم في بعض كتابهم (١٣) .

وأخيراً شهد الامبراطور ايو الانصوري (٧١٧ - ٥٠) وهو سوري الاصل من اميرة ومبعدة كانت تسكن مرمش وكان يحسن العربية كايوبية ١١٤ فاستطاع ان ينفذ بدهانه على سفنة وأخذ الدفعة منه . وفي ما تعف من اساء هذا حصار أول اشارة في التاريخ تاسسة التي اقيمت في وجه الاسطول العربي في سنة ١١٤ من القرن الذهبي . واستطاعت الروم بالبحر وأزرقهم البصر وحملت المدعة والادوية وهول مرد الله المربع فزادت بانية الجيش العربي وكان ان توفي الخليفة في دمشق في شباط وقع هذا التبع من عزلة سفنة بل والى الحصار الى ان وجه عمر ابن عبد العزيز (٧١٧ - ٢٠) اليه بأمره فغول من معه قتل . وفيها هو راجع جيشه استهدف له سفنة هوجاء انكمت . خلفه الروم من القمار .

واذا كان لا شك صدق ما رواه ليوفس في اشارة ما يقع من اسطول سفنة المؤلف من

(١١) مصري ج ٢ ص ١٣٤٦ في ١ Burz, vol. II, p. 406.

(١٢) كتاب البيون والخرائق مصري ج ١ ص ١١٦٩ - ١١٧١ ج ٣ ص ٢٤٠ .

(١٣) مصري ج ٢ ص ١١٦٦ .

(١٤) المصري ج ٢ ص ١١٤ .

(١٥) كتاب البيون والملاحات ج ٣ ص ٢٤٠ .

(١٦) Pp. 305, 306.

الف وثمانية سفينة سوى خمس . واجتهدت اوربا بزوال هذا الكابوس عن صدرها واعتبرت
مؤسس الأسرة الايصورية السوري مختصاً انقذه من الخطر الاسلامي كما كان هرقل مؤسس
الامرة الحرقية الارمني قبله فقد انقذ النصرانية من خطر فارس الوثنية . ولم يجرؤ جيش الاسلام
على الظهور بوجه القسطنطينية بعد هذا الا مرة واحدة وذلك حين عسكر هارون ابن الخليفة
المهدي في سكوناري (كرسوس) سنة ٧٨٢ فارتدت الامبراطورة ارنه الى عقد الصلح
على ان تؤدي الجزية لخمسين . ولم ترمدينة قسطنطين بعد ذلك جيش الاسلام عند اسوارها
حتى انقضت سبعة قرون وظهر عنصر جديد فتي يعمل راية الاسلام هو العنصر التركي انغولي .
وعلى الرغم من أن هذه الحملة التي تولاها مائة البطل الحارث قد انتهت بالقتل فانه قد
خلقت وراثتها - كالحملة التي تقدمت - ثروة من القصص والاساطير كالتدي زوي عن مسفة
من انه ابغى مسجداً في القسطنطينية (١) وانه احدث عينا عين ماء (٢) كما شيد مسجداً
آخر في ابدس (٣) وانه دخل كنيسة القديسة صوفى على فرس . وكتب القديس في
جغرافيته التي وضعا سنة ٩٨٥ يقول : اعلم ان مسفة ابن عبد الملك لما غزا بلد الروم ودخل
هذا المصر شرط على كلب الروم بناء دار (٤) لآراء قصره في الميدان ينزلها وجوه الاشراق
اذا اسروا .

المقدمة

ومن العوامل التي آتت الى فشل العرب في التوسع غرباً ظهور جماعة من التوارق النصارى .

- (١) ابن تغري ردي . لاجوم برامرة في مذكورة مصر وساحرة . شرح ج (بر كيلي ١٩٠٩ - ١٢)
- ج ٢ قسم ٢ ص ٥٠ : يشير الى انه كان يخطب لهرقل [القاطن] في جامع القسطنطينية . انظر ابن ابي عمير .
ذيل تاريخ دمشق . ندر اندوز (بيروت ١٩٠٨) ص ٦٨ ولقد بقي ذكر هذا الجامع في اخبار عصر
البياتك .
- (٢) ابن خردادبه . المسالك والممالك . نشر دعي غويه (لندن ١٨٨٩) ص ١٠٤ : السودي ج ٢
ص ٣٦٧ يسمى الموضع القدس .
- (٣) ابن القتيبة . كتاب البلدان . نشر دعي غويه (لندن ١٨٨٤) ص ١٢٥ : ياقوت . بلدان ج ١
ص ٣٧٤ يجعل اسم بيعة القدس و صوابه ابدس .
- (٤) خرجت هذه الدار بالباطل وغلل يوت . بلدان ج ١ ص ٦٠٩ : انها كانت محبس الامراء . انظر سبط المروية
ابن حمدان (٩٤٤ - ٩٦٧) .

- هم المردة - وقبضهم على خدمة مصانع المدوة البيزنطية . والمردة شعب مجهول الاصل تنتم بقسط واغر من الاستقلال في موطنه بتدفل جبال الملك (امانوس) فكان ابناءؤه الذين عرفهم العرب بالجراجمة (١) يمدون الروم بجيوش غير نظامية ويهددون سيادة العرب في الشام ، وأقام هؤلاء الجراجمة من أنفسهم بين بلاد العرب وبلاد الروم « جداراً حديدياً » (٢) يصون آسيا الصغرى . وحوالي سنة ٦٦٩ تطرقت شرارة منهم الى قلب لبنان فكانوا نواة التف حولها عدد كبير من النافين والمضطهدين ومنهم الموارنة . وكان معاوية قد مبع الى امبراطور الروم على قدر كبير من المال يؤدبه كل سنة شرط ان يقطع الامبراطور الاعانات عن هذا العدو الداخلي وقبل في الوقت نفسه ان يؤدي جزية لمردة أنفسهم أيضاً . وفي سنة ٦٨٩ عاد الامبراطور يوستنيانوس الثاني الى تحرير اهل الجبل المردة وحضهم على الفتنة والعبث بالأمن في ارض الشام فاضطر الخليفة عبد الملك حزيناً على سياسة معاوية قبله (٣) ان يقبل بالشروط التي فرضها عليه الامبراطور وان يصالح الجراجمة على الف دينار كل اسبوع . وأخيراً تراج اكثر الجراجمة عن الشام فتركوا بعض المدن آسيا الصغرى الداخلية او الساحل حيث احترفوا الملاحنة . وبقي بعضهم في البلاد وكانوا عنصر أمن المدمر التي خلفتها الموارنة المروغون اليوم في شمال لبنان .

(١) فتح الجبل الاول او معها ومنع فرب الى صوبه .
(٢) او تخامياً كما يسمى اليوم . Theophanes, p. 316.
(٣) البلاذري ص ١٦٠ .

الفصل التاسع عشر

الدولة الاموية في أوج عزها

حكم مروان مؤسس القوي الروابي في الدولة الاموية من سنة ٦٨٣-٨٥ ثم خلفه ابنه عبد الملك « أبو الخنفاء » فحكم من سنة ٦٨٥-٧٠٥ . وفي عهده وعهد بنيه الاربعة (١) الذين خلفوه بلغت الدولة في دمشق أوج عزها ومجدها . وقد وصلت الامبراطورية الاسلامية في عهد الوليد وهشام الى أقصى اتساع بحيث امتدت من شواطئ المحيط الاطلسي وجبال الهمس غرباً الى نهر الاندلس وتغزو الصين شرقاً وهو الساع قل أن تعد له مثيلاً في العصور القديمة ولم تبلغه في العصور الحديثة الا الامبراطوريات البيزنطية والروسية . وفي هذا العصر الزاهر تم لغرب أن يفتحوا ما وراء النهر ويحتلوا شتاتي فرجبة مرة ثانية ويخضعوه ويستولوا على اسبانية وهي اكبر مملكة اوربية دست فيه .

وفي هذا العصر قامت الدولتين في العربية ونسب العرب انفسهم ونسبت اول نفوذ عربية صرفة وأعلنت ادارة البريد وشيدت الباني المعجمة كقبة الصخرة في بيت المقدس حرم الاسلام الثالث .

ولقد احدثت عهد ذلك عند نسبه العرش وفي السنوات العشر الاولى لخلافته شقي المصاعب فسكران كسفه تعظيم معاوية مضطراً الى مكافحة الاعزاء في جهات متعددة . وقد كان خليفته ان يستمر بدأه مروية فانه قد ادر كتمه اوفدة في خدمة السنوات العشر الثانية من حكمه ترك لابنه الوليد امير بطورية موحدة لئلا يركن بسوءه الامن . ولم تقتصر هذه الامبراطورية على العاة الاسلامي وحده بل شملت امصاراً جديدة تم فتحها في عهده . وقد اثبتت الوليد أنه

(١) الوليد (٧٠٥ - ٧١٥) - يوسف (٧١٥ - ٧٢٠) - ورع (٧٢٠ - ٧٢٥) - وهشام (٧٢٥ - ٧٤٣) - وعبد العزيز بن هلال الخادم الاربعة - هشام بن عبد الملك (٧٤٣ - ٧٤٥) - وهشام بن عبد الملك .

خير خلف لآل يه القدير .

لقد كانت فتح الشام والعراق وفارس ومعمر في خلافة عمر وخلافة عثمان خاتمة الدور الأولى في الفتوحات الإسلامية وقد بدأ الآن دور الفتوحات الثاني في عهدي عبد الملك والوليد .

المهاجم : عامل الامويين الحازم

تدور الاعمال الحربية الكبيرة في هذا الدور حول شخصيتين بارزتين هما الحجاج ابن يوسف الثقفي في الشرق وموسى ابن معمر في الغرب .

اختار الامويون الحجاج وكان مملاً في الطائف (١) فالتقى القلم وامتش الحسام للدفاع عن عرشهم المترع قد عين عاملًا على الجزيرة العربية بعد ان قضى (٦٩٢) وهو في الحادية والثلاثين من عمره على عبد الله ابن الزبير الذي قام في الحجاز بنزع الامويين عن الخلافة سبع سنوات . ولم تفض غير سنتين حتى أعاد الحجاج الأمن الى الحجاز واليمن حتى اليامة شرة . وفي كانون الأول سنة ٦٩٥ استقدمه عبد الملك اليه وعهد اليه ان يخذ الثمن في بلاد العراق ويعيد هبة الامويين ونفوذهم اليها . وكانت بلاد اعراس مشردة ساخطة تعج بالتمرد والثورات (٢) وكان العلويون والخوراج همها بمخاضات على الامويين مضاجعهم فومل الحجاج اليها . وكان في رفته بصفة من الرجال على هجنهم لا يزيدون عن اثني عشر وظهر فجأة في مسجد الكوفة فاعتلى المنبر بفتة ثم خلع عمامته وكشف عن عيانه واتقى خطبته الثارية التي لا يزال يعظها غيباً الناسون من انقلاب العرب . وقد أعلن الحجاج سياسته في لغة سريعة لا تشمل التواويل وأفهم العراقيين أنه سينهج خطة الحازم . وأنه لن تأخذه هوادة في معاملة من يخرج عن الطاعة . وقد استهل خطابه بيت لشاعر قديم :

أما ابن جلا وطلاء الدنيا متى أضمر العزمه نمرقوني

ثم أردف بقول : « يا أهل الكوفة ! اني لأرى رؤوساً قد أبصت وحانت قطافها واني لصاحبها وكأني أنظر الى الدماء بين العائج والمحي ... » (٣)

(١) ابن رسته ص ٢٦٦ : ابن دريد : الاشتقاق ص ١٨٧ .

(٢) البيهقي ج ٢ ص ٣٢٦ : المصنوع ج ٥ ص ٢٩٠ .

(٣) المبردة الكامل ص ٢١٥ - ١٦ : قبل البيهقي ج ٢ ص ٣٢٦ : المصنوع ج ٥ ص ٢٩٠ .

والواقع انه لم يرتفع بعد هذا رأس على الخجاج الصارم الا وقطعه او تطاول عنق الا وناله حتى انه عد الى أنس ابن مالك الصحابي المحدث الشهور وكان قد اتهم بالعطف على المعارضة فختمه (١) في عنقه اذلالاً له . وقد زعم المؤرخون ، ومعظمهم من الشيعة او من أهل السنة الذين كتبوا في ظل الحكم العباسي ، ان عدد الذين قتلهم الخجاج بلغ ١٢٠ ألفاً (٢) وصوروه ملاغية مستبداً شبه بنبرون وفتوه فوق هذا بالخشع وقلة الدين (٣)

وسواء أكان الخجاج على حق فيما فعل ام لا فان الوسائل العسارية التي اتخذها اقوت النظام في البصرة النائرة وفي الكوفة كما اقوته في سائر البلدان التي استعمل عليها ومنها العراق وفارس . وتمكن قواد الخجاج وفي طليعتهم الهباب ابن ابي صفرة من استئصال الازارقة بالفعل (٦٩٨ او ٦٩٩) (٤) وكما وجد فرق الخوارج خطراً على الوحدة الاسلامية وكانوا قد امتلأوا زعماً الامور في كerman (٥) وفارس وسواهما من الامصار الشرقية تحت قيادة قنبري ابن الفجاءة . وكانت عمان على ساحل الخليج الفارسي الشرقي قد دخلت في حوزة الاسلام منذ أيام الرسول وصدر الاسلام ولكن بلاسم قطرة الآب اديانهم بالفعل في المملكة الاموية . وابتنى الخديج عن خفة دينة الغربية بدة سماها واسطاً بتوسطها بين البصرة والكوفة (٦) وحملها مفرأ حكمه وأسكنها اهل الشام واحضر بهم المناطى التي حكمها . وكانت تقعه عند اهل الشام كولاته لميت الأموي لا عرف حداً .

وبما أخذ الفتن في البلاد التي فيها وتميزت قديمة فطبع حو الشرق فأرسل اعوانه للفتح ومنهم عبد الرحمن ابن محمد لأمست الشحر من اسيرة ملوك كندة وكان امير مدينتان فوجبه

(١) الطبري ج ٢ ص ٨٢٢ - ٨٢٣ .

(٢) ابن جرير ج ١ ص ١٩٦ - ١٩٧ : السمردي ج ٤ ص ٣٨٢ : السمردي ج ٤ ص ٣١٨ : الطبري

ج ٢ ص ١١٢٣ .

(٣) المديوري ج ١ ص ٢٢٠ - ٢٢١ : السمردي ج ٧ ص ٢١٩ : الطبري ج ٢ ص ١١٢٢ - ١١٢٣ .

بن عساكر ج ٢ ص ٨١ .

(٤) اصحاب تاريخ ابن الأثير وفيهم يكتفون كل من لم يعين عطف الخوارج ويحكىون بأنه في السار هو

ونبرون واعنه : السمردي ج ٨ ص ٨٩ - ٩٠ .

(٥) او كerman بكسر الكاف كالي بفتح الهمزة ج ٢ ص ٢٦٣ .

(٦) ياقوت ج ٢ ص ٩٩١ - ٩٩٢ : قبل الطبري ج ٢ ص ١١٢٤ - ١١٢٥ وفي يوم خراب .

سنة ٦٩٩ - ٧٠٠ في جيش كثيف حلت عنده بحيث سمى «جيش الطولويس» (١) لاختطاع زنبيل (٢) وهو لقب ملك كابل - من اقبانستان اليوم - الذي ابى ان يؤدي الجزية (٣) وتكلفت حملة عبد الرحمن بالتجريح وتكن غارات عبد الرحمن الذي خرج فيما بعد مع الحجاج لا تعد شيئاً بالنسبة الى غارات قتيبة ابن مسلم وعمر بن القاسم الثقفي صهر الحجاج . وقد اقترح الحجاج على الخليفة ان يعين قتيبة سنة ٧٠٤ عاملاً على خراسان فكانت عاصمته مرو حسبما افاد البلاذري (٤) والظهري (٥) . وكان الجيش الذي تولاه في خراسان وهو تابع للحجاج مؤلفاً من مقدمة البصرة وهم اربعون الفاً ومن اهل الكوفة وعددهم سبعة آلاف ومن الموالي وهم سبعة آلاف .

الفتوح فيما وراء النهر

كان نهر جيحون (٦) في ذلك اليوم الحد الفاصل في عرف المسلمين لا التراب بين ايران ومطوران أي بين الشعوب الناطقة بفرسية والشعوب الناطقة بالتركية . وقد سميت جيوش الوليد بن عبد الملك هذا النهر وتمت السفوف قدامه في وادي . وحيز قتيبة عمداً من الحملات المتفرقة بها (٧٠٥) مشحونين وعاصمتهم بلخ (بكثرا عند الاغريق) ثم فتح (٧٠٦ - ٩) بخارى في بلاد الهند والخطبة الحظية بها كما انه استولى (٧١٠ - ١٢) على سمرقند (وهي أيضاً من بلاد الهند) وحوارز - (المعروفة بخوارزم اليوم) في الغرب . وفي ٧١٣ - ١٥ غزا الاقليم الحظية بنهر سيحون وحصاة قرطبة وقرر الحكم الاسلامي الاسمي في الاقطار المعروفة اليوم بحدت آسيا الوسطى . وكان نهر سيحون لا جيحون الحد الطبيعي والسياسي والجاسي الفاصل بين الارابيين والترك . وهكذا فقد كان عبوره أول تحد مباشر للشعوب

(١) شعوبي ، كتيبة من ٣١١ .

(٢) برن مصمومة وبن وهو أول من انتمى لفرمان برن . Wellhausen, *Herth*, p. 114 .

(٣) كان مصد رعايا هذا الملك وسواء من ملوك كتيبة الوسطى ايرانيين ، على الامر باللكة والجيوش ترك ما بعد الزبانية فيمكن انهم كانوا ايرانيين .

(٤) ص ٢٢٣ .

(٥) ص ٩١ - ٩٢ .

(٦) أموداريا - جيحون هو لأكوس اما سيحون فهو بكارس ويرف سيرانيا اليوم وقد ورد اسم كل من النهرين في تلك ٢ ، ١٣ ، ١١ .



مناطقات جغرافیائی و سیاسی

المغولية ولديانة البوذية من قبل العرب . وكانت للبوذيين صوامع في بخارى وبلخ وسمرقند فوق قتيبة في سمرقند على بيوت الاصنام والتيران فخذها واخرجت الاصنام وسلمت حلبيها ثم احرقها . وكانت الاعاجم تقول ان من يمتك حرمت يهلك فلما احرقها قتيبة يئسه ولم ينله اذى اسلم منهم خلق كثير (١) الا انه لم يدخل في الاسلام عند كير حتى خلافة عمر ابن عبد العزيز (٧١٧ - ٧٢٠) وذلك عندما اتفوا من دفع الجزية . ثم انت الفاتحين دمروا بيت النار في بخارى والحرم المجاور له . وهكذا اوشكت بخارى وسمرقند واقليم خوارزم ان تصبح مراكر للثقافة العربية وتابت لعرس الاسلام في آسية الوسطى كما كانت مرو ونيسابور في خراسان . وقد ذكر الطبري (٢) وغيره ان قتيبة افتتح (٧١٥) كاشغر في تركستان الصينية وانه غزا الصين الا ان هذه الاخبار المفقودة استلقت - على - بظهر - بحري الحوادث فلبت الى قتيبة ما تم من فتح سده على يد عمر ابن سيار وخدته .

وكان الخليفة هشام (٧٢٥ - ٧٣٣) قد عين نصر هذا عملاً على ما وراء النهر فم على يده بين ٧٣٨ و ٧٤٠ احضار معظم المنطقة التي زعموا ان قتيبة اكتسبها قبلاً . اما الحكم العرب الذين انتدبهم قتيبة هذه الامصار الفتوحة فقد تسعوا ادارة الشؤون الحربية وجباية الاموال وتركوا ادارة الحكومة المدنية الى حكماء من اهل البلاد بها . وفي ٧٥١ احتل العرب شاش (تاشكند) في الشمال الشرقي من سمرقند وشيروا راية الاسلام بذلك على آسية الوسطى ومهدوا السبل الى انشاء ملكة انتزعهم ايه الصين (٣) من بعد . وبهذا اندمج ما وراء النهر بامبراطورية الاسلام الناشئة . وقد احتك الاسلام بنصر حنسي جديد له ثقافته القديمة الخاصة - الثقافة المغولية . وسنعود فيما بعد الى البحث عن قدمه هؤلاء السون المحدثون من خدمات جليلة للعدية .

(١) البلاذري ص ١٢٩ .

(٢) ج ٢ ص ١٢٧٤ .

(٣) لعل حكماء سمرقند وخوارزم وشاش كانوا ذوي صلة رحيمة . طان او الخاقان من امراء الترك الغربيين . الا انه يظهر ان في كتب العرب بالغات فارسية مثل خداه وشاه ودهقان . اما حاكم السغد فقيم في سمرقند فسمي بالاعبد وهو لقب فارسي . وشاه ملك فرغانة . الطبري خرداده ص ٣٩ - ٤٠ : الطبري ج ٢ ص ٢٩٩ وقد اطلق العرب لفظ تركي على كل شعب غير فارسي ممن كان شرقي جيحون .

الفتوح في الهند

وفي هذه الاثناء كانت هناك جيش آخر يقابل في جبهة الحرب الشرقية بقيادة محمد ابن القاسم متجها نحو الجنوب . ولقد نشط هذا القائد وهو مسير الجهاد في سنة ٧١٠ وسار بجيشه المؤلف من ستة آلاف جندي من اهل الشام فأخضع مكرات وقطع ما يعرف اليوم باسم بلوختان . وفي سنة ٧١١ - ١٢ ظفر على السند واسفل وادي الاندس وارضى الدلتا منه (سندو) وفتح الديبل وهو مرفأ فوجد فيه تمثالا لبوقا (المد) طوله في السماء اربعون ذراعاً (١) ثم فتح النبرون (حيدر آباد اليوم) . وبعد امتدت الفتوحات سنة ٧١٣ الى ملتان شمالا في جنوب الجنوب وهي مركز ديني شهير لوزاعة الماعونات فيها على جمع من الطبعين الاعاجيم واسروهم . وتعم عن ذلك احتلال السند وخنوني النجيب احتلالا دائما ، اما باقي الهند فلم يصلها الفتح الاسلامي الى اواخر القرن العشر وذلك حين وجهت اليها غارة تحت لواء محمود الغزنوي . وهكذا فقد تم اسلام الهند الواقعة على الحدود . ومثل الامر كذلك حتى سنة ١٩٤٧ حين انتهت دولة اسلامية جديدة هي دولة الباكستان . وعلى هذه الحدود تمت اول الصلات المينة بين الاسلام وهو دين سني وبين الودية وهي ديانة هندية كما كانت قد اصل الاسلام ايضا بالديانات والتفوت الشرقية في جبهة ابد شمالا . وكان الجهاد قد سبق بين قائد به محمد ابن قاسم وقبيلة جازوة هي الاموية على الصين وسكون لايب وسلمها قبل الآخر . ولكن حدود الصين لم تقطع هذا اذ كانت مسي . واذا استثنينا تركستان فن الصين لم تدخل قط في حوزة المسلمين مع ان قبل اليوم من خمسة وسبعة ملايين من المسلمين . وهكذا فقد كانت السند جنوبا مثل كاشغر وتشكند شمالا أقصى حد بلغته الخلافة في الشرق .

المهموت على الهند لطبعين

١. يهل المسلمون أمر الجبهة البيرطية في غضون الاعمال العسكرية الجسيمة التي قاموا بها في الشرق . وكان عبد الملك قد شغل بحرب من الزير فاضطر ان يقتدي بمعاوية (٢)

(١) الجغوي ج ٢ ص ٣٤٦ .

(٢) البلاذري ص ١٦٠ .

قبله ويؤدي الجزية لبطاغية الروم (٧٠ / ٦٨٩ - ٩٠) . وكانت الردة - عمال الروم - يتوغلون في جبل لبنان ، حتى اذا صفوا الجوامع عبد الملك وهدأت الفتن السياسية الداخلية عند فئام الحرب من جديد على الروم اعداء الخلافة الاسلامية الدائمين . وفي سنة ٦٩٢ استطاع عبد الملك ان يغلب يوسقنيان الذي يقرب سياسيون من اعدائ كليكية . ثم انزع العرب سنة ٧٠٧ من الروم الطواقة (نيسة) اعظم حصون كيدوكية . وبعد الاستيلاء على ساردس وبرغامس جرد مسلمة ابن عبد الملك كما قدمنا حملة على القسطنطينية (آب ٧١٦ - ايلول ٧١٧) وضيق عليها الخندق في حصنه المشهور . وقد استعان الجيش الاسلامي الذي عبر الدردنيل عند ايدس تعلمات خاصة بالحصار . أم العروة البحرية فقد ارست قرب اسوار المدينة في بحر مرمرا وفي البوسفور لأن بحر الى القرن الذهبي حدث دونه السلسلة المشهورة كما أسلفنا . ولم يفلح حصار واراد الجيش عن عاصمة الروم بعد ان حاصرها سنة كاملة (١) الا وكن سبب ارباده فلة المؤمن التي كانت ترد اليه وشدة الفجرت التي قام بها البلغار بين . وكانت ارمينية قد خصصت من قبل ثعوبة بن قنبرة بن قنبرة بن ٦٤٤ و ٥٥ حبيب ابن مسلمة القمري فاستمرت القرصة في السنة التي انزلها ابن ازيار وانقضت على الدائمين فعيد فتحها في هذه الحقبة (٢) .

شمال إفريقيا وأرض المغرب الغربية

ولا تكن انتصارات موسى ابن نصير واسخاذه في الجبهة الغربية أقل أهمية وتخلها من انتصارات الحجاج وقواده في الجبهة الشرقية إذ لم تصد مصر لسطع في ابدي الفراقة سنة ٦٤٠ وما بعدها حتى تحفز المسلمون لفتارة على افريقية (٣) . الا ان فتح هذا الاقليم لم يتم في الواقع حتى بنى عامل معاوية عقبة ابن دفع القبوران (٤) سنة ٦٧٠ واستعملها قاعدة خلاصه

(١) راجع Theophanes, pp. 386-89 ص ١٣١ : ص ١٣٠ : ابن الأثير ج ٢ ص ١١٧ - ١١٨ .

(٢) البلاغري ص ٢٠٥ وما يلي .

(٣) بكسر اوله وتخفيف الياء وهو اصح من تعددها . وقد اطلق العرب هذا الاسم على جميع الشرف من افريقية الشمالية كما أطلقوا كلمة « المغرب » على القسم الغربي منها .

(٤) في تونس اليوم .

على قبائل البربر . وقد حدث هذا القائد الكبير ، الذي ذكرت الاساطير انه ظل مندفعاً نحو الغرب في فتوحاته حتى اقبح فرسه امواج المحيط الاطلسي ، ان قضى شهيداً (٦٨٣) قرب سكرافي ما يدعى اليوم بالجزائر واصبح قبره مزاراً وطنياً . وما تكن سيطرة العرب على افريقية حتى ذلك العهد قوية . ومن هنا فانه لم يمر وقت طويلا على موت عقبة حتى اضطر خلفه الى الجلاء عن البلاد . وما لبثت اور النخوة البيزنطية على شمالي افريقية وامر المقاومة التي لاقها المسلمون من البربر حتى امروا حسن ابن النعمان القسبي (نحو ٦٩٣ - ٩٩) . فلقد استعان حسن بالاسطول الاسلامي على طرد البيزنطيين من قرطاجنة (٦٩٨) وسواها من مدن الساحل . ثم اتى له ان يعمل على ابرم وكن يتولى امرهم كاهنة (١) فذه لها سلطة وتبر عظيم عييه فعمدت به هزيمة . الا ان حاد غزاه لاية فقهرها وقتلها في مكان يعرف اليوم بئر السكهنة .

وهكذا فقد استرجع حسان افريقية الاسلام واستمر لواء الأمن على ربوعها . ثم لاذ مندب الحكيم عليها عده موسى ابن نصير الشهير وفي عهده أصبحت حكومة هذه الاقطار تدس من افبروات مستقلة عن مصر واورم منوط بالخليفة في دمشق مباشرة . والى موسى (٢) يرجع الفضل في توسيع الحدود الى طنجة وقد شج عن هذا ان يصل الاسلام انصلا مستمرا ثابتا بمصر حتى آخر هو البربر . ويشي البربر الى المزعج الحامي من دوحه الجنس الابيض وعلمهم كـ وافي المصور الساقة قد ربح هـ والناسيون من جنس واحد . وكان معظم هؤلاء البربر (٣) الذين قطنوا الشقة الغريبة الخسبة الواقعة على البحر قد اعتنقوا النصرانية قبل الفتح الاسلامي قبيل وفي هذه الشقة صمدت ثلث قرينات والقدس قير ووس وفوق ذلك القديس اوغسطينوس الشهير نفسه . ويعتبر هؤلاء من أئمة الشخصيات

(١) ابلاذري ص ٢٠٩ ابن خلدون ج ٢ ص ٢٩ - ٣٠ بن عذري . بيان العرب في اخبار العرب ، شر موزي (ايمن) ١٩٥٩ ج ١ ص ٢٠ - ٢١ ما نسبها الى قبيلة بيجرية هو امر مشكوك به .
(٢) كان والده كاكين ولما لبث سدي صاحب حيرة من عساري الذين اسره ضد ابن الربيع اذا تم برأون الانجيل في بعة بعين مصر . ويرجع البعض الى من بي له ويذهب آخرون الى انه ربما انتمى الى البلاط من ٢٩٣٠ بن عساري ج ١ ص ٩٤ .
(٣) من barbari اللاتينية في اصلها ايروس على من لم يحسن اللغة اللاتينية من سكان شمالي افريقية .

بين أحبار الدين المسيحي المتقدمين . وفيما عدا هذا فله لم يكن قد أثرت في البربر الحضارة الرومانية كثيراً يعتقد به . لأن الرومان والبيزنطيين سكنوا بلاداً أكثر مدنى الساحل وهم أهل ثقافة لا تخرج عن كونها اجنبية بالنسبة الى عرقية اهل افريقية الشمالية من البدو أو شبه البدو . اما الاسلام فلقد كانت له منزلة خاصة في التأثير على من كانوا في مستوى البربر من الحضارة . زد على هذا ان العرب . وهم ساميون كالتباينيين القدماء الذين استعمروا أنحاء افريقية الشمالية وأنشأوا في قرطاجنة دولة باقية دومت رومة في عهدها ، استطاعوا أن ينشئوا صلات وثيقة بينهم وبين أبناء عمومتهم الحميريين . ومن هنا نستطيع ان نحلل هذه المعجزة التي أدها المانعون في بلاد البربر حين عرهم ثقافة بقل هذا البحر وجعلوا أهلها يمتثلون للاسلام ، ثم استطاعوا ان يخذلوا منهم حذراً جديداً بقوا في مضمار التوحيد الاخرى النابذة . وفوق ذلك فقد غي دة المانعين المسلمين . اكتمت من خفاش الفتوة والشباب غسد امتزاجه بدم البربر الجنديد واتخذت لغة العربية محل اللاتينية في ميدان جديد واسع وخدا الاسلام في مقدمه خطوة اخرى في ميدان النفوذ احدثي .

وبعد ان اخضع موسى ابن نصير (الاساميل افريقية الشمالية الى حدود الخريط الامضى ممد السيل للاستيلاء على الانحاء الشمالية من اوروبا الجنوبية افريقية . في سنة ٧١١ قدم طارق البربري مولى موسى ابن نصير على عمل حربي . ووجد البحر الى اسبانية غاراً . ولقد كان من هذه الغارة أن أصبحت فتح بلاد الاندلس برمتها . وبها تمت آخر حملات العرب الكبرى وأروعها . ولقد تم عنها توسيع رقعة العدة الاسلامي باكتساب اكبر منطقة اوروبية وقعت في ايدي المسلمين . وبعد ان استولى جيش المانعين من عرب وبربر على اكثر الاندلس وعبروا النوايا وفتحوا عدداً من المدن في جنوب غاليا ابرى هم شارل مارتل فصدهم وأوقف تقدمهم في سنة ٧٣٢ بين تور وپوانيه فتمت بهذه النقطة بعد حصد في الشمال الغربي بلغة التوسع العربي .

لقد كانت سنة ٧٣٢ امة الشوي الاول لوفدة النبي العربي وهو نقطة تاريخية يحدرب

التوقف عندها قليلاً لاستعراض الموقف . فها انت ترى الشيخ محمد بعد انقضاء مئة سنة على وفاته يحكمون امبراطورية تيز امبراطورية رومة في تيز مجده - مسكة واسعة تمتد من خليج إسكي الى الاندلس وحدود الصين ومن بحر آرال الى شلالات النيل السفلى ونسبع اسم الذي - ابن الجزيرة العربية - ينادى به بعد اسم الله خمس مرات كل يوم من ثوب المأذن التسمية في القضاء المنتشرة من الجنوب الغربي في اوربا وشمال أفريقيا حتى غربي آسيا واسطى اما عممة هذه الامبراطورية التترامية لا طراف فهي دمشق ^(١) التي تردد محمد وهو قتي في دخولها كزوت الاخبار لانه اندش ان يدخل الجنة مرة واحدة فقط . وفي قلب هذه العاصمة قام قصر الامويين ازهر لمدي منه مدوية مؤسس هذه مدوية تحف به حدائق غناء وهو يطل على السهل المحصب القصر الممتد الى الجنوب الغربي حتى جبل الشيخ المغمى بالبحر على مدار السنة . وقد سمى هذا القصر بالظفر ^(٢) . ويرى ان حبيب القصر مسجد هو المسجد الاموي الشهير الذي كانت الوليد قد زعمه وحسنه آية في الفن بما حازه من الجلال والبريق والجلال الفندسي الذي لا يزال يستوى هوية الآثار القيمة في يومه هذا . وقد قام في محض القصر كرسي الخلافة وهو عرش مربع اجواب استقره اوساد الطراز الفخمة وقد تربع الخليفة على عرشه في لباسه الرسمي مشحون بعبئة المصفاة والمطبق عن يمينه اهل بيته حسب استقام وعن شماله اخوانه ^(٣) ووقف اهل حاشته والشعراء واهل الشكاوى خلفه . وكانت الخليفة يجالس رسمية اخرى اعقد في المسجد الاموي الذي لا يزال من فعمه المندفي العالم واقفوا تراء في النفس في مثل هذه احوال من الابية والحد في تخيل ان استوى الخليفة سبيل الذي كانت قد ارتقى العرش فاستقل موسى ابن نصير ومشارق ابن زيود فأنهى السادة ووزراءهم جموع من الأسرى ^(٤) وما لا يكاد يحصى من الأسلاب . وكانت من هؤلاء الأسرى افراد الاسرة القوطية المالكة الصهب الشعور ومن الأسلاب الكوز والبخار النفيسة المنزعة من قصور

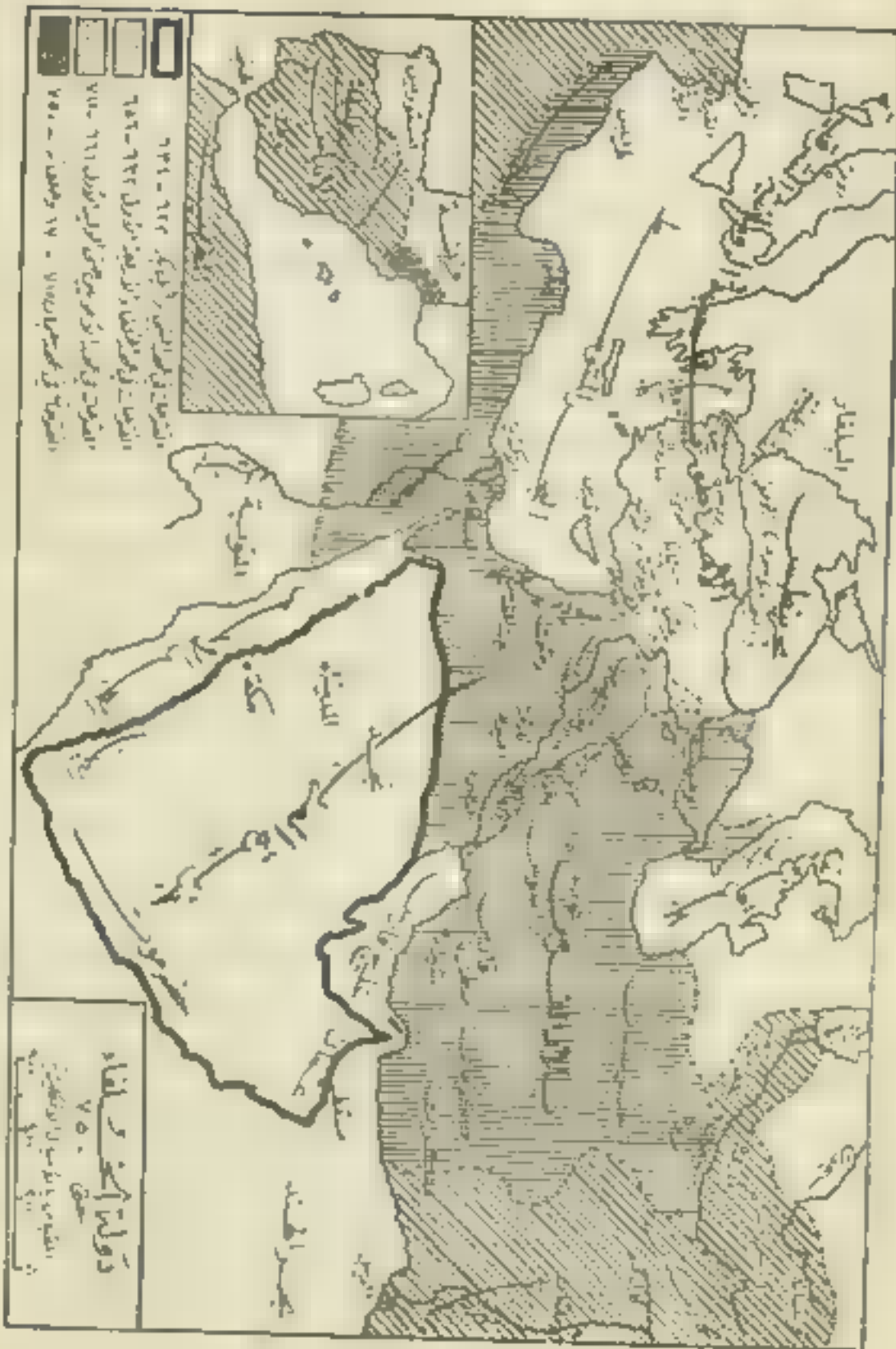
(١) انظر ما قبل في امتداد دمشق . ابن خلدون ج ١ ص ٦٠ وما قبل .

(٢) ابن خلدون ج ٢ ص ٢٦٩ : القصر المظفر في الاغوار ج ٦ ص ١٤٩ .

(٣) الاغانى ج ٤ ص ٨٠ .

(٤) ثلاثون الفا في التاريخ . مع انطب من ضمن الا - من توطيب - شعر دوزي وريث (بندي ١٩٥٥) .

ج ١ ص ١٤٤ وقيل ابن الاثير ج ٤ ص ٥٤٩ .



الأندلس وكنائسها . وإذا كان هناك مشهد من مشاهد التاريخ يمكن أن يمثل قمة ازدهار الدولة الأموية فهو هذا .

تعميد الروم

لقد شمل تعميد الدولة في أيام عبد الملك والمليد نقل لغة الدواوين من اليونانية إلى العربية في الشام ومن البهلوية إلى العربية في العراق والامصار الشرقية من ناحية وسلك النفود العربية من ناحية ثانية . وكان طبيعياً أن يعقب تغيير لغة الكتابة تغيير الموظفين . ولم يكن ثمة اثنين الأول القادمين من الحجاز علم بالادارة المالية وضبط الدفاتر فاصطروا في بادئ الأمر إلى استخدام الموظفين القدماء في الشام والعراق وفارس ممن اتقوا باصول الدواوين وشؤونها . ألا ان هذه المعضلة قد اقلعت الآن . ولا شك في أن اولياء الأمر من العرب احتفظوا بالموظفين غير العرب الذين كانوا قد اقبلوا اللغة العربية كما احتفظوا بالنظام القديم معه أيضاً . ومن هنا فقد كانت الانتقال بطيئة الحال وقد تسرع به في أيام عبد الملك واستمر حتى عهد الوليد . والراجح ان هذا هو السبب الذي حدا ببعض المؤرخين أن يسموا نقل الدواوين إلى عبد الملك بما سمى تحروين إلى الله الوليد (١) . وقد تم هذا العمل بحسبة عرسومة ولم يكن نتيجة امر نافع كمندي رزوا (٢) من كتب رجالاً من كتب الروم احتج أن يكتبوا بعد ذلك في الدواوين فيهم . أما في العراق وبلادها الشرقية فقد كان الخراج صاحب اليد الطولى في الأحداث بهذا التعميد .

وكنت النفود الفارسية متداوة في الحجاز أيام الجاهلية وكذلك كانت نفود الروم وبعض النفود القبطية الخيرية كذلك التي تحمل صورة التومة الأيبية . وقد أقر عمر ومعاوية وسواهم من الخلفاء الأول هذه النكوكات الأجنبية المتداوة (٣) وأهل منهم من طبع على أحد وجهي بعض النفود شيئاً من آي القرآن (٤) ومن النكوكات الذهبية واقضية ما

(١) البلاذري ص ١٩٣ - ٣٠٠ - ٣٠١ : الثوري ص ٣٤٩ - ٤٠٠ : نفديج ص ٢٢٢ .

(٢) بلاذري ص ١٩٣ .

(٣) البلاذري ص ٤٦٥ - ٤٦٦ .

(٤) انظر وصفة لفرس ساماني (٨٢٤) في مجلة المجمع العربي ج ١٦ (١٩٣٦) ص ٥٧٢ - ٥٧٣ .

عرف قبل عهد عبد الملك ألا أن هذه ضربت على غرار النقود البيزنطية والساسانية . ولقد ضرب عبد الملك في دمشق سنة ٦٩٥ أول دينار ذهبي ودرهم فضية من النوع العربي العرف . (١) وفي السنة التالية (٢) سك الحجاج النقود الفضية في المكوفة .

وفضلاً عن ضرب النقود الإسلامية الصرفة وتحرير دواوين الدولة فقد اشأ عبد الملك
مصلحة بريد (٤) منظمة واستعمل لها الخيل تجري اشواطاً لنقل المسافرين والرسائل بين
دمشق وعواصم الأمصار. وقد انشئت هذه المصلحة في الأساس لسد حاجات موظفي الدولة
وكل مراسلاتهم وكان على مديري البريد فوق هذا ان يواصلوا الخليفة بالأخبار عن جميع
الحوادث الخطيرة التي تجري في ممالكهم.

الزعماء الماليين وغيرهم

وعلى ذكر التغيير في النقد يحدّر بنما ذكر الإصلاحات التي أجريت في إدارة المال في الوقت نفسه . فنقد كان من الامتيازات التي تمتع بها المسلم بها كانت جنسيته انه لم يفرض عليه مبدئياً غير الزكاة او الصدقات ، ولكن العرف جعل هذا الامتياز يسري في الغالب على المسلمين العرب دون سواهم . وقد استغل المسلمون المنجذون هذا الامتياز فخذ كثير منهم ولاسيما أهل العراق وخراسان من يعاطون الزراعة ، يرحلون عن صياعهم وينسحبون الى المدن ملعباً بالانتعاش بالبيت كوالي^(١) فزدي ذاك الى خسارة مزدوجة عانتها الجزيرة لأن الغرائب التي كانت تفرض عليهم قد خففت بعد اعتناقهم الاسلام كما انهم أصبحوا جنوداً يتناولون من بيت المال ما فرض لاسلافهم من الأعطيات . وقد آلى الفخاج على نفسه ان يتخذ الاجراءات اللازمة لتحويل هؤلاء من الامصار وانعدهم الى القرى^(٢) ودفع عليهم ما اعتدوه من الجزية التي كانوا يدفعونها قبل اسلامهم أي ما يقابل الجزية والخراج . وعاشرة على ذلك فقد جعل العرب الذين تمسكوا ارضاً في

(۱) الفهرست ج ۳، ص ۲۳۹؛ الفهرست ج ۴، ص ۲۵۰.

(۴) ط. ا. ی. ا. ف. ت. - م. د. ن. - ۱ - ۲ - ۳ - ۴ - ۵ - ۶ - ۷ - ۸ - ۹ - ۱۰ - ۱۱ - ۱۲ - ۱۳ - ۱۴ - ۱۵ - ۱۶ - ۱۷ - ۱۸ - ۱۹ - ۲۰ - ۲۱ - ۲۲ - ۲۳ - ۲۴ - ۲۵ - ۲۶ - ۲۷ - ۲۸ - ۲۹ - ۳۰ - ۳۱ - ۳۲ - ۳۳ - ۳۴ - ۳۵ - ۳۶ - ۳۷ - ۳۸ - ۳۹ - ۴۰ - ۴۱ - ۴۲ - ۴۳ - ۴۴ - ۴۵ - ۴۶ - ۴۷ - ۴۸ - ۴۹ - ۵۰ - ۵۱ - ۵۲ - ۵۳ - ۵۴ - ۵۵ - ۵۶ - ۵۷ - ۵۸ - ۵۹ - ۶۰ - ۶۱ - ۶۲ - ۶۳ - ۶۴ - ۶۵ - ۶۶ - ۶۷ - ۶۸ - ۶۹ - ۷۰ - ۷۱ - ۷۲ - ۷۳ - ۷۴ - ۷۵ - ۷۶ - ۷۷ - ۷۸ - ۷۹ - ۸۰ - ۸۱ - ۸۲ - ۸۳ - ۸۴ - ۸۵ - ۸۶ - ۸۷ - ۸۸ - ۸۹ - ۹۰ - ۹۱ - ۹۲ - ۹۳ - ۹۴ - ۹۵ - ۹۶ - ۹۷ - ۹۸ - ۹۹ - ۱۰۰ - ۱۰۱ - ۱۰۲ - ۱۰۳ - ۱۰۴ - ۱۰۵ - ۱۰۶ - ۱۰۷ - ۱۰۸ - ۱۰۹ - ۱۱۰ - ۱۱۱ - ۱۱۲ - ۱۱۳ - ۱۱۴ - ۱۱۵ - ۱۱۶ - ۱۱۷ - ۱۱۸ - ۱۱۹ - ۱۲۰ - ۱۲۱ - ۱۲۲ - ۱۲۳ - ۱۲۴ - ۱۲۵ - ۱۲۶ - ۱۲۷ - ۱۲۸ - ۱۲۹ - ۱۳۰ - ۱۳۱ - ۱۳۲ - ۱۳۳ - ۱۳۴ - ۱۳۵ - ۱۳۶ - ۱۳۷ - ۱۳۸ - ۱۳۹ - ۱۴۰ - ۱۴۱ - ۱۴۲ - ۱۴۳ - ۱۴۴ - ۱۴۵ - ۱۴۶ - ۱۴۷ - ۱۴۸ - ۱۴۹ - ۱۵۰ - ۱۵۱ - ۱۵۲ - ۱۵۳ - ۱۵۴ - ۱۵۵ - ۱۵۶ - ۱۵۷ - ۱۵۸ - ۱۵۹ - ۱۶۰ - ۱۶۱ - ۱۶۲ - ۱۶۳ - ۱۶۴ - ۱۶۵ - ۱۶۶ - ۱۶۷ - ۱۶۸ - ۱۶۹ - ۱۷۰ - ۱۷۱ - ۱۷۲ - ۱۷۳ - ۱۷۴ - ۱۷۵ - ۱۷۶ - ۱۷۷ - ۱۷۸ - ۱۷۹ - ۱۸۰ - ۱۸۱ - ۱۸۲ - ۱۸۳ - ۱۸۴ - ۱۸۵ - ۱۸۶ - ۱۸۷ - ۱۸۸ - ۱۸۹ - ۱۹۰ - ۱۹۱ - ۱۹۲ - ۱۹۳ - ۱۹۴ - ۱۹۵ - ۱۹۶ - ۱۹۷ - ۱۹۸ - ۱۹۹ - ۲۰۰ - ۲۰۱ - ۲۰۲ - ۲۰۳ - ۲۰۴ - ۲۰۵ - ۲۰۶ - ۲۰۷ - ۲۰۸ - ۲۰۹ - ۲۱۰ - ۲۱۱ - ۲۱۲ - ۲۱۳ - ۲۱۴ - ۲۱۵ - ۲۱۶ - ۲۱۷ - ۲۱۸ - ۲۱۹ - ۲۲۰ - ۲۲۱ - ۲۲۲ - ۲۲۳ - ۲۲۴ - ۲۲۵ - ۲۲۶ - ۲۲۷ - ۲۲۸ - ۲۲۹ - ۲۳۰ - ۲۳۱ - ۲۳۲ - ۲۳۳ - ۲۳۴ - ۲۳۵ - ۲۳۶ - ۲۳۷ - ۲۳۸ - ۲۳۹ - ۲۴۰ - ۲۴۱ - ۲۴۲ - ۲۴۳ - ۲۴۴ - ۲۴۵ - ۲۴۶ - ۲۴۷ - ۲۴۸ - ۲۴۹ - ۲۵۰ - ۲۵۱ - ۲۵۲ - ۲۵۳ - ۲۵۴ - ۲۵۵ - ۲۵۶ - ۲۵۷ - ۲۵۸ - ۲۵۹ - ۲۶۰ - ۲۶۱ - ۲۶۲ - ۲۶۳ - ۲۶۴ - ۲۶۵ - ۲۶۶ - ۲۶۷ - ۲۶۸ - ۲۶۹ - ۲۷۰ - ۲۷۱ - ۲۷۲ - ۲۷۳ - ۲۷۴ - ۲۷۵ - ۲۷۶ - ۲۷۷ - ۲۷۸ - ۲۷۹ - ۲۸۰ - ۲۸۱ - ۲۸۲ - ۲۸۳ - ۲۸۴ - ۲۸۵ - ۲۸۶ - ۲۸۷ - ۲۸۸ - ۲۸۹ - ۲۹۰ - ۲۹۱ - ۲۹۲ - ۲۹۳ - ۲۹۴ - ۲۹۵ - ۲۹۶ - ۲۹۷ - ۲۹۸ - ۲۹۹ - ۳۰۰ - ۳۰۱ - ۳۰۲ - ۳۰۳ - ۳۰۴ - ۳۰۵ - ۳۰۶ - ۳۰۷ - ۳۰۸ - ۳۰۹ - ۳۱۰ - ۳۱۱ - ۳۱۲ - ۳۱۳ - ۳۱۴ - ۳۱۵ - ۳۱۶ - ۳۱۷ - ۳۱۸ - ۳۱۹ - ۳۲۰ - ۳۲۱ - ۳۲۲ - ۳۲۳ - ۳۲۴ - ۳۲۵ - ۳۲۶ - ۳۲۷ - ۳۲۸ - ۳۲۹ - ۳۳۰ - ۳۳۱ - ۳۳۲ - ۳۳۳ - ۳۳۴ - ۳۳۵ - ۳۳۶ - ۳۳۷ - ۳۳۸ - ۳۳۹ - ۳۴۰ - ۳۴۱ - ۳۴۲ - ۳۴۳ - ۳۴۴ - ۳۴۵ - ۳۴۶ - ۳۴۷ - ۳۴۸ - ۳۴۹ - ۳۵۰ - ۳۵۱ - ۳۵۲ - ۳۵۳ - ۳۵۴ - ۳۵۵ - ۳۵۶ - ۳۵۷ - ۳۵۸ - ۳۵۹ - ۳۶۰ - ۳۶۱ - ۳۶۲ - ۳۶۳ - ۳۶۴ - ۳۶۵ - ۳۶۶ - ۳۶۷ - ۳۶۸ - ۳۶۹ - ۳۷۰ - ۳۷۱ - ۳۷۲ - ۳۷۳ - ۳۷۴ - ۳۷۵ - ۳۷۶ - ۳۷۷ - ۳۷۸ - ۳۷۹ - ۳۸۰ - ۳۸۱ - ۳۸۲ - ۳۸۳ - ۳۸۴ - ۳۸۵ - ۳۸۶ - ۳۸۷ - ۳۸۸ - ۳۸۹ - ۳۹۰ - ۳۹۱ - ۳۹۲ - ۳۹۳ - ۳۹۴ - ۳۹۵ - ۳۹۶ - ۳۹۷ - ۳۹۸ - ۳۹۹ - ۴۰۰ - ۴۰۱ - ۴۰۲ - ۴۰۳ - ۴۰۴ - ۴۰۵ - ۴۰۶ - ۴۰۷ - ۴۰۸ - ۴۰۹ - ۴۱۰ - ۴۱۱ - ۴۱۲ - ۴۱۳ - ۴۱۴ - ۴۱۵ - ۴۱۶ - ۴۱۷ - ۴۱۸ - ۴۱۹ - ۴۲۰ - ۴۲۱ - ۴۲۲ - ۴۲۳ - ۴۲۴ - ۴۲۵ - ۴۲۶ - ۴۲۷ - ۴۲۸ - ۴۲۹ - ۴۳۰ - ۴۳۱ - ۴۳۲ - ۴۳۳ - ۴۳۴ - ۴۳۵ - ۴۳۶ - ۴۳۷ - ۴۳۸ - ۴۳۹ - ۴۴۰ - ۴۴۱ - ۴۴۲ - ۴۴۳ - ۴۴۴ - ۴۴۵ - ۴۴۶ - ۴۴۷ - ۴۴۸ - ۴۴۹ - ۴۵۰ - ۴۵۱ - ۴۵۲ - ۴۵۳ - ۴۵۴ - ۴۵۵ - ۴۵۶ - ۴۵۷ - ۴۵۸ - ۴۵۹ - ۴۶۰ - ۴۶۱ - ۴۶۲ - ۴۶۳ - ۴۶۴ - ۴۶۵ - ۴۶۶ - ۴۶۷ - ۴۶۸ - ۴۶۹ - ۴۷۰ - ۴۷۱ - ۴۷۲ - ۴۷۳ - ۴۷۴ - ۴۷۵ - ۴۷۶ - ۴۷۷ - ۴۷۸ - ۴۷۹ - ۴۸۰ - ۴۸۱ - ۴۸۲ - ۴۸۳ - ۴۸۴ - ۴۸۵ - ۴۸۶ - ۴۸۷ - ۴۸۸ - ۴۸۹ - ۴۹۰ - ۴۹۱ - ۴۹۲ - ۴۹۳ - ۴۹۴ - ۴۹۵ - ۴۹۶ - ۴۹۷ - ۴۹۸ - ۴۹۹ - ۵۰۰ - ۵۰۱ - ۵۰۲ - ۵۰۳ - ۵۰۴ - ۵۰۵ - ۵۰۶ - ۵۰۷ - ۵۰۸ - ۵۰۹ - ۵۱۰ - ۵۱۱ - ۵۱۲ - ۵۱۳ - ۵۱۴ - ۵۱۵ - ۵۱۶ - ۵۱۷ - ۵۱۸ - ۵۱۹ - ۵۲۰ - ۵۲۱ - ۵۲۲ - ۵۲۳ - ۵۲۴ - ۵۲۵ - ۵۲۶ - ۵۲۷ - ۵۲۸ - ۵۲۹ - ۵۳۰ - ۵۳۱ - ۵۳۲ - ۵۳۳ - ۵۳۴ - ۵۳۵ - ۵۳۶

١٣٠ عمري : الشريف ، مصطفى : شريف ، (القاهرة ، ١٩٦٢) ص ١٦٥ .

١٤) في ترك هذه المصنوعات بعد علي المأمون من رقيق وهذا لا يمكن لها مدلول واضح .

(*) انجمن حس ۱۳۹۵

مناطق الخراج يدفعون الخراج المعتاد .

وحاول الخليفة عمر ابن عبد العزيز (٧١٧ - ٢٠) أن يعالج روح التذمر والشكوى التي فشت بين المسلمين بسبب هذا فأعاد خطة سلفه عمر ابن الخطاب ولم يرسم على المسلم سواء كان عربياً أو مولى دفع ضريبة على الاطلاق . إلا انه اصر على ان ارض الخراج هي ملك للامة الاسلامية جمعاء . ثم أمر (بعد سنة ١٠٠ / ٧١٨ - ١٩) ان يتخلى بين أهل الارض وبين بيع ما في ايديهم من ارض الخراج لأنها في المسلمين (١) سواء اعتنق صاحبها الاسلام ام لم يعتنقه . ولقد سمح للمزارع اذا أسلم بالبقاء على ارضه كسائر ارضها الى أجل من السنين .

ولم تنجح خطة عمر بالرغم مما كان وراءها من قصد بيل فيها قد أدت الى نقصان الدخل وزادت في عدد الموالى في المدن (٢) واخذ كثيرون من النبرس والقرس يدخلون في الاسلام طمعاً بالحصول على امتيازات اقتصادية . وقضت التطورات بعد ذلك المودة الى نظام الخراج مع بعض التعديلات الجزئية . ولم يتقرر الفرق بين الجزية وهي تسقط بالاسلام وبين الخراج الذي يبقى في المائتين (٣) الا ابتداء من هذا العهد . وما كان إيراد الدولة من الجزية ضئيلاً فقد بقي الخراج أهم مصدر من مصادر الدخل ولم ينقص إيراد بيت المال كثيراً .

وهناك اصلاحات اخرى في عقلي الثقافة والزراعة يعزى القسم الأكبر منها فحة الخراج ونشاطه . فقد حفر عدد من الآنية وأعاد حفر قدة كبيرة بين دحية والقرات . كذلك فانه جفف بعض المستنقعات وأحصى بعض الارض الموات . وكان الخراج من الذين عتوا بأمر علاقات الاعجام في الخط العربي وصيغها لتسيير بين الحروف (٤) المتشابهة كالباء والتاء والهاء . كما انه ساعد على نقل صور الحركات من ضم وفتح وكسر عن اسريانية وقد دفعه الى هذا

(١) ابن سعد ج ٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٧ ؛ ابن عساکر ج ٤ ص ٢٨٠ ؛ يعقوبي ج ٢ ص ٢٦٢ ؛ ابن الجوزي ، سيرة عمر ابن عبد العزيز (طهارة ، ١٢٣١) ص ٨٨ - ٩٠ .

(٢) ابن الجوزي ، سيرة ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٣) يعقوبي ج ٢ ص ٢٦٢ (١٢٢٠) ص ٨٠ - ٨٢ .

(٤) ابن خلدون ، وفيات الاعيان ، طهارة ، ١٢٩٩ ، ج ١ ص ٩٩٠ - ٩٩١ ؛ قبل السيويني ، الاطلاق

ج ٢ ص ١٧١ ، واضر Theodor Noldeke, Geschichte des Qurans (Göttingen, 1860) pp. 303 - 2.

الاصلاح في الخط رغبته في ان يضع حداً لما نحن الذي اخذ ينشئ بين الفراء في العراق . وبظهر
انه وقف على ضبط نسخة من القرآن الكريم لتكون مرجعاً يرجع اليها . وهكذا فانت
الحجاج الذي بدأ حياته معفاً لم يفقد شغفه واهتمامه بالأدب والخطابة . فقد عني بالشعر والعلم
واتخذ جريراً الشاعر البغدادي الهجاء شعراً له فصار بعدد شاعر الخطبة عمر ابن عبد العزيز .
وكان جرير والتمردق والاضطل توث الشعر في العصر الاموي . وجعل الحجاج تياذوق^(١)
النصراني طيبيه الخالص . ومات عبد نقيف كما كان يلقبه خصومه العرافيون بمدينة واسط
في حزيران سنة ٧١٤ وله من العمر ثلاث وخمسون سنة وقد ترك ذكراً ليس من شك في
انه قليل المال في ترويج الاسلام .

المباني في البناء

وقد تم في هذه الحقبة كثير من المباني في من البناء ولا يزال بعضها قائماً الى اليوم .
ففي فلسطين ابقيت الطبيعة سبعة مباني مدينة الرملة^(٢) على انقاض بلدة قديمة وجمالها مفراناً له .
وقد بقيت آثار قصبة فيها حتى خرب المدينة الاولى . ثم مملكة مسجده الابيض التي أعاد
بنائها المراك في اواخر القرن الرابع عشر الميلادي فلا تزال قائمة الى الآن . وكان يعتبر
مسجده بعد المسجد الاموي دمشق وقبة الصحابة في بيت المقدس ثالث محارم الشام .
ومنذ خلافة سليمان اخذت القصر الاموي . تتحول عن دمشق في مد موشك لملكناهم .
قد سكن هذه الرصافة وهي مستعمرة رومانية بالقرب من الرقة . وكان عبد الملك سنة ٦٩١
قد ابني في بيت المقدس قبة الصحابة الفخمة التي سمى الأفراج خطاً . مسجد عمر . وكان
غرضه ان يحول اليها الفوج الحجج عن مكة التي استقر فيها منافع ابن الزبير . وليس من
شك في أن باقي القبة هو عبد الملك ويؤيد ذلك الكتابة الكوفية المنقوشة حول القبة .
والظاهر ان البناء قد تداعي بعد مئة سنة فرمى على عهد الخليفة العباسي المأمون (٨١٣ -
٨٣٣) فقير هذا اسم عبد الملك في نقش وحسنه « عبد الله » وأضاف اليه اسم المأمون لا

(١) ابن العربي ص ١٩١ .

(٢) البلاذري ص ١٥٣ .

انه سها عن تغيير التاريخ (١). وتقدم الى القريب بين حروف الاسم الجديد وحشرها في القرائع الفتيق التي احدثه (٢). كذلك شيد عبد الملك مسجداً آخر بالقرب من القبة في القسم الجنوبي من الحرم في مكان لعله كان موقع كنيسة قديمة. ولقد أطلق الاهلون على هذا المسجد



مسجد ربة

اسم المسجد الأقصى (٣) ولكن قد يطلق هذا الاسم على أي على جميع الأبنية المقدسة في هذه المنطقة وتعرف هذه الأبنية أيضاً بالحرم الشريف. وهو يلي حرم مصحة وحرم المدينة من حيث الأهمية ومن هنا قيل فيه ثالث الحرم من ومهم يكن من أمر وبن الوليد ابن عبد الملك كان أعظم الخلفاء الأمويين أرا في فن البناء وعنده عهد رخاء وأمن إذا قبس بغيره من اليهود وكان وانه يابن عظيم بحيث كان إذا التقى الدس

في الخبال بدمشق نذاكروا في أمر الأبنية والعمارات كما كان حدث الخبال في خلافة سليمان عن الطوائف والنساء. اما عمر ابن عبد العزيز فقد كان أخا زهد وورع فكان الناس إذا تلاقوا

(١) هذه الكتابة كما هي ولكن تسمى هذه لغة عند عبد الله لانه لم يكن أن يرى المؤمنين في سنة اثنين وسبعين على انه منه وروى عنه ٤٤ آية.

(٢) De Vogüé, Le Temple de Jérusalem (Paris, 1864) pp. 83-6. وقد كان دو فوغيه أول من اكتشف التزيين.

(٣) استناداً الى سورة الاسراء الآية ١٠.

في أيامه سأل بعضهم بعضاً عما يحفظه من القرآن الكريم (١) . ولقد وسع الوليد المسجد الحرام بشبكة (٢) ، وحمل إليه عمد الحجارة والرخام والقصيا كأرمم مسجد المدينة وأبنتى في الشام المدارس والجوامع ووقف المال لبيوت اليرمو والخرج والعبي . (٣) وأعطاه أول ملك في العصور الوسطى شيد المستشفيات لمصابين بالأمراض المزمنة . ولقد كانت مأوى المصابين بالأمراض الخطيرة في أوروبا بعد ذلك تقليداً لما سبقته إليه البلدان الإسلامية . (٤) ونقل الوليد قبة مصنوعة من النحاس مفضة بالذهب من كنيسة يملكها إلى المسجد الذي كان قد شيده إياه في بيت المقدس . وإن أبلغ إعجابه في فن البناء تحويله موقع كاتدرائية القديس يوحنا المعمدان الذي أخذ من رعاياه النصارى إلى مسجد بعد أن أروع دور العبادة في العالم . ولا يزال هذا المسجد الأموي إلى اليوم رابع محرم الإسلام . وكان السمون قبل عهد الوليد يشاء كون النصارى في هذه البقعة المقدسة . وتبريراً للاستيلاء عليها ادعى الأخباريون الآخرون أن الشقة الشرقية من مدينة دمشق إنما أخذها السمون عنوة والشقة الغربية صلحاً وإن العربيين التقيا في السكندرية المركزية دون أن يدري الواحد بالآخر . وتعددت هذه الكنيسة في وسط المدينة قديماً في بقعة كان عليها في الزمن القديم هيكل روماني . وقد ظهر على عتبة عليها فوق المدخل الجنوبي من السور الخارجي الذي كان قد تهدم وزعم نقش قديم مكتوب باليونانية لا يزال إلى اليوم وفيه : « أن مسكك إله المسيح ملك كل الدهور وساطعك في كل دور فدور » . (٥)

أما بقية الخدماء في هذه الحقة المحبذة من عصر بني أمية فليس هناك مجال لتذكر شيء عنهم سوى عمر ابن عبد العزيز (٧١٧ - ٢٠) وهذه . أما عمر فقد عرف بوجهه وزهده وتأثره بأراء علماء الدين وقد تمتع على عمر الأجل شهرة واسعة لنقاؤه . وهو من هذه الناحية متفرد بين الخلفاء الأمويين الذين لم يتفقدوا كثيراً بأمور الدين أو يعدوا ولياً بين خلفاء بني أمية .

(١) الفخري ص ١٧٥ : الفخري ج ٢ ص ١٢٧٢ - ٢٠

(٢) البلاذري ص ٥٧ .

(٣) الفخري ج ٢ ص ١٢٧١ : وابن علقمة ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٤) راجع : IIII, art. « Chivalry : Arabic » , *Encyclopaedia of the Social Sciences* .

(٥) قابل تراجم ١٥ : ١٣ : سفر عبرانيين ٨ : ١١ .

وفي الأحاديث التي تناقلها الناس فيما بعد أن الله يبعث على رأس كل مئة سنة مبعوثاً يحيي ما اندثر من الإسلام . ومن هنا قد زعموا أن عمر ابن عبد العزيز هو الذي يبعث على رأس المئة الثانية . وقد زعموا كذلك أن الامام الشافعي هو الذي يبعث على رأس المئة الثالثة (١) . وقد أنبأنا مترجم حياة عمر (٢) أن هذا الخليفة كان ينس الخلق من الثياب ويختلط برعيته دون تكلفه أو ترفع حتى إن الغريب إذا جاء يقصده لم يميزه عن عامة الشعب . ويروي أن أحد عماله كتب إليه يوماً يقول إن الإصلاحات التي أدخلها الخليفة على بيوت المال لعادة الداخلين في الإسلام جعلت الناس كثيرين في الإسلام وأنه يخشى قوة الخراج ، فكتب إليه عمر : « والله لو ددت أنت الناس كلهم أسلموا حتى تكون أنت وأنت حرأين يا كل من كتب أيدنيا » (٣) وقطع عمر ما حدث في أيام معاوية من سب علي على الشجر في الخطبة (٤) . وتوفي عمر وهو في التاسعة والثلاثين من عمره وكان زهداً وورعاً سبباً في أن ينجو قبره من الخراب الذي أوفقه المباليغون بفسور الخلفاء الأمويين .

وكانت خلافة هشام ابن عبد الملك (٧٢٤ - ٧٤٣) خليفة عمر بن أمية الذهبي وكانت هشام رابع أبناء عبد الملك الذين وثروا الخلافة وقد انتخبه المورعون حتى ماتت السيدة (٥) من خلفاء بني أمية ، بعد معاوية وعبد الملك ، وخلفههم . وذكروا عنه أنه كان له ولد اسمه معاوية - وهو جد المورين الأندلس - وكان يحب الصيد فركض فرسه مرة وراء ألعاب فمتر به وسقط فحمله ميتاً وألقي به إلى أبيه فقال : « تلمة قد اجتمعت أن يرشحه للخلافة وينعم ناعياً » (٦) . وكان عمال هشام على العراق حمداً ابن عبد الله القسري الذي ازدهرت في عهده بلاد العراق بما جرى فيها من محذرات الهندسة من فتح القلاع والأقضية وتخفيف الأراضي

(١) ابن الجوزي ، سيرة من ٦٠ .

(٢) ابن الجوزي من ١٧٣ - ١٥٥ ، وما يلي .

(٣) ابن الجوزي من ٩٩ - ١٠٠ : كتاب المورين والحدث في الخبر الحادق عمر دي عورة (ابن) .

١٨٦٥ من ٥ .

(٤) البخاري من ١٧٦ .

(٥) السويدي ج ٥ من ٢٧٩ : قال اليعقوبي ج ٢ من ٣٩٣ : قال قتادة : تعرف من ١٨٥ : أبو الفداء

ج ١ من ٢١٦ : كتاب المورين والحدث من ٦٩ .

(٦) البخاري ج ٢ من ١٧٣٨ - ٩ .

العمورة على يد حسن النبطي . وقد استباح خاله ثمنه مقدار ١٣ مليون درهم بعد ان
بدد ثروة تساوي ثلاثة اضعاف هذا الرقم (١١) . ولم يطل به الامر حتى مال جزاء تهوره فقي
عام ٧٣٨ فشا سر اختلاسائه وزج في السجن وسيم المذاب وحوسب على ما بدده من مال
وفرض عليه ان يعيد ما ابر من الارزاق . وليس امره الا مالا لسوء الادارة والفساد اللذين
اخذا يفسرسان الى جرم الدولة السياسي بحيث افضى ذلك آخر الامر الى زعزعة العرش
الاموي وايقاع اصحابه بآفة سائمة بأيدي خصومهم بني العباس .

الفصل العشرون

السياسة والاجتماع في العصر الأموي

إن الأقاليم الإدارية في الامبراطورية الأموية والعباسية كانت بوجه عام تشبه الأيالات في الدولتين البيزنطية والفارسية وقد شملت : ١ سورية وفسطاط ٢ الكوفة وما يليها من العراق ٣ البصرة وما يليها من فارس وسجستان وخراسان والبحرين وعمان (و ربما أضيف الى هذه المنطقة نجد واليمامة) ٤ ارمينية ٥ الحجاز ٦ كرسن والمقاطعات الخديوية الواقعة على الحدود ٧ مصر ٨ إفريقية ٩ اليمن والحدود الجنوبية من الجزيرة (١) . وقد ادخلت بعض هذه الأقاليم ببعض الأخر فمثلاً عن ذلك خمس ولايات . وقد جعل معاوية مصري البصرة والكوفة ولاية واحدة (٢) ضم العراق وضم اليها فارس وشرقي الجزيرة واصبحت عاصمتها الكوفة . ثم جرت العادة ان يبعث أمير العراق وضم اليها فارس وشرقي الجزيرة وما وراء النهر يتخذ له مركزاً في مرو وعملاً آخر لإدارة شؤونات السد والبنجاب كذلك جعلت الحجاز واليمن وأواسط الجزيرة عملاً واحداً حصصاً كما فرد بتدبير الخليفة . وكانت الجزيرة (شمالي من بين النهرين) هي و ارمينية وآذربيجان وبعض الانحاء الشرقية من آسيا الصغرى عملاً ثالثاً . أما العمل الرابع فهو مصر يقسمها - الصعيد وارض النوبة . وكان العمل الخامس إفريقية وهو في الواقع شمالي إفريقية من حدود مصر الغربية الى المحيط الاطلسي مع اسبانية وصقلية والبلدان المجاورة وكانت القيروان مركزاً لأمر هذه الشطوط .

ونشأت الحكومة من ثلاثة فروع وهي وظائف الحكومة المعروفة آنذاك أي إدارة

(١) قال ابن خلدون ج ٣ ص ١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨-١٠٩-١١٠-١١١-١١٢-١١٣-١١٤ وآخر Alfred von Krenn, *Ungarische Geschichte des Orients unter den Chalfen*, vol. I (Vienna, 1875), pp. 162-3.

(٢) أيفوني ج ٢ ص ٢٧٢ .

السياسة وجباية المال والامامة الدينية . ولكل منها موظف كبير يتولى امورها . وكان الامير او صاحب بعض المال على المناطق الداخلية ضمن نفوذه ثم يبعث اسماءهم الى الخليفة . والظاهر انه في زمن الخليفة هـ . كان الامير الذي عهد اليه امر ارمينية وآذربيجان مقيماً في دمشق نفسها وكان ينوب عنه موظف يمثل في قصبة حكمه . وكان يسند الى الامير جميع المهام سواء أكانت سياسية او عسكرية ولكن الضرائب كانت يشرف عليها في الغالب موظف خاص يدعى صاحب الخراج وهو مسؤول لدى الخليفة رأساً . ويظهر ان معاوية كان اول من نصب للخراج صاحباً ولده الكوفة (١) . الا ان الاموية على الامصار في الامبراطورية الاسلامية كانت في اول العهد تقوم بالأكثر على ادارة المال .

اما واردات الدولة فقد كانت تأتي من المصادر نفسها التي عرفت زمن الخلفاء الراشدين واخصها الجزية التي كانت تؤدى الشعوب المنقوبة . وكانت النفقات في كل جهة او عمل ، ويدخل فيها محضرات الادارة وزواجب كبار الناس واعطيات الجنود وغيرها ، تدفع من صندوق المنطقة الى بيت مال السجين . وقد جعل معاوية الزكاة ائین وصدقة بالغة من اعطيات المسلمين (٢) اي ما يجزى من ضريبة الدخل المعروفة عند الدول العصرية .

ولا يتناول القضاء الا امور المسلمين دون سواهم من المسلمين فالقضاء الاخرى كانت تتمتع باستقلال داخلي يحوزها حق الخصوع لأنظمة ديها . وهذا ما جعل وجود القضاة في المدن الكبيرة فقط . وكان الرسول وحلفاء الصدر الاول يقيمون العدل بأنفسهم وهكذا فعل القواد والامراء في الامصار . وذلك لأن وظائف الحكومة المتنوعة لم تكن قد توزعت بعد . وكان امراء الاعمال يعينون الموظفين ذوي الصلاحية التقفية العريقة الى ان جاء دور العباسيين فصار تعيين هؤلاء بيد الخليفة في الغالب . غير ان بعض الاخبار تعزو الى عمر الفاروق اسمه تعيين قاضياً منذ سنة ٦٥٣/٦٥٣ (٣) . وبعد سنة ٦٦١ أخذ يتعاقب على القضاء في مصر جماعة

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ٤٠٠ .

(٢) البغوي ج ٤ ص ٢٧٦ .

(٣) الكندي كتاب الوزارة ، مصر عوس (١٩٠٠) ص ٣٠٠ - ٣٠٩ وانظر أيضاً

ابن خزيمة ، مبون الاخبار ج ١ ص ٢١٠ .

من القضاة بشكل منتظم وكانوا يختارون من طبقة الفقهاء وهي الطبقة التي تضم نخبة العلماء الاختصاصيين بعلوم القرآن والحديث . وكان هؤلاء القضاة يغضون في القضايا المرفوعة اليهم ويتولون النظر في الاوقاف وادارتها كما انهم عاينوا قضايا موارث اليتام والمعتوهين .

واتضح لمعاوية ان بعض رسائله الرسمية كانت عرضة للتزوير فأنشأ ديوان الخاتم^(١) وأمر بأن تحفظ نسخة من كل رسالة رسمية قبل ان تصدر محتومة بالختم . وجاء دور عبد الملك كان الامويون قد نظموا بيت القرائيس في دمشق^(٢) وهو عبارة عن خزائن للوثائق الرسمية في الدولة .

الجيش

تعد نظم الجيش الاموي على غرار الجيش البيزنطي فمكنت وحدة الجيش تحالف من خمسة اجزاء : القلب واليمين واليسرة والضيعة والناقة . وله نظام يراعى فيه الشكل القديم المبني على الصنوف المتوازنة . وظل الامر كذلك حتى عهد الخليفة الاموي الاخير مروان الثاني (٧٤٤ - ٥٠) ففضل التنظيم القديم واستحدث للجيش تنظيمًا أصبحت الوحدة فيه كتلة صغيرة مقارضة من الجند تسمى كروما^(٣) . اما ليس الجندي العربي وسلاحه فلم يختلف كثيرا عن السابق عند بداية الروم . فقد استعمل العربان سروجًا بسيطة مستديرة تشاكل ما عند البيزنطيين وهي لا تزال معروفة الى اليوم في الشرف الأدنى . اما المدفعية فقد كان قوامها العراة والنجديق والنبانة (السكش) وقد كان العرب يعملون هذه المعدات الثقيلة وسواها من ادوات الحصار مع استعمالهم على حمل الخفوف بالجيش .

وقد شكلت قوى الجيش النظم في دمشق من اهل الشام ومن العرب الذين استقروا في ريع الشام . وكانت البصرة وتكوفة المراكز الرئيسيتين للجنيد في جيش المناطق الشرقية . وبلغت وحدات الجيش في عهد بني سفيان مئتين الف جندي وكان عطاؤهم السنوي

(١) العمري ج ٢ ص ٢٠٥ - ٢٠٦ . عمري ص ١٥٩ .

(٢) العمري ج ٥ ص ٢٣٩ .

(٣) طبري ج ٢ ص ١٩٥ : ابن خلدون ج ٣ ص ١٦٢ وقلي ص ١٩٤ : ابن الاثير ج ٥ ص ٢٦٧ .

ستين مليون درهم ويشمل عطاء العيال (١) ، وقد انقص يزيد الثالث (٧٤٤) اعطيات
الناس فسمي يزيد الناقص (٢) . ويقال ان عدده الجيش في ايام الخليفة الاموي الأخير
بلغ مئة وعشرين الف (٣) مقابل وتراجع ان هناك خطأ في هذا الرقم وان العوالم
اتنا عشر الف .

وكذلك تشكل الاسطول البحري عند العرب على غرار الاسطول البيزنطي ، وقد
كانت السفينة عند البيزنطيين وحدة القتال في البحر ، وفيها ما لا يقل عن خمسة وعشرين
مقعداً للتجهيز في كل واحد من ظهري السفينة الأماميين يحس على المقعد رجلان وكانت
كل من هؤلاء الملايين مسجداً . اما الذين خضعوا لقتالهم مراكزهم على ظهر
السفينة الأعلى .

هيئة العوط

وقد خصصت لياقي الخلفاء مجلس لأس والسرا ، وكان معاوية واح بالاشعار والنوادر
وقصص الرواة والفرس والاعراب القديمة لاسيما العرب جنوبى الجزيرة . وقد بلغ به حبه
السير القديمة ان استدعى في زعمون عبيد من شرابه من اليمن وهو من الامميين
القدامه ابانهم في الميالي العنول وبعض عليه الخيل لاسيما العرب . وكان الشراب المنقلب
عندهم ماء الجرد المذكور في قصائد العرب (١) وكان كثيراً يشربه ، ذلك لانه واهل
دمشق وسواها من مدن الشرق العربي شغف به الى اليوم .

ونقل اول من شرب السكر من الخلفاء يزيد بن معاوية فقد روي عنه انه كان
لا يمتشي الا سكران ولا يصبح الا مخموراً قليله يزيد مخموراً . وكان له فرد يكنى بأبي
قبس يعطى مجلس مدامته فيالاعبه . (٢) اما الوليد بن عبد الملك فكان في دوا يشرب

(١) السعدي ج ٥ ص ١٩٤

(٢) ان الأبرج ج ٥ ص ٢٢٠ : ينفوي ج ٤ ص ٢٢٠

(٣) الفهرست ج ٥ ص ١٩٧ : الفهرست ج ٤ ص ٢٢٢

(٤) الاعالي ج ٥ ص ١٨

(٥) الفهرست ج ٤ ص ٢٢٠ : الفهرست ج ٤ ص ٢٢٠

(٦) السعدي ج ٥ ص ١٩٧

يوم ويدع يوماً . واعتاد هشام الشرب أيام الجمعة بعد العلاء . وكان عبد الملك يشرب في كل شهر مرة حتى لا يمتلأ في الساء هو أو في الله . ويقول : انما قصد في هذا الى اشراق العقل وتقوية مئة الحفظ والتفكير موضع الفكر . غير انه كان اذا بلغ آخر هذا السكر افترق ما كان في بدنه حتى لا يبقى في اعضائه منه شيء .^(١١) وشغف يزيد الذي بالنشين من الفتيان هما سلامة وحبابية . وحدث ان ماتت حبابية من حبة غيب اورمان التهمت بها وهو يداعبها فشرقت فيها فبلغ من جرح يزيد وحزنه وكدمه عيبا ان هلك بعدها بآية .^(١٢) غير ان ابنة ابي زيد ابنة (٧٤٣ - ٢) تزوجت في الشرب والتهاك . وقد حكى عنه انه اخذ بركة في قصير فسكان يتلأه اخر انهم سرع ايامه ويعمل فيها ويشرب منها ويظلم كذلك حتى يظهر القصر في البركة .^(١٣) وهو الذي روي عنه انه فتح النصف يوماً فوافق ورقية فبهم .^(١٤) واستفتحوا وحب كل حبة غيب من ورثه جهنم ويسقى من ماء صديد .^(١٥) قال نسجماً سجماً عاقوه ثم اخذ القوس والنبال فرمى به حتى مرقة ثم قال :

أوعد كل جدار غيباً فبأر ذلك جدار غيباً

اذا لاقيت رايك يوم حشر فقال لله مرفي ابيد^(١٦)

وكان ابيد يغضي ايامه في قصوره بالندبة وكان أحده في القريتين الواقعة على منتصف الطريق بين دمشق وقدمر . وقد اورد صاحب الاغانى^(١٧) حياً يصور محلاً من محلات شرابه بواه شاهد عيان ووصف فيه ما كان يدرسه هذا الخيمة من التهاك والمجون . ولم يكتف الخلقاء بالشراب بل استهوواهم العناء والموسيقى وبعضهم يرقص . فإذا كان

١ - الحافظ : تاريخ في حقائق النبوة . شرح احمد ركني بشار . القاهرة : ١٩١١ . ص ١٥١ . ان معظم ما نعرفه عن حياة الخلفاء عباسي من كتب الاغانى وما جرى مجرى . وهي كتب ادبية في الحقيقة الاولى ينبغي الا يؤخذ ما فيها حرفياً وقد ذكر صاحب الاغانى ج ١ ص ٣ مقاييسه في اختيار الاخبار فقال انه يتوخى ما هو اروع من روى الناس ويبنى عليه .

٢ - كتاب البيوت والحدائق ص ٤٠ - ٤١ في الاغانى ج ١ ص ١٢٤ .

٣ - اناجى احوال النكبات : القاهرة - ١٢٩٩ . ص ٩٨ .

٤ - سورة ابراهيم : ١٨ - ١٩ .

٥ - الاغانى ج ٦ ص ١٢٥ .

٦ - ج ٢ ص ٧٢ .

الخليفة ممن لا يريد ان يشهر عنه ذلك جعل ستارة بينه وبين الندماء . اما الوليد فلم يتحاش
عن الرفث والجحون بحضرة هؤلاء . (١)

على أن مجالس الترب لم تكن خلواً من العناصر الثقافية فقد كان فيها مجال لتشجيع
الشعر والموسيقى وتذوق الجلال .

ومن انواع المهر البري . الذي اخذ به الخلفاء والامراء واهل بطانتهم الصيد وسباق الخيل
واللعب بالنرد وغيره . اما لعبة الكرة وانصوطلدن على ظهور الخيل التي اصبحت من امتح
انواع الرياضة ايام العباسيين فراجع اليها تطرقت الى العرب عن الفرس في اواخر العصر
الأموي . ولم يكن المهر في مشاهدة قتال الدبكة مجهولاً عندهم في تلك الايام . ولقد عرف
الصيد قديماً في الجزيرة حيث كان يستعان بالكلاب السلوقي (٢) في اول الامر دون سواء
من الكلاب . وقد روي ان كلباً ابن ربيعة بطل حرب السوس كان اول عربي استعمل
السلوقي للصيد . الا ان الفرس واليهود دخنوه قبل العرب زمن بعيد . واول صياد شهري في
الاسلام هو يزيد ابن معاوية وهو الذي شرع بتعليم اليهود الركب على اكمال الجياد ،
وكان يلبس كلاب الصيد لسور الذهب ويهين عبداً (٣) تسكل منها بقوه ماله . اما
سباق الخيل فقد اعني به الامويون كل القامية . ومن احفاد الذين وتعموا بالخيل واقدموا
الحديث للسباق الوليد ابن عبد الملك (٤) وحماد حمود ساجين بعده فلم يهمل امرها وقد ذكر
عنه انه اعد اعداء لسبق عظيم اشرك فيه خيول الامة وسكنه مات (٥) قبل ان تجري الخدعة .
وفي احدى الخببات التي اجراها هشام اخوه كانت الجياد التي اتمعت من حيله وخيل
غيره اربعة آلاف فرس « ولم يعرف ذلك في جهينة ولا اسلام لأحد من الناس » . (٦)
وكانت احب بنات هشام اليه ولوعة منه بقتل الخيل لسباق .

(١) الخطوط . ج ١ ص ٣٢ .

(٢) من سلوقي اليمن .

(٣) اعظمي ١٦٦ .

(٤) القسودني ج ٦ ص ١١ - ١٢ .

(٥) ابن اسودني . سيرة حماد ص ٥٦ .

(٦) القسودني ج ٥ ص ٢٦٥ .

(٧) كتاب المهر والخيول (١٨٦٥) ص ٥٩ .

وتتمتع سيدات البلاط نسيباً بقط وافر من الخربة . فهذا الشاعر المكي أبو دهبيل
البحلي لا يخشى أن يكتب إلى عائكة بنت معاوية الحشاش بل أنه نظم فيها الشعر وتغنى به
المتغنون . وكان الشاعر قد رآها في بعض منازلها في أيام الحج في يوم اشتد حره وانقطع الطريق
فأمرت جواريا فرفعن الست وهي جالسة في مجلسها عليها شعوف فراقه جهنما ووقف ينظر
إليها طويلاً وهي غافلة عنه . فلما صدرت عن مكة خرج معها إلى الشام وشاع شعره بها فاحتال
معاوية أخيراً لقطع لسانه بأن وعده بأن يعطيه به كل سنة وزوجه من أحب بنات عمه إليه .^(١١)
وتصدي شاعر آخر فيما يروون هو واضح السن ، وكان جليلاً ، لأم البنين إحدى زوجات
الوليد ابن عبد الملك في دمشق قد ذكر حبه لها شعره ، ولم يعب بأذى الخليفة ، فأخذ الوليد
عليه السيل حتى قتله .^(١٢) وزوجته عائكة بنت يزيد ابن معاوية من عبد الملك ابن مروان
فكانت أحب الناس إليه كما يظهر من قصة تروى عنهم . قيل غفبت عليه يوماً لأمر كان
بينهما فطلب رضاها بكل شيء فأتت واختلت إلى نفسها وانقضت بانها قد منحت لأحد حتى
احتال عليها الخليفة بأن أجلس أحد الخاصة يداها يطلب توسعها كذباً عليها مدعياً أن
أحد ابنه عدا على الآخر فقتله وإن الخليفة عبد الملك أرى لا أن يقتل المعتدي^(١٣) . أما
نظام «الخرب» وما رافقه من استعزل الحصين في القصر لم يعرفه حتى ابن الوليد الذي^(١٤)
وكانت أغلب الحصين في أول الأمر من الأعرابي . وعلى عادة أموي الحصين في البلاط
قد نالت عن البيزنطيين^(١٥) .

العاصم

ومع أن دمشق اليوم قد عبرت كثيراً عما كانت عليه زمن الأمويين ولا يزال فيها

(١١) الأغانى ج ٦ ص ١٥٨ - ١٦١ .

(١٢) الأغانى ج ٦ ص ٣٦ وما يليه من ج ١١ ص ١٤٩ .

(١٣) التمهيد ج ٥ ص ١٦٥ - ١٦٨ .

(١٤) الأغانى ج ١ ص ٢٦ - ٢٩ .

(١٥) انظر G. B. Hury, *The Imperial Administrative System in the Ninth Century* (London, 1911) pp. 150-51; Charles Diehl *Byzance : grandeur et décadence* (Paris, 1909) p. 154 .

حتى الآن كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية في ذلك العصر . فقد كانت شوارعها الضيقة
المسقوفة مبعج بغيظ من الكاث . منهم الكمي سيراويله المتضخمة وحذائه الأحمر
ومحتمه ابيض ، وابديوي الذي لوحته اشمس وقد ارتدى عباءة وسرر رأسه بكوفية وعقال ،
وآخرى هنا او هناك احد الاشراف او الاثرياء عتطي صهوة جواده وعليه سياء النبل والكرم
من دية عبادة الخربة متقلدا سيفه او حامله رمح . وليس غريباً انك ترى بين هذه الجموع
امرأة تجترط طرفها وقد التزيت بمزهرها وانتمت واخرى تسرق النظر من خلال الشرفات
الشبكة في أعلى ممرها النفا على السوق او الباحة وتري فوق هذا كله باعة الشراب والخلوى
والأفكار الخدعة يطوفون بينهم وهم غددون معانين عنهم مبرات جذابة بكل ما اوتوا من صوت
وهم يرحلون السبله الطريق ويسبقون لأمتهم ثم يمشون ويبن ما يسير في الشوارع نفسها
من دواب مختلفة من حمير وجل وقد حمل بعضها منتعبات تقري او البديهة ، وتشمع بفضاء
الديهة وقد غلبت زواجر شفي فيه جميع ما يتكهن ان يدركه حاسة السمع .

وقد سكن العرب في دمشق ايام حكمة يوم شأبه في غيرها من المدن وحافظوا في هذه
الاجية على رايضهم القبلية . ولا تزال امش هذه الاجية او الحارات في دمشق ومحسن وحلب
وسواها الى يومنا هذا . وكل مدخل كل دار في القاب من باب على الشارع وذا دخل منه
الزائر كان اول ما يري السور او الدار متوسط حوض ماء في وسطه نافورة يبعث الماء منها
والى جبهه شجرة من الجردن او الاربع . وحول الدار غرف يفتح امامها رواق في المساكن
السكنى . ومن ما تروى امية الحلة اليهم وسعود دمشق نظام الاجراء الماء اليها كما يعرف
السوق له ملبلا في ذلك العهد وهو لا يزال قائما في الآن . وقد لحق اسم يزيد ابن
معاوية باحدى هذه الاقنية وهي تعرف اليوم بنهر يزيد . وقد حفر القنطرة واستجيب الماء فيها
من بردى او نعله اعد فنحسب ^١ الاصلاح الذي في الحوطة . وان هذه الناحية الخصبة وبساتينها
الماء مدينة بحياتها الجردى . وقد تفرع هذا النهر الى اربعة فروع اخرى غير الفرع المعروف

(١) راجع الامصغري ص ٩٠ وقيل H. Sauvaire « Description de Damas : Océan et-Tawarikh, par Mohamad ebn Chaker » . Journal asiatique ser. 9 vol. VII (1896) p. 400 .

بهم يزيد وجرت فروعه كلها تنساب وسط دمشق فتشبهها وتجعلها وما يحيط بها من اخصب
البقاع والغريها .

الهيئة الاجتماعية

تقد انقسم السكان في جميع انحاء الدولة الى طبقات اجتماعية اربع وكانت اعلى طبقة
بطبيعة الحال هي طبقة المسلمين الحاكمة . وعلى رأسها أسرة الخليفة والارستقراطية المؤلفة من
العرب الفاتحين ، ولا نعلم بالتدقيق عدد الناس في هذه الطبقة فلقد كان عدد الرواتب المفروضة
لمسلمين العرب في دمشق وحدها اية التزايد الأول خمسة واربعين ألفاً . وفي أيام مروان
الأول فرض خمس وحدها عشرون ألفاً . ولم يكن عدد الذين اعتنقوا الاسلام كبيراً قبل القيود
التي وضعت عمر ابن عبد العزيز . وعلى الرغم من أن عاصمة الخلافة كانت قد اضطربت في
آخر العهد الأموي بسبب الفتن السورية بوجه عام ظلت محافظة على صفتها النصرية
حتى القرن الثالث للهجرة . وقد حافظت المدن الصغيرة والقرى وبنوع خاص المناطق الجبلية
على ما يرى المنوبين والاضطهادين - على طابعها الوطني ومميزات حضارتها القديمة . والواقع ان
بنيان طائفة نصريي المذهب سريري القائمة التي ما بعد الفتح بأحيائها صلبة . ولم يقرر الفتح
فيه إلا مرة واحدة هو انتهاء المزارع الخريفي لها من حيث الدين واجس والاحتياج وبنوع
أهم الملة من المزارع في الواقع لم يبدأ إلا بعد انتهاء الفتح .

الموالي

وفي طبقة العرب المسلمين طائفة الموالي أي المسمون من غير العرب ممن قبلوا دعوة
الاسلام طوعاً أو كرهاً فصحبوا بتمتعهم ولو اسمياً بحقوق الرعاوية الاسلامية . وقد قامت
الآفة العربية سداً منيعاً في وجه تلك الحقوق المنكسبة فتمت وحالت دون تطبيقها وتحقيقها .
ولا ريب أن ملاكي الارض - مسلمين او غير مسلمين - كانوا يطالبون بالخراج . وليس لدينا
ادلة ثبت ان أهل الامصار دخلوا في الاسلام دفعة واحدة او جماعات كبيرة إلا بعد
الاحكام العسارية التي وضعت في عهد عمر ابن عبد العزيز والخليفة العباسي المتوكل (٨٤٧

٦١) . وكانت مصر أقل البلدان مقاومة الدين الجديد . وقد نقص دخل هذا القطر من أربعة عشر مليون دينار زمن عمرو ابن العاص إلى خمسة ملايين في عهد معاوية ثم قل إلى أربعة في خلافة هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩) . أما العراق فقد نقص دخل نظريته فيه من ستة مليون في خلافة عمر ابن الخطاب إلى أربعين في عهد عبد الملك (١٢) . وليس من شك في أن كثرة الداخلين في الإسلام كانت من عوامل هذا النقصان . ففي أوائل العصر العباسي أخذ عدد المصريين والفرس والآراميين الداخلين في الإسلام ينوفى عدد العرب المسلمين .

وشعر أموالي بهم أعطى الطبقات الاجتماعية في البيئة الإسلامية فاستفكروا هذا الوضع ولم يرضوا به قط . ومن هنا تستطيع أن تدرك البعث الذي دفع بهم إلى مناصرة حركات متنوعة كحركة الشيعة في العراق والخوارج في فارس . إلا أن البعض منهم أصبحوا - كما يحدث غالباً في مثل هذه الحال - أشدّ عنصرية للإسلام من العرب أنفسهم بحيث بلغت عنصريتهم حد التعصب فاضطهدوا غير المسلمين . وقد كان من أشد المسلمين عنصرية في الصدر الأول وذلك التصاري واليهود الذين دخلوا في الإسلام .

وكان من الطبيعي أن يقل هؤلاء أموالي في هذا المجتمع الإسلامي على الدوس الممثلة والهنون الجيلة فهم أبناء ثقافة عريقة في القدم . وما كانوا يتفوقون على الخوادم المسلمين العرب في ميدان الحياة العسكرية حتى أخذوا يتعدون لوصول إلى الرقعة السياسية . وأصبحوا بالزواج هم والمعتصر المذبح فتيجن الدم العربي وقس من خلفه العناصر .

أهل الذمة

وتألفت الطبقة الثالثة من أهل الذمة - وأفراد هذه الطبقة هم من أهل الكتب - من الأديان الثلاثة - الذين تحببهم أمم الإسلام وعهد إليهم نصارى واليهود والمجاشية . من المباشرة فيهم المنديون المعروفون بنصاري القدس وحمه يسكنون الأغوار الواقعة على مصب

١٢ - ياقوت - كتاب - مدن شرقي سورية - ج ١ - ص ٢٢٩ .

١٣ - ف. و. أرنولد ، *The Preaching of Islam* ، 2nd ed . ص ٢٢٩ .
١٤ - ف. و. أرنولد ، *The Preaching of Islam* ، 2nd ed . ص ٢٢٩ .
١٥ - ف. و. أرنولد ، *The Preaching of Islam* ، 2nd ed . ص ٢٢٩ .

المرات ، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم ثلاث مرات (البقرة : ٦٢ ، المائدة : ٧٣ ، الخبيخ : ١٧) بما يشعر أنهم أحسبوا في منزلة عند الله . وانما جرى في هذا الالتصاق الخاص الذي ناله أهل الكتاب حدثاً من أعظم الأحداث السيئة التي تمت على يد محمد ، وأسبابه الرئيسية احترام النبي للتوراة من ناحية ، وأمره بتقوية زعمته بني غسان وبكر وتغلب وسواها من القبائل النصرانية . غير أنه قد اشترط على هؤلاء النصارى ألا يحملوا السلاح وأن يؤدوا الجزية مقابل الحماية الإسلامية .

وقد تمتع أهل الذمة في هذه الموضعية بقسط وافر من الحرية ، تمتعهم الجزية وانطراح . وارتبطت بأعمال قضائهم في الأمور المدنية والحدائية القضائية برؤسائهم الروحيين ألا إذا كانت القضية تمس المسلمين . أما الشريعة المتعددة أو تعلق عليها لأسماء توضع لهم . وقد بقيت بعض أقسام هذا المظالم الخاص تسري على أهل الذمة حتى آخر العهد العثماني ومنها ما ظل مراعياً في عهد السلطات المتقدمة في العراق وسورية ولبنان وفلسطين .

وانحصرت معاملة أهل الذمة لأول ، وفي من الكتب الفحش . ألا أنها سرت بعد ذلك على عبدة النار (الخووس) من شعائر ثلاث وثلاثين من أهل حران وأتبريز وكابول عبدة احتناء . ولا يمكن للمرء من أن يدرك ثلاثين من هؤلاء وقد أخذوا حراج نطاق الأمن إلا أنهم انحطوا مع معاشير البربر من سكان قرية الشريعة الحقوق نفسها التي منحها الإسلام لأهل الكتاب خاصة وحيروا السوء هؤلاء بن الإسلام والسيف والجزية ، لا بين الإسلام أو السيف فقط . ولا يستطيع سيف الإسلام أن يجمع جميع الرؤب فتمت الفرقة بالسهل لأن النصارى أقرب مدلاً . وفي الأماكن النائية كالأردن بقيت النصارى الصغيرة بحيث استطاعوا أن يتحدوا خلفاء بني أمية حتى عند تلك الغمة في زمن سطوهم ومجدهم . على أن النصارى في عهد الأمويين كانوا حتى سخراف عمر بن عبد العزيز بعد أنول بالحنفي . وقد رأينا أن مبسوط زوجة معاوية كانت حربية كما كان شاعر نصراني . وكذلك كانت طبيبة وأمير ليل في دولته . ولا سمحاً لأحدثة واحدة تستل من هذا الحكم وهي أن يزيد

تعبد فيها كأنه مشع النصارى واليهود حق ابتداء المعابد لهم واعتدب اتباع زرادشت أيضاً
لشعوب الدولة .

وكان في آخر طليقات الهيئة الاجتماعية الرقيق ^(١) . وقد احتفظ الاسلام بنظام الرقيق
السامي القديم الذي أقرته التوراة من قبل . ومع ان الاسلام أوصى باصلاح شأن العبد ، ومنع
الشرع استرقاق المسلم فان الرقيق لم يكن من حقه ان يعتق . مجرد دخوله في الاسلام . وكان
معظم العبيد في فجر الاسلام من اسرى الحرب او الغزو او من الذين شربوا بالمال . واصبحت
تجارة الرقيق في المهود الاسلامية الاولى ذات موارد وازديت في جميع البلدان الاسلامية .
وكانت العبيد اجتماعاً شتى منهم الزنحي الاسود من افريقية ومنهم الاحمر من فرغاسة او
تركستان القلبية والابيض من الشرق الأدنى او من شرقي أوروبا وجنوبها . وتختلف الثمن
العبيد بالنسبة الى اجناسهم ومهارتهم . فلأصناف منهم وقد سماها حقالة ^(٢) من لفظة
« اسكلا » الاسبانية بلغ ثمن الواحد منها الف دينار . أما العبد المتركي فلم يزد ثمنه في
الغالب على ستمائة دينار . وبعت الشريعة الاسلامية ان موفود الأمة من غير سيدها عبيد
سواء أ كان الولد عبداً او حراً وكذلك بحسب ولده من سيده . ما يعترف ببنوته . أما
اولاد العبد من زوجة حرة فأحرار .

ومن الأرقام التي وصلتنا وبعضها مبالغ فيه - نستدل على عدد الرقيق الذين على سيدهم
على الامبراطورية الاسلامية اثر المتوح . فقد أخذ موسى ابن نصير ٣٠٠ الف امير من افريقية
فأرسل خمسهم الى الوليد ^(٣) وأغرم كذلك ثلاثين الف عذراء إلى امن ثقات ملوك القوط
واعيانهم . وقيل شرط قتية في صلح الحفص وحدها مئة الف امير ^(٤) وخلاف الزبير ابن

(١) أطلق هذه اللفظة على كل من كان مملوكاً مستعبداً بخصه النظر عن نوعه او جنسه . وقد أقرناهما
على كلمة « عبيد » لأن العبد في اصطلاح المؤلفين هو الزنحي وعرف اللفظة هو الإنسان حراً
كان او مستعبداً .

(٢) أطلق العرب المظلة نفسها على تلاف و ٢ من شعوب وروا . شرقية الجنوبية .

(٣) الفرقان ج ١ ص ١٤٨ .

(٤) ابن الأثير ج ٤ ص ٤٤٨ .

(٥) المصدر خمسة ج ٤ ص ٤٥٤ .

المؤلف ألف فرس وألف عبد وأمة ١١١٠ ، أما الشاعر السكي الشهير عمر ابن أبي ربيعة فقد كان له من الرقيق أكثر من سبعين ٢٠ ، ولم يكن غريباً أن يقتني الأمير الأموي من الخدم نحو ألف عبد حتى الجندي في الجيش السوري به صنفين كانت له عدد من الخدم يتراوح بين الواحد والعشرة يقومون على خدمته ٢١ .

ولم يكن للأمة حق أن تكون زوجة شرعية سيدها وكانت التسري هو المألوف وما يولد من البنين في مثل هذه الحالة هو سبي السيد وهذا فيه إضرار وصحاح أمهم له ولد فترفع بذلك مكانتها الاجتماعية ولا يحق لمزوج بعد ذلك سبهم أو إهداؤها إلى سواء حتى إذا مات عنها اعتقت . وقد كان تدعى رقيق أو عظيم في حمية لأمتراج والأندماج التي أدى إليها اختلاط العرب بالأغراب .

المدرسة ومكانها

كانت الحياة فادحة في المدينة حيث دفن النبي وقد جعلها من معاني الجلال والتفديس من ذكريات السلف الأول عملاً دعوياً . فكثير من طلاب العلم والراغبين في جمع السنة وفيهم القراءات الشرعية لم يقدروا عليها . وما زالت إلى عهد أول مركز الدراسة على الحديث الذي أقيم من أسس ابن ميث (المتوفى بين ٧٠٩ و ٧١١) وعبد الله ابن عمر ابن الخطاب ٢٢ (المتوفى ٦٩٣) وصحاح في مقدمة علومه الإسلامية .

أما مدرسة مصطفة فترجع شهرتها إلى سنة ١٠٠٠ م عهد عبد الله ابن عباس المعروف بابي العباس (المتوفى نحو ٩٨٨) وهو ابن عم رسول محمد بن عبد الله بن عباس . وقد أجمع الناس على الإعجاب به فبحرهم في الحديث والآثار ونظمه ونثره في تفسير القرآن بحيث دعي ٧ حبر

١٩ - السموذكي ج ٢ ص ٢٤٥ .

٢٠ - الألباني ج ١ ص ٢٧ .

٢١ - السموذكي ج ١ ص ٢٩٦ ، تاريخ دمشق ج ١٠ ص ١٠٠ ، طبعة مكتبة القاهرة .

٢٢ - ج ٢ ص ٢٢ وما يلي .

٢٣ - يعرفه ابن عمر وهو كثر . حبره عمر بن الخطاب وأبو عبد الله بن عباس . طبعة الخدمين وقد وثقه عمه الحديث أكثر مما وثقوا ابن ميث في حديثه في مسند أحمد بن حنبل .

الأمة « وهو لقب يفضله عليه الكثيرون - إلا أن التقدير المعنى أظهر أنه قد استند إليه كثير من الأحاديث المتقدمة .

وقد اكتسبت مدينة الخرج صبغة جديدة في عهد الأمويين فقد كان يقدر إلى المدينة - العاصمة المهجورة - كثيرون من معتزلي الديانة وما نبي الراحة ليكونوا بعيدين عن الفسوخ والاضطراب وينعموا به أغذفته عليهم الفوحات من في ، وما حظوا به من تروية وجم . وقد سلك نفر كبير من « الأغنياء المتجدين » سبيل الأسراف فتوافنوا على المدينة فازدهرت بهم وشيدت فيها الدور الجديدة وببيت في ضواحيها القصور الفخمة وقد جمعت هؤلاء الأغنياء والأسراف في قصورهم طوائف من الحزن ويرقيق يقومون على خدمتهم ويسرون لهم سبل التهو والترف . (١) ولم تكن حظا مكة في هذا السبل أقل بكثير من حظ المدينة . وازدياد الترف في هاتين المدينتين وسنوع خاص في المدينة ازدادت بيوت القياض وكثر التهو والنجون . (٢) وكانت وفود الخراج القادمة كل سنة من مختلف البلدان الإسلامية وما خلفه من أموال طائلة في موسم الخراج عمارة آخر أدى إلى ازدهار المدينتين وانتفاخ من حال إلى حال .

وبعيد ما بين وارد رقه على لمره ووارد خمس

وفي الواقع فقد اجتمعت الخيرة الجديدة في هاتين المدينتين حين وصلت الدنيا غنيهن عن الخيرة التي العفا في عهد عمر بن الخطاب حين قد غنمه من التجرير ومعه ٥٠٠ ألف درهم فدهش عمر وقام يعطى في الدس ويقول : « انه قد غنيت من كثير من شتم ان به لاكم عدوان شتم ان يصليته لكم كيلة » (٣)

وهكذا فقد كان لازدهار التروية في المدينتين مقدسيتين أثر في ازدهار الترف فانصرف الدس فيهم إلى النجون والعبث واصبحت كل منهم مرصداً للقضاء والتهو وموئلاً للقياض والغاشين .

١٩ - السيرة في ٤ ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

٢٢ - السيرة في ٢١ ص ١٩٧ .

(٣) ابن سعد في ٣ ص ١٢٩٦ : بلاذري في ٤ ص ٤٤٣ .

وقد أسس بعضهم في مكة تارياً يؤمه الزائرون فيه شطرنجات ووردات وقرقات ودفاتر فيها من كل علم وجعل في الجدار أوتاداً فمن جاء عبق ثيابه على وتد منها ثم جرد فتراً فقرأه أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم (١) . وازداد عدد القيان من بنات القيس والروم وانتشرت بيوت المسك . وكان يشابهها من القوم كثيرون تذكروهم على سبيل التمثيل الفرزدق الشاعر المشهور (٢) . وسار الشعر المنزلي جنباً إلى جنب مع الحياة الجديدة فيما وارتقى . وكان يسكن اندبنة في مطلع عهد بني مروان ألع نساء ذلك العصر السيدة (٣) الحصة مكينة بنت الحسين (انتوف ٧٣٥) وحفيدة الامام علي وكانت مكانتها الاجتماعية وعصرها وحبها للادب والشعر والفناء وما انصفت به من جهل وحسن ذوق وسرعة خاطر من الامور التي يستر لها ان تكون زعيمة بين نساء الطيحاء انتشار ونعمكم في امور التري والجمال والادب . وكانت ظريفة مزاحمة (٤) وكان من مزاحها مرة ان اجلست شيخاً فارسياً على قفة فيها ايض وامره ان يقف كانه حاجة اليها للمعاضرين وروى عنها ايضاً انها سئمت الى صاحب الشرطة نقول : انه دخل علينا شامياً فزسل الينا بالشرط فركب ومن معه فلأتى الى الباب فتمعت له ثم امرت بجارية فخرجت اليه مرغوة (٥) اوقات هذا الشامي الذي شكوتاه . وكانت تعقد في دارها مجلس للشعراء والمعلماء تجلس فيها الأجلة من قريش وتبذيب اطراف الحديث والفاطمة . وكانت شديدة الاعجاب بسببها كثرة الاهتمام بابنتها بحيث كانت يفرها بأنواع الجواهر والخي وتقول ما أثبتها اباء الانفضحه (٦) وهي الى ذلك شديدة الاقلاق لزيارتها تعطف شعرها نصفين يرا احسن منه حتى عرفت تلك الخفة بالحة الكينية نسبة اليها وقتت بعض الرجال فكمالوا يأخذون بها (٧) وكان عمر ابن عبد العزيز (٨) اذا وجد رجلاً

(١) الاغانى ج ٤ ص ٥٢ .

(٢) الاغانى ج ٢١ ص ١٩٧ .

(٣) خص هذا لقب اسلا بالنساء من آل بيت .

(٤) الاغانى ج ٤ ص ١٦٤ - ٤٥ ج ١٧ ص ٩٧ ، ١٠١ - ٢ .

(٥) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٦٦ ج ١٧ ص ٩٤ .

(٦) المصدر نفسه ج ١٥ ص ١٦٤ .

(٧) ابن خلكان ج ١ ص ٣٧٧ .

(٨) الاغانى ج ١٤ ص ١٦٥ .

بصنف بجهته على للطريقة السكنية جلد وحلقه . وقد كانت لهذا الخليفة ابن تومج من
سكنية ولكنه لم يسكنها . اما الرجال الذين وقفوا في شبك سحرها وتعاقبوا على الزواج
منها وما كنوها واحداً بعد الآخر فعددهم يتجاوز العشرة (١١) وقد انتمت غير مرة على
بعض طالبي يدها انها لا تتغلب عن حريتها الطقة .

وكانت مسكنة في الطائف النصف المشهور في ذلك العصر منظره شهد اهل الطائف
كثيراً من الحوادث المتعلقة بها وهي عاتية بنت منعة . وقد كان ابوها كاهن معروف من
كبار الصحابة وكانت امهات ابني بكر واخت السيدة عاتية زوج النبي . وقد اجتمعت بنت
طلحة هذه مزانيا من كرم المحدث وبارع الخيال وحمو النفس وخفة الروح . وهي شروط الكمال
النسائي عند العرب . ما جعلها تفوق حتى منظرهم سكنية . وكان لها في عيشها ما تريد (١٢) .
حدثوا انها حجت الى مكة في ولاية الحارث ابن خالد الخزومي فارسلت اليه نائيه ان يؤخر
الصلاة حتى تفرغ من طوافها فامر المؤذنين فأخروا الصلاة حتى فرغت من طوافها فأبصر
اهل المسجد ذلك الامر واعظموه وبلغ عبد الله ما فعلت فمات له وكتب اليه يؤيبه فقال
الحارث : ما أهوت والله غضبه اذا رعبت . والله لو لم تفرغ من طوافها الى الليل لأخرت
الصلاة الى الليل (١٣) . غير ان الزواج عاتية لم يزيدوا عن الثلاثة (١٤) . وعكس ان زوجها
الثاني مصعب ابن الزبير أمهرها ملبوس درهم كما كان قد أمهر مسكنة من قبل (١٥) وكانت وهي
عنده لا تسفر وجهها من احد فهاجها مصعب في ذلك فقالت : ان الله نبارك وتعالى وسمي
بمسم جمال احببت أن يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم فما كنت لأستره . (١٦)

(١) راجع اسماء في ابن سعد ج ٨ ص ٣٥٩ . من فنية ، المعارف ص ١٠١ + ١٠٢ - ١١١ .
١١٣ - ١٢٢ + ٢٨٩ - ٢٩٠ ابن خلكان ج ١ ص ٣٦٥ . الاغانى ج ١٥ ص ١٦٩ - ١٧٢ .
(٢) الاغانى ج ١٠ ص ٦٠ .
(٣) الاغانى ج ٣ ص ١٠٢ .
(٤) ابن سعد ج ٨ ص ٣٤٣ .
(٥) الاغانى ج ٣ ص ١٢٢ .
(٦) الصدر شمس ج ١٠ ص ٥٥ .

المَقْصَلُ الحَادِي وَالْعِشْرُونَ

مناحي الحياة الفكرية في العصر الأموي

لم يكن لعرب حين مبو العصر التي نتج عنها ثروة فكرية ، فهي سورية ومصر والعراق وفارس ما لبث أن تحولت عصره الأموي التي غلبت فيها وكوامهية في الفل والفكر والقبيلة وثقافة ممتدة .

عبر في عهد الأمويين ، من مذهبية والمخرب والتفن الداخلية والخارجية التي قست سره البلدان الإسلامية في العصر الأموي وما رافق ذلك من اضطراب الأحوال الاجتماعية والاقتصادية . كل هذه الأمور قست أن تكون سبب إحياء الفكرية في ذلك العهد عظيم . ولكن النواة التي بموجبها شجرت الفكر كانت قد برزت وكانت هذه الشجرة التي ظهرت من أصلها في العصر الفاسي قد أصبحت جذورها في أعقاب العهود السابقة في أيام الأغريق والفرس والرومان . في عصر الأمويين كان وجه عام عصر حضارة واستعداد .

وقد بدأ الفرس والرومان والقبائل والجزر وسواها إلى الدخول في حظيرة الإسلام ولم يزلوا مع العرب بالتوازي ففتحت ذلك أن يروى الخراج الفتيح الذي وسع الأولين بين العرب والأعاجم وأحدث معاً الجسبات المختلفة لدوب في بوتقة الإسلام بحيث استلهم بقطع النظر عن جنسيتها القديمة صبح حين عتق الإسلام وحرر العربية وكثير من بعث من الله العربية . وهي ظاهرة من أهم مظاهر في تاريخ تربية الإسلامية ، فإذا ما أنشأنا إلى ما كان عند العرب من طب وفلسفة وعموم زبانية فتعني بذلك أن هذه العلوم كانت نتاج العقل العربي القديم أو أنه وضعها كانوا من أبناء الجزيرة بل يفصل أن هذه العلوم قد وضعها في اللغة العربية رحل نشأ أكثرهم في عصور الخلافة وكانوا من جنسيات مختلفة

ويدينون بأديان مختلفة . فمنهم فرس وسريين ومصريون وعرب من نصارى ويهود ومسلمين ولا يعد أن يكون بعضهم قد استمدعهم من مدن يونانية أو آرمية أو هندية أو فارسية .

البصرة والكوفة

وكما أصبحت مكة والذبية في الحجاز موطن الموسيقى والغناء والطب والغزل في إباء
الأمويين هكذا أصبحت البصرة والكوفة في العراق موطن الحركة الفكرية في العادة
الاسلامية في ذلك العصر .

العراق والعمور

وقد نمت مع أن هـ بن النعمان كانت في أول عهدهم معسكرين فاجيش امر الخطيفة
عمر بن الخطاب من سنة ١٧ - ٦٣٨ هـ . وقد أُنشئت الكوفة بالقرب من القاص
بها الفرقة وجمها الأموي في بعد عاصمة له وأصبحت مركز الحركة الأدبية فكانت بذلك
وارة الحركة العلمية للبحر . وقد تمت كل من هـ بن النعمان - البصرة والكوفة -
بمسكة كبرى نظم لأهمية موقعها الجغرافي واستعدادها من المعرفة وفيرة بحيث بواها مركزاً
مديني في مدينة العرب لا تقصد في معسكر أو جامعة من مدن من الف نفس . ويقال
أن البصرة وهي مركز حكومة خراسان إباء الأمويين مع مجموع سكانها سنة ٥٠ / ٧٠ ثلاثمائة
الف وكان فيها مائة مائة وعشرين ألف قدم (كذا) . وفمت البصرة على عموم
فرس وثبت فيها دراسة جامعة عربية . ومنها أصول العرف والمحو وذلك بالأكثر
نعم الامام الخليل في الاسلام . على أن بعض هؤلاء أصبحوا فيما بعد من مدرسي هذه
هذه العلوم وحفظها . وقد دفع الامام في العربية أولاً رغبتهم في أن يدرسوا القرآن
ويشغفوا بحسب الأثرية وينحطوا لثلاثين مئة . ثم لم في ذلك أن الشقة كانت تسع
بين لغة القرآن الفصحى والهجرات العامية وقتضى الأجداد في هذه الدروس القوية .

١ - معصرة اليوم هي مدينة ١٠٠ في شمال العراق من ناحية بغداد .
٢ - على الكوفة كانت مدينة عسرة - ١٠٠ - بن النعمان بن ٣٢٦ - ٣٠٠ .
٣ - الامصغري ص ١٨٠ - ١٨١ بن جواد ص ١٨٩ .

واذن فليس صدقة أنت يظهر في البصرة اول واضع للنحو العربي (على قول الرواة)
وهو ابو الاسود الدؤلي (المتوفى ٦٨٨) . وقد زعم ابن خلكان (١) ان علياً وضع للدؤلي:
« الكلام كله ثلاثة احرب اسم وفعل وحرف ثم دفعه اليه وقال له تتم على هذا » فاتهم
موقفاً . الا ان النحو العربي نفسه يتم عن شوء يعني طويلاً وقد اصطلح بشائر المنطق
اليوناني . وظهر بمد اي الاسود الدؤلي من علماء البصرة الخليل بن احمد وهو اول من وضع
معجماً عربياً « كتب الدين » واليه يسبب اصحاب التراجم التفتيح بحوز الشعر
واصول العروض التي لا تزال مرعبة الى اليوم كما يسبون الى تلميذه الفارسي سيبويه (المتوفى
نحو ٧٩٣) اول مصنف مدرسي مشاهير في النحو يعرف باسم « التكميل » يعتمد عليه علماء
العربية مرجعاً آخر في دراسة النحو .

الدين والشرع

افضت دراسة القرآن وضرورة شرحه الى ظهور علم جديد هو فقه اللغة (القبولوجيا)
وعلم مفرداتها كما افضت الى علم الحديث وهو ابرز العلوم الاسلامية . والحديث بانني
الوصفي هو محل او قول منسوب الى النبي او احد الصحابة . وقد كان القرآن والحديث بمثابة
الاساس الذي بني عليه علم اصول الدين وتلقاه وهم باحثين ملازمين لتشرعته . والشرعية
الاسلامية اشد علاقة بالدين وأصوله من عدم الحقوق المعروفة عند محترفي الخامسة في العصر
الحديث . وقد أثر القانون الروماني مباشرة او بواسطة النفوذ في التشريع الاموي الا ان
المدى الذي بلغه ذلك الامر لم يتحقق مدد . والواقع ان هذه الحقبة التي لم يصل اليها من
مدوناتها شي . يذكر تكاد تكون مجهولة الامر فلا يعرف فيها الا رجال قلائل من محدثين
والقضاة اخصهم بالذكر الحسن البصري وابن شهاب الزهري (المتوفى ٧٤٢) وهذا الأخير
قرني وقد روي عنه انه « كان اذا جلس في بيته وضع كنبه حوله فيشغل بها عن كل شيء »
من امور الدنيا فقالت له امرأته يوماً : والله هذه الكتب اشد علي من ثلاث خمر أو « ٢٠ »

(١) ج ١ ص ١٢٩ - ٣٠ .

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٢٢٣ : أبو الفداء ج ١ ص ٢٢٥ - ٢٦ . وروى شيء من هذا عن الزبير
ابن بكار . ابن خلكان (يولاق) ١٢٢٥ ج ١ ص ٢٦٦ .

أما الحسن البصري فمن اعلام نقلة الحديث قيل انه عرف سبعين رجلاً ممن شهدوا بدراً . وكان الحسن مبعثاً لكثير من الحركات الفكرية في الاسلام . وقد تفتت الصوفية طوال الأجيال بآثار زهدهم وتقاهم . أما اهل السنة فيتناقون عنه الحكم والافعال الرشيدة كما ان المتعة تحسب منها . فلا عجب بعد هذا ان نسمع ان كل سكان البصرة ساروا في جنازته يوم الجمعة في العاشر من تشرين الاول سنة ٧٢٨ هـ فتم صلاة العصر بالجامع ، ويقول ان خلع كان انه لا يعلم ان تركت مذ كان الاسلام الا يومئذ . (١)

أما الكوفيون وكثيرون منهم شيعة او علويون فقد اتفقوا على التمسك بالعلوم الاسلامية بما يكاد يعادل ما قدمه البصريون . وقد ثارت عن الطريقة بين علماء المدينتين مدرستان معروفتان في النحو والأدب . وقد برز الكوفة في عهد عمر وعثمان من اعلام الصحابة عبد الله ابن مسعود (حوالي ٦٥٢) وهو ثقة في الحديث وكانت احمر الشعر دقيق الساقين وقد سبوا اليه عن عن الرسول ثماني مئة واربعين حديثاً (٢) . ومن تلاميذه ابنه كان اذا حدث عن الرسول ابعده واعدت لبيته حتى يتحد العرق من حبهته وكان يزل كفه ويدقق فيه فيقول : « نعوذ بالله من سوء ما » اعتد . نقل الحديث مضبوطاً (٣) . ومن مشاهير محدثي الكوفة أيضاً عمر ابن شراحيل الشعبي (اتوفى نحو ٧٢٨) وهو من اهالي جنوبي الجزيرة الذين اذركوا وحده في صدر الاسلام قيل انه سمع الحديث من مشة وخمسين صحابياً . رواه عن ذا كره وه يدون منه حرفاً . ويميل القادة المحدثون الى اعتباره بالاجال صادق الرواية . وقد حكى الشعبي عن نفسه ان الخليفة عبد الملك ابن مروان انذره بهمة اني امير اطوار الروم في القسطنطينية . وكانت من امر الذين خرجوا على الشعبي الامام ابو حنيفة المشهور .

وبلغت مدينت البصرة والكوفة قمة مكاتبتهم الفكرية في عصر العباسيين كما سنبسط

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٢٨ .

(٢) النووي ، تهذيب الاسماء ص ٢٧٠ .

(٣) ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١١٠ - ١١١ .

(٤) السبكي ، الانساب ، نشر مرقوليت (لندن ١٩١٢) ورقة رقم ٣٣١ . وقابل ابن خلكان

ج ١ ص ٢٢٦ .

فيما بعد . ولم ينهج عنوانهم في ميدان الحديث والتفقه سيج القدماء المحققين من علماء الطحاوي .

تدوين التاريخ

وكانت ان بدأ تدوين التاريخ عند العرب في هذا العصر ايضا وتعد شكل الحديث ، فقد كان التاريخ احد المنهج التهذيبية الأولى التي سجع العرب . اما البواعث التي اضرمت جذوة الأبحاث التاريخية فثقي . منها غيرة الخلفاء الأولى على صفح الخيرة المولك والامراء المظفرين واعتراف المسلمين ان جمع الاخبار وتقصص التي في سيرة رسول وصحابته . وقد اصبحت هذه القصص بعد ذلك اسبابا ثانيا من كتب السيرة وكتب التاريخ . ومنها الحاجة الى اثبات نسب كل مسلم عربي تفريجه ما تعرض له من اضطهاد است انزل ، وايضا الحاجة الى مقتضات الشعر العربي القديم ، والادب ، والاشعر والادب . كان الورد في كتب الدين ، ودراسة الشعوب المعنوية في تدوين التاريخ من ماضي سلافه . كما ان بدأ تلك العصبية العربية المتطرفة . ومن اقدم رواة التاريخ عبيد بن نارية وهو من جنوبي الجزيرة صارا استنداء معاوية الى دمشق من صعد اليها من الاحبار . مقدمة ومولك العرب والمسلمين وسبب بليل الأسس .^{١١} وقد تصف عبيد بحقيقة كتاب في دائرة اهتمامه منها « كتب المولك والخيرة المظفرين » الذي كان منذ ولادته في اليمن الذي في يوم مؤرخ السموذي^{١٢} (المتوفى ٩٥٩) . وقد اشتهر في علم الأوائل ايضا وهب ابن مائة (المتوفى في صمد حوالي ٧٢٨) وهو يهودي يمني فارسي الأصل ، وارتاح الى أصله في صمد . وسبب إليه كتب بشر احدها الخيرة^{١٣} . ومع انه يثبت بدا في صمد رواية فهو يعتبر من المصادر الأولية عن جاهلية الجنوب والبدان الجنوبية^{١٤} . كتب الأخبار (المتوفى في جمادى ٩٥٢ أو ٩٥٤) فهو يهودي يمني ايضا سجد في خلافة بني بكر وقيل ان في خلافة عمر . وكان معاصرا ومرشدا

١١ - فهرست دار البحوث والدراسات ، ص ١١٢ ، من ١٩٠٠ م . في تاريخه ٢ من ٣١٤ .

١٢ - ص ٨٩ .

١٣ - في مؤلفه « أخبار العرب » ، ص ١٢٠ ، وقد مررت به في ص ١١٠ من ١١٩ .

١٤ - ص ١٢٠ .

١٥ - في تاريخه ٢ من ١١٩ - ٩٧٠ م . في ٣ من ٢٠١٣ - ١١٠٠ م . في ٢ من ١١٩ .

السري في ان اتباع مذهب الاعتزال يظنون على انفسهم لقب « اهل العدل والتوحيد » . وقد ادركت هذه النزعة العسكرية التي تربي الى تحكم العقل مقاماً سامياً في عهد المباسين وبالأخص في زمن المأمون (٨١٣ - ٨٣٣) كما سنرى . وسنطيع القول ان عهد بغداد من الناحية العسكرية بدأ يوم انشئ عهد ابصرة والكوفة .

القديس يوحنا الدمشقي

وكانت من اعظم الرجال الذين ساهموا في نقل بعض النزعات النصرانية والافكار اللاهوتية يوحنا الدمشقي . وكان يوحنا هذا يقف لمصاحته بدافع المذهب اسوة بسميه الاسبق يوحنا الاطليكي الذي كان يقب لفر المذهب . ولم يكن القديس يوحنا غريباً وان كتب باليونانية بل كان سورياً آرامياً النحس . وكان هذه منصور ابن سرجون هو القائم على ادارة المال في دمشق خلال اشيخ العربي . وهو الذي واصل اسقف دمشق على تسليم المدينة مسلمين فبقى المسلمون له منصبه الذي حمله فيه انه والد القديس يوحنا . اما يوحنا فكان في شبابه يدرج بزياد ان معروفة ثم حلف به وجده في استلام زمام الادارة المالية في الدولة العربية وما زال مشرفاً عليه حتى خلافة هشام (٧٢٥ - ٧٤٣) حينما اعتزل الادارة وانصرف الى حياة الزهد والتأمل . وقد وقع في دير القديس سينا بالقرب من بيت المقدس حيث قضى سبعة حوالي ٧٤٨ . ومن مؤلفات القديس يوحنا مخبورة مع مسلم في موضوع الوهية المسيح وحرارة الارادة البشرية وهي بمثابة دفع عن النصرانية . ومنها كتاب لارشاد النصارى في محولاتهم مع المسلمين . والراجع ان يوحنا نفسه باحث في كثير من هذه المسائل في حضرة الخليفة . وكان له تأثير في تكوين المدرسة القدرية . والى القديس يوحنا تنسب التقاليد القديمة قصة بولام الزاهد ويوصفات الامير القندي ولها اشهر ما في العصور الوسطى من الاساطير الدينية . ويعتبرها قد علم الحديث نسخة نصرانية لحادثة او فصل من حياة بوذا . ومن الغريب ان كنيسة روما والقسطنطينية قد اثبتا قداسة يوصافات هذا (او ايوصاف) قانونياً فاصبح بوذا قديساً عند النصارى مرتين . اما كتاب قصة بولام ويوصافات فالظاهر

أنه واهب خامل الذكر اسمه يوحنا عاش في دير القديس سابا خلال القرن السادس . وقد
أورد الفهرست (١) ذكر أن كتاب البدن (أي عوذا) وكتب يوحنا كتبها للذين ترجعوا عن أصل
بهاوي لا يوناني . ومنها يكن من امر قن يوحنا اليميني هو آخر لاهوتي قام في كنيسة الروم
الشرقية . وفي الآداب الكنسية أصبحت التراجم التي نظمها (ولا يزال بعضها مستعملاً في
كتب التراجم الانجيلية) أعلى ما وصل إليه شعراء الكنيسة النصرانية من روعة وإبداع .
فقد برز يوحنا إذاً منخراً من معاصر الكنيسة التي زدهرت في تلك الخلافة وذلك لما اصف
به من المنهج والقدرة كبرته ولاهوتي وخاطب وكاتب بارع في الجدل .

المراجع

وإذا كانت القديسة أقدم مدارس الفكر المسيحي في الإسلام فتتوارى أقدم الفرق
المسيحية السياسية . وقد كان قبل خروجهم من أورشليم على أنهم اتفقوا عليه وأصبحوا من أشد
خصومه وقد هبطوا بقوة السلاح وبدأوا حصار لاسعة قريش (١) وسعوا إلى اقوال البنادي
التي تفرقت التي جاء بها الإسلام فقدموا الثورات وحروب حركتهم القديمة غزيرة طيلة القرون
الاربعة الأولى من تاريخ الإسلام . وكان من عقبهم التي ظهرت في سوريا بعد خروجهم
زمن أن سكبوا وقبضوا كرامة لأولياءهم ويحيط بذلك من عهد زعيمهم زبدي إلى قوم
الصلبيين وحرموا بعض الطرق الصوفية . ويرى من عرف تطور تاريخ اليوم عرفة تسمى الاديوية
(بكر لائف ونافع في العمارة) نسبة إلى عذراء من أصل (١) من أهل النصف الثاني
من القرن الأول للهجرة (١) وهو أكثر مؤسسي الطرق التعرجية شهرة . والادوية اليوم
منتشرون في الجزائر وطرابلس العرب ومصر وبنجرنا وقد غيروا تسميتهم من عذراء (١)
المرونة

ومن الفرق الدينية التي نشأت في العصر الأموي موحدة وهي قبيلة الشان وقد قالت

(١) ص ٣٠٥ .

(٢) ابن جبري : نظم ونماء (مطبعة ١٣٥٠) ص ١١٢ .

(٣) شهرستاني ص ٢٠٠ . عذاري : مختصر ص ٨٢ . ١٠٤٠ : تاريخ ص ٣٨٦ .

بالأرجاء في اعتبار الحكم على المؤمنين الذين يرتكبون الكبائر فلم تحسبهم كفاراً (١) . ولم تسل المرجة بأن انصراف خنفاء بني أمية عن تطبيق الشريعة كاف لحرماتهم من حقوقهم كأولياء الأمر في الإسلام . وقالت المرجة أيضاً إن عثمان وعلياً ومعاوية كانوا عبيد الله وإن الله وحده يحاسبهم . لذلك اكتسب النبي هذه التفرقة مزبلة الفاسد في الأمور . وأمر من مثلي المعتدلين منهم الأمة الكبير أو خيفة (اشوفي ٧٦٧) الذي وضع الأساس لأول مدارس الشرع الاربعة في الإسلام .

الشيعة

قد أخذت حركة الشيعة شكها السبائي في العصر الأموي . وهي إحدى الفرقتين الرئيسيتين اللتين نشق اليهم المؤمنون في صدر الإسلام محتفين على مسألة الخلافة . وقد أصبحت الأمة معدومة ولا تزال مومنون بالراجح بين السنة والشيعة . ولا يفرق كثيراً الاعتقاد الرايع بنفوس الشيعة بصدق الإمامة وإمام من حق علي وإبنائه عن توليه الكعبة الكاثوليكية في عقائدها المقدسة بطرس وحنانيا . وهي العقيدة البهائية التي شيز بها الشيعة عن غيرها من الملل الإسلامية . إن مؤسس الإسلام جعل الوسطة بين الله والإنسان الإلهي أو قل الممرات أما الشيعة فقد جعلت ملك الوسطة شعباً هو الإمام (٢) فكان الشيعة اصفت إلى الإيمان بالله والأيمان بنزول القرآن المحفوظ في السماء السابعة منذ الأزل مادة جديدة هي الإيمان بالامام الذي يختاره الله وينفي عليه شيئاً من روحه هو الوسطة إلى الهداية .

فلامام بموجب نظام الإمامة المناقض لرأي أهل السنة (٣) هو رأس الجماعة الإسلامية الشرعي دون سواء وقد اختصه الله بهذا المنصب السامي . وهو من آل البيت من ذرية فاطمة وعلي وينجم بين الرئاسة الروحية والدينية والزمنية . وهو وارث سر القوة الخارقة التي انتقلت

(١) قال البهادي ، مختصر ص ١٩٢ - ٢٣ : إن جزء ج ٢ ص ٨٩ .

(٢) الإمام لفظة مشتقة من فعل « أم » يقال : أم فلان القوة في الصلاة يوم أمّاً واماماً وإمامة أي تقديمه وكان له إماماً . وقد وردت في القرآن (الفرقة : ١١٨ - النحل : ٧٩ ، الفرقان : ٧٤ ، يس : ١٢) بلا معنى في معنى . والإمام في الأصل من تقدم الناس في الصلاة وكانت هذه الرئاسة التي أولا ومن بعده خلفاء ومن بعدهم . ابن خلدون . التبصرة ص ١٥٩ - ٦٠ .

(٣) راجع هذا الرأي في الأخير ص ٢٩٦ وما يلي .

اليه عن صفه اي انه اختص بالعر الذي يتوارثه الأئمة (١١) . وهكذا فهو أعلى من البشر .
وقد قال علماء الشيعة عصبة (١٢) الأئمة بكل جنح بعض غلاتهم الى الاعتقاد بتجسد
الالهية في الامة اي ان الامة تدل من صفات الذات الالهية النورية هو شبه الله تعالى .
وحسبوا علياً وأولاده الأئمة سلسلة متصلة الخدمت لمحتول الافي المتمثل في الشكل البشري .
ويذهب فريق ما اخذته الشيعة في أول عهدهم من الأفكار الفارسية وما استمدته من
الأكر من معادير يهودية ومصرية . على ان الاعتقاد بالبهدي الذي شافه بعد واضح يقوم
على انتفاء محض يكون مظهره وأخذه عصر حربة وفلاح هو بالارباب عدى للأفكار المتعقبة
بشيء المسيح الذي . لم يعد الله ان سب صاحب الشخصية العاضة الذي أسد في خلافة عليان
وأخرج علياً بغيره . الأئمة حيث صار مؤسس مذهب غلاة الشيعة (١٣) . فقد كان يهودياً من
اهل اليمن . وقد سميت أيضاً دون شك فكرة « المعرفة » صوفية في الشاهد كبرية الامامة .
ولم يكن بين الدال العلم الاسلامي وبين خمسة كاهن في نمو الفلك العاروبة ، ولا تزال ايران
الى هذا اليوم تسكنها الباقين نحو ١٣ أو ١٤ مليوناً معظم الشيعة (١٤) الاكبر . وقد
ظهر داخل الشيعة فرق وزعت عديدة واخذ الكثيرون من الدفين او غير الراغبين عن عقائد
السنة لأسباب اقتصادية او اجتماعية او سيمية يتفنون حول آل البيت كما انصر اليهم جماعات
من كواحد القرن الأول يفتنون في توسيع الاحتجاج على زعامة العرب التي اقرها الفتح
الديني إذ وحدوا في الشيعة العرب المعارض لأن كبر سلطة العرب القائمة . وما الاجتماعي

١١) التهرستاني من ١٠٨ - ١٠٩ : سمودي ج ١ ص ٧٠ .

١٢) العصبة هي : حزب من اهل البيت ويسمونها « درجته » مدفونة في الآبياء فاطمة ص ١١١ .

١٣) حزم ج ٢ ص ٢ - ٢٢٠ : ٤٥ - ٤٦ : Goldziner in *Der Islam*, vol. II (1912), pp. 238 - 45 .

الايحي من ١٢٨ وما يلي .

١٤) الايحي من ٣٥٣ .

٥) الشيعة اليوم نحو ٤٠ مليوناً أي سبعة وثمة من مجموع المسلمين منهم نحو ١٤ مليوناً في ايران ونحو مليونين
في الهند ومليون ونصف في العراق ومليون ونصف في اليمن حيث يعرفون باسم الزيدية . وفي لبنان
وسورية ثمة وثلاثون ألفاً يعرفون بالشاوية . ومن متطرفة الشيعة الاسماعييون واليزيدون والشميرية
واليزيدية والعلوية وهؤلاء يبلغ مجموع بناء هذه الطوائف نحو ثلاثين مليوناً أي ما يقارب العشرة
بالثة من مجموع علماء الاسلامي .

الفراسة والدور والمصيرية وغيرها، من غير ما سطره في هذا الاقتصار من دوحه الشيمة.

الخطبة

ازدهرت الخطبة في ايام الامويين وازدهرت في مرحلة ما بعد قبالاً واندركت شيئاً ما بعده. فقد كان يلجأ اليها الخطيب لخدمة رسالته الدينية ايم الجمع وعليه يقول القائل في السيرة الحاشية بين الجند وبها يستعين امرء الامصار في بحث الروح الوصلية في الرعية بحيث غدت في ذلك العصر الذي لم تتوفر فيه سبل الدعاية وسيلة فعالة لبحث الافكار وانتارة المواقف، فاستلهم الادبية والافعال اللطيفة المسجوعة التي تركها عنى وموعظ الحسن البصري الزاهد (المتوفى ٧٢٨) التي كتبها او اُتت في حاضرة خفيفة عمر بن عبد العزيز قدوس مؤرخو سيرة (١١) والخطب الحربية والوطنية التي خطبها زيد بن ابي والخطب الدورية التي اُتت في الحجاج - يقول ان كل من خطب بعد من نفس آثار الادبية التي وصلت اليه من ذلك العصر القديم (١٢).

الرسائل

كانت الرسائل السياسية في عهد العباسيين منسوبة لمؤرخة استهدف العرض مباشرة بحيث ينفذ انت بعد الباحت مكتوبة برؤية تزد عن ربيعة مطوية (١٣) ويذهب ابن خلكان (١٤) الى ان عبد الحميد الكاتب (المتوفى ٧٥٠) كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية كان اول من بدأ في اكتابة رسائل واستعمل التعديلات في فصول المكنب. وهي ظواهر ان عن مؤثرات قريية. وقد أصبح هذا لأسلوب المصطنع مثلاً احتذاء الكتاب على مدى الاجيال التالية. وفي العربية قول معروف هو «ان صناعة الاشياء بدأت بعبد الحميد

(١) ان الطوزي . سيرة من ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) راجع ان قنية ، عبود الاخراج ٥ من ٣٩٠ - ٤٢٢ . ج ١ (١٩٢٦) (٣) راجع ان قنية ، عبود الاخراج ٥ من ٣٩٠ - ٤٢٢ . ج ١ (١٩٢٦) (٤) راجع ان قنية ، عبود الاخراج ٥ من ٣٩٠ - ٤٢٢ . ج ١ (١٩٢٦) (٥) راجع ان قنية ، عبود الاخراج ٥ من ٣٩٠ - ٤٢٢ . ج ١ (١٩٢٦)

(٦) راجع ان قنية ، عبود الاخراج ٥ من ٣٩٠ - ٤٢٢ . ج ١ (١٩٢٦)

(٧) راجع ان قنية ، عبود الاخراج ٥ من ٣٩٠ - ٤٢٢ . ج ١ (١٩٢٦)

واشتهر بابن العميد. «^(١) ومن المستطاع الكشف عن الآثار القامسي الأدبي في كثير من الحكم والأمثال المعروفة إلى علي وإلى عمته الأحنف^(٢) ابن قيس (توفي بعد ٦٨٧) وإلى أكثر ابن صفيي المشهور في الجاهلية الذي كان من القبة لقب «حبيب العرب»^(٣).

الشعر

إن أعظم درجت الرقي التي بلغت حركة الشعرية في عهد الأمويين قد كانت بلا ريب في ميدان صناعة الشعر. وقد يكن عصر زوال الإسلام ملائماً لهم يظهر الشاطريمة القريش فقد مرت حقبة الفسوح والنوس دون أن يقع فيها شعر واحد في العرب وهو أمة الشعراء. وإن كان ما كاد يتولى الأمويين حكمهم من زوال الدنيا حتى استعادت آلهة الظلم والفساد والشعر منازعت الصابغة وفهر لا يزال مرة الشعر العربي في العربية فلهذا كاد أن لا يبق شعر الجاهلية وإن يكن قد حرق بعضهم على استهلال قصائدهم. حيث من السبب فليس منهم من اختص شعر العرب. ومن هذا السبب الذي كانت تسبق به القصائد الأولى القديمة ظهر الشعر العربي تحت أيديهم ليس بحسنه منزه.

لما اندمست الشعرية في الجهد فزعهم عمر ابن أبي ربيعة^(٤) القريشي «أوفيد العرب» (توفي حوالي ٧١٩) فقد كان من عائلة موسرة^(٥) وساعده غده على أن يسلك سبل التهور مع النساء فكان يتعرض من لاسم في أوقات الخيل ويتعزل بهن. وكان يحب الجن ويقصده ويتودد إلى النساء الشريكات كما شئت فقل فوضعت بنت عبد الملك والقرينة بنت علي ابن عبد الله وسكينة بنت الحسين^(٦) وغيرهن ويذكرهن في شعره فهو من هذه الناحية شاعر

(١) ورير ركن الدولة حرس.

(٢) الجاحظ، بيان ج ١ ص ٥٨. حرس ابن قتيبة، تاريخ ج ١ ص ١١٦. طبري ج ٢ ص ٤٣٨-٤٣٩.

(٣) ابن قتيبة، تاريخ ج ١ ص ١١٤. القامسي ج ١ ص ١٢. حرس الجاحظ، بيان ج ٢ ص ٦٣.

(٤) انظر ديوانه في شرح شعرائهم (بيروت ١٩٠١ - ١٩٠٢).

(٥) القامسي ج ١ ص ٣٢. انظر قريش عصره وحياته كتاب عمر ابن أبي ربيعة الجاهلي ج ١ ص ١٩٣٨ - ١٩٣٩.

(٦) ابن قتيبة، تاريخ ج ١ ص ٣٤٩. الأعمش ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩.

الحُب والجمال بل هو حامل لواء الشعر العربي في الأدب العربي . وشعره الذي خلد فيه مشاعره نحو الجنس المظيف رقيق وطلاوة زموق في القلب ومحنة النفس لا تحدها في شعر امرئ القيس الماذج العاطفة او اشعار العصور الندية ثمرة (١) .

وإذا كان عمر يمثل الحُب الاباحي في الشعر فعمسره جميل ابن ممر (الشوفي ٧٠٦) يمثل الحُب المذري الهري . وقد كان جميل من بني غنم وهي قبيلة نصرانية من أصل بني مكنت وادي الحجر . وإن اشعر جميل التي فط في حبسته تبنة وهي من قبيلة ^٢ التميمي عن روح رقيقة لا مثيل لها في ذلك العصر . ونظر إلى مدي هذه الاشعر من رقة وسلامة وحمل وبعد عن التكلف فيها أصبحت منذ ذلك العهد مادة نقد وضعت لها سموات يندفعها القنون . وما يقال في جميل من هذه الناحية يعمدق على عتقون إلى ^٣ فإنه من مثلي "شعر العناني" الخط . وهو شبه شخصية من شخصيات الأساطير قبل أن اسمه الأصلي هو قيس ابن المذوح (١) وزعموا أنه شعف حباً صاحبه بلغ به حد الجنون وكانت فنته من قبيلته واسمها إلى وكانت يبدله الحُب والسكف أكرهت على الزواج من آخر ضاء لأبيه . وما استطاع قيس أن يحتمل هذه الصدمة العنيفة فنفقه إلى أس واقنوط إلى الغيبة في الترابي على وجه عاري البدن ثم في هضاب أحد وطله شغل محبوبته إلى ويتعرق شوقاً إلى فارقته وما يكن يود إليه رشفه إلا إذا ذكر اسمها ^٤ . وقد أصبح عتقون إلى على بابت كثيرة في العربية والعربية والتركية يدور محورها على بغير الحُب الخلد . ومن تمت شنت في أن كثيراً من القصائد المسموعة إلى جميل وانجذون ليست من نظمهم وإنما هي في الأصل من الأغاني الشعبية والأشيد الخومية السائرة . وقد ظهر أيضاً في العصر الأموي نوع من الشعر السياسي ظهرت نواتره يوم رشيع معاوية أنه يزيد في لابة العهد ^٥ ، فظمه مسكين الدراني شعراً في مدح يزيد وإرثه أشده اسم

(١) W. G. Paterson, *Essays on Eastern Questions* (London, 1872), p. 270.

(٢) راجع إلى قبيلة شعر و شعر من ٣٦٠-٣٦٩ في الفهارج ٢ ص ٢٧-٢٨ .

(٣) الأعاني ج ٩ ص ٩٦٩ و ٩٧٠ اوبس إلى خلكان ج ١ ص ١٤٨ .

(٤) السكفي ، موات الموات (الولاء) - ١١٢٩٣ ج ٣ ص ١٢٢ . بعض الفرج ووجه نحو ١٠٠-١٠٠٠ ٦٩٩ .

(٥) بن قتيبة ، الشعر و شعر من ٣٥٨-٣٦٢ .

(٦) الأعاني ج ٩ ص ٩٨-٩٩ و ١٠٠-١٠١ بن قتيبة ، الشعر و شعر من ٣٤٨ .

الخليفة ، وكذلك جرت في هذا العصر اول محاولة لجمع الشعر الجاهلي القديم وقد قام بها حماد الراوية (تحو ٧١٣ - ٧٢) ^{١١} . وكان حماد قد ولد في الكوفة وكان أبوه من أسرى الدلي (٢٦) فكان في لسانه عجمة إلا أنه اشتهر في التاريخ العربي بذاكرة خارقة . قيل أن الوليد بن يزيد سأل عن مقدار ما يحفظ قال كثير وكفي اشك على كل حرف من حروف المعجم منه قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام ونذهب الرواية الى أن الوليد امتحنه حتى خسر ثم وكل به من استحقه أن يصدق عنه ويستوفي عليه فأشده الفين وتسعمئة قصيدة لاجدهيين وأخير الوليد بذلك فأمر له بقتل ألف درهم ^{١٢} . غير أن اعظم مآثر حماد هي دواوين شئت بحجمها لمقتدات المذهبات المعروفة أيضاً بالمعاني .

وكانت أعمدة الشعر في الامصار أيام الامويين الفرزدق ^{١٣} (حوالي ٦٤٠ - ٧٣٢) وجرير (توفي حوالي ٧٢٩) وكانت الاخطل ^{١٤} (حوالي ٦٤٠ - حوالي ٧١٠) شاعر المصنعة وقد ولد هؤلاء الشعراء الثلاثة وشعروا في العراق وقد عرفوا بالهجاء كما عرفوا بالمدح . وكان هذا الثاوث في الناحية من صفوف الشعراء حيث لم يند فائدة العرب من بعدهم من يأتى ^{١٥} . فكان الاخطل مسيحي بن عمر ابيات الاموي في مصنفته الخبز الذي ^{١٦} . وكان الفرزدق الملقب بشاعر الخليفة عبد الملك وشاعر لولاد من بعده الوليد وسليمان ^{١٧} وجرير . وكانت جرير وهو اعظمهم ، عرفه ذلك العصر بشعر الخبيث ^{١٨} . وقد هؤلاء الشعراء لم يبق لهم اصولة اعرابية اليوم وكما لاحظتموه في معاشهم على مدائنهم لا على مواطنهم . ونفذ الفرزدق ^{١٩} وجرير من الظن والتشهير في قصائد طافحة بالكلام

- ١ - فهرست من ١٠٩٠ ن - حكايا ج ١ من ٢٩٥ .
- ٢ - ابن قتيبة الخلف من ٢٩٥ .
- ٣ - ن - حكايا ج ١ من ٢٩٢ (عاني ج ٥ من ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥ - ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ - ١٣٩٣ - ١٣٩٤ - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - ١٣٩٧ - ١٣٩٨ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ - ١٤٠١ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣ - ١٤٠٤ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ - ١٤٠٧ - ١٤٠٨ - ١٤٠٩ - ١٤١٠ - ١٤١١ - ١٤١٢ - ١٤١٣ - ١٤١٤ - ١٤١٥ - ١٤١٦ - ١٤١٧ - ١٤١٨ - ١٤١٩ - ١٤٢٠ - ١٤٢١ - ١٤٢٢ - ١٤٢٣ - ١٤٢٤ - ١٤٢٥ - ١٤٢٦ - ١٤٢٧ - ١٤٢٨ - ١٤٢٩ - ١٤٣٠ - ١٤٣١ - ١٤٣٢ - ١٤٣٣ - ١٤٣٤ - ١٤٣٥ - ١٤٣٦ - ١٤٣٧ - ١٤٣٨ - ١٤٣٩ - ١٤٤٠ - ١٤٤١ - ١٤٤٢ - ١٤٤٣ - ١٤٤٤ - ١٤٤٥ - ١٤٤٦ - ١٤٤٧ - ١٤٤٨ - ١٤٤٩ - ١٤٥٠ - ١٤٥١ - ١٤٥٢ - ١٤٥٣ - ١٤٥٤ - ١٤٥٥ - ١٤٥٦ - ١٤٥٧ - ١٤٥٨ - ١٤٥٩ - ١٤٦٠ - ١٤٦١ - ١٤٦٢ - ١٤٦٣ - ١٤٦٤ - ١٤٦٥ - ١٤٦٦ - ١٤٦٧ - ١٤٦٨ - ١٤٦٩ - ١٤٧٠ - ١٤٧١ - ١٤٧٢ - ١٤٧٣ - ١٤٧٤ - ١٤٧٥ - ١٤٧٦ - ١٤٧٧ - ١٤٧٨ - ١٤٧٩ - ١٤٨٠ - ١٤٨١ - ١٤٨٢ - ١٤٨٣ - ١٤٨٤ - ١٤٨٥ - ١٤٨٦ - ١٤٨٧

القدري البديهي ، أما الأخطال فكان يظهر المرزوق على جرير في اغلب الاحيان وكانت
متسككة بدينه فيم يزعمون غير أن بعض القصص التي استشهد بها الرواة على هذا الأمر قد
تفيد غير ذلك . فلو كان له امرأة حامل وصدف ان مرت بها وهما في بعض الشوارع اسقف
راكب حمارة فقال الأخطال لامرأته الخفيه قمسي به ففدت فلا تحقق الا ذهب حماره
فتسحت به ورجعت فقال لها « هو وذهب حماره سواء » (١).

التربية والتعليم

ما يكن للتربية نظام عام في ذلك العهد . وكانت بادية الشام عند الامراء الامويين نشأة
مدرسة يتخرج فيها ابناؤهم الأحداث فيحذون العربية عن الأعراب وينعقدون على قرض
الشعر . وقد توسل معاوية بن عبد الله في حداثته الى البادية ليشت فيها . وكانت عامة الناس
تعجب الرجل شعاعاً اذا عرف لغته كسنة وقراءة ومرع في الرماية والسباحة . فمن بلغ هذه عدة
كاملاً (٢) واشتراه البراعة في الساحة في ارجل الكمال انعكس مؤثرات الحياة الجديدة على
ساحل البحر المتوسط وبالأخص المؤثرات الاغريقية . اما مثل العليا للتربية الاخلاقية كما
يتبين لنا من كتب الأدب التي تعرضت لهذه الناحية فهي الشاعرة والسير ومراعاة الجوار
والفرودة والكثرة وحسن الضيافة (٣) ومساعدة النساء والوفاء بالعمود . ومعظم هذه الفضائل
هي الصفات نفسها التي يمدح بها الندو وقدوسها كنبوا .

ومد أيام عبد الملك أصبحت وظيفة المؤدب أو الغز ، وكان في الغالب من موالى أو
التصاري ، من الوظائف الهامة في البلاط . وكان عبد الملك يقول مؤدب ولده : « شمه العوم
وخذهم بقية النوم » (٤) ، أما عمر ابن عبد العزيز فقد كان أشد الناس على ولده في التامع
ورشا أدب عليه (٥) . وقد كتب الى مؤدب ولده يقول : « اما بعد فاني اخترتك على علم
مني لك أدب ولدي فعمرفتم اليك عن غيرك من موالى وذوي الخاصة بي فعدتهم بأجده فمرو

(١) الأغانى ج ٢ ص ١٨٣ .

(٢) ابن سعد ج ٢ ص ٩٩ . قابل ج ٥ ص ٩٣٠٩ الأغانى ج ٢ ص ١٦٥ .

(٣) راجع نونى في التشرى ج ١٩٢٨ ص ٩٠٢٢ .

(٤) الجرد ص ٧٧ .

(٥) باقرت ، معجم الأبناء ، نشر مرعوبوت ج ١ (لندن ١٩٠٧) ص ٢٥ - ٢٦ .

امن لافدامهم واتركه الصعبة فان عذوبتكسب الغفلة وقلل الفحصك فان كثرت تبيت القلب
وليكن اول ما يعتقدهون من ادبك بغض الملاحى التي بدوها من الشيطان وعاقبتها سخط
الرحمان . فانه يغني من التفت من اهل العلم ان حضور المعارف واستماع الاغاني والموسيقى بها
ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب الماء ويفتح كل غلام منهم بخواء من القرآت
بتثبت في قراءته فذا فرغ تناول قوسه وبه وخرج الى القرص حذو فرمى سبعة ارشاق ثم
انصرف الى القاشة (١١) .

اما العامة فهم كانوا انما تنفوا العلم قصدوا الساجد حيث نفع الحقائق والحقوف
للمدرسة التي كان محورها القرآت والتحديث . واقدم الفاضل في الاسلام هم القراء . منذ
سنة ١٧/٩٣٨ بعد الخليفة عمر ابن الخطاب نزل من القرآت الى لغة الماء الاسلامي وامرهم
ان يعموا الناس في السجدة ايه الجمع ويدفعوه في الدين . وارسل عمر الثاني فحضر الى مصر
هو يزيد ابن ابي حبيب (المتوفى ٧٥٩) يقول انه اول من اشتهر كونه (١٢) . اما في الكوفة
فمرى انت رجلاً يدعى الفصحى ابن مزاحم (المتوفى ٧٢٣) يفتح كتاباً بمهم ولا
يتفحص أبداً على تسميته (١٣) . وفي القرن الذي للمهجرة نزل بدوي البصرة وافتتح فيها مدرسة
فكان يأخذ الاجور المدرسية (١٤) من التلامذة الذين يدرسون عنده .

العلم

من اقوال العرب : وهو حديث مرفوع : « العلم عتق عن الآبدان وعلم الآبدان » .
وكان علم الآبدان (وهو الطب) في الجزيرة اندانيا سيطراً للقبيلة . وقد اختلطت فيه العائلات
الصحيحة بالمشعوذة والصلام التي اعتمد عليها الناس في مقومة « صحة العين » . وكانت
من الوصفات التي اشاروا بها نسخة بعض الادواء استعمال العدل او الانجاء الى المحمة او

(١) ابن ابي عمير : سيرة من ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) البوطي : حسن الخيامرة ج ١ ص ١٣١ : قال الكندي : ولادة من ٨٩ .

(٣) ذكره الخليفة مؤيداً لاسماء عبد الملك : البيان ج ١ ص ١٢٢ .

(٤) ابن سعد ج ٦ ص ٢٩٠ .

(٥) ياقوت : الادب ج ٢ ص ٢٣٩ .

الفرد وغير ذلك مما تضمنته التقاليد المعروفة بطب النبي التي توارثها الخلف عن السلف .
وقد ذكر النفادى ابن خلدون في مقدمته (١) الشهرة هذا النوع من الطب في بني من
الاستخفاف وقال ان النبي انه بعث نبياً للناس الشرائع لاء الطب .

اما الطب العربي العربي فمستمد من معلمي اقدمها يوناني وهو الأهم والثاني فارسي
وقد اثار الطب الفارسي نفسه بالتقاليد الطبية الاغريقية . وكان على رأس الأطباء العرب في
القرن الاسلامي الاول الخوارزمي (المتوفى حوالي ٦٣٤) وهو تلميذ من الطائفة جانب
البلاد وعمل الطب في بعض وادي فارس (٢) فكان اول من اخرج تخرجاً عالياً من ابناء
الجزيرة وسمي « طبيب العرب » (٣) . وقد خلفه في صناعة الطب كالجور النفادى انه
امير ان حنة (٤) اوسون .

وفي الوقت الذي فتح العرب فيه آسية العربية كان الطب الاغريقي قد فقد حيويته
وفوقه في كاست له من قبل واهى من الا تقاليد راسه في ايدي شارحي الاسفار القديمة
من الكتوبون اليونانية او السريانية وسواهم من محترفي الطب . وكان اخص الامم الاموي من
هذا مفر وقد نذر منهم ابن النعمان طبيب معوية (٥) . وبنو قوق طبيب الخراج (٦)
الذي يدعى اسمه على انه اعريقي . وقد تكرر ايضاً بعض القوال بنو قوق ولكن لم يصل
الي شيء من الكتب المأثورة او الاربعة المسوبة اليه . وقد اشتهر طبيب يهودي بمصري
الاسم فارسي الجنس يدعى مسرحوبه وكان يعرف السريانية فتوفي في ايام مروان بن
حكيم ترجمة كاش . سرياني كان قد وضعه في الأصل باللغة اليونانية قس من اهل الاسكندرية
سنة هرون (٧) نقله من السريانية الى العربية . وهذا اول كتاب عربي علمي باللغة الاسلام .

١٩ من ٤١٢ .

٢٠ في ابي حنيفة . بنون لاء في ثلاث الاقسام . نشر من (الطبعة ١٨٨٢) ج ١ ص ١٠٩ .

٢١ في الجري من ١٠٩ .

٢٢ في السري من ١٠٩ - ١١٧ : فطحي . تاريخ الحكماء ص ١٦١ .

٢٣ في ابي حنيفة ج ١ ص ١٠٩ : سوي . الطبيب الاقسام ص ١٠٩ .

٢٤ في ابي حنيفة ج ١ ص ١٠٩ .

٢٥ في حنيفة ص ١٠٩ .

٢٦ في الجري من ١٠٩ .

وقد قدم نمر من الطلبة بعض الشارح الصحية منها ان أوليد عزل الخدمين عن سواهم من الناس وذاكر امر الغاية بهم^(١) . ولما نزلت الخلافة الى عمر ابن عبد العزيز امر بنقل تدريس طب من الاسكندرية . حيث كانت قديما طب اليوناني لا تزال زاهرة ، الى القبطية وحران^(٢) .

علم السكيباء القديم

وكانت السكيباء كاعطب ابن بنت العامة القديمة التي أخذ بها العرب في اول عهدهم ومارسوها حيث استطاعوا ان يحفظوا عامة خصائص من الخدمات فيها . ويذكر صاحب الفهرست^(٣) - وهو من اوثق المصادر التي بين يدي - ان خلد ابن يزيد (المتوفى ٧٠٤ او ٨) انسى حكمه انه عربى كان اول من امر في الاسلام بنقل كتب السكيباء واعطب وانتج الى امريئة من اليونانية واقطية . وفي غيره هذا العمل الى خلد - وان كان لا يوثق به^(٤) - ما يشير الى الخليفة الراشدة وهي ان العرب استفادوا معوناتهم المعية من المصادر الاغريقية القديمة . وكانت هم من لاخر في انفسهم ايضا الخاف الاول لى دهم الى التفكير العمي . وتقرن الاخبار الى امر هذا الامير الاموي امر حارث ابن حبان المشهور بالاسكندر زاهد في عصر متاخر عن هذا (نحو ٧٧٦) وسنذكره عند البحث في امر العيسيين . كذلك فن الرسائل الموضوعية في علم التنجيم وعلم السكيباء المعروفة الى عصر الصادق (٧٠٠ - ٧٦٥)^(٥) - وهو من ذرية علي وأحد أئمة الشيعة الاثني عشر - قد اسكره البحث العمي الحديث^(٦) . ومن المؤسف ان

(١) المصدر ج ٤ ص ١٩٩ . طريحي ج ٢ ص ١٦٩٦ .

(٢) ابن جرير ج ٦ ص ١١٦ .

(٣) ص ١٠٤٠ ، ١٠٤١ .

Julius Busk, *Arabische Alchemisten*, I. Teil, *Die Arabische Alchemie* (1921), pp. 8 seq.

(٤) فهرست ص ٣٩٧ ان هناك ج ١ ص ١٩٥ : يحيى حنة : كشف حيل من أسامي الكتب و هو من شعر موفى ج ٢ (الجزء ١٨٧٢) ص ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ج ٣ (الجزء ١٨٤٢) ص ١٢٩٠ ، ١٢٩١ .

J. Busk, *Arabische Alchemisten*, II. Teil, *Arbeits, der Nichte Araber* (1921), pp. 10-19.

الحركة الثقافية في العهد الأموي لم تخلف لنا آثاراً تعتمد عليها فهم الحياة الفكرية في ذلك العصر وقدرها حق قدرها .

فن البناء والزراعة المعمارية

وإذا كان للعرب تراث في فن البناء وفن حرفة العمارة فذلك لم يعرف لهم إلا في اليمن وما نبلغ بعد مساعي المنقبين والباحثين درجة كافية لأعطائنا من المعلومات ما نستطيع أن نبني عليه حكماً عادلاً . ونحن نعلم أن فن البناء في حنوبي الجزيرة لم يزل أثناء السيل الذين كانت مآكنهم في الغالب بيوت شعر وهياكلهم الخواء الخلق ومدافنهم بمسائل الدابة . أما ما كانوا اتواحت وهي ديرة لم يكن لها إلا ما يهدم اليوم من مظاهر الهندسة الأولية التي تمثلها بيوت من اللبن وسفوح مصنوعة من سقف الخيل سكود . طبقة من العجين وهي خالية من العروق والزخرفة ولا تلائم الأمطار لأن السيف . ولا يمكن مزارع الجبال القومي أي السكمة قبل الإسلام إلا بناءً من الخواص لا سقف له . والبناء الذي كانت قائماً في أمم النبي كان مالا كثر صنع نادر بصري قهلي وكانت حثته من بقايا سفينة بيزنطية طفت عليها الأمواج فحطمتها ثم لغشت بقاياها عند حدة على ساحل الجزيرة . أما الآثار التي في مبدآن صايح (الخاجر قديت) المنحوتة في الصخر والغرف البديهة المحفورة في الصخر الكثير الألوان في البترا وأراج تدمر وقصورها وهياكلهم . والسكنات القديمة كانت التي بناها النذر من الحارت الندي في الرقعة على قبر المقدس مريح جوس الشهير فجميعهم ثم من مهارة فنية عالية إلا أنها مستندرة من الحضارة الفينيقية في مصر وسورية وبسات عربية الأصل . واهندسة العمارة بصفتها قدم القنون والشهب على مرور الزمن كانت في شكلها الذي دائماً أهم ممثل فن البناء . والتعبير هو أول بناء تحول نفس المندمين أن توجد فيه مسحة من الجلال فوق ما تستدعيه الحاجات الدورية في السكن العادي . وهذا نستطيع أن نقرر أن الفن المعماري الإسلامي تجل أحسن ما يكون في العمارة المدنية . وقد أثبت الهندسون المسلمون أو الرجال الذين استخدم السقوف طريقة البناء فيها ساحة وجمال احتضوا فيها المادج القديمة وسكنه كانت تعبر بطريقة قلقة عن روح الذين الجدد . ومن هنا فأن نجد في

تطور بناء المسجد سجلاً تاريخياً لتطور الحضارة الإسلامية في حالاتها المختلفة وعلاقاتها مع مختلف الأجناس والأمم . ومنه ليس هناك مثل أوضح من المسجد لبيان التبادل الثقافي بين المسلمين وجيرانهم .

مسجد المدينة

إن مسجد النبي البسيط في المدينة هو الذي أصبح نموذجاً لمسجد القرون الإسلامية الأولى وليس مسجد مكة . وقد كان عبارة عن هوالة سقف قامت حوله جدران من اللبن^(١) . ثم من النبي سقوف البيوت الخويرة التي لأشعة الشمس الحارقة فغطى بذلك البهو المكشوف . وقد كانت عمدة من مزارع البخل تعيث الرثاكة لسقف عتيق وقد عمل السقف من الجريد وغطى بالطين^(٢) . وكان النبي يعطي في جمع من حديق في المسجد فتمت فقال له نعيم الداري : ألا نعمل مثلاً ميراً^(٣) . فكانت تصب في شئنا وليس في البناء فبقعتها ثم عمل منها ثلاث درجات^(٤) . أعني نحو ما عرف في كنائس مصرى في اليوم . وقد سبى هل بنى النبي في مسجده محراباً من سبعة أعمدة لا . وكانت المساحة مربعة وقفاً في صفوف موازية لجدار المسجد وقد دلت وجوهه على ذلك . وكان في أول الأمر يذهبون في صلاة يوم السبت المقدس ثم أعرف النبي عمر وجعل لأنه في مكة^(٥) . وكان سلال الحشيش الموزن يعني سطح المسجد ويدعو المؤمنين بحوله بعد الصلاة^(٦) . وهذا فقد كانت في ذلك المسجد كل الأمور الأولية فربما بقي بنظيرهم مسجد الجدي وقد ظهرت شكل بدائي بسيط وهي بهو وسقف بنى الخشب ومبني .

١ - ابن سعد ٢/ ٣٣٦ - ٣٣٧ .

٢ - الداري ١/ ١٠٦ - ١٠٧ .

٣ - سيرة خاتمة كثر في غير مكان في الأصل مقيداً على وجهه .

٤ - C. H. Becker in *Orientalische Studien*, Theodor Nöldeke ed. C. Bezold (Giessen, 1886), vol. 1, pp. 211 seq.

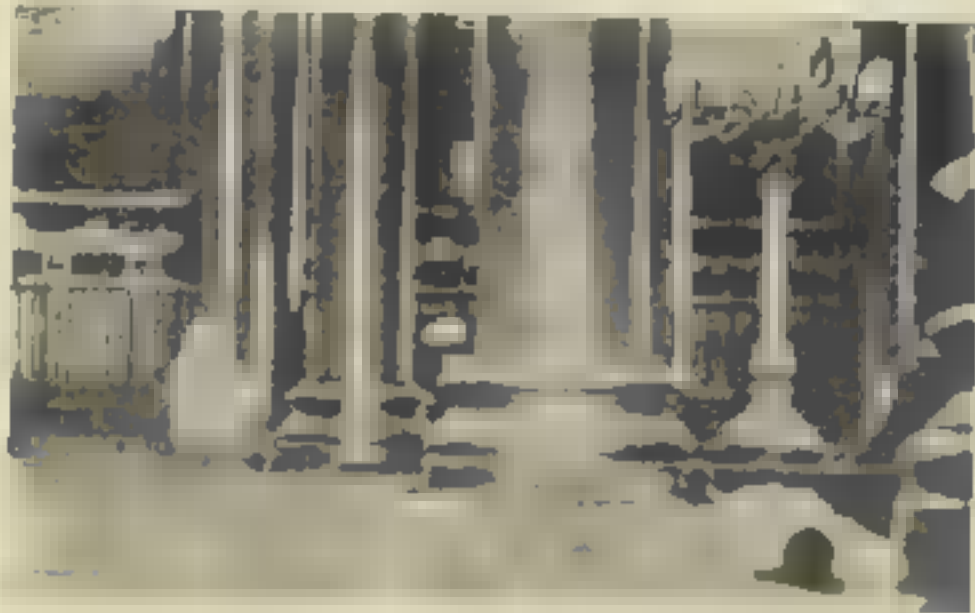
٥ - ابن سعد ١/ ١٠٦ - ١٠٧ .

٦ - ابن سعد ١/ ١٠٦ - ١٠٧ .

٧ - في نسخة الأولى أو ثمانية أعمدة في القبة ثم أضاف كدمية رجبية في الصلاة بعد أن ذكر

في امر . فليس للمبني في كنائس مصرى . ابن سعد ١/ ١٠٦ - ١٠٧ .

واندفع العرب بعدئذ فاتحين في أنحاء آسية الغربية وأفريقية الشمالية فاستولوا على عدد لا يحصى من البنايات القائمة والمهدمة ثم بنوا فوقها عماراً وفوق ذلك فقد مكنتهم الفتحوات



بقايا من دعة في مصر القديمة

من السيطرة على أطراف وإهارة الفنية التي كان يتوارثها الأمم المتعاقبة منذ أقدم العصور . وما لبثت هذه الطرق الفنية التي طبقت بعد أحداث فتحهم الاسلامي كما ظهر في مسجد المدينة ان تطورت في مختلف البلدان الاسلامية لتأخذ أوضاعاً محلية ومتطابقة فانتجت على مر الزمن ما سمي اليوم بالفن العربي أو الشرقي أو الاسلامي ^(١) . امامادة البناء التي كانوا يؤثرونها سواء أكانت حجرة أو آجر أو طيناً فقد قرّبوا أوسط القدي وحدوا فيه ، ففي سوانة تأثر فن البناء الاسلامي بتأثير من الحضارة السورية البيزنطية المسيحية وأعمونه الرومانية . وفي العراق وفارس تأثر بالطرازين النسطوري البيزنطي والساساني الذين قداما على تقاليد موضعية سابقة . وفي مصر استفاد من الاقباط بعض الاغراض الفنية في الزخارف وبذلك نشأت بالتفصيل عدة مدارس متميزة للفن العربي وهي : ١ المدرسة السورية المصرية وقد قامت على اركان يونانية ورومانية وبلدية ٢ المدرسة العراقية الفارسية وقد أسست على الطراز الساساني ^(٢) . يسمة بعض المستشرقين بالفن المصنعي وينسبوا لفنهم في هذا عصر استهلال هذا الفن لمسلم لان فيه ما يؤمن بانهم يعدون عمداً كما يفهم من قولنا مصنعي لمن يجد المصنع .

والكلدان في القديم والآشوري ٣ أندلسية والأفريقية الشمالية التي نشأت عن المؤثرات النصرانية المحلية ومؤثرات القوط الغربيين وتسمى المدرسة المغربية . في المدرسة الهندية وقد تمثل فيها أثر الطراز الهندوسي . أما في الصين فيكاد السجدات يغاكي تماماً طراز أفينكل البوذي .

المساجد الأولى في الأندلس

وكان أول مسجد عرفته البلاد المفتوحة مسجد البصرة وقد بناه عتبة بن غزوان (٦٣٧ أو ٦٣٨) الذي خطط البصرة نفسها أيضاً لتكون معكراً للمعبد يشتمل فيه . وكان هذا المعلى في أول عهده باحة مفتوحة تحيط بسياج من القصب . ثم شيد ابنه جندب من الخلفين وثلاثين عاماً ابن موسى الأشعري عمل حجر على البصرة وسقفه . مشيداً (١) . وفي سنة ٦٣٨ أو ٦٣٩ خطط القائد الفاتح سعد بن أبي وقاص الكوفة مقر الجيش أيضاً وأبقى المسجد في وسطها وحمل نواب المسجد زار الأمانة . وقد كان مسجد الكوفة مثل مسجد البصرة عبارة عن صحن مربع مكشوف تحيط به حدائق من القصب بيت فيه معد من اللبن والحلج (٢) . وقد أعاد زيد عمل معاوية بناء هذا المسجد وقام فيه أعمدة على طراز الفن الساساني ولكنه أبقى على شكله الذي لم يختلف عن شكل مسجد النبي في المدينة . وما بقي أثر هذا المسجد الآن كإليه ما بقي أثر مسجد البصرة . أما مسجد علي بالاصطوفة الذي شيد نحو ٦٥٦ وزياره ابن جبير (٣) الرحلة الأندلسية الشهيرة سنة ١١٨٤ فصوره عن قبة .

وكان المعسكر الثالث الذي أسماه الفاتحون هو القسطنطين (مصر القديمة) . وفيه أسس عمرو ابن العاص في سنة ٦٤٣ أول معلى للمسلمين في أفريقية . وما بقي من آثاره شيء مما كان . أما شكل بنائه القديم فقد كان كالساجد التي وصفنا مستطيلاً لا محراب فيه تتميز به القبة

(١) البلاذري ص ٣٥٦ - ٣٥٧ . ياقوت . البلدان ج ١ ص ٦٤٣ .

(٢) الطبري ج ١ ص ٢٤٨٩ . ياقوت . البلدان ج ٤ ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٣) ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٤) انظر فيما يتعلق بترميمه حديثاً أو عاتق بنائه مراراً متعددة في العصور الأولى ياقوت . البلدان ج ٢ ص ٨٩٩ - ٩٠٠ .

ولا متددة . وقد جهز عمرو هذا المسجد في بعد بفتح قدومه اليه ملك القوية النصراني ١١١ .
وبني مسجد عمرو أهمية مسجد عقبة ابن نافع في القيروان (٦٧٠ - ٧٥) . وكانت القيروان
في اول عهدها كاعظم مقرأ عسكرياً وقد اختط فيها عقبة المسجد ودار الحكومة وحظها
في وسطها وثلاث دور الدس حولها ١٢٠ . واعيد بناء المسجد مراراً بعد عقبة الى ان كانت
تربية الاخير في زمن زيادة الله الاول الاغربي (٨١٧ - ٣٨) واصبح من اعظم مباحث
العلم الاسلامي .

١٢١ في المدن الآهلة الكبيرة فقد استعمل المسلمون بعض البيوت القديمة ومعنوها مسجد
في المدن حتى سجد من التي دوس في ايرت كسرى ١٢٢ . وفي دمشق اعد الوليد
الاول ١٢٣ . كما بنى في القدس بوجد وحولها الى مسجد . وذكر ان السبعين اشتركوا
مع النصراني في اعادة تعمير فقد قسمت الكوفة وكانت من اعظم كنائس سورية ومول
شطر منها الى مسجد جامع وثلث الشطر الآخر كنيسة ١٢٤ . وكان الخراب في الامام منسكة
او نحوها في حائط المسجد لا يبق في الأعمدة في مائة وهو تم السيف الى المسجد في عهد
ملاحر وقد نقل في شكله عن الكنائس . وبسبب بعضه فصل في السجلات الخراب الى
الوليد وعمه عمر ابن عبد العزيز ١٢٥ . وسكن في حائط آخر وجمع اعطى في ذلك الى معاوية ١٢٦ .
والظاهر ان مسجد القبة كان اول مسجد ضمن محراب فيه ثم اصبح الخراب ظاهرة عامة
في كل المسجد واصبح كالمذبح المسيحي . ومن من القدس يواصل في بناء المسجد . ومن أهل
ذلك يوقع في زخرفته وترويقه بحيث اصبح القدس الذي يقام به بطور الطرازات المتنوعة

- ١ - القريبي (ج ١) ص ٢٤١ .
- ٢ - بيروت - ج ٢ ص ٢٤٣ .
- ٣ - القريبي ج ١ ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ .
- ٤ - القريبي ص ١٢٤ ، بيروت ج ٢ ص ٢٤١ ، ج ٢ ص ٢٤٢ .
- ٥ - الاسطوري ص ٦١ ، ابن حوقل ص ١١١ ، القسبي ص ١٤٦ .
- ٦ - القريبي ج ٢ ص ٢٤٧ ، القسبي ص ٨٠ ، ابن بطوطة ج ١ ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ابن روق ١ .
- ٧ - دار الكتب - طبعة الامصار ، نشر بيروت (ج ١) ص ١١٣ ، ج ٢ ص ١٢٣ ، القسبي ١ .
- ٨ - الحاضرة ج ٢ ص ١٤٩ .
- ٩ - القسبي ص ١٠٩ .

في فن الزخرفة الإسلامية .

وهناك شيء أخذ الناس على معاوية إدخاله إلى المسجد هو المقصورة ^(١١) وهي حجرة في داخل المسجد جعلت مقاماً للخليفة . وقد توارثت الأقوال في أصل السبب الأول الذي ببيت المقصورة من أجله وأهل أهم سبب أن الخليفة أنه قصد منها أن يكون حجاباً يعتني وراءه لا سيما بعد أن حاول الخوارج اغتياله ^(١٢) . وتظهر أن المقصورة كانت للخليفة بمثابة مقام يعتزل فيه أو يعتني بنفسه أو أنها كانت مكاناً للتداول في الأمور ^(١٣) .

وكذلك فإن الأمويين كانوا أول من استحدثت المشددة كما كانوا أول من استحدثت الخراب . وكانت سوربة أول بلد قامت فيه مشددة وقد اتخذها فيه شكل خاص هو شكل برج الحراسة أو برج الكنيسة الذي بناه وكانت مربع الشكل ^(١٤) ويستدل من أقدم المراجع ^(١٥) التي ذكرت شيئاً عن مشددة الجامع الأموي في دمشق أنها كانت برجاً للكنيسة المقدس يوجد . أم في مصر فيقال إن المشددة التي عمل معاوية فجعل في كل ركن من أركان المسجد في القسطنطينية مشددة ^(١٦) وأحد العلماء في بلاد مصر يقول أن مشددة في مشدته بالحجرة ^(١٧) . أم كثرة المآذن في الشام وأخبارها في مآذن مدينة الأموي العظمى . وقد أدخل عمر بن عبد العزيز عمل المآذن في مشددة إلى مسجد المدينة ^(١٨) فزادوا المآذن انتشاراً بعده .

ولئن كانت المشددة السوربة المربعة مبنية بالخمر قدم المآذن الإسلامية والمآذن نفسها

١١ : الطبري ج ٩ ص ٢٦١ ويحيى بن عمار ج ١ ص ١٠١ - الطبري ج ٦ : المآذن (الطبري ج ٩ ص ٢٦٢) .

١٢ : الطبري ج ٩ ص ٢٢٩ : ابن خلدون : مشددة ص ٢٢٤ - ٢٢٥ : الطبري ج ٩ ص ٢٤٦ .

١٣ : الألباني ج ٧ ص ١٩٦ .

١٤ : عيسى ص ١٨٢ .

١٥ : ابن الأثير ج ١ ص ١٠٤ : ابن طومنة ج ١ ص ٢٠٣ .

١٦ : الطبري ج ٢ ص ٩٤٨ .

١٧ : البلاذري ص ٣٤٨ .

١٨ : Wüstenfeld, Stadt , ١٠. 75. : ابن طومنة ج ١ ص ٢٢٢ .

من المآذن لا سيما في شمالي افريقية واسبانية فانها لم تكن في الوقت نفسه النوع الوحيد المعروف . فلقد كانت المآذن الاسلامية تتبع طراز الأبراج القلدي في كل بلد تزلله المسلمون . ففي مصر قلت المآذن مدة طويلة من الزمن تبني من الآجر فقط . ويظن البعض ان منارة الاسكندرية الشهيرة (اندريوس) أنشأها . وفي العراق مئذنة اسلامية ترجع الى القرن التاسع وهي في سامرا على دجلة وتمثل شكل المرتفعات الاشورية التي كانت تسمى « زكورات » وقد كان فيها طبقات سبع تمثل الشمس والقمر والكواكب السيارة الخطة المعروفة يومذاك (١) .

في الصخرة

ليبت المقدس مئذنة ترجع الى ذكره في التوراة واهميتها والى ما اشتهر به باعتباره انه القبلة الاولى في الاسلام (٢) والموضع الذي وقف به النبي قبل معراجه الى السماء ليستة الاسراء . ومن هنا هذا الاحترام أو القدسية التي هي الآن في عيون المسلمين (٣) . ومن المحتمل ان يكون الخليفة عمر ان الخطاب عند زيارته لهذه المدينة في سنة ٦٣٨ م في قبب مسجدنا المحيط جعله من الخشب والآجر على حين توره حيث كان هيكلا من سبيل في القديم . والظاهر انه قام على اثر هيكلا من سبيل هيكلا آخر لاثنية ثم ثمة كنيسة مسراية . وما رأى عند الملك عطفة قبة اقامة (٤) وروعت خشي ان عطفه في عبوات المسلمين فنصب على الصخرة القبة (٦٩١) المعروفة حقا بمسجد عمر . وقد دعى الى بناء عزمه على مريد الحجج عن مسجد مكة (٥) . ومكة اذ ذلك في حوزة مدسه على الخلافة عند الله ابن الزبير . وهذا فاقية قائمة الآن في بقعة مد من اكثر بقاع الأرض قدسية يشترك في احترام اليهود والمسيحيين والنصارى والمسلمون واعتبروا التقاليد التي انشأها النبي زاد رايهم ان يبنوه فيه ابنه اسحاق ذبيحة لله تعالى . اما ما كتب على دائرة القبة بالخط الكوفي ومنه ما قد عثره الخليفة المأمون (٦) في رسته كما

Morris Jastrow, Jr. *The Civilization of Babylon and Assyria* (Philadelphia, 1915) pp. 456-7.

١٢ ابن سعد ج ١ ص ٢ من ٣ اواخر سورة بقرة : ١٢٦ ، ١٢٨ .

١٣ تعالى : ورد في الحديث يكون من بيت المقدس حذر يوم يوحى ج ١ ص ٣٣٥ وما يلي .

١٤ عيسى ص ١٢٩ .

١٥ بقرني ج ٢ ص ٣١٩ .

١٦ انظر ما ذكرناه سابقا من عهد المأمون في مقال خالص عقبر .

أسلفنا فهو من أقدم السككيات الإسلامية الموجودة (١). وقد استعمل عبد الملك في بنائها مواد
أخذها من بقايا البنية العمرانية كانت قوثة وهدمها كسرى الثاني (سنة ٦١٢) كما أن عبد الملك



القبعة

(١) في معجم العربي: «القبعة: حجر من حجر مصر - مملكة عربية كبرى في الجنوب من مصر، سنة ٥٢١ هـ.
٦٤١ هـ - عمر حسن محمد بن علي، الملقب بـ «الملك» ٣٦٠، ١٩٣٠) من ١١٢٩ - ٩١ هـ.

استخدمه أيضاً صندعاً ومطبخين من عظمه كسب من أصل يبرعلي . فها هنا أثبت نوعة جديدة لبنان الأساليب القديمة ويدخل فيه صنع القصب . وسواها من أنواع الزخرفة فضلاً عن صنع قبة يقعد من أن تفوق قبة كنيسة القديسة (١) نوعة وجهاً . وكسب من نتيجة ذلك أثر هندي عظيم فده . فقه أو ضده في الفخمة ولائقة بنا آخر . ولا يقتصر الكرام المسلمين لقبة الصخرة على أن أرفق قديم بل هي عسده زمن حي لمقيدة الدينية . وبالرغم من أن القبة أصلحت وأحرى في بعض التبدل مراراً لا سيما بعد الزلزلة الفاتية التي حدثت سنة ١٠١٩ (٢) لا تزال محفوظة على شكلها الأصلي بعد وهي قديم الآثار الإسلامية الباقية . وتجدر أقد وصف فها في كتيبه أن الخليفة (٣) أبو سنة ٩٠٣ وفيها كتبه بعده القديس (٤) نحو سنة ٩٨٥ .

المسجد الأقصى

أن قبة الصخرة هي الزاوية الحرم وهو المسجد الأقصى . وحق اسم المسجد الأقصى بوجه عام كما ذكره قبل على مجموع لاسية مقدسة ومنها لغة ومدون ونكا . طريق الصوفية والسبل التي أثارها بعده . مد عهد عبد الملك حتى زمن السلطان سليمان الفاتية وهي تملأ ما بين ما حته ٣٥ فد . لأن المسجد الأقصى على ما خص به هو المسجد الذي بناه عبد الملك على بعد يسير من القبة . وقد ستمل في السيرة القاض كعبة مريم التي كسب الأمير منصور يوسف من قد مر سبلها فقيت أن هدم كسرى . وقد هدم المسجد زلزال فاعاد الخليفة العباسي المنصور بناءه في سنة ٧٧١ على أثر زلزال . وحرى الصليبيون بعض التغييرات فيه ثم استرجعه صلاح الدين سنة ١١٨٧ . ولا يختلف عن القبة من حيث ذكره في المصادر فها وصف له هو ما ذكره ابن القتيبة والقديس بعده .

(١) القديس من ١٥٩ وكنت على طريق كسب له صرى . M. S. Briggs, *Moslem Architecture in Egypt and Palestine*, Oxford, 1924, p. 37.

(٢) ابن الأثير ج ٩ ص ٣٠٩ .

(٣) من ٩٠١ - ٩٠١ .

(٤) من ١٢٩ - ١٣١ .



الجامع الأموي

المسجد الأموي

في سنة ٧٠٥ أخذ الوليد بن عبد الملك كنيمة (بسيبكاً) دمشق السكرسة للقدس
 يرحل وهي في الأصل هيكل جوفتري حتى هذه السجدة الجامع المعروف بالجامع الأموي (١).
 (١) من المزارع الكبرى في حلب وحسن وبيروت ما كان في حرم كنيمة.

وليس في استطاع اليوم تقرير ما بقي في جامع الوليد من بناء الكتبة الأصلي إلا أن
المؤلفين الجغريين هم على أصل برحي كتبة قديمين معقنين بالبناء الأصلي (١). أما المنذرة
الشامية التي كانت تستعمل منارة فثبت أن لمزيد منها فصبحت نموذجاً لسواها من الشرف
في الشام وشمال أفريقيا وإسبانية. وهي أقدم ما بقي من المذات الإسلامية الأصلية. وأما
صحن المسجد الثلاثة والتي لا وسط الذي يقوم عليه القبة العظمى وما يشهد من المصنفاء
فمن صنع هذا الخليفة أيضاً وقد استخذه - فيما نقل - العديد من الفرس والهنود والمهندسين الروم
الذين أرسلهم إليه معجب القبطية (٢). وقد كشف حير عن أوراق تراثي لمزيد من
مواد البناء ومهرة العمل استقدمت من مدين مصر (٣). وفي الجدران زخرفة وخزعة بالرخام
والقصباء. وذكر الجغري الفرس (٤) الذي زار هذا الجامع في النصف الأخير من القرن
المستر فيصفه المربع بالذهب وحجارة الكريمة وفيه صور أشجار ومعدن وكائنات على
غاية الحسن والدقة. ثم يذكر من المنابر فتمس معاً هذه الصور ولم يكشف
عنه حتى سنة ١٩٢٨ (٥). ويظهر في الجامع بين بحرات كالألوان زرق وظهر فيه أيضاً
المنطرة التي شكل حجرة مدرس. أما الترويض الموقفة شكل أبريق السكر فقد صارت
الموضحة لميسوه التي شرفت في جامع الغزواني المظهر كالمظهر الثلاثة في القرن التاسع ومع
أن هذا الجامع قد حترق سنة ١٠٩٩ وحرقه بيوم مائة سنة ١٢٠٠ ثم حترق للمرة الأخيرة
سنة ١٨٩٣ فانه ظل شامداً على في بحيرة إسلامية في حيز رابع عجائب المدينة المفضلا
عن كونه رابع بحيرة إسلامية.

- ١ - ابن بطوطة ج ٢ ص ٢٢٢.
- ٢ - الفرس ج ١ ص ١٠٨. ابن بطوطة ج ١ ص ١٠٠. ابن حزم ج ٢ ص ٢٢١. وابن بطوطة ج ٢ ص ١٩٩.
- ٣ - H. L. Leclercq, *Les Mosques*, vol. III, pp. 274, 275.
- ٤ - ابن بطوطة ج ١ ص ١٠٧. ابن بطوطة ج ١ ص ١٠٧.
- ٥ - F. de Lancy and M. van Berchem, *Les mosquées de la mosquée de la*
Guappa Ix a Dina, (Paris, 1909). & A. C. Coomass, *Early Muslim Architecture*,
pt. I (Oxford, 1934), pp. 119 - 20.
- ٦ - ابن بطوطة ج ١ ص ١٠٦. ابن بطوطة ج ١ ص ١٠٨. ابن بطوطة ج ٢ ص ٢٢١.

وفي الحقبة التي انقضت بين بناء مسجد المدينة الأول البسيط وبناء هذين الجامعين الراضين - جامع بيت المقدس وجامع دمشق - تمت التطور في المسجد وأصبح المسجد الجامع هو الجامع الذي نفذ إليه الجماعة الإسلامية، ويجب أن نلاحظ أن المسجد الجامع لم يكن موضع عبادة فحسب بل كان أيضاً نادياً عاماً وقاعة لمشاؤون المسيحية والمسلمة (١١). وقد تمت فيه كل الشروط الضرورية لم يندرج إليه المؤمنون في الله، أعبدة بما يحويه من السكان والمخارب والمدرسين وحراس الله فضلاً عن خدمته المسيحية إذ يشير بخدمته ورواقته وزخرفته إلى العلم طراً أن أئمة الدين الجديد يسوا أقل قدر من الذين يصنون في كاتدرائيات العلم المسيحي العظمى.

القصر - قصر حمراء

والآن سنتطرق إلى أحد وغيره من الأبنية الدينية من الأمويين في دمشق وفي فن البناء سوى آثار قديمة منها "قصور" التي نذكر عن قديم "الحمراء" التي كانت شاهدة في ذلك شأن أمراء غلبت من قديمها. فالقصر الذي كان دمشق مهمه سوى معروية وعند ذلك، أما القصر (١٢).

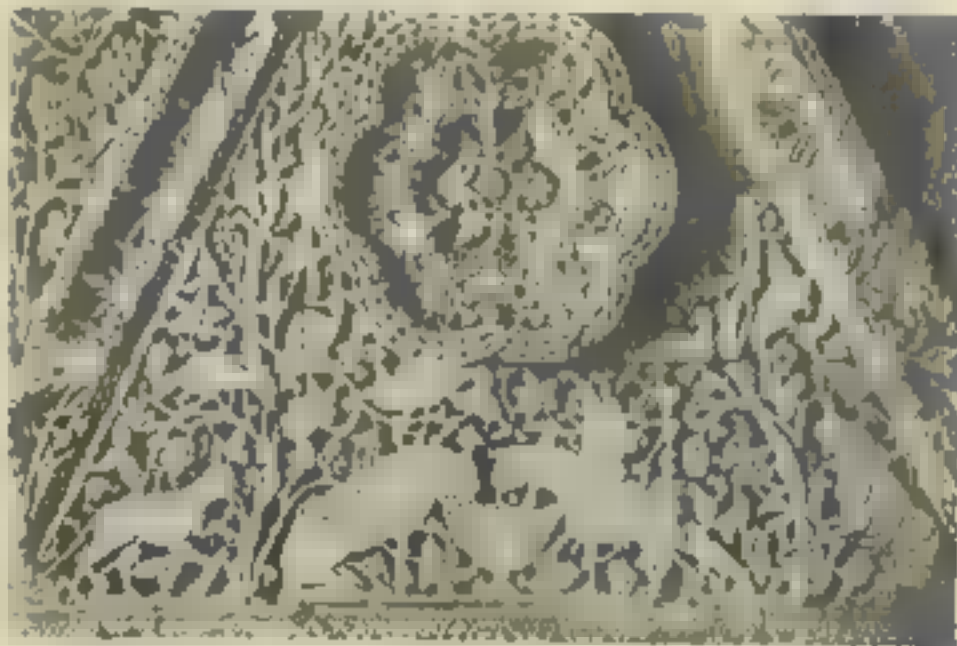


قصر حمراء

١١ - هذا كان في الدين الأحمري في ثورات رئيسية في قيامها الوثنيون ضد السلطات الأوربية في سورية ومصر كانت تبدأ في شكل مظاهرات حاشية منه في حواضر بمساحة ثلاثة أمتار.

١٢ - ابن الأثير ج ٢ ص ٢٢٤.

دار الخليفة المتوكل في جميع الكبر في عاصمته دمشق فلا أثر في اليوم . كذلك تلاشت
أطلال القبة الخضراء التي بنى الخليفة واسطاً داراً له . الآن تقوم بادية الشام حافلة
ببقايا قصور كانت في الأصل حصوناً رومانية على الحدود فعد إليها المسلمون الذين
استخدمهم الأمويون فأعدوا عماراتهم وأبنيتهم من جديد على الطراز البيزنطي أو الفارسي .
وبالقرب من عين التمر آثار قصر يعرف باسم الأخضر وهو في الطرف الشرقي من بادية
الشام . وليس محققاً هل يعود هذه الآثار إلى آخر العصر الأموي أم إلى أول العهد
العباسي . وهناك آثار أخرى عديدة على صفوف بادية الشام الجنوبية العربية . فقد من هناك
يزيد ابن عبد الملك أو ربه قصر يسمى الوفي * لا تزال منه بعض بقايا إلى اليوم . أما ابنه
الوليد الثاني الذي كان متصرفاً في الصيد وغيره من الملوك فقد أقام في قصورين متجاورين



جزء من نقش الموجود على حجر واحدة من

١٩ - الأندلس من ٢٩٠ هـ - ٣٩٠ هـ - ٤٣٦ هـ - بطولي من ٣٢٢ .

٢٠ - Gertrude L. Bell, *Palace and Mosque at Ekhandir* (Oxford, 1914) . p. 167 .

٢١ - يا قوت ج ٤ من ٦٨٧ هـ - البناء الذي فيه قصر عبارة عن أرض جوية من نوعي الأرض
الشرقية وهي تسمى مؤب غنينة .

هو قسطنطين^{١١} والأزرق^{١٢} وكلاهما من حصون الرومان في شرق الأردن . وإلى هذا الخليفة الوليد الثاني يعزى ابتداء قصر آخر في هذه البقعة يعرف باسم الشقي وهو أول قصر في هذه الربوعة وزيده الأتريون ، ولم يكن بشيء قد اكتمل عند وفاة الخليفة . وقد نجت واحدة هذا الصرح الممخمة إلى متحف القصر في دير بيت برين^{١٣} . على أن أشهر هذه المباني على الإطلاق فعمير عميرة في الجانب الشرقي من نهر الأردن وهو على خط مستقيم من ضفة النهر حيث النهاية . والراجح أن عمير يعود إلى ما بين ٧١٢ و ٧١٥ . وقد سمى على الأراجيح الوليد الأول وكشف عنه أسماء العمر فور مولد^{١٤} سنة ١٨٩٨ . وعلم القسطن أن اسم القصر حدث لأن الآداب العربية لم تحفظ ذكره وثم برز في قبته التصوير الحديثة التي ستعرف لها في هذا .

قصر الجبل وضفة نهر

كذلك كشف في الحفلة الأخيرة عن قصرين غامضين عند بيت الواحد - قصر الجبل الغربي - على بعد نحو ٢٠ ميل جنوباً في الشرق الشرقي من القريتين على الطريق بينهما وبين دمر وقد كشف عنه الأثري الفرنسي دانيال شلومبرج^{١٥} . كانت مهمم بقربها في دمشق حيث نصبت في مدخل المدينة الغربي^{١٦} . والآخر - وعرف لأن بئر به منجبر - قرب الرمثا وقد كشف عنه الأثريون همستون ورامكي بين سنتي ١٩٣٦ و ١٩٤٨ وفيه عدا قنطرة المكي جامع وحمام وقد تميز هذا الحدم عن غيره من الحدمت معروفة في القصور الأخرى متخلفة عن هذا العهد بالنسبة والقدرة وشاه تجميزه وإشتار فوق ذلك ما كشف عنه في عام

١١ من انصاف Castellum - لائبة ي قصر - يوت - ٥ من ٩٠ .

١٢ انطري - ٢ من ١٧٤٣ .

١٣ راجع B. E. Bruennow and A. v. Domaszewski. *The Provincia Arabia*, vol. II (Strassburg, 1905-6), pp. 103-70. B. Schulte and J. Strzygowski. *Mischitun*, *Lehrbuch der kaiserlich-preussischen Kunstsammlungen*, vol. XX (1906), pp. 263-373.

١٤ *Kaiser Anton andere Schwaizer östlich von Moab*, pt. I (Vienna, 1907), 1.

ويذكر مولد أن بنية هو الوليد الثاني .

١٥ انظر دانيال شلومبرج - قصر الجبل الغربي - بيروت ، ١٩٤٥ ، ١٩ من ٣٨ .



و هذا هو النمط
الذي كان يسهل
في مصر في عهد
الفرعون من قبل
و كان له في مصر
في عهد
و هذا هو النمط



في مصر في عهد
الفرعون من قبل
و كان له في مصر
في عهد
(في مصر في عهد)

غرفة فقد زينت ارض الترمع في احدها بصورة سجادة على غاية ما يكون من المذقة والروعة
وفي جانب هذه الغرفة نفسها ديوان للجووس شكل نصف دائرة تقريباً رصعت مقاعده



مبنيه في جانب غرفة الاستراحة الخاصة بالملك وهو ان لامن صورة كسكي مبيضاء في حوض
وارضه بالمبيضاء اما المرسى الذي في الارض فهو صورة شجرة من الاربع أو الاربعة تحمل الثمر
يحيط به ثلاثة غزلان قد سطا على احدهم أسد يغترسه . والظاهر ان فنانين من بيئة قد
استجابوا لطلب هذا الرسوم بالمسيب . وهي تعتبر من اجمل ما تحدر اليانا من هذا الفن .
ويذهب الامرجون الذين كشفوا عن هذا القصر ان الزوال الذي حدث سنة ٧٤٦ قد هدم

هذا المقصر كله قبل أن يتم بناء الطابق الأعلى فيه.

التصوير

ذهب معظم علماء الإسلام إلى أن رسم الإنسان والحيوان هو من خصائص الله وليس من امتدادى على خلق الله في ذلك بعداً^(١)، وقد مهد النظرية العدائية إلى الفن التصويري إلا نتيجة لتمسك المدرس فكرة التوحيد التي تعيب القرآن وحريمه القرآن أيضاً من الشرط وشدة الأوان^(٢)، وقد حذرت حديث ما في القرآن في هذا الصدد فقد روي عن النبي أنه قال: «إن الله ليس عندكم كمثلهم» ثم جاءه عبيدة بنصورون^(٣)، والتصويرون في الفن لموسع يشملون المحدثين أيضاً، حيث ما كانوا قد اتفقوا على ما لا يسمون بل تمكاد لا يجوز رسوماً أو تصويراً بشرية لأعلى من الله، تصور وفي مصر كتبت، وقد استمد الفن الإسلامي جزءاً من جميع الزخرفية أو كاريكاتير من تمسكة ثابت أو من أشكال هندسية، وقد ظهر مسبق النجاح الذي تمتد الفن في هذا الميدان إلى عتبة «البيت» من «البيت» الذي علق عليه في أكثر المقامات لأوربية، ولكن العرب لم يهتموا كرهه قد يكون عدواً أو مذوقوا روح هذا الفن في شكله من التحدث والتصور، مثل على ذلك آثارهم في الجزيرة وأوصاف معدهم في كتب الأدب، وقد سمى به الفن الإسلامي هو فن «الخطي»^(٤) في جوهره وفي موسيقاه بالسلوك الخرافة فهو لا أكثر من تزيين القوامع الفنية عند هذه الشعوب المتألمة إلا أن هذا التزيين لم تحت رعاية المسلمين وكيف تعالجها بهم الغربية.

واقدم الأمثلة على فن رسم في الإسلام هي تلك التصويرات الخفية التي جدها في قصر عمره (شرق الأردن) النجمة عن صناعة مصورين نصارى، فعلى حدران هذا القصر (وكان عبارة عن ملهى وحماء لبي أمية) صورت تحت شخصيات مسكبة منظر صورة للخليفة نفسه

(١) راجع: H. W. Hamilton, *Palestine Exploration Quarterly* (1911), pp. 10-11.
 (٢) D. C. Baranki, *The Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine*, Vol. X, no. 4 (London, 1942) pp. 150-153. *The Illustrated London News*, (July 14, 1915) pp. 52-53.

وقد أخذنا صوراً للتصوير عن فخمة الأخيرة

(٣) البخاري ج ٧ ص ٦١.

(٤) أي يخط الموفق مما يذمه الآخرون.

وأخرى لمدونه رودر بث آخر صنوك أسانية من القوط الغربيين - وهناك أشكال رمزية تمثل الظفر والفلسفة والتاريخ والشعر ، وفي صورة مشهد حيد ترى لمدناً وأبنياً على حمار وحشي . ومن آثار الفن العاري صور تمثل أواقصت والموسيقين وأهل الطرب ، أم الزينة ففواهما السجف وأوراق النبات متدلية من مزهرات وأشجار التخيل والعنب ، وعينها عناقيد التمر ، والفار وطيور البادية ، وأكثر الكمات عربي وفيها بضعة أسماء يومية ، وليس في العالم الإسلامي صور مخموشة كهذه الصور .

الموسيقى

اختفت غروب القدماء عند عرب الجاهلية فلهذا لم يبق في سيرة سيرة سيرة وقت العرة والاشد في العداوة أو لأفراح أو أسقام ، ولا تزال آثار الفراعنة الدينية السخية مخموشة في التلبية^(١) من مراسم الحج ، أم طريقة أشدهم الشعر فلا يزال أثره في تعويد القرآن . وكان تاجداً مفده رفيع عند العرب فقد استمدت موسيقىهم بمدونه أقدم أنواع الغناء . وقد نشأ على ما جاء في أسطورة ذكره السعدي^(٢) كما في : « قبل سقط مصر ابن نزار ابن معد^(٣) » عن حمل في بعض أساطير فسكرت يداه فجعل يقول : « يا يداه ! يا يداه ! » وكان من أحسن الناس صوتاً واستوتقت الألبان وناب هذا السير فأنشد العرب حذاء يرحل الشعر وسما هذا الشعر يرحل وهو أول بحور الشعر واسمها .

ولا ريب في أن عرب الجنوب كانت لهم أنواع خاصة من الغناء وآلات الموسيقى^(٤) التي لم يصلنا عنها إلا القليل . وهم يكن من أمر هذا الفن في الجنوب فلهذا لا نجد قسماً من تراث عرب الشمال ومن الأثر من أهل الحضرة الإسلامية . وقد استعمل أهل الحجاز الدف قبل الإسلام وهو آلة موسيقية مربعة الشكل كما استعملوا كمثك القصبة أو القصبة والزمير أو

(١) التلبية من ابن يونس الحج ، بيت ، في أول الحذاء ، بخري ج ٢ ص ١٠٠ .

(٢) ج ٨ ص ٩٢ .

(٣) قائل ، لمدونه ، في سفر لأحبار الأول ، ١٠٠١ .

(٤) السعدي ج ٨ ص ٩٣ .

المزمارة (١١) . وكذلك كان المزهر (١٢) معروفاً لديهم . وما كاد يبدأ عهد النبي محمد حتى كانت المؤثرات الموسيقية الأجنبية قد بدأت تظهر في بعض الأوساط العربية فقد افتنى امرء غسان الجواقة من القيان اليونانيات وكان النخبون من أهل الحيرة يعرفون العود الذي استعاره منهم أهل الحجاز . وفي بعض الأحيان انظر ابن خنات ابن كنفرة الخطيب الشاعر هو الذي أدخل العود إلى مكة من الحيرة (١٣) . وكان ينظم شعره بحولاء (١٤) يستميل نفوس القوم ويعصرهم عن الاستماع إلى القرآن (١٥) . وهناك حبر آخرى تحمل ابن سريج (اشوفى حوالى ٧٢٩) أول من أدخل العود الفارسي إلى الحجاز . وقد ذكروا أنه رأى العود لأول مرة في أيدي الفعلة القميس الذين أقدمهم إلى الجزيرة سنة ٦٨٤ عبد الله بن الزبير لبناء المسكبة (١٦) . وقد استعير الذي بعد ذلك وهو مسمى آلة صونية صانع من الخشب أيضاً حاشا ظهرت دراسات البجاعة فارمر (١٧) . والظاهر أن أكثر من عبي بالفس في الحظيرة كانوا نساء وقد حفظنا لنا صاحب الأغاني (١٨) مفر منهن . ومن القراني التي قلتم تحتها الشجرة الشهيرة التي عاشرت النبي في مكة الحبيب صخره وضع دون ذلك يعني به (١٩) في القرآن ولا بدع من أكثر شعراء الحظيرة كانوا يندون شعرهم أشداً أشبه بالحداد .

ولما كان حملة القرآن على الشعراء (٢٠) فاعترضهم شعرهم بل بعضهم شذبي الشرك والوثنية . وأهل الرسول لم يرض كثيراً عن الموسيقى لأرباب طيب الحلقوس الوثنية . وفي بعض الحديث ما يفيد أن الآلة الموسيقية كمؤذن الشيطان يحظر من استطاع إلى عباده (٢١) . والواقع

١١ - الأدي ج ١ ص ١١٠ .

١٢ - المدح ج ٣ ص ٢٤٧ : شعري ج ٨ ص ٩٣ .

١٣ - شعري ج ٩ ص ٩٣ - ٩٤ .

١٤ - يقال به هو شعري ج ٩ ص ٩٤ في سورة من ٤ - ٦ .

١٥ - الأدي ج ١ ص ٩٩ .

(١٦) *Journal Royal Asiatic Society*, 1921, p. 110 seq. : *A History of Arabian Music to the 11th Century* (London, 1921), p. 7 .

١٧ - ج ٩ ص ٩٣ : ج ١٠ ص ١٠٩ .

١٨ - الأدي ج ٩ ص ٩٣ .

١٩ - سورة شعراء : ١٢٢ - ٦ .

٢٠ - *Farnham, Arabian Music*, pp. 24-5. A. J. ١٠ - ١٣٩ : *A Handbook of early Mohammedan Tradition* (Leyden, 1927) p. 173 .

ان السواد من منشرعي الاسلام والفقهاء كانوا يعرصون عن الموسيقى حتى ذمها بعضهم في جميع الاحوال ومنهم من عدها مكروهة في الدين وان لم تكن حراماً. الا ان نظرة جمهرة الناس الى الامر يعبر عنها القول المأثور : « انحر كالجسد والسرع كالروح والسرور ولدها » (١). وبعد ان زالت الروعة الاولى التي اوجدها ظهور الاسلام اتجه التطور الاجتماعي في الحجاز الى ناحية تذوق الخيال وبالاخص في عهد عثمان وهو اول خليفة اكتسب المال وانتفت الى الفنى والمترفه. ثم اتقن القوم فن الطبق بين الصوت والآلة الموسيقية واحذوا في ما يسميه العرب الغناء الملقن او الرقيق وهو الذي يأتي فيه الابتغاء ملازماً للغم وما عثم ان اصبح هذا النوع مولداً في الحجاز. وظهر لأول مرة طبقة من الرجال ممن احترفوا الموسيقى وكانوا يعزفون ايديهم ويتصفصون نصف النساء فعرفوا بالحنثين. منهم طويس (ابن الطائوس الصغير ٦٣٢ - ٧١٥) اول من غنى بالمدينة فقد أتى الغناء في الاسلام. ويظن ان طويس ادخل الانواع الى الغناء العربي وانه اول من غنى بالعربية مصحوحاً والآلة الموسيقية المعروفة بالدف (٢).

وكان حيدل الفتيان الاول في الاسلام دعواً من الخلفاء الاجاب على راسهم طويس. وطاريس عدة من الخلافة السمرية ابن سريج (٦٣٥ - ٧٢٦) احد الفتيان الاربعة المقدم في الاسلام (٣). وقد عزز الرواة اليه ادخل العمود العربي الى الحجاز والتوفيق بالقطيب ارشاداً للعلماء بن على آلات الموسيقى في حملات الموسيقى العامة التي كان يديرها. وكانت ابن سريج تركي الادب وكان مولى لكتيبة بيت الحديس. وقد درس ابن سريج ايضاً على سعيد ابن مسجح (او مسجح استوفى حوالي ٧١٥) الشامي لاسود وهو مولى لعدا. وكان سعيد اول موسيقي ظهر في مكة واهله غط من طبر في العصر الاموي فقد قيل انه رحل الى الشام وفارس واخذ الحرف ترويه والعرض ففقه في غناء العرب (٤). واظهر اسمه منظم

(١) التوحي من ١٢٨. راجع في تاريخ ٢ من ١٣٦ وسجل.

(٢) الاطراف ٢ من ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٣.

(٣) الضرب من ٦ من ٩٨.

(٤) الضرب من ٣ من ١٤.

الموسيقى العربية في حنينها النظرية والممارسة في العهد الأول من تاريخ العرب . ومن الذين أخذوا عنه الغريغري^(١) وهو من مولدي أيرتر فقه ابن سريج^(٢) أيضًا وأصبح بعد معلمه الثاني من اثنين الأربعة المشهورين في الإسلام في ذلك العهد . أما الثاني الآخران فهما ابن بحر^(٣) (المتوفى حوالي ١٧١٥) وهو فارسي الأصل وكان يقد له « صاحب العرب »^(٤) . ومعيد (المتوفى ٧٤٣) وكانت خلاصته من المذنبات والحقوة في بلاط الوليد الأول وبزيد الثاني والوليد الثاني^(٥) . وكان قبل انتقاله إلى العاصمة يعاون مضاف في أنحاء الجزيرة . وكان من أقبان جميلة (المتوفى نحو ٧٣) وهي مولاة مدينة تزعمت الفن في الجيل الأول^(٦) . وكانت دارها مولد الأديب الموسيقي والمحدث مكة ونفذ عليه كثير من منبه . ومن أبرز الذين كانوا يحضرون حفلاته شعر حب المشهور عمران بن أبي ربيعة . ومن تلميذاتها حبابة وسلامة محفلة بزبد الثاني . وعلى أية حال ذكرها أدلة عن حبها المترعة بالبدائع تلك الجزيرة التي قدمت إليها في مكة فخرج معها حذافى النعمين والعنيت وجماعة من الشعراء والأشراف وغيرهم من الرجال والنساء المعجبين به . بل جوبوا لوجعهم معها . وقد ركبوا على الأمل في الفوائد والقدرة والتعزير في تلك الأوقات ليس عجيب الغريب . فإنا نعرف على مكة حتى خرج الناس رحلاً وبها ينظرون في جمعهم وحسن هئيلهم حتى قصت معها فداوت وعاد معها جمع أكبر من جمعهم فلهذا أهل المدينة ودخلت بموكب أحسن مما خرجت به وتوافد عليها الناس مسافرين لا يستكف من ذلك كبير ولا صغير^(٧) .

وكانت موسيقى حفلات ومحاسن الزمر في منازل سيدات الطبقة الأرستقراطية يؤمها جمهير من غواة النعم ومرتبعة . وكان العود القوي المصنوع من الخشب قد اتخذ يحتل مكان العود المعروف سابقاً في الجزيرة مصنوع من الخشب . وكان من الآلات الموسيقية الثورية المستعينة

١٩ - اسمه محمد الثالث - وجرى في سنة ٩٠٠ .

٢٠ - الأغانى ج ١ ص ٩٩ - ١٠٠ .

٢١ - المصدر نفسه ج ١ ص ١٠١ .

٢٢ - المصدر نفسه ج ١ ص ١٠٩ وما يليه .

٢٣ - المصدر نفسه ج ٢ ص ١٢٤ وما يليه .

٢٤ - المصدر نفسه ج ٢ ص ١٢٤ .

عندهم المعرفة وهي ضرب من القانون . ومنها أيضاً القصبة والزمار والبوق . أما الآلات التي تقوى على مبدأ النقر فهي الدف وهو مربع الشكل وكانت النساء سبق إلى الاختراع فيه واستعملته ، والطبل والصنج . وأما انغام تقطيع الأصوات (النوتات) الموسيقية فقد كانوا يتناقلونها شفهاً من جيل إلى جيل ولهذا ضاعت كلها . فكتاب الأغاني مثلاً طابع بالآيات التي كان المغنون يغنونها أيام الأمويين إلا أنه لا يثبت لنا شيئاً واحداً نستدل منه على نوع صوت من الغناء الذي كان رائجاً . وكان عميد المغنين في العراق في ذلك العهد حين الحبري النصراني وقد روي أنه شخص إلى الحجاز ليرأى قاستقبلته سكرية بنت الحسين وأذنت للناس إذناً عظيماً فنصت بهم ولدها ولم يروهم كأنه أكثر حشراً ولا جماً من يومئذ . وسعدوا فوق السطح ليسموا صوته وأزدحموا عليه فقط الرواق على من تحته وهتكت حنين تحت الردم . (١) ووفرت في مواسم الحج القرمص من في الحجاز من أهل الموسيقى والغناء لأظهار مواهبهم أمام وفود الخجاج . وقد كان من المؤلف في بعض الأحيان أن يتوجه المغنون للإقامة بموكب الحجاج ويظهر بهم أثناء السير . وفي الأغاني وصف مشهد من هذه المناسبات التي شهدها موسم الحج كان ظله زعيم شعراء الحجاز في ذلك العصر عمر ابن أبي ربيعة . فقد خرج في أحسن هيئة عليه حلة موشية ومعه مغيبة ابن سريج وحمل بتعرض أن يرى من الحسان حتى أمسوا فرقع ابن سريج صوته يحيي في شعر قله عمر فسمعه الركبان وجعلوا يصيحون به : « يا صاحب الصوت أما بقي أم قد حبت الناس عن مناسكهم » (٢) .

وهكذا أصبحت مكة ونوع أخص المدينة موطناً للموسيقى في العصر الأموي ومرجعاً لطوائفها . وأما بلاط دمشق فمر من تخرجوا في فنون الموسيقى في هاتين المدينتين . ولم يكن ليجدي نفعا لشدة التزمين والمخاضين من العلماء الذين كانوا يكرهون السماع ويقرنون الموسيقى بالشرب والتفرد ويستشهدون بالأحاديث النبوية التي تذهب إلى أن هذه الملاهي هي

(١) الأغاني ج ٢ ص ١٢٧ .

(٢) الأغاني ج ١ ص ١٠٢ .

(٣) المقدم ج ٣ ص ٢٢٧ .

شر الوسائل التي يستدرج الشيطان بها ابتلاء آدم . فقد كانت مكينة الموسيقى في القلوب اعظم من ان تقوم بشيء من هذه الفرائع لاسيما وان ارباب الموسيقى انفسهم كانوا يستندون بدورهم الى احاديث نبوية ^(١) لتدعيمهم . بل انهم ذهبوا الى ابعد من ذلك فزعموا ان الشعر والموسيقى وانقضاء ليس من الضروري ان تحط من قدر الانسان بل ان لها قسطاً من التأثير في تهذيب النفس اذ تبحث على مكارم الاخلاق من اصطلاح المعروف وصدقة الريحم والذب عن الاعراض والتجاذب عن الذنوب ^(٢) .

وكان يزيد بن معاوية ^(٣) اول من من الملاحى واستجلب المغنين الى الشام وكانت شاعراً فجعل يقيم الحفلات الكبرى في بلاطه ومن ثم اصبح الغناء والشرب صنوين متآلفين في تاريخ الدولة الاسلامية . وشيخ عبد الملك رعايته ابن مسجع من معني الحجاز . واستقدم الوليد ابنه ، وهو من دعاة الفن ، ابن سريج ومعبداً الى العاصمة واحتفى بهم . ثم اعاد يزيد الثاني الشعر والموسيقى الى سابق مركزهما بعد ان كان عمر ابن عبد العزيز الخليفة الورع الحافظ قد حال دونها . وقد عول يزيد على مواهب حيازة وسلامة ^(٤) . واسطفى هشام حبيباً لطيفاً وانعم عليه . كذلك كان الوليد الثاني صاحب شراب وظهر وطرب وسماح للفناء فاستقدمه المغنين من البلدان المختلفة وانظر انصرف على النمود واستقبل في بلاطه عدداً من ارباب الموسيقى والغناء منهم معبد المشهور ^(٥) . ووافقت ولايته زمن ازدهار الموسيقى في عاصمة الحجاز فلم يبق آخر العصر الاموي حتى كان حب الغناء قد سرى في قلوب الناس خاصتها وعامتها فاتخذ العباسيون ذلك الامر سلاحاً على ائمت من ساعد خصومهم الامويين وقاموا ينشرون دعوتهم ويتوعدون « أعداء الله » .

(١) القرطبي : احكام علوم الدين (١٣٣٤) ج ٢ ص ٢٢٤ وما يلي .

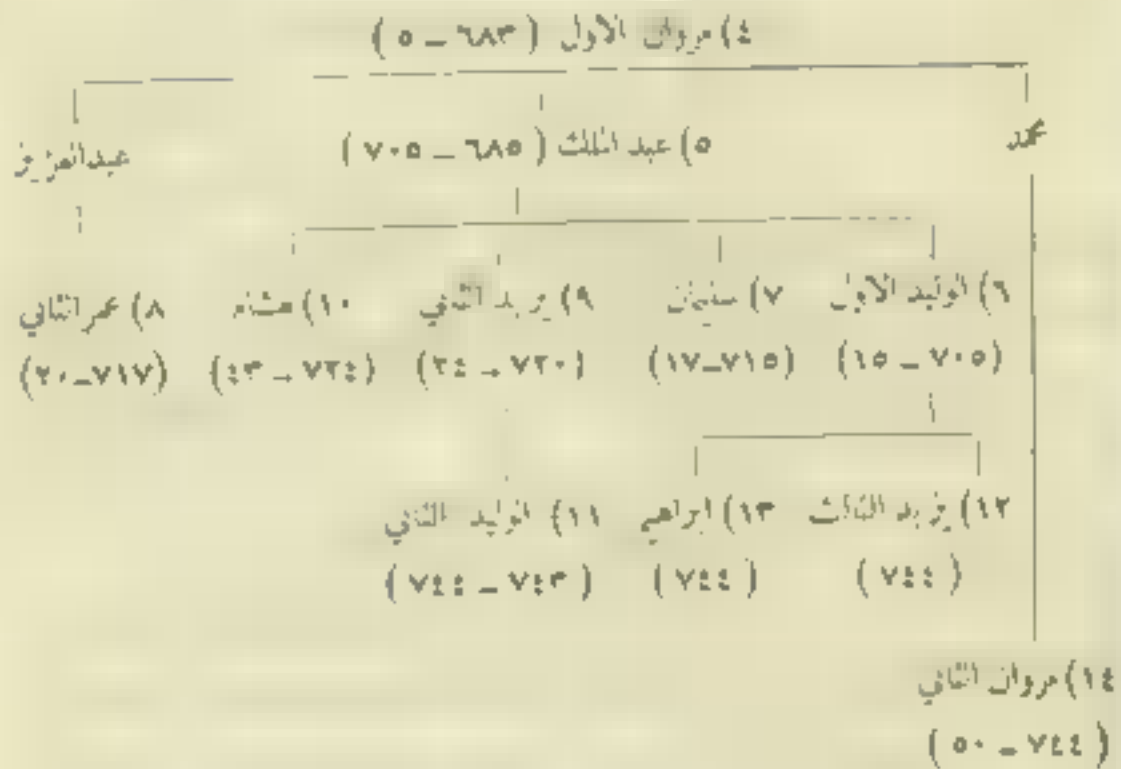
(٢) الفهرست ج ٣ ص ٢٢٥ - ٢٦ : انوار ص ١٢٧ - ٩ .

(٣) الاغانى ج ١٦ ص ٢٧٠ : قابل لشمودي ج ٥ ص ١٥٦ - ٧ .

(٤) لشمودي ج ٤ ص ١٤٦ وما يلي .

(٥) المصدر نفسه ج ٦ ص ٥ .

الفصل الثاني والعشرون انحطاط الدولة الأموية ومقوطها



شجرة نسب الخلفاء مروانيين في الدولة الأموية

المؤرخون العرب لعجاب عظيم بهشام وهم مصيرون إذ يضمونه في مرتبة تلي معاوية وعبد الملك ويعتبرونه ثالث أناسه الحقيقيين من بني أمية وخاتمهم . أما انطفاء الأربعة الذين تعاقبوا على الأمر من بعدهم إذا استثنين مروان الثاني الذي اشتهر به دولتهم ضعفاء بعضهم قاصرون وبعضهم خليع . وقد كانت عادة الخلفاء حتى قبل عهد هشام الانصراف إلى العبيد ومعاقرة الخمر مؤثرين النفاس باللهو والاستمتاع بالسمر والشعر على غيرها من أمور الجدل في الحياة متقلبين الدين وشؤون الدولة . وقد تم تنظيم طبقة الخدم التي ساعدت على

اشاء نظام الحرير . واستشري البذخ والترف والتعم بما أوفاه الله عليهم من ثروة وأماء وعبيد
وامتزجوا بهم بواسطة الزواج بحيث لم يبق من سبيل حتى للأسرة المتسكة نفسها انت تفاخر
بصرحة دمها العربي . وكان يزيد الثالث أول خليفة في الاسلام أمه ه أم ولده (١) أي
جارية وكذلك كان الخليفة من المذاهب ولها الأمر بعده (٢) ولم تكن سبيل اللهو والعبث التي
سلكتها أفراد الطبقة المتسكة إلا دلائل الانحطاط الاخلاقي الشخصي عامة . وكانت الشرور
التي تلازم اندية وبالأخص الخمر والمسا والقناء قد استولت على قلوب أبناء الناحية واخذت
تتغص حيوياتهم .

القبيلة والقبائل

وعددت القبائل الاجتماعية القديمة الى حدة الدولة وكان اظهر ما فيه الأثرة الفردية والعصبية
القبلية فكان العربي التي اوجدتها الاسلام لربط اجزاء هذه الاسلامي ونفس العوامل الهدامة
قد اخذت بالتفكك . ومذ نسر عثمان كبرسي الخلافة اخذت بكرة الاسرة تظهر مرة ثانية بعد
ان كانت قد انحلت .

كانت قبائل العرب الشامية قد هجرت مواطنها القديمة في عهود الجاهلية وانتقلت الى
العراق حيث أنشأت ديار بيعة على صفاف دجلة وديار مضر على ضفاف الفرات . وكانت
قبس المتقدمة بين قبائل مضر . وكانت قبائل اخرى قد هجرت من جنوبي الجزيرة وسكنت بلاد
الشام فعرفت باليمانية . وكانت المتكوبة الاولى بين القبائل اليمنية في الشام هي كلب . غير ان
عرب خراسان (وهو القطر الشمالي الشرقي من القطر فارس) كان سوادهم من مستعري البصرة
فهم من عرب الشمال وأهم قبائلهم تميم كما كانت قبس أهم القبائل النقيصة حول الفرات .
وكانت في خراسان أيضاً يمانية عرفوا بالأزد نسبة الى اسرة الأزد المتزوجة فيهم . كما عرف
القيسويون في أماكن اخرى باسم قزار أو بني معد (٣) . ولكن مهم كانت الاسماء التي

(١) الطبري ج ٢ من ١٨٧٤ : يعقوبي ج ٢ من ٢٠٩ : ابن الأثير ج ٢ من ٢٣٥ .

(٢) اليعقوبي ج ٢ من ٢٠٩ : ٢١٠ : ٢١١ .

(٣) F. Wüstenfeld, *Genealogische Tabellen der arabischen Stämme* (Göttingen, 1852) : *Register zu den genealogischen Tabellen der arabischen Stämme* (Göttingen, 1853) .

عرفت بها القبائل فقد انقسمت بوجه عام الى قسمين - عرب الشمال وعرب الجنوب . وشعر
عرب الشمال الذين ارجعوا انسابهم الى اسماعيل وتسموا بالعدنانية بقبائل قحطانية يميزهم عن
عرب الجنوب فلم يتحدوا معهم . وارجع عرب الجنوب انسابهم الى قحطان (يقطن في سفر
المشكوكين ١٠ : ٢٥ ومايلي) . وعلى مر الزمن أصبح القحطيون قوة لحزب سياسي واليمانيون
قوة لحزب آخر .

لقد رفع معاوية مؤسس الدولة الاموية عرشه السوري على اكثف الجبال وكان خلفه
يزيد وهو ابنه من زوجته الكلبية البابية (١) فقد تزوج من امرأة كلبية ايضاً فولدت له احمدا
الحمد في صدور القيسية بحيث رفضت الاعتراف بمعاوية الثاني ابن يزيد خليفة وظهرت ابن
الزبير الذي نصب نفسه خليفة في الحجاز . ثم كان القوز تكب على قيس في مرج راهط (٦٨٥)
فاستقرت ولاية مروان ابن الحكم واصبح مؤسس الفرع المرواني في البيت الأموي . الا انه في
عهد الوليد الاول علا نعم قيس على يد الخبيخ ومحمود محمد ابن القاسم فاجع افند وقتبة فاجع
آسية الوسطى . اما سليمان اخو الوليد فلحق بالبابية ثم جدد يزيد الثاني فراعى القيسية مدبراً
يمول امه المضربة ومثله ظل الوليد الثاني . اما يزيد الثالث فقد مال الى البابية واستعان
بقوة سلاحهم على اغتصاب الصوطاني من يد الوليد الثاني . وهكذا فقد أصبح الخبيخ في
الواخر العهد الأموي زعيم حزب خاص اكثر منه منسكاً لأمير امورية موحدة الاحزاء .

وانقسمت شقة الخلاف بين حزبي قيس واليمن المذنبين عرفاً ايضاً باسماء اخرى وولدت
الخصومة بينهم الى مختلف أنحاء العالم الاسلامي وتم الانفصال بحيث أصبح من العسير الجمع
بينهما فآل ذلك الى سقوط الدولة الاموية . ونجت عواقب هذا الانقسام الوحشية في مختلف
المبلاطات الاسلامية في العصور التالية . فقد هاجمت قسمة مرة في دمشق بين المضربة والبابية
فدام القتال على ما يروون (٢) نحو ستين وكان سبب القسمة ان رجلاً من معد مر بخط (٣)

(١) راجع عن سياسة الامويين يزيد بن - عبد الله الاسلامي ج ٢ ص ٢٢ ومايلي .

(٢) ابو القاسم ج ٢ ص ١٤ .

(٣) اي سنان .

رجل يمانى وفيه بطيخ فتناول واحدة منه . وكانت بين المضرية واليمنية معارك في مرسية (١) بإسبانية بسبب ورقة من شجرة كرم قطعها مضيري من دار يمني واستمرت الحرب بضع سنين . بقي كل مكان سواء أكان في الماسمة أو في الملحقات أو على ضفاف نهر الأندلس أو شواطئ صقلية أو تخوم الصحاري في إفريقية أخذ هذا المداء الصلي للموروث عن الآباء وقد تحول إلى خصومة بين حزبين سياسيين يظهر بأجلى بيان . ومن عواقب هذا الانشقاق الداخلي انت جيش الإسلام عجزت عن التقدم في فتوحاتها بغرنا . وانت الخلافة الأندلسية أخذت في الانحطاط . والظاهر أن هذا النزاع استمر إلى الحصور الحديثة في لبنان وفلسطين إذ سلم انت معارك نشبت بين الفريقين في مطلع القرن الثامن عشر .

متاب. الاستعماري

لم يستند حق التعاقب في الخلافة إلى نظام معين سريع فلت عن هذا الأمر اختلال خطير في حياة الأمة . وكانت معاوية قد استلح سياسة حكيمه حين رشح ابنه للخلافة إلا أن العرف العربي القديم الذي جعل التعاقب لا كبريت كانت يهدف ميل الخليفة الطبيعي إلى جعل الخلافة دائمة يزيد . ومن بين اختلاف الأمويين الأربعة عشر لا يعرف إلا أربعة ولي ابتأهم الملك من بعدهم وهم معاوية الأول يزيد الأول ومروان الأول وعبد الملك . وما زاد الشبهة تعقيداً أن مؤسس الموحدين عبد الله بن عبد الملك تولية عمه على أن تكون الخلافة حد عبد الملك لأخيه عبد العزيز (٢) . فما كاد عبد الملك يصل إلى العرش حتى حاول القيام بدمه إياه فخنقه أخاه عبد العزيز وعين الوليد على أن تكون الخلافة بعده سليمان (٣) . ثم جاء دور الوليد فسعى إلى اغتصاب حق أخيه وجعل ابنه عوضاً عنه فأخفق . ولمستطيع أن يدرئ كيف كانت جميع هذه المناوشات السياسية تهدد استقرار الحال وتقاوم استمرار الأمر للدولة الأموية .

١ ابن عذاري . بيان ج ٢ ص ٨٥ .

٢ البيهقي ج ٢ ص ٢٠٦ .

٣ المصدر نفسه ص ٢٣٣ .

المصالح على

أما الشيعة النافقون الذين لم يعترفوا قط بحكومة الامويين المنتصين ولم ينفروا لهم ما جنوه على علي والحسين فقد ازداد نشاطهم الآن . وقد كان اخلاصهم لآل البيت وحلقهم بهم داعياً لأن يكسبوا العطف العام ، قال اليهم كثير من النافقين على الوضع السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي في حكومة الامويين . وكانت سواد الأهلين في العراق يومئذ قد أصبحوا من الشيعة فأخذت المعارضة التي كان يظهرها العراقيون لبني امية بصفهم عراقيين وكونهم يشعرون بأن العراق مسلوب الحقوق تعطش الآن بعصبة دبية . حتى في الاوساط السنية فن اهل التقى والتورع كانوا يتهمون الخلفاء الامويين باتباع أهواء الدنيا واغفال القرآن وتقاليد الشرع ويعلمون استمدادهم لمضد المعارضة ودعمهم به من هوذ ديني .

الدمرة العباسية

وكانت هناك قوة اخرى تعمل في هدم بناء الدولة الاموية هي قوة العباسيين وهم ابتداء عن النبي العباس ابن عبد المطلب ابن هاشم . فقد أخذوا يعنون حقهم في الخلافة شيئا من العنف واستطاعوا بدعوتهم ان ينفروا العلويين بالقول ان دعوتهم اقرب الى الدفاع عن حقوق بني هاشم المنصوبة . وكانت الشيعة ترى ان العلويين وحدهم هم عماد بني هاشم ، ولكن بني العباس كانوا يرون انهم من بني هاشم واسمهم بذلك أمت محمد بالرسول من بني امية . وثار رأي العباسيون ان الاستياء من حكم بني امية قد أخذ يزداد ويعد انتهموا الفرصة فأعلنوا انهم حملة الدين القويم وتزعموا صفوف المعارضين على سلطة الامويين .

١ - عظماء بني سادة العباسيين والعلويين بالرسول :

هاشم

عبد المطلب

العباس

ابو طالب

عبد الله

علي - فاطمة

عمر

و ختبروا حركتهم مركزاً في قرية حنيفة الى الجنوب من بحرانيت تدعى الحنيفة (١) كانت في الظاهر بمنزل عن مسرح السياسة ولكنها في الواقع مقام جغرافي خطير يشرف على خط القوافل وعلى مقربة من ملتقى طرق الخبيج . وهناك دير العباسيون امورهم واعدوا المدة لدعوتهم التي لا مثيل لها في تاريخ الاسلام السياسي .

أهل خراسان

ولم تكن بقية المسلمين غير العرب وخاصة الفرس منهم دون مهمل أو سب . فقد كانوا عدواً لهم حين دخلوا في الاسلام بالتساري مع العرب ولكنها وأواغوشاً عن ذلك ان مركزهم انتهى الى درجة التوالي وما يرافقها في بعض الأحيان من دفع الجزية المرسومة على غير المسلمين . و زاد في نفستهم شعورهم بأنهم ارقى واعرق ثقافة من ابيادهم العرب وهي حقيقة اعترف بها العرب انفسهم . وفي امثال هؤلاء الدافين المتذمرين الخديش العهد بالاسلام وجدت بذور الحركة العلوية العباسية قريبة صالحة لنمو . وسرت فكرة الثورة العلوية من العراق النواحي دائماً للملويين الى فارس وانفطرت نوى حمى في خراسان المنطقة الخيرية الشرقية وكانت خراسان إذ ذاك اكبر مساحة في هي الآن . وكان قدمه الطريفي في فارس لهذه الفكرة بسبب الخصومة المستمرة بين الازد ومفر . ولكن عوامل اخرى أعيد نفوراً من هذه كانت تقوم بعميقها فقد اخذت النزعة القومية الايرانية نفوى الآن تحت قناع الشيعة . وأخذت سعة انحلال الدولة الاموية حين تم الاتفاق بين الشيعة وأهل خراسان والعباسيين وصم هؤلاء الاخيريون على استئثار هذا الاتفاق كوسيلة لتنفيذ مآربهم فاستندوا الزعامة في هذه الحركة الى ابي العباس سليل العباس عم الرسول فقد أسس الدافين الى الثورة على الحكومة وقلب النظام القائم متفرداً في ان الحكومة الدينية اقرب الى تمثيل رغائب المسلمين . أحداً على نفسه العهد بان يرجع منهاج السلف الراشدين . وفي التاسع من حزيران سنة ٧٤٧ اندلعت نيران الثورة بعد ان أعدت لها المدة وذلك حين اظهر الدعوة ابو مسلم الخراساني وهو مولد

١ : بطوني ج ٢ ص ٢٤٦-٢٤٧ : القهري ج ١ ص ١٩١-١٩٢ : خيري ج ٢ ص ١٤١ : ياغوب ج ٢ ص ٣٠٢ : ١

Ma'il, Northern Hegaz, (p. 56-61) والخريطة التي في جيب الكتاب .

فارسي من أصل مجهول (١) ، ورفع رايتها السوداء والسوداء في الأهل لوقت راية التي
فأصبح الآن شعار الدولة العباسية . وركب أبو مسلم على رأس قبيلة الازد (الجابية) ودخل
الدمامة مرو وكان السواد الأعظم من مجندي دعوته فيها من فلاحي القرس والموالي (٢)
وعبثاً حاول نصر ابن سيار عامل الأمويين على خراسان الحصول على نجدة من الخليفة مروان
وقد كتب إليه خطاً مؤثراً قال فيه :

رأى غل الزماد وميض نار وبوشك ان يكون خاضعاً
فانت القار بالعودين ندكي وانت الحرب اوطا كلام
فقت من التعجب امت شمري ألقاظ امية ام يساه (٣)

ولم يكن مروان يرغم ما كان يتصف به من شجاعة ومقدرة وشأنه لم تكن عند السلافة
المبشرين فإنه لم يجد نصراً لأن يديه قد شفت بقمع الثورة التي نشأت بعده وانتشرت
من فلسطين الى حمص . وكان سببها البراء القديم بين القيسية واليمانية الذي استغله الطاحون
الى الخلافة وأصبح حرباً أهلية في زمن منقيه يزيد الثالث واراهم . فلقد زاد يزيد العباسية
حين اعتنق مذهب القدرية ومالاً اراهم حزب اليهبة . ثم مروان الثاني الذي دمريته
القيسية فقد ارتكب خطأ كبيراً حين نقل البلاط وإدارة الحكومة الى حران في العراق
حيث اخذت قلوب أهل الشام تنصرف عنه . فذا تركنا أهل الشام الذين كانوا عصب الدولة
الأموية نرى ان خوارج العراق الذين اعداء الحكومة في كل حين (٤) قد انتصروا عليها
ونرى الاندلس قد انقسمت بدورها الى قيسية ويمية واصبحت ميداناً لقتالين من هذين
الحزبين وقد جاهد مروان ثلاث سنين وهو ابن ستين عاماً . وكان قد تم قبل انقراض
الخلافة اليه بالخيار . قلنا نصبره في الحرب (٥) . ودخل الثورين من أهل الشام والخوارج

(١) قابل المغربي ص ١٨٦ .

(٢) الطبري ج ٢ ص ١٩٥٣ وما يليه : المجنوني ص ٣٥٩ وما يليه .

(٣) المغربي ص ١٩٤ .

(٤) الطبري ج ٢ ص ١٩٤٣ .

(٥) المغربي ص ١٨٤ .

واظهر شجاعة ومقدرة عسكرية . وهو الذي عمل في تنظيم هذه الحملات العسكرية على ابدال
نظم الصفوف القديم ، الذي كان مقدماً لان الرمول كانت يستعمله ، بنظام جديد هو نظام
الكراديس وهي شراذم صغيرة اشد ترواصاً ولسرع انتقالاً . ولكن الوقت لا يقاذا الموقف
قد فلت ، ان شمس بني امية قد اذنت بالمغروب .

الفترة الأخيرة

تقد بلا سقوط مرو عاصمة خراسان سقوط الكوفة اهم مدائن العراق وكان ذلك سنة
٧٥٩ . وقد كانت الكوفة ملجأ بني العباس فانسلت الى الثأرين دون كبير مقاومة . وفي
٣٠ تشرين اول من السنة نفسها اخذت البيعة العامة في مسجدها الجامع ^(١) لابي العباس
ومردي به حليفة المسلمين . وهكذا احتل العرش اول خليفة عباسي واندحر الامويون
واخذ عنهم الايباض بزحاح في كل مكان امام اراية السوداء التي رفعها العباسيون وحلفاؤهم .
وسمى مروان ان يعمد فوق الوقة الأخيرة وفقة السنينت وسار على رأس ١٢ الف ^(٢)
رجل من حران والتمنى في كانون الثاني ٧٥٠ على الضفة اليسرى للزاب الكبير . وهو فوج
من دجلة - بقوى العدو التي كان يقودها عبد الله ابن علي عم الخليفة الجديد . ولم يكن جيش
الك . لك الارادة والعزم اللذان يمهدان السبيل للمضمر ولا الايمان الثابت فكانت الهزيمة
أمر محتوم . وبعد اندحار الامويين في الزاب اصيحت سورية تحت رحمة المباسين المتصهرين
واخذت مدبها امامة فتتح اوابوا الواحدة بلو الأخرى لاستقبال عبد الله وجند خراسان الا
دمشق فاما أثبت فحوصرت واضطرت العاصمة الفخورة ان تستسلم بعد بضعة ايام وكان
ذلك في ٢٦ نيسان سنة ٧٥٠ . ومن فلسطين ارسل عبد الله سرية من الخليفة المذنب فقبض
عليه خارج كتيبة في بصرى ^(٣) من اعمال مصر كان قد التجه إليها وقتل في ٥ آب ٧٥٠ ولا
يزال قبره هناك . وارسل رأس مروان وشراته الخليفة ، كما يذكر السعدي ^(٤) ، الى

(١) الخطوط ج ٩ ص ١١٧-١١٨ طبري ج ٤ ص ٢٧-٢٨ السعدي ج ٩ ص ٨٧-٨٨ .

(٢) سعدي ج ٤ ص ١٤٧ (الابل ص ٤٥) والطبري ج ٤ ص ٢٠ .

(٣) هي ايضاً ابو صبر واهمها بصرى التي في اليوم راجع سؤوس ابن الفطح . سير البطارية

الاسكندراني تكملة سيرة (مجلد ١٩٩٢) ص ١٨١ وما يلي طبري ج ٢ ص ٤٩-٥٠ .

(٤) ج ٦ ص ٧٧ .

الخليقة ابي العباس .

وبدا العباسيون يغفلون خطتهم في استئصال البيت الاموي ولم يتورع قائداهم عبد الله من اتخاذ اعنف الوسائل لايادهم ومحوهم . وفي ٢٥ حزيران من سنة ٧٥٠ دعا ثمانين رجلاً منهم الى مادبة اقامها في ابي فطرس (انتيافرس القديمة) على نهر العوجا بالقرب من يافا وفي اثناء اذدبة امر ان تضرب رؤوسهم فقتلوا جميعاً . ثم امر فطرحت عليهم البساط وهم بين موني ومختضرين ودعا بالطعم فاكل كل هو وفواكه وهم يسعون أدت المختضرين (١) . ثم بث العيون والارصاد لاقتفاء اثر الباقين من بني امية المتفرقين في طول الارض وعرضها ومنهم من التمس خوفاً الى بطن الارض (٢) . اما خير نعمة القوي عند الرحمن ان معذوبة ابن هشام من ايدي بني العباس ومسيره الى الاندلس حيث نجح في اثناء دوة اموية زاهرة فيها فاستعرض له في موضع آخر من هذا الكتيب . واعين العباسيون في الانقضاء من الامويين ومحو اثرهم حتى اسماء بشوا قبور الخلفاء منهم بدمشق وقصر بن وسواهم . فخرج جثثهم عبد الله فاحرقها وامتنع حرمتها وقد اخرجت جثة سليمان من قبره في دابق واخرجت جثة هشام من مدفنه بالمرصعة فوجد جثته لا يزال صحيحاً فجلد ثمانين جلدة ثم احرق (٣) . وفري رماده . ولم يسد من قبورهم سوى قبر الامام الزاهد عمر ابن عبد العزيز .

وسقوط الامويين زال عهد الشام وانتهى عهد سلطتها . ولم يدر اهل الشام الا بعد فوات الاوان ان مركز العالم الاسلامي قد انتقل من الشام ومصر شرقاً . وقد حاولوا مراراً استرجاع المثلث الذي كان لهم فلم يفلحوا واخيراً حين ضاعت آملهم تطاعوا الى محبي سفياني (٤)

١ - البيهقي ج ٢ ص ٢٦٤-٢٦٥ . البغوي ج ٢ ص ١٧٩ . ابن الأثير ج ١ ص ٣٢٩-٣٣٠ . البرد ص ١٧١٧ .
 الاعاني ج ٢ ص ١٦٦ . ابن سعد ج ٢ ص ٢٠٢-٢٠٣ . طبري ج ١ ص ٢٠٣-٢٠٤ . Theophanes, p. 127 .
 وقال المفسر في حديث بيت اجدب على يد جعفر (سفر الفوائد الثاني ١ : ١٠٤-١٠٥) وفضاه محمد علي
 على ما بين مصر (يريد ان يزوج مصر الحديث . نسخة مكتبة القاهرة ١٩٢٥ ج ٢ ص ١٦٠-١٦٢) .
 ٢ - ابن خلدون ج ٢ ص ١٢٠ .

٣ - البغوي ج ٢ ص ٢٦١ . ابن البيهقي ج ٢ ص ٢٢٦-٢٢٧ . طبري ج ١ ص ٢١٥ .
 ٤ - طبري ج ٢ ص ١٣٢ . ابن السكوب . تجارب الامم وتغليبهم . عمر دمي غريب . وفي يوفع
 ج ٢ (بيروت ١٩٧١) ص ٢٢٦ . ياقوت ج ٢ ص ١٠٠٠ . الاعاني ج ١ ص ٨٨ . H. Lammens, *Etudes sur le siècle des Omeyyades* (Beirut, 1900), pp. 391-408.

منتظر - كسبح منتظر - يرفع عن اكتافهم يبرئانهم العراقيين . وإلى هذا اليوم نسمع ان
منهم من ينفي النفس بظهور منتقد عظيم من نسل معاوية (١) . ولكن سقوط بني امية قد
اعطى على ما هو أهم من هذا - ان العصر العربي الخاص في تاريخ الاسلام قد انقضى
وقد اخذت الحياة العربية المتخلفة في الامبراطورية الاسلامية تؤخذ بالانتماء . وانما ان
الحكومة العباسية قد دعت نفسها دولة (٢) ، أي عهداً جديداً وكانت كذلك . فقد تحرر
العراق من سيطرة الشام ، وبنيت الشيعة ثروها ، وتمت لغوالي حريتهم ، واصبحت الكوفة
على حدود فارس العاصمة الجديدة . واصبح حرس الخليفة الخاص من اهل خراسان ، واحتل
الفرس مناصب الدولة الرفيعة ، وحدثت مجال الديمقراطية العربية الاصلية طبقة من المؤلفين
اخذت من كافة الاجناس التي دانت لسلطان الخلافة ، واخذت تسون العرب الأقدمون
والمتجدون في الاسلام من ابناء الاعاجم يتزوجون بالزواج ويندخون الفريق منهم ، وآخر .
قد سفلت العروبة ولكن الاسلام واصل سيرة ونحت نوايا الاسلام العام اخذت الايرانية
تسلط سيطرتها الى الامام .

(١) راجع بعضي حوزي . المصنف ج ١٩ (١٩٣١) ص ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ (١٩٣١) ص ٦٧٤ - ٦٧٥ .

(٢) حوزي ج ٣ ص ١١٥ ، ١١٦ .

الرسمية وفي صلاة الجمعة . وانخذ الخلفاء يجمعون حوكم الفقهاء . ويشملونهم برعايتهم
ويستبرونهم في مصالح الامة . اما الدعوة المولمة النطق التي استخدمها العباسيون لتغيير
الامة من عهد الحكم الأموي فقد وجهت الآن شيء من الدهاء الى كسب ثقة الامة وثبتت
حبها لهم . وقد انتشرت بين الناس على اثر ذلك فكرة تربي ان اسب الامر يجب ان يبقى
في بني العباس حتى يعمود الى عيسى ابن مريم (١) . وعظم اعتقاد الناس في بني العباس حتى
زعموا انه « متى قتل الخليفة اغتال بطنه الحناء واحتجبت الشمس وامتنع القطر » (٢) الا ان
الحقيقة التي لا شك فيها هي ان ذلك الانقلاب الديني الذي قام به العباسيون لم يكن الا
ظاهرياً . ومع ان الخليفة انمسي كان يحاول ان يظهر اكثر من سلفه الأموي نطقه بامور
الدين والعبادة فانه في الواقع لم يكن الا مشه من حيث اقامه على امور الدنيا . على ان الفرق
الجوهري بين الدولتين بنحصر في ان الدولة الأموية اتم كانت دولة عربية بينما كانت
الدولة العباسية دولة جميع الشعوب الاسلامية ولم يكن احرب فيها سوى عنصر من العناصر
الكثيرة التي احتوتها الاميراطورية .

وهناك فوارق اخرى فلا أول مرة تعديح حدود الخلافة غير حدود الاسلام . فسياسة
وشمالى افرقية وثمان والسند حتى خراسان (٣) لم تبيع الخليفة الجديد تداً . وكان اعتراف
مصر بالخليفة اسمياً اكثر منه واقعياً . وظلت واسط عاصمة الامويين في العراق احمد عشر
شهر (٤) لا تعترف به . واخذت تضرب بلاد الشام شعوراً في القناب مع البيت الأموي
وتأثراً بما اصابه من مكبل . وحسبك ان هذا الخلف العباسي العلوي الذي مكنته روح
البغض لعدو مشترك لم يكن بالخلف الذي يدوم طويلاً بعد هلاك العدو . وقد خابت آمال
العلويين الذين كانوا يعتقدون ان بني العباس كانوا يقاتلون في سبيل قضيته .

ولم يطمئن السطح الى اهل الكوفة وهم اصحاب علي ولم يركن اليهم في الامور فانقل

(١) انطري ج ٣ ص ٣٣ : ان الاخير ج ٤ ص ٣١٨ .

(٢) انطري ص ١٩٠ .

(٣) الديوري ص ٣٧٣ .

(٤) انطري الديوري ص ٣٦٧-١٢ : انطري ج ٣ ص ٦١-٦٠ : ان الاخير ج ٤ ص ٣٣٨ .

الى الانبار (١) واتخذ بها مقراً سماه الهاشية (٢) (نسبة الى هاشم جد الهاشميين) . وقد دفعه الى الاعتراض عن البصرة ما دفعه عن الكوفة وما رآه من بعدها فهي جنوبية لا تصلح ان تكون مقراً مركزياً للحكم . وتوفي السامع سنة ٧٥٤ في عاصمته الجديدة ببلدة الجديري وهو في مطلع العقد الرابع (٣) .

ابو جعفر المنصور مؤسس الدولة المنيقية

وخلف السجاح اخوه ابو جعفر (٧٥٢ - ٧٥٥) المنقب بالنصور وهو من اعظم الاساسه
العباسيين وان يكن من اكثرهم حنفاً فمما لا ينقصه ، فننصور لا السجاح هو الذي لمس الدولة
العباسية حقاً وجميع الخلفاء الذين تبعوه وهم خمسة وثلاثون اما كانوا من ذريته . فقد خرج
عليه عمه عبد الله ابن علي وازعه الخلافة ، وكانت عبد الله كما رأينا قائد الجيش في معركة
الزاب وصاحب الأثر الأكبر في انتصار العباسيين ، فسلط عليه النصور أبا مسلم الخراساني
فحارب به وفهره (في تشرين الثاني ٧٥٤) في نصيبين ثم سمعته انتصور سبع سنوات وتخلص
منه في نهايتها في انت نقله الى بيت حمل اساسه من ملج ثم أجرى الماء في اساسه وهو فيه
فقط عليه فانت (١١) . ثم جاء دور أبي مسلم نفسه فدعاه النصور الى زيارة بلاطه وهو راجع
الى خراسان فقتلك به وكان النصور قبل ذلك لا يقطع امرأ دونه . وكان أبو مسلم بعد عبد الله
ابن علي صاحب الأثر الأكبر في تشييد ملك بني العباس ومع ذلك فقد استفد منه اليه حتى اذا
مثل بين يديه وثب عليه الحشم بالسيوف أعا قتلوه غدراً واغتيالاً . ثم ان فرقة من مشطري
الفرس تعرف بالاروندية ظهرت في هذه المدة وادعت انت ابا جعفر النصور هو انها فقاتلها
الخليفة (٧٥٨) حتى كمل بآبائها تنكحياً (١٢) . وكذلك ضرب النصور بيد من حديد

١٦ | على صفة اندام البحرى في شانه العراق وموسميا مقبره يوم .

(۲) ایملی بی جی ۲ ص ۱۹۹ : اللہ بخیر می ۲۷۲-۳

(٢) البقولي ج ٢ ص ١٤٠ : الطبري ج ٣ ص ٨٧ - ٨٨

(۱) $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ و $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ می باشد.

(٥) الخطب: ٢ من ١ + ١٧ في البيورى من ١-٢٠٦.

{ الطبری ج ۳ من ۱۲۹-۳۳ المسمی - ۶ من ۲۶ و ۲۷ ج ۲ سجادی ، ۱۱ و ۱۲ ج ۳

الفرق ٢ من ٣٧ - كانت وأورد جامعة قرب اسبان

وما أن استقرت أحوال البلاد الداخلية حتى عاد العبيسون إلى مقارعة عدوهم الغربي الدائم - الروم - واستندف العرب معهم عند الحدود هذا العراق الذي كان لا يزال دائراً بصورة متقطعة منذ نحو قرن . وأعاد العرب بشد الغزوات كطانية في إرمينية العمورية والصيصة في كليكية^(١) وتوغلوا في بلاد العدو حتى أنهم بلغوا يا كو^(٢) حيث توحد منابع النهر وأخذوا القساراب من أصحابه . ثم أخذت قوات الأسلام أرض خريستان الجبلية احتلالاً مؤقتاً^(٣) وهي في الجنوب من بحر قزوين (بحر الخزر) وكانت فيه فيها أسرة من الأسر القديمة في عصر الدولة الساسانية البائدة منسقة بسطة مستقلة . وبغت جيوش الخليفة حتى القندهار (القندهار) وهي من النواحي الثانية على حدود أفند وهدمت البلد فيها وهو تشارل بوذا^(٤) . وأوقع في قوات منصور توسعوا في غزاهم حتى كشمير (فشير في المصادر العربية) وهي عبارة عن وادي فسيح حصب في أسفح الشرف الغربي من جبال جلال . وأرسلت (٧٧٠) حملة عربية من البصرة إلى مذهب (مذهب) سهر أفند قطع دابر القيصان الذين كانوا قد توسعوا على مخرج حدودهم .

مدينة السوم

وفي سنة ٧٦٢ وضع منصور حجر الأساس ببناء عاصمته الجديدة . وكان قد بنى قبلها مدينة بين الكوفة والبحيرة^(١) . وهذه المدينة . فصارت بعد ذلك مقر تلك الحضارات الروائية التي حدثت ذكرها شهر زاد حنة - القانية ودية^(٢) . أما موقع عداد فقديم وقد قدم فيه على أيام الدولة الساسانية قرية عرفت أيضاً باسم عداد^(٣) (أي عاصمة الله) فقال المنصور : لا أحد موضع معسكر أصبح . وهذه دحية ليس . وينتد وينتد الصين شي . أي يد فيها كل ما في

(١) - يعقوبي . بلدان ص ٢٣٩ .

(٢) - السومديج ص ٢٤٠ . يعقوبي ص ٢٤١ .

(٣) - يعقوبي ص ٢٤٦ .

(٤) - البلاذري ص ٢٤١ . يعقوبي ص ٢٤٢ .

(٥) - يعقوبي . بلدان ص ٢٣٢ .

(٦) - الصغير نفسه ص ٢٣٥ . البلاذري ص ٢٤٤ .

البحر وذلك اثبتة من الجزيرة واربعية وما حول ذلك ، وهذا القرات يحيى ، فيه كل شيء من الشام والرقه وما حول ذلك ^(١) . واضق المنصور على مدينته التي استغرق بناؤها اربع سنوات نحو اربعمئة مئبون وثمانمئة وثلاثة وتدين الف درهم ^(٢) . واستخدم ما يقرب من مئة الف من الهندسين والصانع واهل المعرفة بايت ، والمعلمة استفادهم من الشام والعراق وغيرهم من اعداء الامبراطورية ^(٣) .

وسمى المنصور مدينته مدينة السلام وهي على ضفة نجلة نهرية في الوادي نفسه الذي أنشئت فيه عوامر منبئة في أيام بدول اقدمية . وحمل بناءه على شكل مستدير فسمت بالمدينة المدورة . وحمل المنصور مدخلين من الفين بسهم حندق عميق وانتهى حائطاً دائراً داخل السور سموه سمون قدماً وهو يحيط بالسياسة المدينة . وحمل مدينة اربعة ابواب متساوية تورد يؤدي الى طرف اربعة فتحات من مركز المدينة وسير في طراف الامبراطورية الاربعة ، فباب تمام باب الكوفة وباب تمام باب البصرة وآخر تمام باب حران واربعة تمام باب الشام . وهكذا فقد كانت المدينة عبارة عن دوائر ذات مركز واحد يقوم في قلبها قصر الخليفة المسمى باب الذهب (لان باب كبر مرهبا) او قلعة الحصن . وكان الى جانب القصر المسجد الحميم . اما تسمية القصر قلعة الحصن . لان فيه قبة فوق المحس عتوها مئة وثلاثون قدماً . وروث الاخيرة المربعة لم تكن على رأس قلعة الحصن . مثال سورة درس بيدور مع فكان السلطان اذا اراد ان يدرس مستقبلاً بعض الجهات وماداً لربح نحوها علم ان العدو قادم من تلك الجهة ^(٤) . وسكن هذه الخرافة لم تغير على باقوت ^(٥) لفساد الحجة فيها فذكر انها من المستحيل والكذب القاحل وأشار الى ان النصر لا بحالة يتوجه الى جهة ما في كل حين مما يدل على انه لا يزال عدو يخرج على المدينة في كل وقت . وقد :

١ - الطبري ج ٣ ص ٢٧٢ .

٢ - الخطيب المصنف في التاريخ ج ١ ص ١٠١ - ١٠٢ . ٣ - الطبري ج ٣ ص ٢٧٢ .

٤ - باقوت ج ١ ص ٦٨٢ .

٥ - الطبري ج ٣ ص ٢٧٢ . ٦ - الخطيب ج ١ ص ٦٦ - ٦٧ .

٦ - الخطيب ج ١ ص ٧٣ .

٧ - معجم البلدان ج ١ ص ٦٨٢ .

« فَمَا لَمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةِ قَبْلَ نَجْلِ عَنْ هَذِهِ الْخَرَافَاتِ » . واكثر الجدران التي دخلت في بناء بغداد اتمت من الخربة طلق كسرى في المداين المجاورة عصمة آل ساسان قديماً . أما المائين فاصطنعه البشرون . وقبل ان تدرج المنصور الوفدة بنى على ضفة دجلة خارج اسوار مدينته قصراً آخر سماه قصر الخلد شبيهاً بهجته الخلد (سورة الفرقان ١٦٤ - ١٧) . كما انه ابنى قصراً ثالثاً في الجانب الشرقي في الشمال من مدينة السلام سماه ودفقه ليعكس ابنه المهدي وفي العهد .

ولما اراد المنصور بناء بغداد مدينته ولعصمته وحريته الخراب في أمر منحه البلاط بأخذ الاعلى فقلع واخرب ما نزل عليه النجوم من طول غشا وكثرة عمارتها . وقد تحقق ما تكهن به يومئذ منحه البلاط ان المدينة تقضي غير ربع سنوت حتى الزاوية عمدة بغداد أصبحت مركزاً تجارياً عظيماً في ميدان الاقتصاد وعاصمة دولة ذات مكانة سياسية عالية . وكان مدينته المنصور هذه اعجوبة ساحر خفت بين يده وضحه وورثته . كان من مجد وعز المداين وباني وبنوي واور وسواها من عواصم الشرق القديم . ما خلفت بغداد خلفها طريقاً الى العهد والسيادة لم يعرفه سواها من مدن المنصور الواسعة خلا القسطنطينية . وما هي اليوم بعد نقابات الزمن بحث الى ان يوجد عصمة جديدة تسلكه المراكب الجديدة التي كانت اول منوكها تلك العربي فيصل الاول .

وبانتقال تلك الى بغداد اتجهت الخلافة الى الشرق اكثر من قبل . فقد انشأ فيب الخلفاء حكومة تعذر حدود الاكسرة من آل ساسان . وبات الاسلام العربي تحت زليخ الثقافة الفارسية . وابست الخلافة يأس الحكم المنطق على الطريقة الفارسية مبتعدة عن التقليد العربية . وغنيت على مر الزمان انضة الفرس بما فيها من الآداب ومجالس الشرب والتسري فتراوجوا من الفارسيات وارتاحوا للقاء الفرس واتسوا الآراء والافكار الفارسية . وقد قيل ان المنصور اول من اخذ الدس بيس قلاص الفرس . واما بكن من اعراف وثرات

(١) باقوت ج ١ ص ٦٨٤ - ٥٠٠ الخطيب ج ١ ص ٦٩ - ٩٠

(٢) الطبري ج ٣ ص ٣٧١ .

العرشين^(١) إذا صلاة ومدة وهو في ذلك يخلف من جاء بعده من الخلفاء إلا أن خططه السياسية حيث طوال الأجيال اللاحقة قعدة يختصيص الجهد - اختصار الأمور - القوية .

أما يحيى ابن خالد ابن برمك فقد وكل إليه القوي (٧٧٥ - ٨٥) خلف المتصور ثرية الله هرون . وفي هرون الرشيد خلافة بعد خلافة أخيه القوي (٧٨٥ - ٩) القوييرة قد يحيى الوزارة وكان يندبه بأبي وهو من إليه السلطة المطلقة . وقد توفي يحيى هذا سنة ٨٠٥ وكان هو وابنه حمير والفصل هو الذين تولوا شؤون الدولة من سنة ٧٨٩ إلى ٨٠٣^(٢) .

كانت قصور البرامكة في الجانب الشرقي من مدينة سامراء في سعة وعمرة وبها . وكان القصر المظفر في وسط تلك المنطقة أبيضه مائة من - كان الخيمة - وقد حفر المأمون ذلك القصر عند السكة البرمكة وعمرة في الجرافة - وقد كانت هذه القصور على شاطئ دجلة واشتد حريقها في أيام الرشيد وفيه كثير من لامة المموية . وقد ألبس آل برمك جدها عشيما وعنى فحشا بحيث يروى من العهد في مواسمهم ومنهم من يروى من عهد المأمون منهم عبد . والملاحم بدنه يمدح به الخليفة وميراث كبرهه لأمنه ولا تزال في هذا اليوم لفظة " برمكي " في بعض المدن العربية وأدى معنى كبرهه .

ومن الأعمال التي يرجع الفضل فيها إلى البرامكة حفر عمار من الأقبية سنة (١٠٠٠) وابتداء الجوامع ومداد الصفة . ويقال أن الفضل هو أول من أدخل ستم - سدس - في الجوامع في شهر رمضان . وقد حفر حمير شمرة وسعة لمواظبة عليه وحسن كتابته وحفظه . وأبينة مالا كثير يرجع السب في أن مؤرخي العرب يعتبرون البرامكة شمري سبب لفظة هذا القصر بل أن حمير هو في هذا كان لاهم الأثر في القصرية . فقد ساعدت طول عطفه وحش من الاضطراب ما يفت حجت الجريبات^(٣) ما يسبقه به أحد . على أن حمير كان كثير لمادة على الرشيد حيث كان المؤرخ يحيى بن خنيس عن مذكرته أن المؤرخ لاس - معني - تحت حيث فيه .

(١) تاريخ ج ٣ ص ٢٢٩ من الأثر ج ٦ ص ٩١ : لم يبق . سنة ٣٠٩ .

(٢) يعقوب ج ٣ ص ٥٢٠ .

(٣) جلد ٢ . ص ٣٠٩ .

(٤) تاريخ ج ٣ ص ٦٧١ - ٦٧٢ .

ثم تغير قلب الرشيد على البرامكة واستنكر استبداد تلك الأسرة الشيعية الفارسية في
شؤون الدولة ونظف قذاهم بشركومة في سلطانه بحيث اخذ يشعر انه لا بعد له معهم تعرق
في امور ملكه . فغضب عليهم وقتل جعفر وهو في سن السابعة والثلاثين وذلك سنة ٨٠٣
وامر بخته ففصلت وعلفت على ثلاثة جذوع رأسه في جذع على رأس الجسر وجسده على
جذع بالجزيرة وسأله في جذع على آخر الجسر الثاني مما يلي باب بغداد^(١) . وكان السبب
في هلاك جعفر عند اكثر المؤرخين ان الرشيد رضي ان يكتب لجعفر على العتبة اخذه ليحل
له النظر اليها ومحاستها ونقدم اليه الايتام فله حج هارون . علم ان العتبة قد حملت من
جعفر وودت غلاما وجمعت به مع حواصن الى مكة^(٢) . ومهر بكن من سب فقد قبض
الرشيد على يحيى وهو شيخ هرم وأقامه في السجن ومعه الفضل ابنه وابناه الآخران . وقد
مات يحيى والفضل في الحبس ومجرت اموال البرامكة وقدرها ثلاثون مليوناً وستة وسبعون
الف دينار . فمد الى سائر عبيدهم وثلاثهم وديارهم وريشهم^(٣) . وكذب ابيست الذي
سببه خالد البرمكي وجمعه شدة في حديقته فمات له قسمة من ماله .

(١) مفرد ج ٣ ص ٢٨ : الطبري ج ٣ ص ٢٨٠ .

(٢) الطبري ج ٣ ص ٦٦٦-٦٧ : السعدي ج ٦ ص ٣٩٧-٣٩٨ : الطبري ج ٣ ص ٢٨٨ . فاقبل ان خلدون

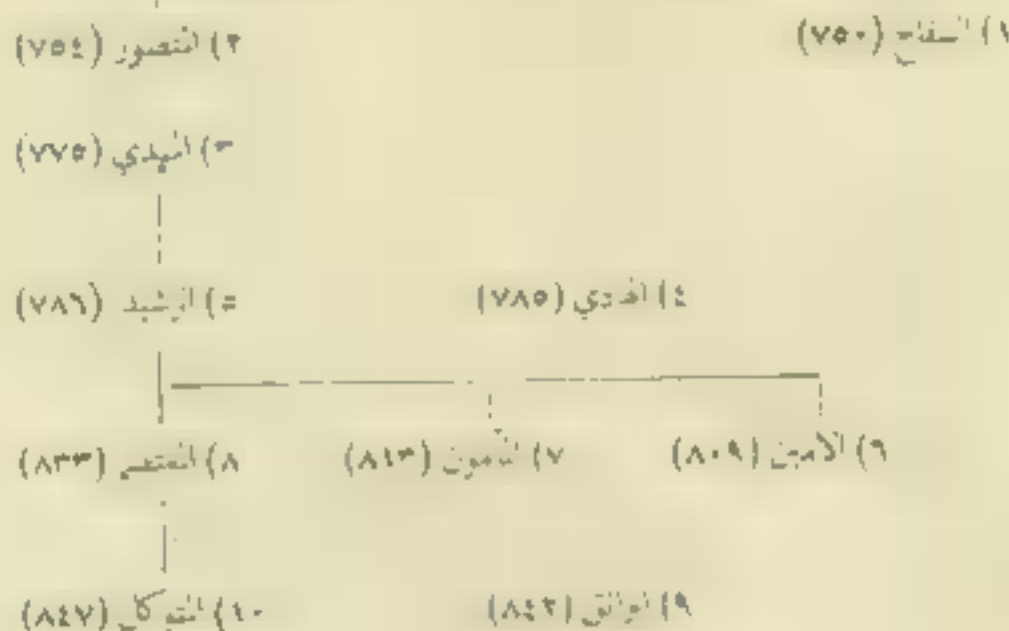
ج ٣ ص ٢٢٢ : الكتابه ج ٣ ص ٣٠٦-٣٠٨ .

(٣) مفرد ج ٣ ص ٢٨ .

الفصل الرابع والعشرون

العباسيون في عصرهم الذهبي

المس



باعت الدولة العباسية كثير من دول الإسلام في ازدهار سياسي واقتصادي في العهد الأول من عهودها . فقد أدركت خلافة بغداد التي أسسها السفاح والمنصور أوج عزها ووجعته في الحقبة التي بدأت بولاية الخليفة الثالث المهدي وانتهت في زمن الخليفة التاسع الواثق ، ووجه أنخص أيام هارون الرشيد وابنه المأمون الملقب بأمير المؤمنين على ذلك العصر هالة مشرقة من النور بحيث أصبح يعتبر أزهى عصور التاريخ الإسلامي على الإطلاق . والمغالي (١) (المتوفى

(١٠٣٨) كفة في بني العباس ما تكن بعيدة عن الصواب قول فيها : ان لبني العباس فتحة
وبواسطة وخاتمة فتحة النعمور والواسطة الشامون وخاتمة معتقد (٨٩٢ - ٩٠٢) . وبعد
الموافق اخذ الانحطاط يقرب الى جسم الدولة حتى اذا انقضى دور الخليفة السابع والثلاثين -
المستعصر - لاقت الدولة احبها اختوى على ايدي الفول سنة ١٢٥٨ . ثم ذروة الفول والسطان
والعمران التي بلغها بنو العباس فتجلى لها استقلال عراقيهم بالشون الاخرى . وباستمرار
حياة السلاط والارسطفراطية في عاصمتهم بغداد ، وترجمة النهضة العسكرية في عصر
الشامون - هذه النهضة التي - حدثت نهضة اخرى .

العلاقات مع الارمن

طالع القرن التاسع الميلادي قد زعمت السياسة العامة تتقدم ان : شارلمان في الغرب
وهرون الرشيد في الشرق . وليس من شك في ان رشيد كان قوى الاتيين ورفعهما ثقافتهم
اما العلاقة اودية بينهم فتج الصداقة الشديدة . فقد تلقى شارلمان من ممدوفة الرشيد
الاسامة على علقوه بخرقة كما كان الرشيد يسمي من مصادقة شارلمان الاستعانة به
على اعتدائه موبي الاندلس الذين تمكنوا من ارضه بليدوا هو ملكهم همدك .
وروى كتاب الغرب ان هذه المودة بين الاتيين أدت الى دخول السفراء وهدايا مرزبان
وقد اورد احد مؤرخي الفرنجة وكان يعرف شارلمان معرفة شخصية وكان يكتب له احياناً ان
يرسل ملك العرب ادوية مابين هدايا يعطى اليه . ملك فارس هرون ^(١) فيهم التسويجات
والاقويبه وقيل ^(٢) . ومصدر هذه الزاوية كذب في احبب الشوك ^(٣) ايرس ايضا خذافا
اخرى من اعداد يثبت صحة حقيقة الصنع . ما حبر لايفن في الاديب الذي يروي ان
هرون ارسله الى شارلمان فهو غير صحيح بل هو ملحق ككثير من الاحبار الخرافية التي ليس
له اصل ثبت . والظاهر ان هذا لايفن ترجع قصته من خطأ وقع في نقل كلمة اخرى وردتها
المصادر المسماة المذكورة ومعهه أداة تقيس الوقت وسعة ^(٤) . كذلك قل في حكمه هدايا

(١) جعله ملكاً فارس كما يلاحظ .

(٢) Einhard, *Vie de Charlemagne*, ed. and tr. L. Halphen (Paris, 1923) p. 47. (٣)

Annales regales, = *Annales regni Francorum*, ed. G. H. Pertz and E. K. ^(٤)
Karr in *Scriptores rerum Germanicarum*, vol. 42 (Hanover, 1895), pp. 114, 123.

مفاتيح قبر المسيح إلى شارلمان فربما قد البعث المعنى
والغريب من أمر هذه الهدايا والتي كانت تشيعة بين مسكنين (بين سنة ٧٩٧ و ٨٠٦
فيما روي) أنه ما ورد لها ذكر في المراجع العربية، فهذه الهدايا مذكورة في مراسلات ومجالات
ديبلوماسية أما هذه التي نحن بصدد فهم ترد في مؤلفات أخرى، وقد ورد العقد ٢٠٠ الكلام
عن عدة مراسلات بين خلفاء بني أمية وبالأحرز ببيعة وود كرو وقد من لمن، كانت هذه
جاء يحمل الهدايا القديمة التي أرسلها وودف لاستقبال الخليفة الذي لديه كانت توارث، وفي
مصدر آخر^{٢٠١} أن سامون ابن مروان همداء عدت زيوم (١) منه مبعوثين الذي (٢) لغة مديرة
الهدايا مع الروم

سنة ٧٧٥ - ٨٥٠) تحت التاريخ لعقوب مع الجيوش
الذي استغرق أكثر من قرن، وسكن حارب كانت منطقة وود كان يسمى همداء
وكانت للاستمرارية الداخلية التي كانت تدوم العربية والتي في شكل العاصمة في حدود
المدينة قد سبقت الإمبراطور قسطنطين الثامن (٧٦١ - ٧٨٠) وسبقه في ذلك
طول الحدود الشرقية في آسيا الصغرى ومدينة (٣) وهكذا أصبح مركزا لعمارة
المسلمين من سورية إلى أرمينية.

وتسرع السيفي والعمارة العباسية بين وود همداء حارب في سجن حامية
موقعة على شاطئ البحر بسوايقود وبي عهد حلب همداء، فوجدت قوات العرب الصليبي
البوسني^{٢٠٢} سنة ٨٧٢^{٢٠٣} وود همداء حارب في سجن حامية

^{٢٠١} Louis Bréhier, in *Chapitres de l'histoire de l'Orient Byzantine*, Collège de France, 1924, p. 150.

^{٢٠٢} من ١٩٧٠.

^{٢٠٣} في قوات وود همداء من ١٩٧٠.

^{٢٠٤} A. A. Vasiliev, *History of the Byzantine Empire*, 4th S. Bagin, vol. 2, (L. Matkov, 1988), 294; Charles Diehl, *History of the Byzantine Empire*, (L.G. B. 1925), 1925, p. 192.

^{٢٠٥} عدد ذكر ثيوفانس الذي كتب تاريخه سنة ٩١٢ في همداء حارب حتى كرسية وود همداء وهي حامية

المدينة Theophanes, p. 450.

^{٢٠٦} وضع كتابه في ص ٢٧٩ تاريخه سنة ١٠١٣ - ١٠٠٠ وسمو في ٢ من ١٢٧٥

^{٢٠٧} سنة ١٦٤٠ والخبري ح ٢ من ١٦٤٠ - ١٦٤٠

ذلك السكة بربن وصية على ابنها الصغير قسطنطين السادس فاضطرت أنت تعقد صلحاً مدلاً فامع العرب وضع عليها فيه ان تدفع لهم جزية كبيرة قدرها سبعون الفاً الى تسعين الفاً من الدينار تودبها قسطنطين في بيسان وحزيرات من كل سنة (١١) . وكان ان الى هارون في الجهاد بهذه الحلة وتبر بحت منحه ابو عبد الله الرشيد « وأوصى له بولاية العهد بعد أخيه الأكبر موسى الهادي . وكانت هذه آخر مرة بنفت فيها جيوش العرب الى حدرا انت العاصمة الفخورة . فالحملات التي وجهها العرب الى القسطنطينية خمس : ثلاث منها قام بها معاوية (٣٤ / ٦٦٥ و ٤٨ / ٦٦٨ و ٥٤ / ٦٧٤) وازمنة ساجين (١٢) (٩٨ / ٧١٦) . بعد انت القسطنطينية ما يحضره السفون في كل هذه الحملات لا مرتين : الأولى في تلك الحلة التي قدمه يزيد (٤٨ / ٦٦٨) والثانية بقيادة معاوية (٩٨ / ٧١٦) . اما الغزاة التركي عوجسان احصوا ان سبعة او ثمانية وبسبب الى هارون حصارين . وفي « الف ليلة وليلة » وسواها من قصص القروسية تصح الحملات لاسلامية لوجهة على القسطنطينية معك الكثير من ايامهم الزمنة الجذابة التي حيث معظمها في عهد الحروب الصليبية .

اما بربن (٧٩٧ - ٨٠٢) التي شغلت عرش الروم وكانت هارون امرأة مطاعة السلطان في تاريخ بيزانطة (١٣) فقد حكمها بغيره لأول (٨٠٢ - ١١) . ورفض هذا مشروع الصلح التي قسطنطين الاميراطورية فلما وبعث الى خليفة هارون الرشيد بكتاب موبن شطب فيه ان يعيد اليه الجزية التي كانت قد دفعت له فم قرأ الرشيد الكتاب استغرم الغضب فدا بدأ بدواة وكتب على ظهر الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم من هارون امير المؤمنين الى بقفور كاتب الروم »

١٠ - تاريخ ج ٣ ص ٢٠٠ .

١١ - غير فصل تاسع عشر من هذا الكتاب .

١٢ - Vasilius, vol. I, p. 287 .

١٣ - بقفورس في المصادر اليونانية وكان عربي الاصل له من ثلاثة حيلة اعصابي : تاريخ ج ٣ ص ٦٩٥ .

Michel le Syrien, Chronique, ed. L. B. Chabot, vol. III (Paris, 1905) p. 15 .

١٤ - بقفورس في آخر الاسرة لايصورية و السورية (٧١٧ - ٨٠٢) التي اسما ليو كانت (٦٩٧ - ٦٩٠) الامير بقفور الذي تزعمه وخطاؤه الخلة على سور ولاهوتات متأثرين في ذلك بروح الاسلمية . وقد

ب ثيودورس بوه هذا صاحب عقيدة لاسلامية . Theophanes, p. 40 .

قد قرأت كتابك يا من الكافرة والجواب ما نراه دون ان نسمعه والسلام» (١).

ولما حل بشت الرشيد الجيوش والسرار يارض الروم ودائرة سلسلة حملات على البيزنطيين وهو مقبض في مغارة بالقرب من الفرات على خط المدفع عن الحدود الشامية. وانزل الرشيد بأسية الصغرى الخراب والتدمير وانتهى الامر الى ان استولى على عريقة واطرواس سنة ٨٠٦ فاضطر الامبراطور الى ان يدفع حربية عن نفسه وعن افراد أسرته (٢) ا فوق الخربة العامة. ويجوز القول انه في هذه الفترة كان في هذه الحالة التاريخية نفسها بلغت السلطة العباسية أعلى قمتها.

وما تقدمه جيوش الخلافة الى ما وراء جبل طوروس تقدمًا يذكر بعد سنة ٨٠٦ الا في عهد المعتصم سنة ٨٣٨. ونظرًا كانت المعتصم قد تجهز بما تجهز به قبله خليفته قطب من السلاح والعدد والآلة وحارب بلاد البعل وروا والقرب وآلة الحديد والندى (٣) فوغل في بلاد الروم حتى انتهى الى سورية وهي مسقط رأس مؤسس الدولة البيزنطية القائمة يومئذ (٤) فأتت حامية عمود ما كان موقفة. فقد كانت القوات العربية مقبضة على الزحف على القسطنطينية لكنها لم تزل عند قرايتهم الياء الاضطرابات الداخلية في الخش. اما الامبراطور الروم نيوفينوس (٨٢٩ - ٨٤٢) فقد دفعه الخوف على عرشه من السقوط الى ان يستأجد صاحب البندقية وحدث الاوريج كما استعير بلاط الامويين بالاندلس. وكانت نيوفينوس قد هددته قبلاً جيوش الامويين ان الرشيد حين شجع هذا الى بلاد الروم غاراته فدحسته لنية (٨٣٣) بالغرب من طرسوس. وما يقرب العرب بعد زمن المعتصم بهجومه في حال على الروم. فالتين قوموا به زلات من حدة المعتصم انه ارادوا ان لا القشع. وما يقع بين المسلمين وقبائل دموية كبرى كما ان العرب ما ينفذوا الى قلب البلاد. غير ان القرن التاسع شهد حركات غذائية متواصلة كانت تحري على شعوب الروم الشرقية كل سنة تقريباً. وقد اورد

(١) الخطابي ج ٣ ص ٢٩٦.

(٢) الخطابي ج ٣ ص ٢٩٦، ١٠٩، ١٠٠. يعقوبي ج ٢ ص ٢٢٣، ٢٢٦. الخطابي ج ٣ ص ٢٨٦ - ٢٩٠.

(٣) مودودي ج ١ ص ٣٣٧ - ٣٤٢.

(٤) الخطابي ج ٣ ص ١٢٣٦.

أحد جغرافيا العرب التي كانت الفترات كانت ثلاث كل سنة : ففترة شتوية في آخر شبط
 إلى أيام تقضي من آذار وغزوة ربيعية تستغرق ثلاثين يوما من عشر إلى عشر حزيران
 ثم الصائفة وهذا الشهر تقو من تموز وشو من اثنين يوما . وقد ساعدت هذه الفترات على حفظ
 النشاط الحربي كإسباحت معمم حصة . لأن الميزة العربية لأهمية كانت تصحح كما
 كان تصحح الدفاع العربي الذي تغير في زمن القنودات الأولى . وحشد أثر العمل الداخلية في
 دور الدولة يظهر في علاقه الخارجية . وما يضاف حول الإلحاق ومقارعة السلطة سوى ندوة
 الخرابية في حرم وهي من المولات التي استقلت عن الخلافة عباسية حولي منتصف
 القرن . ثم سر وسهولت على غير هذا الوضع .

بدر في قملها

بأنى التاج والاسم في التاج . هي عقود . وقد كان في . علاقه هرون الرشيد
 (٧٨٦ - ٨٠٩) . ومع أنه كان قد معنى على أساس مدنية . لا ماضف فإن قوله . كان
 قمت من العزم وحدثت تقدم لأول في الخوازمي . وقد كان في الخلافة . وما كان
 يحده . لا يتصور مع درجة عدم الاستطاعة في ذات هي عاصم . حتى قيل . «
 كان بغداد في اليد . عازي حاشه قمره وقمره مدح وكثرة عوام . وعلا . والمير حوصم
 وعونه وشعله . قطار . وسعة على . وكثرة زوية . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة .
 وسكك . وزفتي . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة .
 علاقه . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة .
 بد فيه من دور الحريم والخصم (الأهل حصة مع التاج مدنية . وسعة . وسعة . وسعة .
 الخروش . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة .
 زوج الخليفة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة .
 الأجل . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة . وسعة .

١ . مدية . كذا . عرج . شرقي غوبه . نيسان ١٩١٩ . ص ٢٢٩ .

٢ . خطب ج ١ ص ١١٩ .

بالجوهر . وكانت زينة نزع القراز المأزوم بين النساء المعروفة وهي أول من أخذ الخلف في
المرسعة بالجواهر^{١١} وجمع الغنم حتى تشبهت بها الطليقة لراقية به . وقد قيل أنها انفتت
مرة في طريقها إلى الحج ثلاثة مائتين دينار منها نفقة سنة لها مئير عشرة أميل إلى الحرة
تلك^{١٢}

وكانت زينة مرسعة هي أغنية بنت الهندي تحت هرون لأبيه . وكانت عبدة من
أهل نجد لا غيب كانت في حبسها فأنزلت معاتب مطاوعة الجوهر تشبه بها
حبسها فحدثت تلك المعصية في حبسها فحدثت تلك المعصية^{١٣}

وقد كان مدو استعمل بدمج في الملائكة نوع خاص في الأحداث برحمة كالتعجب
العديدة والأعراس المسكية وموكل الحج والاعتقاد سفر الدول لاسمية . وقد اتفق عند
روح الأمون بوزن^{١٤} سنة ٨٢٥ وهي ست واربعة خصال من الأمون والآفاق
ولا تزال تارة عدة في لأدب عربية إلى يومه هذا وهي على سبع العرف أو السبع
التي بعده ذلك المعبر . فبينما في من العرس بلف العرب من عن حبيب ذهبي مرسع بالدر
والياقوت فخرت هي من تلك تارة من عداية ذهب ووقفت جميع العداوة كل واحدة
منها على وفاءت الظلمة صوب . وهي امرأتك العرس العظيم من الأمون على الخشيين
والقواد والكتب والموود . وفي مسندهم بفتح بصرى صيرت واسم حور وغير ذلك . فكانت
البرقة إذا وقعت في من رجل فخرجت في رقة ويضي فيسند من من سوء . كانت
شعبة ومكة آخر وفرد وحارة أو موكب^{١٥} . وسفيل حبيبة القند سنة ٩١٧
في بلاطه رسل الأمير المولى الكف فسلطوا السبع استقبلوا راحة وأظهروا القصد من هذه
وزيرة التي كان بها الأسرى . وقد أتاهم . وقد مضى في موكب الخليفة يومئذ سنة

١١ - سعودي ج ١ ص ٢٩٩

١٢ - ابن خلدون ج ١ ص ٢٢٧

١٣ - الأعراس ج ٩ ص ١٣

١٤ - كانت في سنة ٨٢٥ مرة يوم حبسها بأمون في مسكن ج ١ ص ٩١

١٥ - طريق الحج ج ٣ ص ١١٩ - ١٢٠ - سعودي ج ٢ ص ٦٥ - ٦٦ في الأعراس ج ٩ ص ٢٢٧

شامه ص ١٢٣ - ١٢٤ في حيدون القصة ص ١٢٥ - ١٢٦

١٦ - سعودي ج ١ ص ١٩٣

وستون ألف فارس وراجل وسبعة آلاف خد من البعير واليدين واليدين واليدين .
ثم أخرج رسول الأمير بطور إلى دار الخلافة ومشي حوله مئة سبع من البعير : خمسون بئنة
وخمسون بئنة كل سبع منها في يد سبع وفي رؤوسها وأغصانها السلاسل والذهب . وكان عدد
معاقل في قصور أمير المؤمنين من الستور ثمانية وثلاثون ألف ستر منها ثلث عشر ألفاً وخمسة
من ستور الذهب . أما البسط فثلاث وعشرون ألف قطعة . فدهش الرسل به وأوا
ونظروا إلى دار الخشب ثم إلى دار الخبز فحسبوا بحسب الخبزة . فدخلوا من الخبزة والروضة
حتى قيل لهم إن هذه دار الوزير ومك دار الخشب . ولكن كانت دهشهم الصغرى عند
دخولهم دار الشجرة وفيها شجرة من الفضة والذهب وزاد خمسة ألف درهم لكل غصن
منها شاخت كثيرة غلب الطيور والعصفير من كل نوع مذهبة ومفصضة تحرك كل تحرك
الرياح وبق الشجر فتصغر الطيور ويهدر . ثم أخرجوا إلى سجن فيه ثلث طول كل نخل خمسة
أذرع قد ليس جميعه ساجد منقوش وهي حيلة غرائب السرايا .

وفي عهد الرشيد وهو خير من ينال النية حدث في الإسلام وفي عهد الخليفة الذين وثقوا
بده مباشرة كان البلاط مولى الشعراء والنبي . وأرباب الموسيقى والغناء وسواهم من الشعر
والندماء وأصحاب الملهو ومرابي الكلاب والديكة وغيرها حتى أصبح القصر مركزاً مختلف
الثقافات وأرباب الملهو . وكان في مقدمة المظهرين والمثقفين أراهم النوصلي وسيدنا وابن جارية .
ولقد وصف أبو نواس وهو شيخ الأملين ورقيق فوه حية البلاط في هذا العصر الراعي بأعذب
الشعر . ومع كتاب الأغاني بالقصص التي تحمل هذه الحية الأجنبية إلى حد كبير . قبل أن
الخليفة الأمين (٨٠٩ - ١٣) غناه عنه أراهم ابن أبيدي . وهو من أشهر العندين - صواباً
في شعر لاني واس فمر به بثلاثمائة ألف دينار . فقال أراهم : يا أمير المؤمنين قد أحزني إلى
هذه الغاية عشرين ألف الف دينار . فقال الأمين : « هل هي إلا خراج بعض الكور ؟ » (٢) .
وكان الأمين متفهماً في الملهو فلم يجد له ابن الأثير (٣) في سيرته ما يستحق ذكره من حدة

(١) المطبوع ج ١ ص ١٠٠ - ١٠٤ : أبو عمدة ج ٢ ص ٧٣ : مملوك ج ٢ ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) الأغاني ج ١ ص ٧١ .

(٣) ج ١ ص ٢٠٢ .

أو معدلة أو تجرئة ونسخته ذكر انه كانت له عدة حراقت خصة في دجاة على خلفه الأسد
والقيل والمقاب والحية والقرص فنفق في عمل واحدة منها ثلاثة ملايين درهم^(١). ونرى
في كتاب «الاعاني»^(٢) مشهداً للأمين في ليلة من ليالي العرب والغداة جاء حتى الصباح قال
راويه وهو أحد النفتين «مرت في ليلة ما مر بي قط مثلها حتى في رسول محمد الأمين وهو
خليفة فخذني ودكفني في اليه ركعت فحين واقبت أني بإبراهيم ابن المهدي على مثل حتى
فترانا فإذا هو في صحن لما ار مثله قد ملئ شمعاً من شمع محمد الأمين الكبير وإذا به وقف
ثم دخل في الكراج والدار مملوءة بالشمع يعمد على الخبث والسرايات ومحمد في وسطه
يرتكس في الكراج فبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا البيت ثم لي الصحن فبدأ الصواكر
مع السرايات ابن ينف وإياكم ان اسمع في الصواكر قصير عنه قال فذهب فبدأ الجواني
والخثول يرمون ويضربون :

هدي دناير نسائي وأذكره وكيف سبي عبياً يس يس

فما زلت شق حلقنا مع السرايات وينعه حد من ان يخرج عن طيفه أو يقتصر عنه إلى
الغداة ومحمد يحول في الكراج ما يحمله يدو اليد مرة في حوله ويقعد برذ ويحول الجواني
يدنا وينه حتى أصبحت هـ. وذكر السعدي^(٣) أن ابراهيم ابن المهدي استمر أخد الرشيد
فلما وضعت الورد على المائدة رأى الرشيد السمك فاستصر القميص فقال ابراهيم : لا هذه
السمك السمك « وإدفع الخادم قئلاً : « أمير المؤمنين فيها أكثر من مئة وخمسين سمكاً هـ.
فاستدفع الرشيد عن مبيع ثمن السمك فحيرته أنه قد ذك باكثر من الف درهم. وإذا إذا
جردنا صورة حياة البلاط فندادهم أنهم يذ القرايح الشرقية من الاطباء والمباغة نراهم
فيها بالرغم من ذلك النجرب يد ما يملأ النفس ذهنة وعجبة.

الاحط في من ثروة الخلفاء وسأخبر وقد كان أفراد البيت الملكي وغيرهم من المطاسة

(١) المصدر نفسه ص ٢٠٩ : تطوي ج ٣ ص ٩٥٩-٩٦٠.

(٢) ج ١٦ ص ١٣٨-١٣٩.

(٣) ج ٦ ص ٣٢٩-٣٣٠.

والخشية والوقار، وكثير رجالات الدولة يقفون احبته في اعطاء والبذل وسعة العيش، وكانت
الزوايا والاشيخات من بيت من الامة تعطي حتى عسر اقرباء الخليفة حتى انقطعت في
ايام المنصور (٨٣٣ - ٩٢٤) وسعت غلة الخزين من ارشيد مئة وستين مليون درهم (١).
وحكى ابن راجلا يعنى محمد بن سفيان عن فاضل السيد امواله في الضرورة فمكأن مبالغها
بمئة وخمسين مليون درهم فدا مع دحل يودي من ماله مئة الف درهم، وما يكن
مستوى العيش الذي عرفه غير مكمل، فكل من سوي حبيبة وأهل الدولة، اما خيفة حياة
المرء من القصة في فسادها كانت، شعاعه عسر ذلك عهد ما يدكر في القصة الا ما
يراد في الاشعار الزهراء التي افهمه او العاهة.

وبدأ حركت في سنة ٨٠٩ من الحرب الأهلية التي سرمت بين المأمون والخبه الأكبر
الأمين الذي كان ارشيد و... حنة اويته من عمه ابراهيم ابن المظفر الذي ادعى
العرب ودخل المأمون العاصمة فكل قومه كرم من المدينة قد دمروا بقى بعد ذلك
بمدينة مدمرة من ذكر، وقد تعدد بنفسه المأمون مفروا في القصر الخفري الذي كان
مخفر الموكي قد نبوه منه مسك في حرب عسري من غلاد، ولكن بفساد ما بيت
المنصور ساعدت على عرقه ومكاه في ميران "الحيرة والمكبر" لم يكن من السهل القضاء
على تلك المدينة التي توارثت عظمة عومر الكباري في وادي الفات ودمية من عهد نور
الاف عهود بين و... كان في موقفهم المدمر من عومر مركز الحيرة بجميع أنحاء العالم
المعروف آنذاك، ومنذ يصفه عذري ما من... الا حتى كانت ترى في عينها اناسه
مذات الحزن من تعبيرة وحرارية ومراكب فهو ومنه بين العبيبة والاحلاف وهي قرب
من جند خلق الاطوار وبشع مصداق في بعض وجوه من فومل وهي لا تختلف كثيراً عن
تجاهده نبوه في ذلك العهد من الفوف، اما المصراع التي كانت تعال الى اسواق المدينة فقد
احتوت الخراف والخرير والملك وهي من حصالات الصين والحبوب والمعادن والاصباح من

(١) دلى الخاتمي، الخائف ص ١٢٠.

(٢) السويدي ج ٦ ص ٢٤٩.

الهند ورجيل ملقاً ، أما الياقوت واللازورد والسوجات والارقاء فمن اراضي الترك في اواسط
آسية ، والعمل والشمع والقرو والبيد البيض من اسوج وروج وروسية ، والنجع والنجع والبيد
السود من شرق افريقية . وقد افرد لبعض المصنفين سوق خاص بها وكذلك ارست الامم
حواسل مناطقها بخرأ وبرأ في القوافل . فلانز والخططة وانكشت من مصر ، والزجاج
والادوية المعدنية وانقواكه من الشام ، والتمش الحريري لتعصب واللؤلؤ والاسلحة من
جزيرة العرب ، والخرار والخطوط والبنل من فارس^{١١} . وقد تم الاتصال بين جدي بغداد
الشرقي والغربي بواسطة ثلاثة جسور قائمة على قوارب او غوامات تدعها وهي لا تختلف من
هذه الجهة عن جسري بغداد اليوم . وقد افرد المصنف^{١٢} باباً من تاريخه لذكر اقيسة
(سوار) بغداد التجارية التي كانت بين المور والساكن وباباً آخر لجسورها . وقد قام القهار
العرب بتعمير السوجات والجواهر والاريا المعدنية والخرز الزجاجي والعيوب وغير ذلك
فأسبغها الى بغداد ومنبأ الى الهند الشرق الاقصى واوربا وافريقية . وتشهد النقود السكوكية
التي وجدت طائفة كثيرة منها في روس وفسدا^{١٣} واسوج والسير بالاساح التجارية التي تعاطفها
المسلمون في مشرق الارض ومغربها سواء في هذه الحقبة ام في الحقبة السابقة من تاريخهم .
ومست حكومت السندباد البحري التي هي من اجل قهر الف ليلة ويلة عند أهل البحث
الاحبار لها اسواق واقعيه في رحلات حقيقة قام بها أهل التجارة من المسلمين .

واما في طائفة التجار فمما تقدم له شأن في بغداد . فكان لكل تجارة اسواقها الخاصة
وحواشيها متلاصقة كما هي الحال اليوم . وكانت الخبزة في هذه الاسواق على ونبدة واحدة الا
انما اعترض ذلك عمر موكب من مواكب الاعراس او حفلات الختن . وفي عصر الامويين
اخذت ترتفع طبقات أهل الخراف من أطباء ومعلمين وكاتب وأمثال هؤلاء وكانت
تأمنون بربها فصار له مكانة مرموقة . ثم ظهرت في الزمن الذي وضع فيه ابن النديم كتابه

١١ راجع حصص الاموال في كتاب : Le Slave, Eastern Caliphate .

١٢ ج ١ ص ١١١-١١٢ .

١٣ في متحف عسكري كثير من هذه السكوكات .

١٤ في مقولي : بيان ص ٢٤٦ .

المعروف بالقهرست (١) مؤلفات كثيرة تطرق مواضيع غريبة كالاستهواء (المناطيسي) والشعوق وبيع السيوف والزجاج (٢) ولقد انتهى ابن خلكان لحسن الخط صورة مصغرة يظهر فيها نوع الحياة التي كان يعيشها واحد من عقاء ذلك الزمن في يومه العادي ونرى في تلك الصورة حنين ابن اسحاق يقتنع بما تنعم به اهل العلم اذ ذاك من ثروة تدركها عليه تأليفه وعنه. قال : « ان حنيناً المذكور كان في كل يوم عند نزوله من الركوب يدخل الحمام فيصيب عليه الماء ويخرج فيلثف في قطعة ويشرب قدح شراب وياكل كعكة ويتكىء حتى يشف عرقه وربما نام ثم يقوه ويتبخر ويقده له طعامه وهو فروع كبير مسن قد طبخ ... وورغيف وزنه مثنا درهم فيحسو من المرقق وياكل الفروج والخبز وينام فإذا اشبع شرب اربعة ارطال شراب عتيقاً فإذا انتهى القاككة الرطبة أكل التفاح الشامي والفسرجل . » (٣)

البفظة الفكرية

ليس من شك في ان التصورات الجيوش الاسلامية اية الهدي والرشد على البيزنطيين اعدائهم اليهوديين كانت سبباً في تفتح هذه المصير كما ان حياة الترف والتمدن التي احصى بها قد رفعت شأنه في التاريخ والقصص . على ان سبب عظمته الحقيقية راجع الى البفظة الفكرية التي لم يعدها مثل في تاريخ الاسلام والتي تعتبر من النهضة الهامة في تاريخ التقدم الفكري في كل العا . الا ان هذه البفظة كانت الى حد بعيد ونيدة المؤثرات الأجنبية سواء أكانت هندية فارسية او سريانية او هندية . وهي بفظة تميزت فيها حركة النقل من الفارسية والسنكرينية والسريانية واليونانية الى العربية . ويعدربنا هنا ان تشير الى ان العربي المسلم لم يكن له في الأصل ذلك التراث العظيم من العلم والفلسفة والأدب على انه قد حمل معه من الصحراء رغبة ملحة في الاطلاع على ما هو جديد وقبيلة شديدة لتلقي العلم واستمداد طبيعي لاستغلال امكانياته بحيث استطاع كما تقدم معناه ان يقتبس من الثقافات

(١) عبارة عن كتاب جامع لأسماء مؤلفات عربية معروفة في زمانه .

(٢) ص ٣١٢ .

(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٢٩٩ .

القديمة ويصبح الوريث العسكري للامم التي غلبها او احتك بها . وكما جاء الشام قتيبي في
 المدينة الآرامية التي كانت قد تآثرت بمدينة الاغريق كذلك جاء في العراق يشق المدينة فيها
 وقد طبعت بطابع الفرس . ولم يمض اكثر من ثلاثة ارباع القرن الاول لتأسيس بغداد حتى تم
 للعالم العربي ان يقف على اهم كتب ارسطو الفلسفية وعلى نخبة من كتب الشروح لأهل
 الفلسفة الافلاطونية الجديدة وعلى جملة من كتب جالينوس الطبية وطائفة من الكتب العلمية
 الفارسية والهندية (١) . وفي بضع سنوات تسى لطلاب البحث من العرب ان يهضوا ما
 افق اليونان القرون في انتائه . ولا يغوتنا ان نشير الى ان الاسلام اصابع بذلك جانباً مهماً
 من صفاته الأساسية التي جعلها معه من البداية مطبوعة بطابع المعصية القومية ولكنه حل مكانه
 رفيعة في الوحدة الثقافية التي كانت في العصور الوسطى ثم بسطت حقولها الى الشرق الأدنى .
 ولندكر ان هذه الثقافة كانت قد استمدت أصولها من مصر وبلاد وافيقيق واليهودية واتجهت
 في مجرى واحد نحو اليونان ثم عذت الى الشرق شوب هيني . وسرى فيا بعد كيف عاد هذا
 انجوى الى اوربا عن طريق العرب في اسبانية وفي صقمية فكان مبعثاً للنهضة الاوربية المشهورة .

الهند

وكانت الهند مصدراً استقى منه العرب في اول هذا العهد لاس الحكمة والأدب
 والرياضيات . فحوالي سنة ١٥٤ / ٧٧١ قدم رحلة هندي الى بغداد ومعه رسالة في الفلك
 تدعى سندامتا (في العربية السندهند) وتمت ترجمتها بأمر منصور على يد محمد بن ابراهيم
 الفزاري (المتوفى بين ٧٩٦ و ٨٠٦) . وما لبث هذا ان اصبح اول فلكي في الاسلام (٢) .
 اما رعاية العرب بالنجوم فترجع الى عهود الندية ، غير ان الاهم العلمي بالنجوم لم يظهر قبل
 هذا الزمن . وقد كان من بعض مراسير الاسلام نفسه باعث آخر على التوسع في دراسة الفلك

(١) قد أخذ الشرق العربي الحديث منذ اواخر القرن التاسع عشر يحتاج مرحلة شعبة بهذه الرحلة في
 عهد العباسيين من حيث الترجمة والعلل عن المصادر الأجنبية الا ان المؤلفات التي عنت في الترجمة كانت في
 الاكثر اسكاذبة او افسية .

(٢) مساعد بن احمد القاضي الاندلسي (طبقات الامم : نشر شيخو (بيروت ، ١٩٩٢) ص ٩٠ - ١٠٠ .
 يافوت ، معجم الأدباء : ج ٦ ص ٢٦٨ : السعدي ج ٨ ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

كوسيلة لتعيين جهة القبلة . ثم جاء الخوارزمي (المتوفى ٨٥٠) العالم الشهير فوضع بقوائمه
الفلكية المعروفة بالزيج استنداً على مصنف القراري فجمع غاية ما بلغته أصول الفلك عند
أهل الهند والافريق وزاد عليها أموراً جديدة . ومن جملة الترجحات الفلكية الأخرى التي
تمت في هذا العصر تلك التي نقلت من الفارسية الى العربية الفاضل ابن نوبخت (١) الفارسي
(المتوفى نحو ٨١٥) أمين خزنة الحكمة لهارون الرشيد (٢) .

والى الرحالة الهندي المذكور آنفاً يعود الفصل في اتخاف العالم الاسلامي (٣) برسالة في
الرياضيات تطرقت بواسطتها الأرقام الى أوربا . تلك الأرقام التي يسميها الأوربيون « عربية »
ويسمونها العرب « هندية » . وفي أواخر القرن التاسع اتخف الهنود عن الرياضيات العربية
بعدمه أخرى هي نظام الكور المصرية .

فارس

لا يمكن للفارس خلال القرون والآداب شيء يذكر مما يستفيد منه العرب . فهم قد امتازوا
بالميل الى تذوق الجمال وكادت ان تكون هذه الحية مفقودة في ثقافة العرب الساميين
فقتبسوها من الفرس وفوق ذلك فقد كان لفارس أثر من السحبة الأدبية لا من وحي العلم
والفلسفة . وان أقدم الكتب العربية التي اصبحت بـ هو كتاب كليله ودمنة (المنقول عن
اليهلوية - الفارسية الوسطى) وقد نقل الى البهلوية من اللغة المسكريفية . وكان أصل هذا
الكتاب قد وحي به من الهند الى فارس وحي معه أيضاً بلعبة التطريج وكان ذلك في عهد
الملك انوشروان (٥٣١ - ٧٨) . والنص العربي قيمة كبرى قائمة على كون الأصل الفارسي
منفوقاً وكذلك قل في الأصل المسكريفية وان تكن مادة الكتاب موجودة في شكل مطول
في كتاب « اليانث تاترا » . ومن هنا فقد أصبح النص العربي أساساً لجميع الترجمات المتعارفة
اليوم وهي نحو أربعين وتشمل لغات أوربا واللغة العبرانية والتركية والمغربية ولغة مقنا حتى اللغة

(١) تسمى كلمة « نوبخت » بالفارسية الخط الحسن ، وقد امتاز كثيرون من أفراد هذه عائلة في علم الفلك ،
الطبري ج ٣ ص ٣١٨ ، ٣١٧ بحث ورد الاسم تحت ١٤٠١٤٠٠ .

(٢) انظر ص ٢١٤ .

(٣) انظر ما سجد عن هذا في الفصل الرابع من هذا الكتاب تحت باب « الرياضيات » .

الاسلندية . اما ناقيل « كلية ودمنة » الى العربية فمن المقتبة (١) . وقد وضع كتاب « كلية ودمنة » في الأعمال لتتيف الأمراء وتقليدهم عن الأدب على ألسنة الحيوانات . اما ابن المقفع فكان من اتباع زرادشت ثم اعتنق الاسلام . وقد انهم بالزندقة وسبق الى النار فلاقى حظه حرقاً حوالي سنة ٧٥٧ .

ونعتبر ترجمة ابن المقفع هذه قطعة فنية من الاشـ او اثر من المترجمي . وقد اكتسب المتر العربي منذ العصر العباسي مسحة الأسلوب الفارسي تدفيه من الاسراف في التاني والمجاز والبديع المقتضي . وكان الأسلوب العربي القديم يتنازل بالرشقة والايجاز ولكنه لم يزل عبء العهد حتى اخذت هذه المميزات تزول ويحل محلها الصفات المألوفة في الأسلوب الفارسي من تزوير وصقل وترويض وقد حفظت كتب الأدب العربي « كالأغني » و « العقد » و « سراج الملوك » لظهر طوشي (٢) بالاشادات الى مصادر قديمة هندية وإيرانية وهي اشارات تتوارد خاصة عند المرض أو اخصيص تدور على الحكمة وآداب الميافة وأصول المعاملات السياسية وفي كتبه التاريخ . ولكتابة التاريخ عند العرب اصول سخرى فيم بعد كيف شهدت على اسس الطريقة الفارسية .

وما أصيب الخليفة المنصور سنة ٧٦٥ بعدة في معدنه استعصت على الجلاء فله استدعى طبيباً سطورياً من جنديسابور (٣) اسمه حورجيس ابن غنيسوع (٤) (المتوفى حوالي ٧٧١) وكان هذا عبد الأطباء في بهارستان جنديسابور التي أسسها سنة ٥٥٥ اوشروان الكبير فاشتهرت بعلم الطب والفلسفة . وقد اثنى عليها من اليونان فيها ورأسه الا ان الآرامية

(١) من طبعات كلية ودمنة طبعة دي ساسي (باريس ، ١٨١٦) وطبعة بولاق ، ١٢١٩ . وطبعة خليل يازجي الثانية (بيروت ١٨٨٨) وطبعة لويس شيخو بيروت ١٩١٥ . وراجع عن ابن المقفع تهرست من ١٩٨ وابن خلكان ج ١ ص ٢٦٦ .

(٢) نصر في القاهرة ١٢٨٦ و ١٣٠٦ .

(٣) جنديسابور فارسية وقد أسس مدرسة شاپور الأول الساساني وفيه تجمد وسمى اسمها بها حتى « مسكر شاپور » وتقوم في موضعها اليوم قرية تدعى آند في خوزستان في الجنوب الغربي من إيران .

(٤) قابل تهرست من ٢٩٦ : ابن العربي من ٢١٣ - ١٥ . اما « بنت » في ترجمتها ابن أبي أصيبعة (ج ١ ص ١٢٥) مشتقة من السريانية بمعنى « خادم » فهو في الحقيقة « بنت » يهودية وبماها « خلس » وهذا راجع من اسم العائلة « خلس يسوع » .

كانت لغة التدريس . وقد حظي جورجيس هذا عند الخليفة فاصبح طبيبه الخاص وظل محافظاً على نصرانيته . وقد ذكروا أن امير المؤمنين قال يوماً : « يا حكيم انق الله وأسلم وانا ضمن لك الجنة » . فاجابه جورجيس : « قد رضيت حيث آتاني في الجنة او في النار » (١) . وعاشت عائلة ابن عتيشوع في بغداد في فضل وجاه وعرف منها في مدى قرنين ونصف ستة اوسعة اجيال من الاطباء تشعروا بغير نقبات الدهر عليهم بما يكاد ان يكون احتكاراً متصلاً بشؤون الطبابة في دار الخلافة . وقد جرت العادة في ذلك الزمن ان تكون المهن الطبية امراً منعصراً في أسر خاصة كما كانت الصباغة وسواها من الصناعات والحرف . فبنا الابن وقد تلقى اسرار المهنة عن والده فيحفظها بسماً بدورة الى ولده . وهكذا فقد كان ابن جورجيس المعروف باسم عتيشوع (اتوفى ٨٠٦) رئيس الأطباء في بيارستان بغداد في عهد الرشيد واصبح ابنه المعروف بجبريل ابن عتيشوع بعده طبيب الخليفة الخاص في سنة ٨٠٥ . وجبريل هذا هو الذي شفى احدى خطباء الرشيد من فالج عصبي اصاب يدها . قالوا الملك ثوبها كانه يريد ان يكشف عن جسمها فستربت اعضاء الجارية من شدة الحياء وبسطت يدها ترده فبرئت (٢) .

الثقافة العربية

لا شبهة في انه ما فتح العرب الخائل لتعريب كل شئ مما وجدوه فيه التراث الاغريقي الفكري فكان من نتيجة ذلك ان اصبحت الثقافة اقلبية لشد المواصل الأجنبية تأهلاً في الحياة العربية . فالله (الله) وهي اهم مقرئسرين النصارى ، وحران مدينة السريانيات الاوليين الذين اصبخوا في القرن التاسع وما بعده يسمون انفسهم بانصبية او الصابئين ، وانطاكيا احدى مستعمرات اليونان القديمة ، الكبيرة ، والاسكندرية ملتقى الفلاسفة الغربية والشرقية ، وما لا يحصى من أديرة في سورية وما بين النهرين حيث كانت تقوم الدراسات العلمية والفلسفية علاوة على الدراسات الكنسية المذهبية . كل هذه كانت منارات شامعة منها انوار

(١) ابن الجبري ص ٢١٤ وقد نقله عنه ابن أبي أصيبعة ص ١٢٢ .

(٢) ابن الجبري ص ٢٢٢ : ١٢٣ : ١٢٤ .

الثقافة الهلينية . وقد كان من ثمار الغارات النشالية على بلاد الروم وخاصة في أيام هارون الرشيد ان غلب الغزاة طائفة من المخطوطات اليونانية كان معظمها في مخزنية واقرة (١) . ويصير الى الامون به اوفد الرسل الى الامبراطور نيو الايمني في طلب الكتب اليونانية وذكروا ان انت انتعمور فيه بعث الى ملك الروم في طلب كتب العلم فكان من جهة ما بعث اليه كتاب اقليدس (٢) . ولكن العرب لم يعرفوا اليونانية فاعتمدوا في اول امرهم على ترجمة اخرجها لهم اليهود والنسطوريون والنصارى ، وخاصة النسطورية من انصارى . وكانت طريقة هؤلاء الاخيرين وهم سرين ان ينقلوا الكتاب اليوناني الى كتب السريانية ثم يترجموه بعدئذ من السريانية الى العربية . وهكذا اصبحوا حلقة الاتصال بين الثقافة الهلينية وبين الاسلام . ومن هنا كان السريين اقدم شعب شرقي موطن العلم قاطبة بالثقافة الارمنية . فالثقافة الهلينية لم تعد الى العقل العربي الا عن طريق اللغة السريانية .

وقد بلغ التأثير اليوناني اوجبه في عهد الامون . وسبب . كان هذا النخبة من روعة عقلية ومن ميل الى مذهب المعتزلة القاشين وجوباً شوقي بين المصومين الدينية وبين احكام العقل المدفع نحو فلسفة الاغريق بسعت عميق موقفه او يؤيد آراءه . وعلى حد حسيب ابن التميمي (٣) ان الرسلوا ظهر الامون في حرفة كدنه انه ليس ثمة فرق بين العقل والسر . وحدا الامون اهمه في الامر ان الشايت الحكمة في بغداد سنة ٨٣٠ وهو عذرة عن خرابه كتب وشرع ودار ترجمة فكان هذا العهد من وجوه كثيرة اعظم العهد الثقافية التي شئت بعد اشعث الاسكندري الذي أسس في القرن الثالث قبل الميلاد (٤) . وليس ينكر ان نقراً من انصارى واليهود ومن أسلم كانوا قد قوماً قبالاً بترجمة بعض الكتب على عهدهم الخاصة ولكن الترجمة ليام الامون والخلفاء الذين تبعوه مباشرة قد تركت في هذه الممار الجديدة (بست

١ . بطوني ج ٢ ص ٨٦ : وكانت تقع مرة في اربعة ايام .

٢ . الخلدوني . مقدمة ص ٢٠١ .

٣ . مرسد ص ٩٤٣ .

٤ . على بحث في الحياة العلمية في عصر الامون (محمد فريد زعماني . مصر : شعور . القاهرة . ١٩٢٧)

في القلث (١) قد تمت في هذا الزمن ولكن الظاهر ان هذه الترجمات الأولى لم تكن مصبوغة
فاحتجج الى تقيها واعادة نقلها في عهد الرشيد والثامن . ويذكر بيت النفاة لأوين
يوحنا (يحيى) ابن ماسويه (٢) (المتوفى ٨٥٧) . وهو سردي نصراني كان قد درس على
جبريل ابن يحيى ثم أصبح معضاً لحنين ابن اسحق . وقيل له الرشيد أمر الكتاب القديمة
ثم وجد بالقرية وعمورية (٣) وأكثرها في الطب وجملة أمياً على الترجمة فخدم الرشيد وخدمه
أيضاً . وشكى أن أحد القدماء عيب ما من ماسويه بخبرة لشوكا فقال له ابن ماسويه : « لم
ان مافيك من الجهل عقل ثم قسم على مئة خنفاء فكانت كل واحدة مئة عقل من
إسطافس » (٤) .

حنين ابن اسحاق

أما شيخ المترجمين فهو حنين ابن اسحق (٨٠٩ - ٧٣) أورد عهده في علم الطب
ومن أكاره أهل الفضل وقد كان عادياً - نسبة الى العباد وهو قوم من المنطقة العرب قاموا
بظاهر الخيرة - أحب العرب في صباه فدخل بغداد وحضر مجلس يوحنا ابن ماسويه وخدمه
ميدانياً . وعصب عليه ابن ماسويه يوماً فقال له : « لأهل الخبرة والطب عليك بيع الخوص
في الطريق » (٥) . فخرج حنين ماكياً وعزم على احكامه المنة ليوميه . ثم أرسنه يوحنا
ابن شاذر وهو اخوة ثلاثة ندهوا في حطب القنوم القديمة وبنوا فيها داراً للطب من دار
المنطقة باليونانية لأخراج المخطوطات . ودخل بعد ذلك في خدمة جبريل ابن يحيى طبيب
الثامن . وما زال يتقدم حتى أمر الثامن بأحضاره اليه وسعه امر بيت الحكمة وجرده . وكان
لا يزال يحدث السن - بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين الى العربية أو خارج
ما ينقله غيره . وقد الحق به بعدئذ في هذا العمل العظيم ابنه اسحق (٦) وابن حنن حيث

١٩ البغوي ج ١ ص ١٥٠ - ١٥١ .

٢٢ اسمه الكتاب لابن موسى لا ذكر فيه أنه من موسى الامير بن ماسويه بل يحيى بن
بغوي الذي زعموا ان من تلاميذ وعلمه خليفة الحاكم في القاهرة وتوفي سنة ١٠١٥ .

٣ ابن خيري ص ٢٢٧ : ابن أبي شيبة ج ١ ص ١٧٥ وما يلي : فلهي ص ٣٨٠ .

٤ الفهرست ص ٣٩٥ .

٥ ابن العربي ص ٢٥٠ : ابن أبي شيبة ج ١ ص ١٨٥ .

٦ ابن خلكان ج ١ ص ١١٦ .

ابن الحسن^(١) وكانت قد درّس به على ذلك . غير ان بعض الكتب التي تنسب اليه وهي عديدة كانت نتاج جهود هذين الاثنين وسواءهما من اقرانه كعيسى ابن يحيى^(٢) وموسى ابن خالد^(٣) . وفي كثير من الاحوال كانت حنين على ما يبدو ينقل الكتاب اليوناني الى السريانية ثم يخطو زملاؤه الخطوة الثانية فينقلونه من السريانية الى العربية^(٤) . مثال ذلك ان احدث الأب نقل شرح ارسطو (هرمونوكا) من اليونانية الى السريانية ثم اخرج الابن المعر العربي من النص السرياني وكان فصيحا بالعربية يزيد على ابيه في ذلك^(٥) . واصبح هو عند عظام نفقة كتب ارسطو . ومن الترجمات التي اعزى الى حنين ترجمة كتب جالينوس وغرد وديسقوريدس (زهـ حوالي ٥٠) فضلا عن كتب المياسة لافلامون^(٦) والمقولات والخصيمات والخلقيات لارسطو^(٧) . وبعد اهل اعمانه ترجمته لجميع مؤلفات جالينوس^(٨) . ان اللغة السريانية فامية . وقد قصدت الأصول اليونانية السبعة من كتب جالينوس في عام التبريح الا ان الحسن الخطر محفوظ في اللغة العربية^(٩) . اما ترجمة العهد القديم العربية التي اعتمد فيها حنين الترجمة اليونانية السبعية^(١٠) فقد قصدت .

ويشهد حنين طول الداع في الترجمة ما يروي من ان بني ت كركاوا يدفعون حنين ابن اسحاق ومن معه من الفلة نحو خمسة فرس في الشهر . ولكي ايضا ان اثمون كان يهطيه من

١ . ابن الاثير لان تاريخه كان ٦٠٠ . ان ابي سفيان ج ١ ص ١٩٢ . ٢٠٠٢ . ٢٠٠٢ . ٢٠٠٢ .
ص ٢٩٧ . ابن ابي عمير ص ٢٥٢ .

٢ . هيرست ص ٢٢٦ .

٣ . ابي قل ايضا من السريانية الى العربية . هيرست ص ٢٢٦ .

٤ . هيرست ص ٢١٩ .

٥ . نصير نفسه ص ٢٩٩ وقد جازاه في ذلك قطني ص ٩٠ .

٦ . هيرست ص ٢٥٦ .

٧ . نصير نفسه ص ٢٤٨ . قطني ص ٣٨ - ٤٢ .

٨ . ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ١٩٤ - ١٩٩ . قطني ص ٩١ - ٩٤ .

٩ . وهناك مخطوطة اخرى لكتاب ابي حنين جالينوس وفيها عشرة من كتب جالينوس - ثمة عشر ارسطية يرجع عهدا الى ٨٢٢ . وهي موجودة في مكتبة جامعة برستون .

١٠ . قطني ص ٩٩ .

الذهب زنة ما ينقله من الكتب . (١) على أنه لا يبلغ قوة المجد في الترجمة فحسب بل في الطب
أيضاً وذلك حين اتصل خبره بالتوكل (٨٥٧ - ٩١) فجعله طبيباً خاصاً له . وقد حبس
التوكل حبساً في بعض القلاع سنة كاملة لأنه استع عن وصف دواء للخليفة يقتل به عدوياً .
وكان التوكل قد رغبه في ذلك وأمر أن يجمع عليه . ثم أحضره وأعاد عليه القول وأحضر سيفاً
وعطفاً فقال حنين : « قد قلت لأبي المؤمنين - فيه الكفاية - . قل الخليفة : « في اقتلك » .
قال : « ما حسن إلا الذي ، النافع وإن لم غيره » . فبسم التوكل وقال له : « طب ربنا فانا
أرد . امتحالك » . ثم سأله : « الذي معك مع الذي رأيت من صدق الأمر من ؟ فوجهه
حنين : « شئت هو الدين والصدقة . أم الدين فيه يورثنا مصطاع الجليل مع أعدائنا
فكيف ملك بالأصدق ، وإلا الصداقة هي موضوعة لنفع الله الجليل وقدصورة على مايجنبهم
ومع هذا فقد حمل في رقب الأبطال عهد مؤكد بئس معقولة أن لا يمضوا دواء قتلاً لأحد » (٢)
وقد الحق ابن الجوزي والقفطي على أن حنين كان « سيواً لهم ومعداً لهم » (٣) وقال
فيه نيكثيرك (٤) : « كانت أعظم شعبيات القرن السابع . . . وكانت له عقيدة من الفصل
المفاتيح وحقق من حسن الأخلاق التي يعرفهم في التاريخ .

ثابت ابن قرة

كما كان حنين رئيس القلعة التي طرد هكذا كل است ابن قرة (حوالي ٨٣٩ - ٩٠١)
رئيس جمعة أخرى من حاشية حران (٥) التوكلين . وكان هؤلاء الصداقة من عدة النجوم
ومن هنا كان هو رعية من عهد بعيد في العلوم الرياضية والفلكية . وكانت مدينتهم حران في
عهد التوكل مقر مدرسة الفلسفة والطب التي كانت قبلاً في الاسكندرية وانتقلت الى انطاكية .
في هذا الوسط نفسه نشأ ثابت ابن قرة والاميني وتفرغوا . وإلى هؤلاء جميعاً ينسب الفصل
في نقل القسم الأكبر من كتب اليونان في الرياضيات والفلك ومنها مؤلفات ابراهيم بن (التوفيق

(١) ان أبي صبيحة ج ١ ص ١١٧ .

(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٨٦ - ١٩٠ : ابن الجوزي ص ٢٨١ - ٢٠٢ .

(٣) L. Leclerc, Histoire de la medecine arabe (Paris, 1876), vol. 3, p. 130 .

(٤) نشر كتابه الأخيرة في علم ج ١ ص ١١٧ : صبيحة : القنطرة - ١٩٢٨ .

٢١٢ ق . م) واثينايوس (المولود حوالي ٢٦٢ ق . م) (١) كما انهم قدموا باصلاح ترجمات سابقة ايضاً ، فان ترجمة افليدس مثلاً التي كان حين قد قدم بها قبلاً نضحت على يد ثابت (٢) . وقد وجد ثابت من الخليفة المعتضد (٨٩٢ - ٩٠٢) رعاية والثناء فكان يحمله بين يديه ويؤاكله (٣) . ولقد تولى اعمل ثابت الجيلة من بعده ابنه سنان (المتوفى ٩٤٣) وحفيدها ثابت (المتوفى ٩٧٣) (٤) واراثير (المتوفى ٩٤٦) (٥) وابن حفيده المعروف بابي الفرج (٦) . وتميزوا جميعاً بالتقدم في الترجمة والعلم . وانظر من ثاب بعد ثابت من الصائبة انه هو الثاني (المتوفى ٩٢٩) ابو عبد الله محمد بن جابر بن سنان وبذل اسمه هذا على انه اسلم الا ان صوت البتاني يرنكز على ما استدعه في علم الفلك الذي يمكن من اهل الترجمة .

وكان بين اوائل المترجمين لغزو الرياضيات والملك في مدرسة حران الطنجي بن يوسف ابن مفلح (وقد اُخذ بين ٧٨٦ و ٨٢٣) وابيه سبب الترجمة الأولى لأصول افنديس واحدى الترجمات الأولى لكاتب المحامي بطليموس . اما الكتاب الأول - اصول الهندسة - فالظاهر انه نقله مريين ، مرة لترشيد وأخرى لعمون (٧) وذلك قبل ترجمة حنين . واستخرج الحجاج النص العربي للكتاب المحامي في شهر ربيع في عم الفلك سنة ٨٢٩ - ٣٠ معتمداً على ترجمة سريانية . وكانت اول محاولة لتفسير هذا الكتاب والخراجه الى العربية في زمن يحيى بن خالد بن برمك (٨) وزير الرشيد ولكنهم لما تكن مرصية ، وضعت هناك ترجمة اخرى - نسخة للكتاب نفسه اخرجها ابو الوفاء محمد البوزجاني الخشاب (٩) (٩٤٠ - ٩٧ او ٩٨ - حدد اعلام المسلمين في الفلك والرياضيات ، وهناك عدا هذه ترجمة قسطا ابن نويرة (المتوفى حوالي

١٩ . انقهرت من ٢٦٧ .

٢٠ . ابن حنكلا ج ١ من ١٢٧ . ٢١٠ .

٢١ . ابن أبي أصيبعة ج ١ من ٢١٦ .

٢٢ . المصدر نفسه من ٢٢٤ - ٢٦ .

٢٣ . المصدر نفسه من ٢٢٦ : القاطي من ٤٢ - ٤٩ : انقهرت من ٢٦٢ .

٢٤ . القاطي من ٢٢٨ .

٢٥ . انقهرت من ٢٦٥ .

٢٦ . انقهرت من ٢٦٧ - ٢٦٨ .

٢٧ . كان مولده في بوزجان من عمالة خراسان .

(٩٢٣) وهو نصراني من بعلبك به فضل عظيم في ترجمة كتب الرياضيات والفلك واليه ينسب صاحب الفهرست (١) وضع أربعة وثلاثين كتاباً .

وقد شهد القسم الأخير من القرن العاشر ظهور جماعة من المترجمين اليغاقية أو المونوفيزيين منهم يحيى ابن عدي المولود في نكريت سنة ٨٩٣ والمتوفى في بغداد سنة ٩٧٤ وأبو علي عيسى ابن زرعة (٢) (المتوفى ١٠٠٨) وقد ولد في بغداد . وقد انتهت إلى يحيى المذكور رواية جمعة المديبة ويروى أنه قال يوماً لصاحب الفهرست (٣) أنه يكتب في اليوم واللييلة مئة ورقة . وقد اعترف أرباب القدر اليغاقية إلى تنقيح الترجمات الموجودة من كتب أرسطو كما اهتموا باخراجها من جديد .

وإن يكذب بنصير عصر الترجمة حتى كانت مؤلفات أرسطو موجودة (وكثير منها مزيف كما صدر عنه) فقد أصبحت في متناول القاري العربي . وقد ذكر ابن أبي أصيبعة (٤) وحاتم التقي (٥) أنهما لا يقل عن مئة كتاب منسوب إلى « فيلسوف الأشراف » . كل ذلك وإورنا في ظلام داهس نكد لا يثبث من العلم أو الفكر البشري . وحسبك أن العصر الذي أطلع الرشيد والمأمون فيه الشرق على غشا الفلاسفة اليونانية والممارسة هو العصر نفسه الذي كان فيه أشهر في الحرب كثرمان وسلاوة يحاولون أن يتعلموا كيف يكتبون أسماءهم . وإن كانت مؤلفات أرسطو في علم البيان والمنطق وغيره أشعر وكذب الأيساغوجي لغيره من أن أصبحت مكانها إلى جانب الصرف والتعوي في اللغة العربية فمسيحت ولا تزال من أسس العلوم الأساسية في الإسلام . واعتنى المسلمون ومثله عبيدة المدرسة الأفلاطونية الجديدة المتألفة بأن تعاليم أرسطو والأفلاطون هي واحدة في الأساس . وأكثرهم تعجلاً لأفلاطونية الجديدة بنوع خاص في عالم الصوفية . وقد طرقت عند الأفلاطون وأرسطو إلى الآداب

١ - ص ٢٩٨ . قال غزفي ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

٢ - الفهرست ص ٢٦٤ . ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ . غزفي ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

٣ - ص ٢٦٤ .

٤ - ج ١ ص ٢٧ وما يلي .

٥ - ص ٣٤ وما يلي .

اللاتينية عن طريق ابن سينا وابن رشد وكان لها أثر عظيم في الحياة الفكرية في العصور الوسطى كما سنرى .

وقد تبع عصر النقل والترجمة ازدهار في طلي الخلفاء العبّاسيين الأول . عصر آخر هو عصر ابتكار وإنشاء تعرض له في فصل آخر . وقد أتت القرن العاشر حتى تطورت اللغة العربية - تلك اللغة التي استعملها العرب في الجاهلية أداة للشعر وعرفها محمد لغة للوحي والدين - فأصبحت لغة حية قوية دقيقة البناء سهلة النقل تطوّع لرواية الكتاب للتعبير عن الفكر العمي والآراء الفلسفية الخليا وفي اوقت نفسه صارت لغة الحياة والتخاطب الأدبي في اقطار مثرامية الأطراف تمتد من اواسط آسية الى شمالي أفريقيا فإفريقيا . ومنذ ذلك الحين أخذت الشعوب التي تسكن العراق وسورية وفلسطين ومصر و تونس والجزائر ومراكش تتعلم عن اسمى ما يدور في خلد من فكر وآراء بهذه اللغة بدم - لغة العرب .

الفصل الخامس والعشرون

دولة العباسيين

الخليفة العباسي

كان الخليفة رأس الدولة وهو يعتبر مبدئياً مصدر السلطة كلها. وكان يربط عنه وزير يتفوض اليه السلطة التنفيذية، وقضياً يكل اليه اعباء الأمور الشرعية، وأميراً يستعمله على الجيش وإلزام الحرمية. غير ان الخليفة نفسه كان دائماً محور السلطة والمركز الأخير لكل شؤون الدولة. وعلى هذا النظام الملكي النقيض عن مبادئ الأول جرى خلفاء بغداد. وقد استفاد بنو العباس في مطلع عهدهم من انقلاب الأمة على بني أمية وغشها عليهم واعتبارهم إياهم مارقين فوطدوا عرشهم على أساس الدين وحملوا للإمامة أهمية كبرى. وكانوا يلجأون إلى تمكينها ورفع من شأنها كما فعل سلفهم الساماني وفترت طاعة الناس لهم. من عهد الخليفة الثامن المتمم بالله (٨٣٣ - ٨٤٢) إلى آخر أيام الدولة ترى الخلفاء يتحدون لأسمهم أمية فخريه مركبة من اسم الخليفة كالمصور ومهدي وإلهادي واسم الله حتى إذا جاء دور إعطائهم الخد الناس يمدقون عليهم الألقاب الدينية كخليفة الله وخالق الله على الأرض وغير ذلك من التمجيد. وكان المتوكل (٨٤٧ - ٨٦١) قد بدأ أول من استعمل شيئاً من هذه الألقاب^(١). وظلت مألوفة إلى آخر أيام العباسيين. أما بعد الاستخلاف السني الذي وضع في عهد الأمويين فقد روعي في دور العباسيين فندمت عنه العواقب الأخيرة غيب. فقد كان الخليفة عين ولاية العهد من أبنائه أو أهل قرابته من هو أحبه اليه أو من يعتقد فيه الكفاءة. وعملاً بهذا النظام أوصى السفاح بالأمر من بعده لأخيه المصور. واستخلف المصور بعده ابنه المهدي^(٢). وبعد المهدي

(١) المسعودي ج ٧ ص ٢٢٤.

(٢) انظر بطولي ج ٢ ص ٣٣٧ وما يلي ٤٧٢ وما يلي ٤٧٣ قفري ص ٢٣٦.

قوة الهادي ثم اخو الهادي هارون الرشيد (١) ووصى الرشيد بالخلافة للأمين على ان تكون من بعده لأخيه المأمون . وكان المأمون أكثر كفاءة من أخيه . ثم ان الرشيد قسم الدولة بين ابنيه فعمل المأمون على خراسان وعاصمتها مرو (٢) وظل باقي الامبراطورية بيد الأمين فشب نزاع شديد بين الاثنين انتهى باغتيال الأمين (ايلول ٨١٣) واغتصاب المأمون للعرش . ومرت سنوات أربع ليس المأمون بعدها القباس الأخضر وهو شعار الشيعة بدلا من القباس الأسود شعار العباسيين وأقام على الرضا وليا مهديا فانتقمى عليه أهل بغداد وبايعوا (في تموز ٨١٧) عمه ابراهيم الهادي فماتت المأمون فعودة الى عاصمة الدولة حتى سنة ٨١٩ اي بعد مضي ست سنوات على موت أخيه الأمين . واختار المأمون قبل وفاته أخاه الأصغر نولاه مهديا غير منتظا ان ابنه القباس فكادت القصة ان تظهر رأسها في صفوف الجيش الذي كان يحفظ على الأمين . وبعد العاصم تولى ابنه التائي (المتوفى ٨٢٧) وانه انتهى دور العباسيين . وقد طالت مدة الخلافة الأربعة والخمسين الأول نحو قرنين ونصف (٧٥٠ - ٩٩٠) فلم يكن منهم الا سنة فقط خدمهم الله في الحكم .

وكانت من موهبي الدولة شخص يعمل بالخلافة يسمى الحاجب وعنه ان يقدم سفراء الدول والمخاض الى حفرة امير المؤمنين فكان لذلك ذا نفوذ عظيم . وهناك الجلال وكان من ذوي الشخصيات البارزة في بلاط بغداد . ولما ول مرة في تاريخ العرب صرنا نرى الطغرات انفسه تحت الأرض المارة بحديث المصنوع عليهم . اما منجم البلاط فكانت عنه كمال الجلال من الامور التي انقسم الخلفاء عن العرس ولا يمكن لعرش بني القباس غنى عنه .

الوزير

وينتخب الخليفة في المقام الوزير . والوزارة في الأصل منصب فرسي (٣) . وكان الوزير

١ - معري ص ٢٦١ - ٢٢٢ معري ج ٣ ص ٢٢٢ .

٢ - معري ج ٢ ص ٢٠٠ وما يلي ٣ - معري ج ٣ ص ٦١١ وما يلي ٤ - معري ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

٥ - معري ص ٢١٤ . ٦ - معري ص ١٣٠ وما يلي .

٧ - قبل ابن عباس ٨ - آخر الأول في تاريخ الخلفاء - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ .

ساعد الخليفة الايمن وكثيراً ما كان يقوم مقدمه . فكما اهتمت الخليفة في الاهلي والعرف
الى الملاذ مع النساء في القصر ارتفعت مكانة الوزير وازدادت قوته . وفي وثيقة الاعتماد التي
كثت حينما استوزر الخليفة الناصر (١١٨٠ - ١٢٢٥) وزيره محمد بن برز القمي ما يشعر
بمبدأ الحق الاولي - وقد جاء فيها : « باسم الله الرحمن الرحيم محمد بن برز القمي نائب في البلاد
والبلاد فمن اطاعه فقد اطاعنا ومن اطاعتنا فقد اطاع الله ومن اطاع الله ادخله الجنة ومن عصاه
فقد عصانا ومن عصانا فقد عصى الله ومن عصى الله ادخله النار » (١) .

وكان للوزير من السلطة ما عرفناه في ابرامكة فهو يعين او يعزل النعم والقبضة (بعد
مراجعة الخليفة اسمياً) بل يعين احياناً من يلى الوزارة بعده عملاً بتفاه الوزارة الذي اشرف اليه
من قبل . وجرت العادة ان يعهد الى الوزير مصافرة املاك من يعصب عليه الخليفة من
الامراء . وكذلك كان يعمل المال في الامصار فيصدرون املاك صغار الموظفين وسواهم بل
كذلك كان الخليفة يعمل بالوزير حين يعصب عليه ويعرفه (٢) . ولم يقف فصاص المنسوب
عنده من الوزراء عند مصافرة املاكهم بل كما وا في الغالب عزيمة بقتل . وبنى اخيراً
دوران حصص المصادرات (٣) وكان يعتبر كالمداخيل القوية في الدولة . وكان الوزير اياه
الخليفة المعتمد يتقدمى رأساً شهرين قدره الف دينار . والوزارة في رأي الماوردي (٤) وغيره من
المفسرين المظهرين على ضربين - وزارة غويين ووزارة تنفيذ . فوزارة الغويين فهي
التي يتولى الخليفة تدبير كل الامور الى وزيره ما عدا عين وفي العهد . ام وزارة التنفيذ
فحكيم ان يكون الوزير مقصوداً على رأي الخليفة يؤدى ما امر وينفذ ما ذكر . وبعد ولاية
المقتدر (٩٠٨ - ٩٢٢) القيت الوزارة وقد على امره منصب امير الامراء وما يثبت ان تلم بنو
وبه زعم هذا المنصب .

(١) بحري ص ٢٠٤ .

(٢) ان الأبرج ص ١٩ - ٢٠ .

(٣) حلال الحاقه ، خطة الامراء في تاريخ الوزراء ، نشر مطبعة بيروت ، ١٩٠٤ ، ص ٣٠٦ .

(٤) ص ٣٣ - ٣٤ .

وبراميد الخراج

كان الوزير (وهو في الواقع بمنزلة الصدر الأعظم) يرأس المجلس الأعلى - وأعضاء هذا المجلس هم رؤساء دوائر الحكومة - وكان يطلق أحياناً على رؤساء الدوائر لقب وزير لا أن مرادهم كانت دون مرتبة الوزير الأول. وقد ازدادت في عهد العباسيين أنظمة الحكومة تعقيداً مع أن إدارات الدولة تنظمت نوعاً ما لاسيما تلك التي لها علاقة بالخراج والقضاء. وكانت الأمور أمثال أهم مهام الحكومة فقد ظل ديوان الخراج كما كان أيام الأمويين ذات شأن خطير وبقي لرئيسه - صاحب الخراج - مقام رفيع.

ومن مصدر دخل الدولة الزكاة وهي الفريضة الشرعية الوحيدة المطلوبة من المسلم وحسب على المزارع والمواشي والذهب والفضة وعروض التجارة وغيرها من الأموال التي تنكسر على حكم الطبيعة أو بالاستئجار. وكان المسلمون كما سبق لا يؤدون حصة فكل من ولاد العداة يهتمون بتحصيل ما يثبت من حصة ممتلكات الأراضي والمواشي وما شابه. أما الأموال الشخصية كالذهب والفضة فإنها تعلق بالخراج زكاًتاً بدولية متنوعة. وكان ما يجمع من الأموال يوزع من حيث التل على الفقراء والأيتام والمساكين وفي الرقاب والعربان والعلماء على المؤتمنة قنوسهم. والمصدر الأخرى هي الضرائب المفروضة على المزارعين والخدمة والجزية التي يؤدونها غير المسلمين والخراج^(١) (فريضة الأراضي) وما يؤخذ من عشر على مزارع غير المسلمين الواردة إلى بلاد الإسلام. وكان الخراج أكبر موارد الدولة وهم ما يجبي من غير المؤمنين. وكانت جميع أنواع هذا الدخل تدعى يومئذ بآقي (قبل سورة الخمر: ٧) فمن جمع التي كانت تدفع لوزن الجيش وجبى المساجد وترمم وتعيد الطرق والسكك ومشا الجسور ومنه ينفق على مصانع الجذعة الإسلامية^(٢).

وتفيد الأبياء المتفطرة المتحدرة اليان من دخل الدولة العباسية أن القرن الأول من هذا

١ - كانت وجوب الخراف من المبررات في عهد نصر بن الحزبة والخراج. أنظر الجزء الأول من هذا الكتاب من ٢٢٨ - ٢٢٩. في تصور التناخنة فقد أصبحت الحرية متساوية لتبدل تمكري الذي كان يفرضه مشايخ بني ربيعة. - من لا يغفلها من الجندية.

٢ - ورد في من ٢٢٩ - ٢٣٠.

وخمسين ألفاً وثلاثمائة وأربعين درهماً^(١)، وأما على مقادير النفقات لأن المعلومات التي تُعدها في النظام المختلفة لا تكفل الوصول إلى نتيجة حاسمة، ولكن هناك معضداً يعلنا بأن جميع ما خلقه المنصور كان مئتين مليون درهم وأربعة عشر مليون دينار^(٢)، وكان في بيت المال حين مات هارون الرشيد ثمانمائة مليون وبنف^(٣)، وما خلقه المكشي (٩٠٨) من الجواهر والأواني والرياش بلغت قيمته مئة مليون دينار^(٤).

ديوان آخرى

وكان في الدولة العباسية غير ديوان الخراج دولوين أخرى كديوان الزمان الذي أحدثه المهدي وديوان التوقيع الذي كانت تصدر عنه الوصايا الرسمية والأوامر والبررات السلطانية وديوان النظر في النظام وإدارة الشرطة وإدارة البريد.

أما ديوان النظر في النظام فمبصرة عن محكمة تميز براد بها إصلاح القضاء وإقرار العدل في دوائر الإدارة والسياسة، وكان أول شؤه ديوان النظام قد جرى في عهد الأمويين، ويقول المازودي^(٥) أن عبد الملك أول من أورد للظلمات يوم يتصفح فيه قضايا المتظلمين، وقد تبعه في ذلك عمر ابن عبد العزيز^(٦) حتى إذا كان عهد العباسيين كان المهدي أول من جرى على هذه السنة وتبعه هارون الرشيد والمأمون ومعتزهم، فشدوا أنفسهم للنظر في النظام ومراعاة السنن العادلة، وآخر من جلس لها المهدي (٨٦٩ - ٧٠) وقد انضمت هذه العادة بأوروبا فعمل بها روجار الثاني (١١٣٠ - ٥٤) في مملكة^(٧).

وكان على ديوان الشرطة موظف كبير يدعى صاحب الشرطة من واجبته تدير الحرس

(١) زيدان، المدن ج ٢ ص ٦٩ - ولان، Huet, vol. I, p. 350.

(٢) المازودي ج ٦ ص ٢٢٣.

(٣) الطبري ج ٣ ص ٢٦٤.

(٤) كمال، نظام ص ٧٢.

(٥) ص ١٣١ - على ابن الأثير ج ١ ص ٤٦.

(٦) المازودي ص ١٣١ قبل المصنوع ج ٢ ص ٣٦٩، راجع إليها - الحسن والملاوي، نشر

شغالي (عبد ١٩٠٢) ص ٢٢٥ وما يلي.

M. Amari, Storia dei Musulmani di Sicilia, ed. Nallino, vol. III, Catania, (٧ ١٩١٧-39) p. 152; von Kremer, Culturgeschichte, vol. I, p. 420.

الملكي وقد استندت اليه في الأزمنة المتأخرة رئاسة الوزارة أيضاً . ولكل مدينة كبرى شرطتها الخاصة القائمة بالفراغ هم رتب عسكرية يتقاضون رواتب عالية . أما الخشب فهو رئيس الشرطة المدنية وله الانسراف على احوال الأسواق والحجة الأخلاقية العامة ومراقبة موازين التجارة وأكباشها وتعصيل الدين لأصحابها وتوطيد الاخلاق العالية ومنع المنكرات كبيع الخمر وعاطي الربا والقرار . وقد اورد السويدي (١) في محاسب وظائف اخرى منها المحافظة على الآداب العامة فيما يتعلق بالعلاقات بين الجنين والست يؤدب من الرجال من يخضب شبيهه اكتابة لودة الساء .

ومن المظاهر البارزة في الحكومة العيسية ثبوت البريد (٢) . رئيس القائمة عليه صاحب البريد . وقد مر معنا ان معاوية مؤسس الدولة الأموية هو اول من اهتم بصناعة البريد . ثم قام عبد الملك فقام بها في انحاء الامبراطورية وجاءه عدة الويلا وسعدان بالبريد في مشرقه والناحية . وبرزو انور خوارزمي الى الرشيد أمر ان يقيم مصلحة البريد على أنس مديدة بمساعدة مستشاره يحيى البرمكي . ومع ان الغرض الاساسي من ادارة البريد كانت خدمة مقاصد الدولة وهم في الوقت نفسه كانت تمهد الى ترجمة محدودة نقل المراسلات الخصوصية (٣) . فقد كان هناك مركز للبريد في عاصمة كل قطر . وكانت عاصمة الدولة مرتبطة بطرق رئيسية بانحاء اكنز اقامة في البلدان الاسلامية (٤) . وكانت تسير على هذه الطرق دواب البريد (البغال والخيول في فارس والجمال في سورية وجزيرة العرب (٥)) في اشواط متباعدة منتظمة . وقد استخدم البريد لجان عمال الامصار الى مقر وفلائهم ونقل الجند وامتنعتهم (٦) . اما عمدة الدس فلما يسمح لهم باستعمال البريد للنقل والسفر الا اذا دفعوا اجراً باهظاً .

(١) من ٤١٧ - ٤٣١ - ١٨ .

(٢) لفظة بريد العربية سامية لا علاقة لها لفظة بربريس . (لاتينية) قبل البرود . فارسية اي حصان سريع الجري و « برزون » العربية . قبل سفر - سبر ١٨ - ١٠ - ١٠ لاصمهاقي . تاريخ من ٣٩٩ .

(٣) السويدي ج ٦ من ٩٣ .

(٤) ابن خردادبه - في مواضع متفرقة .

(٥) قابل ابن الأثير ج ٦ من ١٩ .

(٦) المصدر نفسه ج ٤ من ٣٧٣ - ٥ .

وقد اقتلت الحكومة الخدم الزاجل فاستدعت به ثقل الأبناء وأول ما ذكر من هذا القبيل
عنه أنها نقلت خبر القبض على يارك الخرمي^(١) إلى المتعم سنة ٨٣٧ (٢).
وكان في مركز البريد بغداد نواح تدل على الخطوط التي تحترق أثناء الامبراطورية وظهر
مخطاها وابعادها . وقد استعان الآمون بهذه النواح كما استعان بها التجار والحجاج . وعلى هذه
النواح وضعت أسس كتب نفوس البلدان (جغرافيا) فيه بغداد . فقد أخذ علماء الجغرافيا
الأولون هذه النواح مصادر لوضع كتبهم . ومن وثائق جغرافيا العرب ابن خردادبه (المتوفى
تحو ٩١٢) وقد استقى المعلومات لكتابيه « مسالك الممالك » من وثائق الدولة التي ما لبثت أن
أصبحت مرجعاً لاهل الجغرافيا التاريخية . وكان هذا جغرافيا قد خدعه الخليفة المتعم صانعاً
لبريد في الجبال (عادي القديمة) . وهذا خطه الخطوط التي يربط عاصمة الدولة بمراكز
الأمصار والوزراء العرب من الدولة العربية . وهذه سكة حراسان التي امتدت
من بغداد إلى الشمال الشرقي مرقة بهمدان وباري وبيسور وفسوس ومرور وباري وسمرقند
وقد طلت بغداد بالمدن الواقعة على الحدود عند سيجون ونحوه الحديث . ومن المدن الخطيرة الواقعة
على هذه السكة فرغت الطريق الدورية شمالاً وجنوباً . ولا تزال إلى اليوم خطوط البريد في
إيران التي بقيت في طهران هي الخطوط القديمة . وهذه سكة أخرى انضمت من بغداد
مسيرة ناحية قمعة واسط وباصرة حتى الأهواز في خوزستان . ومنها إلى شيراز في فارس
وقد فرغت منها طريق في الشرق والغرب راجعت ما عيبت من المدن بمرأكز أخرى للحضارة
ووصف سكة خراسان . وقد سلك الخليلج هذه الطريق من بغداد إلى مكة مدبرين بالسكوفة
والبصرة ومنها أخذوا الطريق العربي غرباً متجه إلى الحجاز . وشأ على طريق الحجاج فندق
وخانات . وحفر كثير من الآبار والتي أمثل هذه الخانات على سكة خراسان منذ عهد عمر
الذي^(٣) . وكان هناك أيضاً سكة ثانية راجعت بغداد بالنواص وأمد (ديار بكر) والمواسم .

١ - خروية طائفة منبوية في غيبة له درس وقد مررت هذه طائفة بعد مقتل أبي . في الخراساني فتنازع
العلماء في أمده ومهده من رأى في غيبة من يوثق على بعضهم بدلاً لأرض سعودي ج ٦ ص

١٨٦ : سعودي . بمصر فرق من ١٨٦٢ وما بين ١٨٦٢ من ٢٤٤٠

٢ - سعودي ج ٦ ص ١٨٦ - ٧

٣ - ابن الأثير ج ٥ ص ٤٤ : سعودي . الجليل ص ٤٤٩



ولقد ارتبطت بغداد من ناحية الشمال الغربي بدمشق وسواها من المدن السورية وكان ذلك عن طريق الأسر والبرق.

وشلاوة على اذرة رسائل الدولة والاشراف على دوائر البريد لتفريقه فقد عهد الى صاحب البريد مهمة اخرى مهمة ذكر وهي اذرة نظام تجسسية ومن هنا كانت لقبه السكامل « صاحب البريد والاحمر » (١). وله صلاحية نقش العام او امين سر الدولة في الحكومة المركزية . وكانت ترد اليه تقارير مدراء البريد في الأمصار او الى الخليفة مباشرة عن سلوك الموظفين واعمالهم ولا يستنى من ذلك التعامل نفسه . وقد حفظت تلك الأيام واحدا من هذه التقارير في احد المصادر المتأخرة (٢) . وكان قد رجع الى الشوكل ذكر فيه ان أحد حكام بغداد قد اضطرب منه من الخراج حذرية حسنة ينهزم بها من الظاهر حتى انشاء مهملًا واجبت وظيفته . وقد عول المنصور في دائرة استخباراته على التجار والدلالين والمساكين فاستخدمهم للتجسس والاستطلاع على حفايا الأمور . وكذلك فعل الرشيد وسواه من الخلفاء (٣) . اما المأمون فيقال انه اعتمد على خراف وبسيسة امرأة مسنة في دائرة الاستخبارات ببغداد . وقد بنت الارصاد والعيون زمن بني العباس في سائر الاقطار لاسيما بلاد الروم من ارجل النساء وقد نسكروا في زبي النجدة او السحرة او الاطباء .

رواية القضاء

يعتبر القضاء في الاسلام امرًا دينيًا وقد كان يقوم به العباسيون او وزراءهم في احد الفقهاء فيعرف بالتدخي فذا سم القضاء ببغداد سمي قاضي القضاء . واول من لقب بقاضي القضاة ابو يوسف الشهير (المتوفى حوالي ٨٠٨) وقد تولى القضاء في بغداد ثلاثة من الخلفاء : المهدي وابنه الهادي والرشيد (٤) . اما شروط القضاء في الشرع فانه يكون اقنوني لا ذكرا بالغا عاقلًا ما يتعلق بالعقل من القطة والذكاء نوصلا لا بضم ما اشكل ، حرًا لست نقص العبد عن ولاية نفسه يمنع من اعتاد ولايته . ملغًا لكون الاسلام شرطًا في جواز الشهادة ،

(١) بغدادية ص ١٨٤ + ١٢٠ لاسيدي ، زلام الناس (القاهرة ١٢٩٧) ص ١٦٦ .

(٢) دليل الاعاني ج ١٥ ص ٣٦٦ مكيه . نصر مي شويه ودي يبع ص ٢٣٢ + ١٦٦ + ١٦٧ .

(٣) ٥١٢ + ٥١٣ + ٥١٤ + ٥١٥ + ٥١٦ + ٥١٧ + ٥١٨ + ٥١٩ + ٥٢٠ + ٥٢١ + ٥٢٢ + ٥٢٣ + ٥٢٤ + ٥٢٥ + ٥٢٦ + ٥٢٧ + ٥٢٨ + ٥٢٩ + ٥٣٠ + ٥٣١ + ٥٣٢ .

عادلاً أي عفيفاً عن الخمر سلباً في حقه وبغيره علماً بالأحكام الشرعية (١١). ولكن غير المسلمين كانوا كما سبقنا خاضعين لشرائعهم الخاصة الدفلة على أيدي رؤسائهم الدينيين، ولا تخلو ولاية القاضي في رأي النوردي (١٢) من عموم ومخصوص. فمن صلاحت ولايته عامة مطلقة فتطرح مشتمل على فصل النزاعات، واستيفاء الحقوق، والولاية على من كانت منوبة التصرف بخنوع أو صغر، والنظر في الأوقاف، وإنفيذ الأحكام على شروط النوقى في حقه الشرع، وتوزيع الأمان بالأحكام، وإقامة الحدود على مستحقين، والكف عن تعدي في العداوات والأقنية، واختيار الذين عنه في الأمصار، والمقوية بين القوي والضعيف، والامانة في الجمع والأعياد في بعض الأحوال، أما في مطلع عهد القضاء فكان القول هو الذين يتدبرون القضية لأمرهم حتى إذا جاء القرن الرابع للهجرة رأينا القضية يعينهم قاضي القضاة، وفي خلافة المأمون بلغ ما كان بمخاضه القاضي بمصر ما يزعم مؤرخ متأخر (١٣) أربعة آلاف درهم شهرياً، أما ولاية القضاء الخاصة فهي منهقدة على خصوص ومقصورة على من ينصحه وثيقة التقليد سواء أصدرها الخليفة أم الوزير أم العدل (١٤).

النظام المصري

لا يمكن للخلافة العربية حشد عظمى بالمعنى المعروف أي جيش مكمل العدد والعدد موزعاً على القوايين والخابرين العسكرية المنظمة (١٥). وما يكن سوى حرس الخليفة يجمع بينهم بالجند النظامي، وكانوا بواة التف حوزة عصابة لها من حماؤهم وشراذم من المأمورين والمعينين وجماعات من الجنود المشوذين لها وحدات قائمة على أساس القسام أو القاصدات، أما الجند فهم الذين يتعاطلون الجندية حرفة دائمة وقد عرفوا بالمرتقة لأن لوزاقهم على الدوة، وسوهم المتطورة (١٦) وهم روائب يأخذونهم على الخدمة العسكرية فقط وكانوا يدخلون تحت

(١) النوردي ص ١٠٧ - ١١١.

(٢) ص ١١٧ - ١٢٥.

(٣) سيوطي، حشد الخامة ج ٤ ص ١٠٠.

(٤) راجع Richard Gottlieb in *Revue des études ethnographiques* (1908), pp. 383-387.

(٥) راجع النوردي ج ٦ ص ١٥٩ وما يلي.

(٦) أو الصوغة، الطبري ج ٣ ص ١٠٠٨ وما يلي؛ الجند ج ٣ ص ٣٦٠.

المسكري اختياراً واكثرهم من الهند او الفلاحين او عوام الناس في المدن . وكانت حرس الخليفة يتولون روائب اعلى من سواهم ويجهزون بافضل الأسلحة والألبسة . وكانت راتب الجندي من الشقة في عهد الخليفة العباسي الأول نحو ثمانية وستين درهماً في السنة ^(١) علاوة عن الخدم والمخصصات . ويذكر من ضعف ذلك . وفي زمن المأمون عندما عظم شأن الدولة بلغ راتب الجندي ١٢٥ ألفاً في رتبة راتب الفرد من الشقة على ٢٤٠ درهماً في السنة ^(٢) وكانت رتب المدرس ضعف ذلك . وإذا ذكرنا ان المنصور قد اعطى فريش البنانيين من اعطاهم ١٠٠٠ ديناراً مقدار درهم كل يوم ودفق ١٠٠٠ ديناراً نحو ثلث درهم ^(٣) فبين ان الراتب الاجور التي كانت له حدوداً معينة من سواهم من أهل الهند .

وكانت حذر الدمامي في عهد الخلفاء العباسيين الأول بتألف من المشقة الحربية ^(٤) وسلاحهم رمح والسيف والقرص ومن فرمية ومن الفرسان الذين كانوا يدايرون الخوذ والدرع ويجهزون بحارب وفؤوس الخشب . وكان من عادة العرب ان يحملوا سيوفهم على الاكف ^(٥) فصار سيوفهم يوصفون في السير والفرج . وكانوا يدايرون الخوذ والدرع على الطريقة الفارسية . وأخذت تلك الطريقة من ارملة مدنة من الدمامي من ارب لا تعرفها العرب . وكانت العرب ومن بعدهم يتولون سببه ^(٦) . وكان يرفق الجيش الهندسون القاموس على آلات الخضر ودرج الفرس والخيول والاكاف . وكانت من هؤلاء الهندوسيين ابن ماسر المجنبي الذي عرف في ولاية مصر (١١٨٠ - ١٢٢٥) وحلف له كتاباً في حكمه شائع فيه من احب لكل عصبه ^(٧) . وكانت المستشفيات السيوف والمحمل الجرحى القليلة على ظهور

- ١ - مصري ج ٣ ص ١١ و ١٢ من تاريخ ج ٤ ص ٣٢٢ .
- ٢ - مصرى ج ٣ ص ١١ و ١٢ من تاريخ ج ٤ ص ٣٢٢ .
- ٣ - مصري ج ٣ ص ١١ و ١٢ من تاريخ ج ٤ ص ٣٢٢ .
- ٤ - مصري ج ٣ ص ١١ و ١٢ من تاريخ ج ٤ ص ٣٢٢ .
- ٥ - مصري ج ٣ ص ١١ و ١٢ من تاريخ ج ٤ ص ٣٢٢ .
- ٦ - مصري ج ٣ ص ١١ و ١٢ من تاريخ ج ٤ ص ٣٢٢ .
- ٧ - مصري ج ٣ ص ١١ و ١٢ من تاريخ ج ٤ ص ٣٢٢ .

الجبل سحب الجيش إلى البندان . وقد عزى هذا التنظيم العتي السكري إلى هارون الرشيد
كما عزى إليه كثير من وجوه تدبير الموحدين للحرب .

وفي العهد العباسي الذي قام على سيوف القيس لا العرب أصبح العنصر العربي سيطرته
المسكرة والباسية . ففي أوله استولت الخرابية وهم حرس الخليفة على زمام الجيش .
والعرب من الجند فكانوا فرقتين : المصرية وهم عرب الشام واليمنية وهم عرب الجنوب .
وكان منجذون في الإسلام بلنحوتين ، حتى قتل العرب مولي هذا المجدوا حاربوا من
مقام الخليفة الحربي . ثم جدد تنظيمهم بفرقة فاشأ بهم قسم جديد من الجيش وكانت هؤلاء
من عبيد أو غلبة وقد رى بهم في الأصل من فرقة وسواها من العدا آسية الوسطى .
وكان لأمر هذا الحرس التركي حتى أصبح معاً للأضطراب والفرار في العاصمة فاستطاع
الخليفة أن يثاء مدينة جديدة هي سمرقانة سنة ٨٣٦ وغل إليها دولة الحكومة . وبعد موت
المنصور استند ساعد هؤلاء الترك والحدوا بالعصوات دور كدور الحرس العربي فطوى في دولة
أولئك من مذهبه الاستكبرية في العهد العباسي فاستغلوا بالنفوذ في تدبير أمور الدولة .

وكانت وحدات الجيش في عهد الأمويين والعتيين وسواهم منهم عند الرومان والبيزنطيين
فهي كل عشرة عرب وعش الحسين حبيبة وعلى اثنة قائد . وكانت القبايق يؤلف من
عشرة آلاف حمدي في عشر كتائب وعنده أمير . والجمعة مئة رجل فإذا اجتمعت بضع
جدهت معاً سميت كردوساً . واستطيع أن يرى في كتيبه فون كرير^١ من الجيش العربي
مودة وفدية لوحداث الجيش وهي تتحرك في زحف على العدو .

وكانت الخلافة العباسية صولة القرن الأول من عهدها عظم على جيش قوي في سبيل
الخلافة على كتائب . وهي لا تستعمل في فتح ثورات الكاء وفارس وأوسط آسية فحسب إلى
جبهات مع حملات غزو البيزنطيين . وفي رأي بعض الباحثين^٢ من عهده هذا العصر
في هذه الحربين مكنت العرب من إمت زحف في نفوس أعدائهم هم كثرة عددهم وسرعة

^١ السعدي ج ٦ ص ١١٨ .

^٢ السعدي ج ٣ ص ٢٩٩ . السعدي ج ١ ص ١٢٢ . السعدي ج ٣ ص ١٢٩٩ .

^٣ *Cultargeschichte*, vol. I, pp. 227-9 . S. Khuda Bukhsh, *The Orient under the Caliphs* (Calcutta, 1929) p. 332-3 .

^٤ *Oman, Art of War*, 2nd. ed. vol. I, p. 200 .

اشفاؤه المجيبة . . وفي رسالته في الأساليب الحربية مسوبة إلى الإمبراطور ليو السادس
الحكيم^(١) (٨٨٦ - ٩١٢) : « انت العرب امير الشعوب الاجنبية وابرمهم على
الاطلاق في المنبئات الحربية . . وهناك وصف للأثر الذي أحدثته العرب في غوس
اعدائهم البيزنطيين في كذب الإمبراطور قسطنطين برفرغنتس^(٢) يقول فيه : « انهم
اقرباء ورجال حرب فذا انفق لاف منهم فقط انت احتلوا مكرآ فليس هناك من قوة
تستطيع ان تزيحهم عنك . وهم لا يتركبون الخيل بل الجمل . . ويتبين لنا من هذه المصادر
البيزنطية وسواء ككذب الإمبراطور ثيودورس فوكاس (٩٦٣ - ٩٦٩) * في الحفظ الحربية
ان المقاتلين العرب كانوا يكرهون نفس البرد او الذفر وانهم كانوا اذا انكسر خطهم يحومهم
احتل جيشهم وسحبوا عن رءسهم وان الشاة من حذهم كانوا بالاكثارية عن سرته من
الفرار لا أهمية لها من أهمية الحربية . ومع ذلك فواضح ان البيزنطيين كانوا يحشون رءس
هؤلاء العرب الذين سموهم كفرة ورايرة ويحترونهم اشد اعدائهم . الا انه في خلال القرن
العاشر اخذ خطر العرب يتجدد وانحدث قوامهم نصف بعث اشقات البيادحة في آخر القرن
العاشر كور من بلد العرب إلى اعدائهم واخذ البيزنطيون يهزمون بالفارث وينهزون دوشق وبعداد
وفقدوا اعطاط الجيش العباسي في زمن المتوكل الذي ادخل الوحدات الاحدية بقصى
ب على ما يشد وامر الجيش ويقوي معوياته وروح الوحدة فيه . ثم قام الفتن (٩٠٨ -
٩٢٢) فرسم خطة توزيع الامصار بين العمال والقواد على ان يدفعوا الرزاق الجيش من موارد
الخرقة المحلية وليس من خزينة الدولة العارفة . وفي العهد البويهي صارت الاراضى عطى
ارزاقاً للجند بدل المال النقدي . فكان ذلك تمهيداً لنظام الاقطاعى العسكري الذي ابتدأت
وطأته في غضون حكم السلاجقة حين سرت عدة اقطاع العمال والقواد مدناً ومناطق بفرودون
في حكمهم مستقلين وليس عليهم تاسلطات السجوق الا تأدية آتاوة سنوية . اما في زمن

* *Tactica* c. *Constitutio* xviii, § 125, in *Migne, Patrologia Graeca*, vol. cxi.

* *De Administrando imperio*, capit. ١٢ (Constantine Porphyrogenitus) 18
av, in *Migne, Patrologia Graeca* vol. cxiii

(Simephorus Phocas) ٢

الخرب فكان عليهم ان يحاربوا تحت لوائه ونكسهم يتحصلون مسؤولية ائمة عاكروهم
الخدمة بهم والقياد بأودها .

العامل

ان ما اخذه الامويون عن البيزنطيين من تقسيم الدولة الى امصار على كل منها عامل او
امير ما يتغير في عهد العباسيين . غير ان لائحة الامصار العباسية كانت تبدل من حين الى
آخر . فممكن التفتيات السياسية الادارية تطابق دائما الحدود الجغرافية في مكتب
الاصطحابي وابن حوقل وابن الفقيه وسواهم . واليك اسماء الامصار الرئيسية ايام خلفاء بغداد
الأول : (١) افريقية وهي ما كان غربي صحراء ليبيا مع مقلية . (٢) مصر . (٣) سورية
وفلسطين وكنانة احياء مفصولتين . (٤) الحجاز واليمامة (اواسط الجزيرة العربية) .
(٥) اليمن او الجزيرة الجنوبية . (٦) البحرين وعمان وعاصمتها البصرة في العراق .
(٧) السواد او العراق (القسم الاسفل مما بين النهرين) واهم مدنه بعد بغداد الكوفة
والاصطحاب . (٨) الجزيرة او شبه الجزيرة وهي اشور القديمة وعاصمتها الموصل . (٩) آذربيجان
واهم مدنها اردبيل وجرجان ومرافقة . (١٠) الجبل وهي دي القديسة وقد عرفت بمدن
بأخرى امجسي . واهم مدنها همدان (الكوفة القديمة) والري واصفهان (او اصفهان) .
(١١) خوزستان واهم مدنها الأهواز وسفرا . (١٢) فارس وعاصمتها شيراز . (١٣) كرمان
وعاصمتها كرمان . (١٤) مكران وكانت تشمل بلوچستان خاضعة وامتدت الى المرتفعات
المتفرقة على وادي نهر الهند . (١٥) سجستان او سست واهم مدنها زرنج . (١٦ - ٢٠)
قوهستان وطبرستان وجرجان وازميدية . (٢١) خراسان واهم البلاد التي يتكون منها اليوم
القسم الشامي الغربي من افغانستان واهم مدنها بسامير . مرو وهرات وبلخ . (٢٢) خوارزم
وعاصمتها الاولى كاش . (٢٣) الصفد بين جيحون وسيحون وقصبتها بخارى وسمرقند

(١) هذه الامصار احياء سميت به اسم العرب تمييزا لها عن القبايل الشرقية وهي الامصار السابقة .

(٢) تغييرا عن لفراف لغربي التي سفل ما بين نهري .

(٣) يسمونها فارس سفرا او سفرا .

الفصل السادس والعشرون

الحياة الاجتماعية في العصر العباسي

أنت النظام الذي ابتدأ في الذي كان أساس المجتمع العربي القديم قد اندثر في زمن الخلافة العباسية حين قامت على الكنف لاعتداده . وبما كان لهذا عهد حياة فتيحة كبر وزن الدم العربي حتى في انفس روجهم واهل اولادهم . ومن هنا ما يكن فهم من الحرائر الا السطح والبهدي والأمين^١ . ويشار هذا لاجلهم انهم ما كانهم من العرب التي^٢ . انهم الامويون لم يعرف فهم حقيقة من غير عربية في بلادهم . الخليفة الذي عاصر^٣ لان لم يريد هذا كانت من ذرية روم وحمير من فارس ليرى فتيحة في اعداءهم هذا الخراج في اولادهم ما كان عسبهم كدلت عنصروا من امة من العرب والامويين ان امة عربية ومنه في فيهم . وكانت فيهم من امة حسنة واهلهم من امة السكفي والمقدوني . امة من امة تركية واهلهم من امة الرومية^٤ . وكانت الخيرات فيهم لم يرهم امة عربية وهي اول امرأة اعداءهم . ساطة واسعة في شؤون الدولة العباسية .

وقد اذن على اميراج العرب والشعوب بقوة مدد الروم والاميراني ونجدة الزبوي فقامت اميراج العربي مكانه العربية وحل محلهم شعير مدد من امة لاجلهم وصادف عرب (المجناه) وابناء الامم . اعتقدت . وما لبثت الا تستقر امة عربية . حتى ايرها وظهور خلافة

١) شعبي . حالف من ٧٤ .

٢) شعبي ح ٣ من ٩٣٧ .

٣) شعبي ح ٦٤ - ٦٥ من شعبي في رومهم .

٤) اما لكون الذي يص لها امة ثم من امة الخليفة شعبي وساجلهم امة لكون شعبي الذي كانت لكون قد وردت اشارات له في شعبي ح ٣ من ٦٦٩ وسري . واسفل شعبي ح ٩ من ٦٧٠ وما على . كدسه قبل شعبي ح ٦ من ٩٩٢ - ٣ .

من الموظفين من مختلف الجنسيات كانت أكثريتها أولاً من القرس ثم أصبحت بعدئذ من الترك وقد أعرب أحد شعراء العرب عن شعور قومه واستنكارهم هذه الحالة حين قال :

أنت أولاد السراي كثرنا يا رب فينا

رب ادخلني بسلافاً لا أرى فيها هجينا (١)

وقد صرف مؤرخو العرب جل اهتمامهم إلى شؤون البلاط وحوادث السياسة والحروب فتركوا إلى صورة واضحة عن الأحوال العامة الاجتماعية والاقتصادية في تلك الحقب ، غير أننا نستطيع مماثر غاية هنا وهناك في كتبهم وآثارهم وما شاهدناه البوه في حياتهم العائلية في الشرق العربي المحافظ على أقدمه أنت رسم الخطوط الرئيسية لتلك الصورة .

الحياة البنية

تمت المرأة في العصر العباسي الأول تحفظ من الحرية بمقابل حظ المرأة الأموية ولكن كما سطر المؤرخون نفوذهم في أواخر القرن الأخير حتى أحدثت حربها وعزلت عن الرجل وأحكم عليها الخيط (٢) وبذلك كان حرية المرأة وموذهة وظهرها في أوائل هذا العصر مقصورة على ساء الطبقة العالية كالحريررات زوجة المهدي (أم الرشيد) وعالية بنته وزائدة زوجة الرشيد (أم الأمين) وحررات زوجة المأمون التي تعدنها إلى ساء العامة فكانت هذه فتيات عربيات يخرجن إلى الحرب ويقدن الجيوش وينظمن وينظرن الرجال في أسواق الأدب ولما ازدهرت الخمس بمواهبهن الأدبية والموسيقية ، فهكذا كانت عبدة الظنورية التي ذاع صيته في الأمة على عهد المعتصم فاعتصم به من الحال وحسن الصوت والتقدير على العرف (٣) .

وفي حنية الأنظمة السياسي التي تميزت بازدياد السعري وسقوط مستوى الآداب الجنسية وكثرة الانحسار في المذات والتهتك مدت المرأة مرة إلى المراكز التي صنفها « الف ليلة وليلة » حيث جعلت المرأة مثل السكر والمداس ومستودع اعتماد والأفكار المسافة . وفي

(١) التبريد ص ٢٠٠ .

(٢) القبر زبدان ، القرن ح ٥ ص ٦٤ .

(٣) الأتاني ج ١ ص ١٢٤ - ٢٤٠ .

رسالة تعزية أرسلها أبو بكر الخوارزمي (المتوفى نحو ٩٩٣ أو ١٠٠٢) وهو أقدم من خالف لنا
رسائل أدبية من هذا النوع يقول أبو بكر في صديقه معزاً أبوه على فقد ابنه : « وتولا
ما ذكرت من ستره ووقفت فيه من عراب امره فكنت في التهيئة اقرب من التعزية قل
ستر المورث من الحداث ودفن الميت من المكومات ونحن في زمن إذا قدمه الحداد فيه الحرمة
فقد استكمل الذمة وإذا زف كريمته في القبر فقد بلغ الميتة من العسر »^(١١)

واعتبر الزواج واحداً في الإسلام وهمته بوجوب اليوم العفيف وما الأولاد ولا سيما البنون
الأسعة من نعم الله . أما الزوجة فو حسب لأول خدمة رطب والعذبة بالهضار وتدير شؤون
المنزل وما بقي لديها من القراة فخير . ويجب كفة . وكانت كسوة الرأس قباء فبقة - استعملتها
غالبية - مفضية في اصناف دائرة يمكن رسمهم بغير مهر . وكانت من أدوات الزينة الساتية
الطبخان والاساور .

أما لباس الرجال فهو يتغير كثيراً من حيث لونه . ففد كان اللباس العربي لرأس فسوة
استخدم المصنوع^(١٢) سوداء عذبة مصنوعة من البذر أو الصوف . ولبس الجلب مبروش^(١٣)
وقميص وقمطان^(١٤) ورد . خارجي هو المبروش أو الجبة . أما المقام فمما لا غريب إلى
يوسف قاضي الزند القدر كما هو مبسوط القممة على الرأس ويختلن « قبايل »^(١٥) برءاءة .
• سارت ثم كان يجري على نسبة الشعر . في هذا العصر من العادات القرمية التي
مقبس الحقن التي في القديشة في طرأ عليهم عظيم التغيير . وقد لابد التورير . من صبيها من

١١ رسائل - مصطفية ، ١٢٩٩ ، ص ٢٠ .

١٢ من المبروش الأحمر المبروش ببول من المدن الإسلامية ليس عذبة .

١٣ الكلمة عربية ، مقطوع . من ج ٣ ص ٢٩ H. P. A. Dary, *De l'onomatopée de l'arabe* .
nomina et onomatopoeia . Amsterdam, 1846 , pp. 20-1

Dary, pp. 162-3 .

١٤ تعرفت هذه القممة مرة واحدة عذبة من يوسف هادي في عهد محمد في القرن العاشر
ومما سارت إلى ثنية القممة الرومية ومن عهد النفاكية وعبره من القمات البرمانية والافقية .
أما الأسكارية فقد تركت أثر في كلمة « qumma » وهي عود شعبة .

١٥ كلمة فارسية . من ج ٣ ص ٢٢٤ : « كاني ج ٤ ص ١٠٩ » ج ٥ ص ٩٩ : « كاني
في المبروش ج ٤ ص ١٠٩ »

أحد مجلداته (١) نازقون الذئفة في جمل أعضاء مائة . فحين القدوم كان كالميزان ،
وأجمل الوجود كان كالبدر استدارة ، وأجود الشعر ما حكي ثيل سواداً ، وأحب ألوان
الخدود المياض مع الخرق ، ويزداد الحد جلا إذا توسعه حل « كقطة عذير في صحن مرمر » ،
وقد أحبوا في التفتين الكحل الطبيعي دون التكحل ، وشبهوا العيون الكبيرة بعيون المهي ،
وقالوا في الجفن المتكسر « عـ سـ م » ، ووصفوا الشعر بالأقحوان ، وسموا الأسنان فيه
كعقد الفؤاد أو كالجود ، والتهذين كرميتين ، ولعصر كقضب ، وأزلف ككاتب ،
واستحسنوا الأصابع مستدقة الأخرى في مصنوعة ، خـ .

واحد لأت ديون لمجوس يثني حول حارس الغرفة من حمت ثلاث ، وكانت
القاعد التي على شكل الكرسي قد أُنحت في يدوية الخشبة ، ولكن مسند القروشة على
مزاريع أربع اجلس عليها طت رائحة . وكان الغاء فمه في الطبق خمس وأربعة مدورة
على موائد وأطلة اليد تدور بين لو على الأرض مذل مسند . وكانت الأصابع في مزال
الأغنياء مصنوعة من الفضة ، وموائد من خشب الرصع بالأخوس والفؤاد وأواع الصدف على
مزال المصنوعة في دمشق اليوم . إن هذا الشعب الذي كان سابقاً لكل العزب والمخاض
ومأخره كمثل العصور الأولى من سبب المؤاد لأول وهمة من « و ترقق من العز
وقد تالكتة (٢) قد هوت « سبب العذرة وهرب ذوق قصر يستطير لمائد الذية
وأنكل من طعم الفرس الكبيج وهو مرق يعمل من لحم الخن والفرنج وهو حلواء ،
ومـ كحل المذبح مدان يعلف الجوز القشر وتوز ويسقى الخبيب ، وكانت الفازل
في الصيف جراد كبيج * ، وكانت مزار الخشبات وقوامها الماء يذاب فيه السكر ويغلى

(١) نهاية الأرمج ٢ من ١٨ وما يلي ، ولتنزيل على معنى العربية : الألفاظ التي تعطف الفاء راجع إلى
قام حورية ، الحار ، القاهرة ، ١٣١٩ : من ١١٩ وما يلي .

(٢) ابن خلدون ، مقدمة من ١٢٠ .

(٣) ابن القيم من ١٤٧ - ٨ .

(٤) ابن خلدون ، المقدمة من ١٤١ : أخرج ١ من هذا كتاب من ٢٩١ .

(٥) ابن أبي أصيبعة ج ١ من ١٢٩ - ٤٠ وفي من ٨٢ - ٣ اقتباس من عصر القدم يذكر وصفه
بإيجاد الماء حتى في حريراته أو تموز .

بهاء البهجة والنور والزهو أو بصير التوت . أما القهوة فلم ينتشر استعمالها حتى القرن
السادس عشر (١) ، ولا يعرف التبغ قبل اكتشاف العلف الجديد . وعند في أحد مصنفات
القرن العاشر (٢) وصفاً للظريف وآدابه في ذلك العصر . فظريف من كان يذبح بالأدب
الجم والروعة والسكينة ، يتركها لتدفعه رغبة في صحة الأخوان من أهل الصلاح والاعتدال ،
يكره الكذب ويفضل الصدق ويغذي المواعيد ويكرم السر ويتردى الناس مستحسن عند
سروات الناس شجر القدر الزك . وفي القاموس يستعمل صفيح القم . ولا يكتر من الضحك
والكلام عند حضور المائدة ، ولا يهمل في مضغ الطعام ولا يطلع الساحة . ويتجنب النوم
والعمل ، ولا يستعمل موكب الامتنان في الغلاء والخصاء . وعمل الناس وقراءة الفارابي .

وصلى الناس السكرات سرّاً وغداً . ويظهر من قصص الدعوى والمجون في « الأغاني »
و « الف ليلة وليلة » وغيرهم من الكتب والأشعار (خروجات) التي نظمها الشاعر لجميع
أبرارنا (المتوفى حوالي ٨١٠) وابن الفخر (متوفى ٩٠٨) الذي وفي خلافة يوم واحد
وصواهم من الشعراء أن يحرم الخمر الذي شدد عليه لاساءة بلا في من المباح أكثر مما
لأفاه قلوب تحريم السكرات في الولايات المتحدة في القرن العشرين . حتى الخلفاء والوزراء
والأمراء والقضاة قد كان منهم من شرب الخمر وما يجد كثيراً ما يمر للمدن . وقاقر
الطلب على العمد والشعراء والمغنين وأرباب الموسيقى فخدمهم الأمراء ولأعين بدماءهم .
وكانت المادسة في الأعمال عدة فارسية . فمبعت في زمن العباسيين الأول مهنة قذرة
بذاتها وصارت أرباب محترفون على عهد الرشيد . ولقد عرف حمزة غير الرشيد خلفاء آخرين
منهم الهادي والأمين والمأمون ومعتصم والمعتز والمتوكل . أما المتصور والمعتدي فقد منعوا

(١) أدعت القهوة إلى جنوبي الجزيرة في قرن رابع عشر وورثت في نحو مكة في قرن ثامن وعرفت
في أول القرن السادس عشر لأول مرة عند جماعة من متصرفي تونس كبر بمرورهم في الجامع الأزهر بتونس
بها على محمد بن أبي الخطاب سهر . تاريخ ص ٢٢ .

(٢) نوشاه ، كتاب النوحى ، نشر برودا بين ١٩٨٠ - ١٩٨١ من ١٠٠ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥ - ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ - ١٣٩٣ - ١٣٩٤ - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - ١٣٩٧ - ١٣٩٨ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ - ١٤٠١ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣ - ١٤٠٤ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ - ١٤٠٧ - ١٤٠٨ - ١٤٠٩ - ١٤١٠ - ١٤١١ - ١٤١٢ - ١٤١٣ - ١٤١٤ - ١٤١٥ - ١٤١٦ - ١٤١٧ - ١٤١٨ - ١٤١٩ - ١٤٢٠ - ١٤٢١ - ١٤٢٢ - ١٤٢٣ - ١٤٢٤ - ١٤٢٥ - ١٤٢٦ - ١٤٢٧ - ١٤٢٨ - ١٤٢٩ - ١٤٣٠ - ١٤٣١ - ١٤٣٢ - ١٤٣٣ - ١٤٣٤ - ١٤٣٥ - ١٤٣٦ - ١٤٣٧ - ١٤٣٨ - ١٤٣٩ - ١٤٤٠ - ١٤٤١ - ١٤٤٢ - ١٤٤٣ - ١٤٤٤ - ١٤٤٥ - ١٤٤٦ - ١٤٤٧ - ١٤٤٨ - ١٤٤٩ - ١٤٥٠ - ١٤٥١ - ١٤٥

سرايم . وحاول النواحي (١١) حصارا . كفى الحف ، وتولوا ، والكتاب الذين احتسوها
 فرأى إلى ذلك سبيلاً أكثرهم . وكانت أحب أنظر عندهم تلك التي تستخرج من الثمر .
 وقد دفع ابن خلدون عن الرشيد والمأمون وزعم أن سرايم أحب كان التبيد - نبيذ الثمر -
 وما يكن محفوظاً عندهم . وهو سرايم يستخرج بعد أن ينقع الثمر في الماء ويترك فيه إلى أن
 ينضج قليلاً . وكان خلالاً نمره - بعد شروط خاصة - عند أصحاب الذهب الخفي . أو كما
 يقول ابن خلدون : « وأما كان الرشيد يشرب نبيذ الثمر على منسوب أهل العراق وفتاويهم
 فيها معروفة » (١٢) .

وكانت مقدمة قرية حمراء واحدة حلت في أس نسي محسن السرايم (١٣) فكانت
 صاحب البيت وضيقه يطردون حوله بذلك ولاء العرب ويزيدون تيسر المقادير يوم
 ينضجون في أوجها . القرية رابعة مبرور وسد الشغل . وأكثر الفين المواني يحصل مثل هذه
 المحسن كمن من ذلك الغواة كما تذهب بذلك القصاص الكثرة . حتى قبل أنه لم ينل
 فبين ذلك المصير بنية عظم من . وهناك وصلت من بيوت اليهود في الكوفة
 أنه انشور ففيه سلامة . كما ينطبق تحت على من بيوت اليهود يوم .
 عامة الذهب فكان من يربح في حوزة منهم بطسوي لا تفرقة وفي الخات نبي تولى أمرها
 يهود وكانت تارة أخرى محسوبة لهم .

المحطات

جاء في حديث سوي مشهور أن هذه البيوت قوة « النفاضة من الأيمان »

١١ من ٩٩ .

١٢ النسخة من ١٦ . و هو الذي يقع في بغداد . و كان في سنة ٩٩٠ - ٩٩١ هـ . حتى شرب
 الشراب . وما بعد هذه السنة وبيع مدينته بحدائق و كان في بيوتهم في زمانه . و هو في
 المدينة عند كان . و هو من بيوتهم في هذه المدينة . و كان في زمانه . و هو من بيوتهم
 زمن معين وكان حذرهم في هذه المدينة . و كان في زمانه . و هو من بيوتهم .

١٣ من ٩٩ .

١٤ من ٩٩ . و هو من ٩٩٠ - ٩٩١ هـ .

١٥ من ٩٩ . و هو من ٩٩٠ - ٩٩١ هـ .

١٦ من ٩٩ . و هو من ٩٩٠ - ٩٩١ هـ .

ولسنا ندري اليوم أكان هناك جماعات في الجزيرة قبل عهد النبي أم لا . ولكنه يروي أن
النبي لم يكن يسمح لأحد بدخول الحرم إلا بمطافئة وعلى شرط أن يكون متبرأ . أما في العصر
الذي نحن بصدده فقد كانت الجماعات وافرة العدد يرادها الناس كثيرا لا الموضوع والتعبية
فحسب بل للهو والترفيه أيضا . وكانت تلك الحق بدخول واستعمال في أيام معينة . وقد
التفتت الحفريات في أيام المتنذر (٩٠٨ - ٣٢) فيما يقول الخليلي الخليلي (١) فكانت
سبعة وعشرين الف . وكانت في زمن آخر سبعين الف (٢) . وهذا الزمان كواهم من
الأرقام التي نذكرها في المصادر العربية مبالغ فيها . فليفتوني (٣) . حول عدد جماعات بغداد
تأسست لخدمة زمن بغير عشرة آلاف . أما أربعة عشرين من طوعة في الذي زار بغداد
سنة ١٣٢٧ م . فانه رأى في الجانب الغربي منها ثلاث عشرة وحدة كل وحدة فيها خمسة من أو ثلاثة
من ابداع الجماعات بحرية بالله الحار والبارد .

وكانت الجماعات يومئذ منسوبة اليوم تحتوي على مجموعة كبيرة معروضة ، تسمى ، وقد تولى
بعض حائظهم ثم إلى الأمام من قبل . وهي المصنف الآخر لأبي . الحسن لا يبين التسمية وهي
مبنية حول ردهة واسعة عتيقة فيها ، وفرد راحية سميرة مستديرة دائرية . وفي كل وحدة
حوض من الرخام فيه أسوارات من الحجر والبرق . من طرف الخارجية فكانت بالاسك
والاستراحة وغول المشروبات والامعة الحفينة .

الغربي

كانت الألعاب الرياضية في دور التاريخ كما عرفت . فليفتوني (١) من آثار المدينة القديمة
الأوربية أكثر شأها من المدينة السامية إذ تقتضي ممارستها . وتكون عتيقة شديدة من ألعاب
الجسد مجرد الألعاب والرياضة وهو جهد حسي يرمى إلى تصحراء الله في غنى عنه بالنسبة
منه انقضي إلى العمل الذي يندفع منه نحو وغر الخرافة الذي يندفع إلى حبس فيه .

(١) ج ١ من ١٩٨ - ١٩٩ .

(٢) العصر نفسه من ١٩٩٧ .

(٣) التفتت من ٢٥٠ : قبل من ٢٤٤ .

(٤) ج ٢ من ١٠٥ - ١٠٦ .

الآن بعض الألعاب المزيّنة شاعت في عهود الخلافة وقد اشترنا آلفاً الى ذلك القادي في مكة اية الامويين حيث نوقت السبل لعب الشطرنج (١) والتمرد . وقبل ان الرشيد اول خليفة عباسي لعب الشطرنج (٢) ودعا الى لعبه - واليه نسبت مبتدعات أخرى أيضاً - وقد أصبحت هذه اللعبة مهوى الارستقراطية فخذت تعاض بها عن القرد . ويمكن ان الخليفة هذا ارسى رقعة شطرنج قيم ارسه من هدايا الى شريكه كاذب شيخ الجبل اهدى الى اقدس لويس في الله الحروب العنسية رقعة أخرى . غير ان القرد وهو كالمطرب من امن هندي مثل مأفوق هو وغيره من الألعاب المزيّنة (٣) .

وكانت من الألعاب التي مارسها الناس خارج المنازل الرماية والجوكن (٤) والموجان ولعب السيف والقرس والحرير وسباق الخيل وفوق هذه كلها الصيد . وقد ذكر الجدي (٥) من مزايا هذه الرمي في الأغراض ولعب الصيد واللعب بالكرة واللعب بالشطرنج وهي صلت (٦) بساوي في تلك المدة وبطاته . وكان من الخلفاء المتمرين بلعب الكرة المتصدة وقد جعل يوماً الاثنين قائده التركي في حمة وثقة هو في حمة فاستغنى الاثنين قالاً : لا أرى ان يكون على امر المؤمنين في هذا ولا هزل (٧) . وهناك اشارات الى لعبة الضرب (٨) وهي حبة عريضة يلعب بها وليس غريباً ان تكون هذه لعبة الناس (٩) في شكها الهادي . وقد اورد السعدي (١٠) وصف يوه أجرى فيه

(١) الشطرنج لعبة مأفوق من - مسكرية وهي لعبة من بلاد - سعدي . راجع السعدي ج ١ ص ١٥٩ - ١٦١ .

(٢) السعدي ج ٨ ص ٢٩٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٥٧ - ٨ .

(٤) لفظة فارسية معناها لعبة مأفوق .

(٥) راجع ص ٧٦ .

(٦) اما الصلوات الأخرى وراجع شأنها ليوحي ص ٢٥ وما يلي .

(٧) ابن العباس دتار الأول ص ١٥٠ .

(٨) السعدي ج ٨ ص ١٩٦ ودين دتار الأول ص ١٢٩ .

(٩) ان لفظة - تنس - (tennis) التي يصل فيها مشقة من tennis الافرنسي هي في التراجع من تنس . الاسم عربي لدية صربية في الهنا المشهورة في معبود الوسطى بتدوجات كدانية ربما كانت منها تصنع طايت تنس .

(١٠) ج ٦ ص ٣٢٩ - ٣٠٠ .

الرشيد الخيل بارقة وجلس في صدر الميدان حيث توافقت اليه الخيل فاذا في اولها سوابق من خيله فسر بذلك سروراً عظيماً . وفي « الحقد »^(١) الشعر نصف حنات الخيل واجتماع الناس للمعاهد في ابها يسبق .

وفي الدولة العباسية كما في سابقته . كانت الصيد احب حروب الناس عند الخلفاء والامراء . فقد كانت الامين عظيم امره بصيد السباع^(٢) وكانت له اشج شغل بصيد الخنازير^(٣) فوق مرة عن ذابته ومات . اما اوسم الخراساني والعتصم فقد كانت اعظم شغفه بصيد القهود . وقد غنيت الكتب العربية القديمة بمواضيع الصيد ونصب الشراك وترويض البراة واظهرت اهمية هذه الاشغال عند العرب .

وقد دحمت تربية البراة والبواشق الى الجزيرة من فارس كما شعر الانماط المستعملة في وشحت في اواخر هذه الخلافة^(٤) وفي عصر الحروب الصليبية^(٥) . ولا يزال الصيد واسطة البز والداشق معروف في فارس والعراق ومنطقة دير الزور وجبل الفوارج السورية وعند بلاد سورية والعراق وسبق فيه اصول نفسها المذكورة في « الف بنة وبنة » . وكان يستعان بهذه الطيور على صيد الغزلان والاراس والطيال والاوز البري والقط كما كان يستعان بها ايضا بكلاب الصيد لاسيما في قنص الغزلان وغيره . من الحيوانات البرية التي صكوا يصطادون . وكان اول ما يقوم به الصيد اسم عند النفاضة طريذته هو ذئب والا فقد حرم عليه اكلها^(٦) . وفي بعض الاحيان كانت فرق الصيادين يطوق البقعة التي لمجا اليها الطريد ثم زاحوا في تحديق الخلفة حتى تمكن من حصر الحيوان وميده . وقد استخدم

(١) ج ١ ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) السعدي ج ٦ ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٣) الاذني ج ٩ ص ٩٧ .

(٤) يذكر الفهرست ص ٣١٥ وابن خلكان ج ٢ ص ١٧٢ . ج ٣ ص ٢٠٩ هذا من لكتب عربية في موضوع الصيد وتربية البراة .

(٥) من الابحاث العربية القديمة في هذا الموضوع كتاب الاعتبار لأسامة ابن مقف شرحه ا. بولستون . ١٩٣٠ - ١٩٣١ ص ١٩١ - ٢٢٦ .

(٦) سورة البقرة : ١٦٨ : الثالثة : ٤١ : نحل : ١١٦ .

المتعصر طريقة الخلقة خصر الصيد فبنى في أرض دحييل حائطاً على شكل عمل فارس فنونه
فراشخ كثيرة وطرقاه على انحر فكان رجلاً يطردون الصيد حتى يعصر بين الخائط والخمر ثم
يعطونه (١) كذلك استخدم الطريقة نفسها لصيد المتعصر وبعده السلاخقة (٢) وجاء
الخلقاء المتخروا ومنهم المتعبد (٣٠ - ٧٠) فنظموا رحلات خاصة مع اصحابهم
للصيد. وقد رتب بعض "الخلقاء" والحكام الحيونات البرية كالأسود والتمرة البنية طيبتهم في
سدور الرعية وترويعاً للزائر (٤). ومنهم من اعتنى بترية الكلاب والقرود، وكان وزير
المقتدر ابن قيم في القاهرة حيث كان يشاهد منصباً سمياً وكان له نوع خاص من الحيوانات
السامية كالقاني والحيات والمقرب وغيره وفرد لها قفصاً طينة قرب ديرة واستخدمه من
يعتني به (٥).

الارقاء

كان الخليفة على رأس الطبقات الاجتماعية حاية به سيرة ثم كبير يومئذ ثم أهل
البيت الهاشمي ثم ائمة هؤلاء جميعاً. وكان بين أهل طبقة الأخيرة هذه عند الدولة والحرس
والاصدقاء المقربون والخدم والنواب والخلدة.

وكان أكثر الخدم من الارقاء من شعوب غير مسلمة اترعوا قسراً من بلادهم او اسروا
في الحرب او اشتروا بهتاناً. وكانت منهم ارقاء زنج وأخروا ترك وأخروا بعض
وكان أكثر الارقاء المبيع من اليونان (الروم) او السلاف او الارمن او البربر. وبعض
الارقاء خصيان وكانوا يستخدمونهم في دور الخريم وبعض الآخر عامان يمكن ان يكونوا
خصياناً وكانوا يميزون بينهم من عطف السيدهم والفقاه مد لا يملكه غيره وقد أنبأوا الخال
الحياة الجليلة وتربوا ونظروا كالبشر. وانجد في بعض الكتب انهم تمت عرقوا
في زمن الرشيد وانه كانت في بلاطه عدد منهم (٦) ولكن تراجع ابن الاثير كانت

(١) تقيدي ص ٧٣ - ٤١.

(٢) آثار الأول ص ١٣٥.

(٣) تقيدي ص ٣٠٠ - ٣٠١ ص ١٩٨.

(٤) تقيدي ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٥) تقيدي ص ٣٦٩ وبعده أخذ ابن الاثير ص ١٣٠.

اول من سعى في طلبهم وطلب اليهم وصبرهم لخدمته (١) اقتداء بفارس ، وقد ذكر عن قاض
في زمن المأمون كانت خلفه جوار بعثة سلام كلبه مرد حسنة لوجود (٢) ، و
يستكشف بعض الشعراء مثل أبي نواس من ذكر الممنون ليرد في شعره والتغزل به
والاشادة بهذا النيل المنحرف في نفوسهم .

وكانت الجوارى من الرقيق يتخذن مغنيات ورقصات وسرايري وكان لعدد من نفوذ
عظيم على اسبادهن الخلفاء فقد ذكر عن الرشيد انه اشترى حريته ذات ليل سبعين الف
درهم ثم هاجته القبرة ذات يوم فوهب لوصيفة عام وبه ، لانه اشفق عليها فخرجت اليه
وحلف الائمة في يومه ذلك حصة لا تقصدها فاسته في روي حو به الحرب والخراج
بفارس سبع سنين فضل (٣) . وكان الرشيد قد شغل حريته اخرى اسم ، وديركات
مولاة يحيى ابن خاندان برمكي فخذ برده اليه وقيم عذره وجره فعمت بالامر بوجده
زيادة فشكته الى أهله وعمومته ، فوجد في ريدته فاشرو شيئا من لاصح في مرده وبعثت
فصله عنها فهدته عشر جوار منهن مائة ام المعتصم وبعث الى المأمون وفاردها ما يليه
اما قصة نودد التي روت في الف ليلة وليلة (المجلد ٢٣٧ - ٩٢) ان الرشيد اشترى بنته
الف دينار بعد ان قوت في امتحن معب وضمة في العلم في الطب والفقه والحكمة والفلسفة
والوسيقى والرياضيات فضلا عن المعاني والدين والمحو والشعر والتاريخ والقرآن فهي على
ما فيها من غرابة مدبها من الاساطير تدل على ما سمع بعض الجوارى من العلم والثقافة .
ويروي عن الامين انه اخذ الجوارى الممدودات الحسن وجود فقص شعورهن واليهن
تياب اللعان وعظمهن فصبغن الفلامية وسلك الناس من اخصبة والامة ذلك السيل فالتروا
الجوارى الممدودات (٤) . وقد روي شاهد عيان انه دخل على المأمون في أحد الدارين

(١) الفهرست ج ٣ ص ٩٥٠-٩٥١ ومعه الحدائق الجارية ج ٢ ص ٢٠٥ .

(٢) المعتمد ج ٧ ص ٥٧ .

(٣) الاغانى ج ١٥ ص ٢٩٩-٣٠٠ ونقل عنه الفهرست ج ٢ ص ٩٥٠ .

(٤) الاغانى ج ١٦ ص ١٣٧ .

(٥) المعتمد ج ٨ ص ٢٩٩ .

فرأى بين يديه عشرين وصيفة قد ترقطن وترين بالديبايح وعطرن في اعتاقهن ملبان الذهب
وفي أيديهن اغصان الزيتون فمررن يشربن والوصائف ترقص بين يديه حتى سكر فامر ان
ينثر على الجواري ثلاثة آلاف دينار^{١٩}.

وبدأ على كثرة الرقيق في البلاد ما تجده في المصادر من وفرة في دار الخلافة . فقد
كان في دار القنطرة (٩٠٨ - ٣٢) على ما روي احد عشر الف خذوة حصي من اليونان
والسودان^{٢٠} . وقيل ان التوكل كان له اربعة آلاف سرية^{٢١} . وأهدى اليه احد قواده
مرة مني وصيفة ووصيف^{٢٢} . وجرت بين العزل والقواد عادة اهداء الخليفة والوزير هدايا
تتضمن بعض العثبات^{٢٣} . والأحباب الخليفة تحفهم عن ذلك علامة العتيان . وينسب
الى ائمة انهم كان يرسل بعض وصفاته الموثوق بهم هدايا الى عماله ليكونوا عيوناً عليهم
وحواسيس^{٢٤} . واخبره بأخبارهم ويسون لهم الامور^{٢٥} .

الحياة الاقتصادية : التجارة

كانت عامة المدن مؤلفة من طبقتين : طبقة غلبت بها الارستقراطية وفيها الادباء
والعلماء واهل الفن والتعب والاعمال واهل الحرف . وطبقة سفلى قوامها جمهرة الامة وهم
المغلاخون ورجلة النواصي وسكان الاريف من أهل البلاد الاصلية الذين كانوا يربيه
أهل الامة . وما كان منهم في الفصل الثاني بطبقة المتسكرين بشي . من التفصيل فاما سكنة
هذه فاقول ان مستوى الثقافة اقل في عصر العباسيين^{٢٦} .

وقد قضى النسخ نطاق الامبراطورية والاراضي مستوى الحضارة فيها كانت نشأة تجارة
عربية ذات شأن . وكانت هذه في اول امرها بيد النصارى واليهود^{٢٧} والزرادشتيين

١٩ الاماني ج ١٩ ص ١٢٨ - ٣٩ .

٢٠ تعري ص ٣٥٢ .

٢١ السعدي ج ٦ ص ٢٥٦ .

٢٢ المصدر ص ٧ ص ٢٨٩ .

٢٣ ابن الأثير ج ٦ ص ٢١١ - ٢١٢ : الخطيب ج ٣ ص ٦٢٧ . ونقل عنه ابن الأثير ج ٦ ص ٨٦ .

٢٤ الخطيب ج ٦ ص ١٩٦ .

٢٥ راجع ابن خردادبه ص ٩٣ - ٩٤ .

ثم نشط المسلمون والحرب واخذوا بحوث بحرية في تصف زمامها ولم ينظروا الى التجارة بشيء من الاحتقار كما نظر الى الزراعة. ومن هنا اخذت مراكش بغداد والبحيرة وسيرافا (١) والقاهرة والاسكندرية تتقدم وتصبح مراكز مهمة لتجارة البرية والبحرية.

وقد فقد تجار المسلمين شرقاً حتى الصين التي تذهب الأحبار اليهم بملقودهم من البحيرة منذ أيام المنصور (٢) الخليفة العباسي الثاني. واقدم مصدر عربي يبحث في موضوع الاتصالات البحرية العربية والعربية مع الهند والصين هو ابن اسفار سنان التاجر وظهر آخر من التجار المسلمين في القرن الثالث للهجرة (٣). وكانت لاس تجارته الحرير وهو اقدم نخعة جنتها الصين الى العالم العربي. وقد منكت هذه التجارة طريقاً يدعى « طريق الحرير العظيم » (٤). مرة سمع قند وركشيد الصبيبة التي قل من طريقه حتى اليوم من الصاهرين والمباح. وكانت البضائع تنقل مع قوافل متعددة بالتدوير فتسير كل قافلة شوطاً معلوماً ثم تسلم البضائع تقفلة اخرى وقد كانت قافلة قطع المسافة كلها. اما العلاقات الدبلوماسية فكانت قد اشدت في زمن هؤلاء التجار العرب. وفي الاسطخريست الذي ارساه سعد الدين ابني وفنس فائض فارس سفيراً الى الصين ولا يزال قبره حرة ومقد في مدد كاتون والواقع ان كثيراً من النقوش الظاهرة على الاعمدة الصينية الاسلامية منقطة مزينة وقد وجدت هذه في المعينة الذهبية (٥). غير ان ما يأت من منتصف القرن الثامن حتى تم جعل بفتح سفارات بين الخلفاء والصين وانما هو الطريق الذي منكته هذه السفارات في سفره وهي كانت وراءه حراً. وفي السنوات الصينية الراجية الى ثالث العصر ترى ان مير المؤمنين كان يدعى « هني موموني » وان اما العباس الخليفة العباسي الاول كان يدعى « اولوبا ». واسم هرون الرشيد « الوين ». وفي

(١) بدءاً في فارس على خليج نجد. وكان أهل سمرقند ومغان بها يقولون السمودي (ج ١ ص ٢٩٩-٣٠٠) من أشهر بحاري عصر عباسي الأول.

(٢) ابن خلدون، *Islam in China* (London, 1910), pp. 3-39.

(٣) سيرة التواريخ، نشر لافلي، باريس، ١٨٨٩.

(٤) Thomas F. Carter, *The Invention of Printing in China and its Spread Westward*, (New York, 1925), pp. 8-10.

(٥) انظر: Paul Pelliot in *Journal asiatique* (1903), vol. II, pp. 177-91.

ومن هؤلاء الخلق، نزل عدد من المسلمين بلاد الصين فكان الصينيون يسمونهم «الآشي»^(١) ثم أطلقوا عليهم بعدئذ اسم هوي هوي (مخديون)^(٢)، وول اشرة في مصدر أوربي إلى وجود العرب في بلاد الصين ترجع إلى ما كويو من ابتداء القرن الثالث عشر، وكان التجار أيضاً هم الذين حملوا الإسلام إلى الجزر الهندية التي كانت سنة ١٩٢٩ دولة جديدة باسم ولايات اندونيسيا المتحدة، وسفت تجارة الإسلام عرباً من أكش وسبانية، وقد فكر لمزيد في حفرة السويس^(٣) قبل خمسين (De Suez) نحو ألف سنة، ولكن تجارة العرب في البحر المتوسط لم تنفد كثيراً وكذلك قل في تجارهم في البحر الأسود مع ما كان هناك شيء من النشاط في التجارة البرية في هذه الممالك الشرقية، عجزت سفنهم كانت تبحر في بحر قزوين ثم به من المراكز الهندية الهامة ومدن العمرة كمرفقند وأخرى ومورادهم من ارتقى أهلة بالسكان، وكان التجار المسلمون يسمون إلى مثل البلاد المختلفة البخور والسكر والفضة والمنسوجات الصوفية والأدوات الفولاذية والآلات الزراعية ثم يهودون بمنتجات مختلفة منها التوابل والكافور والحرير من قسبي آسيا والحرير والحرير والحرير من أفريقيا، ويمكن أن نرى أن تلك المدن شديدة من الثروة التي حظت بها في ذلك العصر والسعة التي كانوا فيها من قصة من الجهاد من أجورهم بعداء هند طانغياً موسراً بالرفعة من تلك المقتدر صادم من ستة عشر مئونة ديترو وكان أول من عرف من هذه الأسرة التي سمع فيها بعده كبر تجار البواخر^(٤)، وكان بعض تجار العمرة الذين كانت مراكزهم على البصرة إلى شاطئ الأصفر يحمل غنم على مئونة ديترو، وقد عرف في البصرة وفناد مئونة من غنم أنه كانت يخرج في العدة كل يوم مئة ديترو فستوزر العنصر وكانت

(١) من تاجيك الهلوية (تاريخ يوم اومعها عرب و صاهرات هذه لفظة تجريب طائي أو صلي - لفظة عربية المرونة).

(٢) راجع Isaac Mason in *Journal of the North-China Branch of the Royal Asiatic Society*, vol. IX (1929), pp. 12-14.

(٣) اليهودي ج ٤ من ٩٢٩.

(٤) الكنج ج ١ من ١٢٢.

جاءها (١) . وكان في سفينة البحر الصدي في سيراك على يمينه فوق ستة ألف درهم وربع
الدينار بعضهم أكثر من ثلاثين ألف دينار . وقد بلغت ثروة الواحد من الكثيرين من تجار
البحر نحو أربعة ملايين دينار (٢) . وألف ثور سيراك البحر حتى يربط غيب أحدهم
عمدة نحره في البحر (٣) . وسفينة الاصطخري (٤) استأجر أحدهم ما يخرج من السفينة نحواً من
أربعين سنة .

الصناعة

ولا يمكن بيع هذه "الدم البحرية" مدد ولا تس . وإنما مبددة بالهبة عامة وبإقامة
واسعة فقد ازدهرت الصناعة اليدوية في كثير من المدن لا سيما في أسيوط
والقاهرة على ما ذكره الجوزي والشيخ مؤلفي التوفيق على الخلد (٥) . والتفريز والقطر
والسوحات "الموقوفة" والبريد واللباس والخطبة وسائر صنوف من أدوات النسيج والآلات
والأواني الخشبية . وقد كانت تونس وباريس والعراق المكنية في بيع هذه السلع جيد
وسوحات وكس . لأنهم استعملوا هذه الآلات في صنعها . وكانت تسمى بالآلات
التي تسمى "صنوع" تصنع من الحديد والفضة من الذهب والفضة من الفضة
وسائر من الآلات المكنية التي ذكرها في حديثي . وفي سنة ثمان مائة في تونس
مرة أصبح "السراج" المصنوع في ذلك الحي معروف منذ القرن الثاني عشر . وفي
القرن الثالث عشر في تونس في عهد حاكمه وصاحبه مشهوراً بصفته الخرافة في تونس
والأندلس وسواها من قطار تونس . وقد كانت "كلمة" صناعة المكنية في تونس في
القرن الرابع عشر على أنظر الخطبة . وصنعت كروية سدود خمرية وشبه خمرية في تونس على
الرأس وعرف "بوم" كروية . وشاهرت مكنية تونس وقد من تونس تونس مكنية كروية

١ - التفريز من ٣٢١ - ٣٢٢ .

٢ - الاصطخري من ١٢١ - ١٢٢ . حول من ١٢٩ - ١٣٠ .

٣ - من ١٣١ - ١٣٢ .

٤ - التوفيق ج ١ ص ١١١ .

٥ - ذكره التوفيق من ٣٢٣ - ٣٢٤ . حول من ٣٢٩ - ٣٣٠ .

مماثلة لصنع البسط وثياب الفوشي والحرير والطرار وهو نسيج الشرف الذي كانت تصنع
أولا من بوس المنوك والأمراء^{١١} وكان يطرز عليه من خيل أو الأمير الذي صنع له ، وكان في
ستر والسوس خورسات^{١٢} (سوريات القديمة) عدد من العمل الشهير بزرقة
الدمقس^{١٣} الفوشي بالذهب والستر المصنوعة من خمر ، لم يصوب لها المصنوعة من و
الأبل والمرعز ، والعباءات المصنوعة من الحرير المعروف فذلك كانت كآب واسعة الانتشار وكانت
شراز تصدر العباءات الصوفية المخططة والأقشة الدعة والحرير النقشب ، وكانت الحيدات
الأوريات في العصور الوسطى يشتمل من مخاربات شجر في أورب ، الحرير الحريري المعروف
بالبافه وقد اشتهرت خراسات وأرمينية ، غطية فرش وستر وغطية القاعد والستار
واختصت بحري جده كحمر ، ويستطيع الباحث أن يقف على شوا صناعة والتجارة
في وراء النهر من لأحة الصادرات التي أوردها بقوسي^{١٤} لكل مدينة مفردة ومنها
المعاصر والسطر وقندل الحرس والآية المصنوعة وعباءات نادر وأغبر وأصل
والبواشق والمصانف والأبر والمكنكين والبيوف ونسج ومجسوم ولأفاد من المصانف
والترك ، أما الموالد والمقعد ومندل والشرعة وزهرات وقنجر والذوات المطبخ فكانت
تصنع في سورية ومصر أيضا ، وكان السيج مغربي المعروف بلدميضي (سبة إلى دميض)
والديفي (سبة إلى ديق) والنبسي (سبة إلى ناس)^{١٥} أو مشير في الشام وقندها العرس ،
وقد كانت بعض الصناعات القوية المأخوذة في عصور المروعة لا تزال معروفة بشكل
أخف في الصناعات القبطية .

وقد اختلفت بلاد الشام بصنع الزجاج في عهد وصور وسوها من لندن التي حافظت
على هذه الصناعة منذ عهد القبطيين الذين كانوا يعدون قسرين أقدم من مصر ، وقد ضرب

١١ الاصطعري من ١٥٣ ، قابل القوسي من ٢٠٠٤٢ .

١٢ القوسي ١٠٣ : ١٠٧ : ٩٠ .

١٣ تحريف دمشق التي كان هذا السيج في الأصل يصنع فيه .

١٤ من ٣٢٣ : ٦٠ .

١٥ باقوت ج ٢ من ٦٤٨ : ٦٠٣ ، ج ١ من ٩٩٢ : القوسي من ٢٠٠٤ : ٢٣٣ : ١٤٣ ، وانظر آخر
الفصل الرابع والأربعين في الجزء الثالث من هذا الكتاب .

المثل بالزجاج السوري لرقته وصفاته (١١) . وكانت الزجاج المحفوظ منه والمطلي بالبناء مثلا
أخذها الأوربيون إثر الحروب العنيفة فضع الزجاج الملون الذي صنعوه لتزيين كاتدرائياتهم .
وكثر الطلب في العصر العباسي على الآنية الزجاجية والزهرات المنمونة من مصنوعات الشام
وأصبحت تعتبر من لوازم الملوك ومن مشتمات لرفاهية . وكانت دمشق مركز صناعة واسعة للفسيفساء
والقصور وعليها كتابات بالبناء من مختلف الألوان وكانت دمشق مركز صناعة واسعة للفسيفساء
والقشاني (١٢) وهو اسم يطلق على نوع من الترميد المقطوع السداسي الشكل وقد رثت عنه
أحيانا صور زهور ، أو قبة (مصطح عيب) ويستعمل أرواق لائقة والجدران من الداخل
والخارج . وكانت أبرز ألوانه الأزرق الفاتح والأخضر الداكن والأصفر والأحمر والأخضر
أحيانا وكانت هذا الفن معروف في أواخر القرنين العاشر والحادي عشر في دمشق حتى أواخر القرنين
العاشر والحادي عشر .

وما نجد الاكتفاث اليه هنا صناعة ورق السكتة التي دخلت البلاد الإسلامية في
أواسط القرن الثامن من الصين عن طريق سمرقند (١٣) التي فتحها المسلمون سنة ٧٠٥ . وقد كان
ورق سمرقند بعد منقطع النظير (١٤) . وما كان ينبغي لقرن الثامن حتى ظهر في بغداد أول
معمل لورق وسعته معمل أخرى . أما في مصر فقد ظهر أول معمل في حدود سنة ٩٠٠ .
وفي مراکش حوالي ١١٠٠ . وفي أسبانيا حوالي ١١٥٠ . وقد ظهرت أنواع مختلفة للورق
فيها الأبيض والمائل . ويقال إن المنصب الذي يصب إليه القطن في الشام معمل للورق
والزجاج في بغداد وسمرقند وسواهما قد صنع صناعة لورق أيضا . وقد ما نجد اليك
من المخطوطات العربية المكتوبة على الورق مخطوطة « غريب الحديث » لأبي عبيد القاسم

(١١) الشافعي ، ص ٩٥ .

(١٢) اسم مشتق من كاشان (وفي العربية قاشان) بفتحة ، بلدان ج : ص ١٥) وهي بلدة في العراق
ج : ص ١٥) وقد ذكرها ابن بطوطة ج ١ ص ١١٤ . ج ٢ ص ١١٣ . ج ٣ ص ١١٤ . ج ٤ ص ١١٤ .

(١٣) راجع Friedrich Hirth, *Chinesische Studien*, Munich and Leipzig, 1890, vol. 1, pp. 259-71.

(١٤) وانظر الفصل الثامن والآخرين من هذا الكتاب باب « الورق » وقد طبع الورق القدي
(وأصله صيني) سنة ١٢٩٤ بالمدينة والحربية في تبريز وهي من مراكز الأولى في العالم الإسلامي التي وجد
بها أثر لطبع بواسطة الحطب النقوش .

(١٥) الثعالب ص ١٢٦ : القدي ص ٢٢٦ .

ابن سلاّم (المتوفى ٨٣٧) وقد كتبت في ذي القعدة سنة ٢٥٢ هـ (١٣ تشرين الثاني - ١٢ كانون الأول ٨٦٦ هـ) وهي محفوظات في مكتبة جامعة لندن^(١) وهناك نسخة أخرى مكتوب فيها مؤرخة في صنف سنة ٣١١ (٩٢٣ - ٥) وخطها في مكتبة الأزهر بالقاهرة. وهناك مخطوطة في المتحف البريطاني بحث لاهوتي تأليف أبي قرة^(٢) تاريخها ربيع الأول ٢٦٥ هـ (١١ تشرين الثاني - ١٠ كانون الأول ٨٧٧ م) وهي أقدم مخطوطة محفوظة تأليف نصراني. وسيرى في هذا كيف دخلت عدة النورق الخيرية إلى أوروبا المسيحية عن طريق لاسيس وخطاب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. وفي أورب حيث تم اختراع الطباعة بالحروف المتحركة (١٤٥٠-٥٥) تمكن لاهوت (النورق والقعدة) من نشر الدعوة والتعريف التي تنمى في أورب وأميركا اليوم.

وكانت المسيحية الجوهرة في يد هذا كرسى مؤلفا واليه قوت الأبرق والآخر وأما دوراس من الجواهر التي يرغب فيها الملوك والنبلاء فكانت تتصل عن هذه الجواهر الثمينة بالبروز والظلم. وهذه الجواهر في تاريخ العرب حيز من الديفوت لأحرار كبر حجمه كان قد مضى من عدة من ملوك الأكسرية ثم وقع إلى الرشيد فشرائه بالبروز بين ألف دينار. وعرض عليه اسمه، فوافق. كتب بعض بالميل كضيفه انصراح في يوم في ذات لا مذهب فيه شرف. وقد مر هذا إلى تحت الرشيد وحدث غطاء رأسه بالجواهر كما كانت مراكبه الجواهر تحمى جديده. وقد روي أن يحيى ابن خالد البرمكي سار به على بغداد على سخط من الجواهر وعرض عليه سبعة مائتين درهم فبقيت له. وبعثه إلى مكتبي خاتمة من الجواهر والحب ما يقدر ثمنه «تشرين مليون دينار»^(٣). وقد جرى في مدينة مكية وحدة أهم تنوكل وتعهدي وعرض المليون

(١) William Wright, *The Palimpsest and the Christian Text* (London, 1875-87), I, 11.

(٢) Edward Aschmann Kurra, *The Arabic Manuscript and its Literature* (Bonn, 1870), 2.

(٣) المخطوطات ج ١ ص ٣١٩. قال بخاري ص ٣٠٠. مخطوطات ج ٣ ص ٢٠٢.

٥ المخطوطات ج ٣ ص ٢٠٣.

٥ المخطوطات ج ٣ ص ٢٠٣.

حدثت في بغداد في سنة ١٢٠٠ هـ استعملت موائد وصواني من الذهب
موضعة بالجواهر ، حتى أن ابن خلدون الذي زعم أن العباسيين لم يغمسوا في ضروب البذل
والترف لم يشكرهم ظهري في ترويح الأموات أو عرض أو ترف من الذهب والجواهر (١) .
وزعم السعدي (٢) أن الفخر (٨٦٦ - ٩٠٨) الخليفة العباسي الثالث عشر كان أول من
أحدث تركوب بحبة الذهب على سرج من ذهب ، أما جميع من سلف من خلف بني أمية
وبني العباس فقد تركوا بحبة الخشب من الفضة في المصق والسيوف والمجعد والسروج .
ومن أواخر الخلفاء الذين كانت فيه حرائق ملامى بالجواهر الخليفة المتندر (٩٠٨ - ٩٢٢)
وهو الذي حفر ملامى من الجصص مؤسس لغى بحرس الجواهر في بغداد (٣) والمترى
ياقوت حيوت الرشيد آخر المشهور والدة الخليفة التي كان وزنها ثلاثة مئذيل وغير ذلك
من جواهر الفضة عرفت ذلك كله والله في أسر منه (٤) .

وكان الذي ساعد على ترويح هذه الصناعة على الدولة بدمش والهم الذهب والفضة من
آخر من وكذلك الزخرف والبريق (٥) ثم اليقوت واللازورد وجر البزهر من وراء البحر (٦) .
والزمرس والفضة من كرس (٧) والياقوت من سحرين (٨) والياقوت من سحرين (٩) التي بلغ
الجزء معدوم في أواخر القرن العاشر ٧٥٨٧٢٠ درهم (١٠) والياقوت الأحمر من صمد (١١) .
والخشب من سحر (١٢) ومن التورق بمدينة لاجري كانت الصلصال ورخاء من تبريز (١٣) .

١ - السعدي ص ١٢٠ - ١٢١ .

٢ - السعدي ص ١٢١ - ١٢٢ .

٣ - ج ٢ ص ٢٠٠ - ٢٠١ ومنه من غلبت عليه من سحرين (١٤) .

٤ - السعدي ص ١٢٢ من هذا الكتاب .

٥ - السعدي ص ١٢٣ ومنه ذكر الخرافة الخشب من سحرين (١٥) .

٦ - السعدي ص ١٢٣ .

٧ - السعدي ص ١٢٣ .

٨ - السعدي ص ١٢٣ .

٩ - السعدي ص ١٢٣ .

١٠ - السعدي ص ١٢٣ - ١٢٤ .

١١ - السعدي ص ١٢٣ .

١٢ - السعدي ص ١٢٣ .

والنحاس ولائذ (معدن الكحل) من مسيحيين^(١١) وغير النقط من بلاد الكرج ووزنيق
والزفت والقطران من قرغنة^(١٢) ، وارجح و تكريت من سورية وهسين^(١٣) ووجهر
التقية من زراهر^(١٤) .

الزراعة

قد شاعت الزراعة في العهد العباسي لأول وحدث ازدهار زدهر وقتها لأن بغداد وهي
العاصمة كانت في بقعة خصبة من السواد . ولأن مسيحيين يسلمو شاركوا في الزراعة على
الدوية لهم موارد المدخل ، ولأن حرفة الأرض وشتاد وسفلاط على معظم أراضي تلك
البلاد للمسيحيين الذين حدثت أحوالهم تحسن وتقدم في عهد المهدي بخلاف عهد العباسي في
المزارع اليهودية والقرى الخربة في كثير من بلاد الدولة ، حدثت بعض هذه المزارع يدويين^(١٥)
وقد وسعت الحكومة المركزية اهتمامها بحدائق في قسم لأمدن من وادي دجلة والفرات ،
ويعتبرها إحدى عدا وادي الفيل الخصب بقعة في بلاد الآرامية بحيث عده القاصد
موضع حبه من . وشقت تلك التقنية من عرفت بعض قرية مهجور ومطرب حدثت تحت
صراحت لا من سوادا مثليكا غير مسيحيين^(١٦) ، وعرفت من قدة كبرى قدة عباسي و هو
عيسى كانت عيسى وهو من قرية مهجور عند شعب وكانت تربط القرى عند الأبر في
الشرق عيسى بدجلة عند بغداد وكان من قروعه وبنية هر عرفة . وكانت قدة القاسية
الكبرى هر مهجور عيسى عيسى في دجلة فوق من . وبنية هر عيسى وكان يصب في دجلة
تحت مدائن^(١٧) . ثم كانت هناك إلى جنوب من هذين قدين هر كوس وهر القارة

١١ - لأصطخري ص ١٠٠ : عيسى ، طاب ص ١٠٠ .

١٢ - حوقل ص ٣٣٦ .

١٣ - عيسى ص ١٠١ .

١٤ - عيسى ص ١٠٣ .

١٥ - لأصطخري ص ١٠١ : حوقل ص ١٠٠ .

١٦ - عيسى ص ١٠١ : قدة القاسية ص ١٠١ : حوقل ص ١٠١ - ١٠٢ : عيسى ص ١٠١ .

المطالع : تاريخ ص ١ من ٩١٠ - ٩١١ ويلي ، ورجع إلى : Guy Le Strange , " Description of Mesopotamia and Baghdad , Written about the year 900 A. D. by Ibn - S'arapion .. Sulrâb , Journal Royal Asiatic Society 1895), pp. 25-45 .

الكبرى^١ ، وتخرج منها قبة صفرى اخرى ، وبها دجيل منى كانت على قبة درجة
ياخترت ثم امتلأ بالرواسب من الطين في غمرات هاتر ، وطلق الاسم على قبة جديدة
تبدأ من جهة تحت القبة ثم عود فتصب فيه في جنوب حد تلك بفتح منها عدد من
المروج^٢ ، ومن الاقضية الشوية سر حلة التي اعترف بهدي وسط^٣ ، ما يذكر
مؤرخو العرب عن حفر الخندق الاثير او قصبه هذا فلا يدرى كثيرا كانت غلب هذه
الاثير التي ذكرها كانت قبة يرجع عهدا الى زمن الجاهلية فمطت واند الخندق
شفا ، وقد انقصر الامر في العراق كما في مصر على حفظ الاقضية المائية القديمة وصيانتها ، وما
عهدت الحكومة العراقية الى سجدوهم ونكوكس قبل حرب سنة لاولى درس تحول
التي في العراق توصي في تقريره سوزو نظيف بحري اليه قديمة وما يرس بشق بحر
جديدة^٤ ، وحدثت تلك الاخطا هذا ان سطح الارض في سوادك فبر كثيرا ما يه
الهابسين كما ان تلك حلة وغمرات قد تحول بحرها في غضون تاريخ العراق .

والله اعلم العرف السمر والحلقة والار والبر والسمه والغصن وقصب والخطب فانه
ارض السقي في السهل الجنوبي وعرف بالسواد حيث كانت تفتح مغاور واقره من الاشجار
والقول ثم يصب في التلحق الغارة وباردة ، ما عوزو برغن وسمهات وقصب نكر
والقرص واولع الزهور والراحين كورد وسمج وعبرهم فقد كانت نمو بكثرة في
تلك المراتح .

وقد اقيمت خراسان عراق ومصر في ميدان الاشجار التي كما يتضح من ملاحظة
قوائم دخل الدولة التي نشرها فلا^٥ ، فقد بين منها ان هذا القطر كانت في مقدمة
الاقطار بنظامه خارجي ، وكان من الناحية السياسية تشمل حوض مفاطحي ما وراء النهر
وسجستان اعم من بانسكان فكك غير ارجل^٦ ، ومن هذا فليس غريبا ان

١ : قولج ٣ ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .

٢ : السعدي ص ٧٧ - ٧٨ : قولج ٤ ص ٤١٥ .

٣ : البلاذري ص ٢٩٩ : قولج ٤ ص ٢٩٩ .

٤ : Willam Wulcock, *History of Mesopotamia* (London, 1917), pp. xvii seq., Map. ١ .

٥ : ص ٣٩٧ - ٣٩٨ من هذا الكتاب .

نسمع ان احدى وصف خراسان في حقيرة مشهور فقار : « هي المسكة بمرها »^١
 وكانت كورة اخرى في رضى حفر في الحرب جنة حقيقية لاسي في اياه آل سادات
 التي بعد سنة ١٢١٩٠٠ هـ. فقد بين حرقه وخرابى تقع وشي اخفد العلود بين جنت الارض
 الاربع ، والثلاث الاخرى هي شعب يان في فارس و - بين الالة المنطق من العسرة الى
 جنوب الشرقى^٢ وشوطة دمشق^٣ فقد كانت يمين في حداث هذه الكورة شتى
 نوع الاشجار المثمرة والبقول والازهار كشمس والقمح والبرقوق^٤ (الشمس) والخرافى
 ونحوها والامون والبرغمس وغيره والعنب والوزون والورد والبرغمس والمجمل
 والقمح والقمح والورد والبرغمس وكان الطبخ يعمد الى الشمول والى الخواص في قواصيه
 ربح من المعونة ليجد نوع البضاعة له مدق في حمراء سمينة وزهره^٥ والواقع ان اكثر
 الاشجار المثمرة والبقول التي كانت اليوم في شرقي آسية كانت معروفة في ذلك العهد بالهند
 من غيرة البضائع والتمرد (الطراطة) او من البساتين الاخرى التي لم يسم منها دجول الهيا في
 القصور الاخرى من الهند بل من مسعودات لاور يا الهند والهند والبرغمس^٦ وهي
 من صنف الاخرى ويسمونها بامس وفارس موضع لاسي في تلك هذه ومنه انجست
 في عصر ابي حنيفة مروي آسية وشبهه من بلاد الهند بوسطه دجست وربما
 ان من في آسية^٧ وفي هذه مصر سميت مزاج قصب السكر وبعده من حداثته في
 السجل السجل على شرى مع جوف مدينته في فارس والاهواز^٨ ومن بلاد الهند حداث

١ - سجد في ج ٥ ص ١٢٢٥

٢ - لاصطريحي ص ٣٠٢ و ٣٠٤ من ان جوف من ٣٠٠ وما ي

٣ - الاصطريحي ص ٥١ و منه في ان جوف من ١٦٠٠ مديني ص ١١٧ - ١١٩

٤ - ياقوت ج ١ ص ١٤٩ ج ٣ ص ٣٢٤ و ج ١ ص ٩١

٥ - اصل هذه شجرة من الهند واسمها سميت صفة دجول من الالباب *Peacock* من حاريق
 اليونانية ثم غلت من حاريق لاسي في *Albanoque* ومن دجست الى الانكليزية *Apical*

٦ - انطالي ص ١٢٢

٧ - قد استعملت عرب نصفي مزاج وسموها من مدينته لاسي في امانة ومنها بعض بساتين لاورية

٨ - اخرى يسمونها لاسكارة *Lebanon & Treange*

٩ - انطالي لحداد ص ١٠١

الصليبيون قصب السكر ثم ادخوه هو والسكر في نورا . وهكذا وجدت هذه السبعة
الخمود طرقت الى الغرب (وهي غديفة الأصل في لارجح) وقد صبحت متفدات ثم
عنصر الاستغنى عنه في هذه الابان الشبان .

وما وقف زراعة الخدائق عند حد الحكمة و يقول بل ندم في الزهور فكان شبيب
شان لا في الخدائق المتصلة بالصيوت فحسب حيث كانت تروى من ماء القوارات لاشنة
وانكن في الجبال السكرى بعد حيث كانت تخرج على نطاق واسع شبيب في الاسواق واستعمل .
وكانت صبعة المستخرج ابراج عطرية من فورد و راسق وزهر الزقن والبنفسج وبنفسج
على غامه والافان في راسق والبربر وحوو وسود من سنان . واشتهرت مذخضة جوار
(فيروز آباد) في فارس بمطهر المستخرج من وردة الاجر^{١١} . وكان بعض ماء فورد من
جوار شرقا حتى العدين وغربا حتى بلاد العرب^{١٢} . وكان يعمل مع حراج فارس الى هذه
فداد كل عام من ماء فورد الحوري اللاون الف قروية^{١٣} . وقد كانت سوار ووديه
بجانب من زبوت الخشب عطرية روح مشهورة تنحصر من زهر النسيم وراسق
والرحس والسوسن والبربرين وماريج وخرقة والحنين وجموم . والبرقل المار وما
كن شهرة طيبه . هذا شهرة طيب مسج في ماء لاسلامي وقد حذوا عن نبي .
قل : « عسل دهن النسيم على سائر الادهان كمنسجي على سائر عسل »^{١٤} .

ثم الزهور فاجب عند العرب فورد . وفي رأي الخليفة سقفة فورد . وهو رأي غير من
وحية نظر الدس من القرب العشر حتى القرن الذي عمره سانس فورد والنسيم فضل
الريحين . وانب الزمان والآخر فضل التمكية . وغدا فضل القول^{١٥} . وقد روي
عن النبي حديث غير عن حب فورد وسحب به^{١٦} . فورد لا يفسد خلق من

١١ ان فورد الاجر في مشورة لا يراما بس فورد الحوري في ١٠٠ .

١٢ ان حوقل ص ٢١٣ الاصغري ص ١٢٢ - ١٢٣ .

١٣ انصاري ص ٩ - ١٠ - ١١ .

١٤ المنسجي ص ٥١٣ .

١٥ السيويني ص ١٠٠ الخافرة ص ٢ ص ٢٤٠ .

١٦ الف ليلة وليلة ص ٢٤٣ - فورد ص ٨٦٥ و ٨٦٥ .

عرق نيسلة المعراج وخلق اورد لاجر من عرق جبريل وخلق اورد الاخضر من عرق
البراق (١). وكانت الخبيثة لتوكل قد حى لورد ومنعه من القدس وقل لا يصح لامة
فكان لا يرى الا في محسه وكانت يقول : « انه منك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل
من اولى صدحه (٢) » .

الا انه كان مورد والبنفسج من ارضه هو الآس (الزعن) وفي الحديث : « أعط آدم من
الجنة بثلاثة اشياء بالآس وهي سبعة ربح الدب وبالسلة وهي سيدة صلب - الدب وبالعجوة
وهي سيدة ثمر الدب » . وكان من الزهور المستحقة الاخرى النرجس والسنبل والنور والياسمين
والافحوان والزنبال .

وما يدل على التثنية لاس ان مثل الزينة كانت القهرست (٣) ذكر عند كتيب في
البيت منها ما ترجمه عن البرانية وصيغة كتيب في المعبر (٤) ومن الأولى كتيب ان توحشية
« الملائكة الذهبية » وهو معلق .

أهل الزمان : النصارى

كان طائفة النصارى في شمت مورد شمت في الامبراطورية وكانت لهم معبد
لمحول ندوة القديسات من سكان البلاد المسيحية الذين أصبحوا بعد فتح جنديوت
من أهل الزمان . وكانت الغري طليعته شمت من ماضي الزمان . اما أهل الزمان - وهم
في الأولى أهل الكتيب من صدى ويهود وبسلة - فقد أصبح طائفهم بحيث تحمل كواكب
الباع زراعتهم ومدي وصلة حرا - وغيرهم وعمول جميع هؤلاء معاملة أهل الكتيب الذين
كان هم من اسمهم عمده فيه كثير من المذهب والمطبخ . فقام المديوت في مزارعهم
ومدارهم الزينية وتمسكوا بشيدهم الثقافية وحفظوا على لغتهم الأصلية فكانت في الآرامية

١ - سبطي - حسن شامرة ج ٢ ص ٢٢٦ .

٢ - البوحي ص ٢٢٢ : سبطي ج ٢ ص ٢٢٦ .

٣ - سبطي ج ٢ ص ٢٢٦ وراجع Edward W. Lane, *The Thousand and One Nights*, vol. I (London, 1830) pp. 219 seq. (in n. 22 to ch. iii) .

٤ - ص ٧٨ : ٧٩ : ٨٣ : ٨٤ .

٥ - غوربت ص ٢٩٩ .

واسرانية لغة في سورية والعراق ولايتانية في فارس والقيطية في مصر ، واعتل السكثريون
من سبوا منهم الى امدث .

حتى في امدث ابعث فان النصارى واليهود كثيرا ما تقدموا مندوب هامة في دوائر المال
والكنيسة وامهن الخيرة حصدتهم عليهم بعض السفين من ادمية بحيث فشرت تبيع ذلك
الندف في امدث شرايع خدمية لا ينفك اهل الدمة عند حدودهم ، غير ان اكثر هذا
النصراني الجديد ظل حبرا على ورق وما يفيد دأما ، وقد ريت ان اول خيفة امر اليهود والنصارى
بمهمة السمين في سبهم وعزل المؤمنين منهم من مناصب الدولة هو عمر ابن عبد العزيز وقد
نسب الامر خطأ الى عمر بن الخطاب وكان الرشيد بين الخلفاء المسلمين اولى من اذهبه الاحكام
المصرية على الدمين فقد امر سنة ٨٠٧ هـ بالكس في القصور وما اتي من في الامصار بعد
الفتح لاسلامي نحو موسى باخذ اهل ادمية بمدة الملام بمدة هيتهم هيت السمين في
الدمية وركوبه (١) . وقد يمت اليهود التي وصفت على اهل الدمة اشده في زمن المتوكل
الذي امر النصارى واليهود سنة ٨٥٠ و ٨٥٥ هـ بحمل صور شيطان من خشب على ابواب
دورهم ، واسوية قبورهم مع الارض ، وان يكون اربعتهم الخارجية من التوب الاصفر ،
وان يعموا حرقين مختلفي الصبح على ابواب هذه البصر ومن وراء القاهرة ، وتصير رفعتين
على ظهر من ادمي يركبهم محب دهم فان التوب القاهرة ، وما يخص هذه الاركوب
الدمية والغير واتخذ السروج من الخشب وتصير كرين على مؤخر السروج (٢) . وكان من
حرام هذه المقدس الذي مر لدمي باخاذه ان اضيق عليه توب لا يرقط (٣) . وهناك حيف
آخر يقع على الدمين وهو الترسود الذي منه منسوخ لاسلام في هذه الحقبة في اشد شهادة
النصراني او اليهودي لا تقوم على الترسود لان اليهود والنصارى حرقوا ما يابدينهم من
كذب الله . وكان آخر خيفة جأت الى الخلف والشملة في صناعة الدمين هو الحكم بامره

١ - تاريخ ج ٣ ص ٧١٤ - ٧١٥ : ان لا يركب في مصر ١٢٤١ هـ .

٢ - تاريخ ج ٣ ص ٦٣٨ - ٦٤٠ : ١٠١٠ هـ .

٣ - تاريخ ج ٣ ص ٦٤١ هـ .

٤ - تاريخ ج ٣ ص ٦٤١ - ٦٤٢ هـ .

القطبي (٩٩٦ - ١٠٢١) .

ولكن التصدي برغم هذه القيود تنموا في ظل الخلافة بفسطاط وافر من الحرية وبنوا كثيراً من القلاع والحصنات كما تشهد بذلك عدة حوادث . فقد جرت مناقشة عربية في بلاط العباسيين كتلك التي جرت في بلاط معاوية وعبد الملك وقد اتى يسوع بن بطريرك القسطنطينية في سنة ٧٨١ دافعاً عن النصرانية امام المهدي لا يزال محفوظاً عنه الى اليوم (١) . كذلك تحدثت الياف رسة المكندي (٢) انصرح انها بين مناقشة حوت سنة ٨١٩ في حضرة الناسون في القنطرة بين محسن الاسلام والنصرانية . اما الابعث العربية التي وصفها علي الطبري (المتوفى ٨٥٤ - ٥) وسمها « كتاب الدين والديانة » (٣) فهي دفة تبيها برسم عن الدين الاسلامي واصحاب طائفة آتت تحت رعاية الخوفاكل وسماعته وهذا المصنف مفضل بعيد عن التعصب والحية الدينية تكلم فيه الاشارات الى الكتب مقدس وارجح ان المؤلف اعتمد فيه على نص التوراة السريانية او على ترجمة عربية قديمة . هي الوقت الذي اثار فيه ان المصنف كتب القهرست (٩٨٨) كان المصنف القديم والجديد من كتب المقدس توجدت عربية معروفة (٤) . وهناك اخرون ذكر ان رجلاً يدعى حمدان عبد الله ابن سلام كان قد ترجم التوراة الى العربية منذ ولاية هرون الرشيد (٥) . ولقد ما كانت بعد ان اقدمنا من التوراة كانت قد نعت الى العربية في نفس الاخير من قرن السابع ومنها ترجمت من السريانية او من الترجمة السبعينية اليونانية . وقد ارجح الطبري (٦) من حوادث سنة ٩١ هجرية ان عبد الله ابن عمرو بن العاص كان قد قرأ سفر دانيال . على انك ان ترجمته همة المعهد القديم الى العربية كانت تلك التي قام بها سعيد العمري المصري

١. *A. Moysan, in fullness of the John Rylands Library, vol. 121 Manchester, 1908, pp. 117-208.*

٢. رسالة عبد الله بن اسحاق المكندي . لندن ، ١٨١٠ . او نسخة ثانية . سن . ١٨٨٦ .
٣. *The Book of Religion and the Law* . انور ١٩٢٢ . او ١٩٢٤ .
٤. *The Book of Religion and the Law* . انور ١٩٢٢ .
٥. *The Book of Religion and the Law* . انور ١٩٢٢ .
٦. *The Book of Religion and the Law* . انور ١٩٢٢ .

(١) القهرست من ٢٣ .

(٢) المصنف نفسه من ٢٢ ونظما كانت ترجمة عربية .

(٣) ج ٢ من ٣٩٩ .

أو مطرانيات منها أبرشية البصرة وأبرشية الموصل وأبرشية نيسين وفي كل منها مطران وأسقفان
أولاً. وكان المرشح المنتخب منصب الخليفة يسلم من الخليفة تامة تستد إليه الزعامة الرعية
على عسري الامبراطورية الإسلامية كما . واستطاع الخليل في سنة ٩١٢ - ١٣ أن يعادل
الخليفة على منه بطريرك البغداد من نقل كرسية في عاكية إلى بغداد (١). وكان أهم ما
أهم به الخليفة أنه كما واثقون النصارى . غير أنه كان يثق به ديم بغداد (٢) وأبرشية في
كثرت غير بعيدة عن . وقد أورد ياقوت (٣) . نحو ستة أجرة من الذين هم
كانت في الجانب الشرقي من بغداد غير الأجرة التي قامت في الجانب الغربي .

وكان أقدام مصر كما ذكرنا قبلاً قد انتفوا عند البغدية وكذلك كنيسة النوبة فلها
كانت حقوقه وعترف رئاسة بطريرك الاسكندرية . وقد انتشرت النصرانية بين معاصر
من على الساحل حتى إحدى البحري في غرب الشامية التي خلف مصر ولكن سواد الشعب
في رعية هذه المدن لا رعية فهو يمسون عند أو مذاهب خاصة تختلف باختلاف
فداهم .

ومن أعجب المظاهر في حياة النصرانية في مثل هذه المدن أن كل واحد من القووق والشمس ما
وقع لهم إلى التوسع ففتحت لهم مراكز كثيرة في هذه المدن . وقد استأين النديم (٤)
عن جماعة برهمن في دار بوم . بغداد كان قد انضم الخليل مستراً إلى الدين . وأن
العمود الحجري الشهير في . سب . هو . فحينئذ يصب سنة ٧٨١ م ذكر جهود سبعة
وثلثين من خطو . وأظهر الكنيسة الهندية وأبج القديس يوم في ملاحار بالقرب
من مدراس التي بطريركية بغداد تدعى على عبودية الكنيسة السريانية الشرقية والنفوس

١. تقدم ذكره في مصر كما هو ويري به في هذا . Assemani, *Thibulthen* — *Orientalis*, Vol. II (Rome, 1721).

٢. ياقوت ج ٢ ص ٩٦٩ .

٣. مادة . غير .

٤. ص ٣٥٩ .

٥. هذا الخط هو من بحر فخرست في شرحه . دار بوم . هنا هي مدينة القسطنطينية .

٦. راجع . P. Y. Saeki, *The Nestorian Documents and Relics in China* (Tokyo, 1937), pp. 10 seq.

وغيرهم الغربية لتبشيريين كانت تعيش في كنف المسلمين - من حروف الكعبة القسطنطينية
اليوم عند انقضاء وانشاء قد تحدث في الأصل عن شكل كتابية مشتقة من لائق
السريانية التي حسب إلى بيت المقدس منسوبة من يمين السطوة.

اليهود

وقد بقي اليهود من محنة المسلمين فوق ما بقيه المصري برغم ما في بعض الآيات
القرآنية^١ من شجاعة يهودية. والسبب أنه كانوا قبيح القصد فرجس لذهابهم. وقد وجد
القدمي^٢ سنة ٩٨٥ استأجر الكثير العميرة والربوب السوف في سورية يهود وأكثر الكعبة
والأطباق المصري وقرى في عهد عتد من الخلفاء. والخصبة معتقد (٨٩٢ - ٩٠٢) أنه كان
اليهود في الدولة مركز هامة. وكانت لهم في بغداد مستعمرة^٣ كبيرة ظلت مزدهرة حتى
سقوط الدولة. وقد زال هذه المستعمرة بين يدي الظلي^٤ حول سنة ١١٦٩ فوجد فيها عشر
مدارس لثلاثين واثلاثين وعشرين^٥ كتاب كسبها وحسنها رئيس مراد من بعده الحفاظ
وعلى ما ذهب والفصاحة. وفضل يهوديين في وصف الخدوة التي لاقد رئيس اليهود اليهوديين
من المسلمين بصفته سبيل است دود النبي ورئيس هذه الامم النبوية ابراهيم خدوة في لأرمية
أي مير السبي^٦ (أو بصفته في الواقع) زعيم جميع اليهود الذين يديرون المطبعة بخلافه في
بغداد. فقد كان لرئيس الخدميين هذه من السلطة التشريعية على هذه المطبعة مثل ما كان
للمدقق على جميع المصري. وقد روي أنه كانت له قروعة ومكة وأمالك طائفة فيهم الخدائق
والديوت والمزارع الخدمية. وكانت ذا حرج إلى أنشؤ في حصرة الخليفة الرندي الملائس
الحربية المظاربة وخدمة بعض موشاة فيم خواهر وأخواته رعدا القرمين وجرى أمامه سان

١. الفرق ٧٠ - ٧١ : ١٨٣ - ١٨٤ : ١٨٥ - ١٨٦ : ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩

٢. من ٩٨٣

٣. بلوت ج ٤ من ١٠٠٢٢

The History of Rabbinic Judaism, II and ed. A. Asher, vol. 1 (London :
and Berlin, 1819), pp. 100-101.

٤. حصل غيره من الرحاليين عند كتابت كتاب قط وهو المسمى في المصنف.

٥. لا ينبغي أن يخطئ يهود بغداد في سنة ١١٦٩ الذي سبيل يهودي يهودي سنة ١١٦٩ وسنة
١١٨٥ ق. م.

بشيع باعلى صوته « افدحوا ذرا كسيداً ابن دود » .

الصابئة

كانت المندوبون (١) وهم تصاريون * الخفيليون بين عريفهم ككتاب العربية طائفة
يهودية - نصرانية عرق المذهبي لعمد ليوم حطاف نصارى القدس يوجد لديهم كوا
لدعون انفسهم « بصوري حانين » اي المراقبون او المرسون ، وقد درس المندوبون سنة
المسيحية بعد الولادة وقل الزواج وفي احوال كثيرة اخرى . وقوموا في سبيلهم في السلي .
و يرجع اصل طائفتهم في القرن الاول الميلادي . وكانت فلسطين فيما ظن موطنهم الاصل
وموطن غيرهم من ابداء الطوائف الممذانية الأخرى . مدافعة مبدعة من جهة كرمية بانه
حطاف كثير الخط المذهبي والخط التدمري . وقد ورد ذكر تصاريون في القرآن وقد عثروا
كاهن المذبة واعطاهم اسمون ائمة قبل الكتاب . وذكر المذبة في كتابهم
فرقة المذبة وهم يكتفون منحضات العرب في احوالهم . ولا يرب من هذه الدائرة جماعة غار
نحو خمسة آلاف تسكن الاعمال حول البصرة وقد ذهبوا الى الاقامة قرب البصرة في
دسهم من قرية الاعمال او المقطيس في بلاد حادي دهي . وورد في مخطوطة المذبة
ومن الصلابة في بغداد اليوم في بني صبور بصرة فمعة وبصرة بوند حليم . وحرفون
أهل المرق.

وهذه الصلابة في حرك . يجمعون من الصلابة البصريين ومساكن من الصلابة حرك .
وقد أحط مؤرخو العرب حين دخلوا بين المراقبون فمعة حرك في اوراق وجوب بوند
بالشوية الاهية وقد أخذوا الصلابة معاً مع محي . الاسلام ليصنعوا لانفسهم الأسم
الذي مدحه الاسلام لأهل الكتاب ومن جازهم . ثم تحقق بهم هذا الاسم فقال المذبة
مقيم حول الصلابة الى اواسط القرن الثالث عشر حين غلبت بقول البازل وهدمو آخر

(١) مشتقة من « بريح » لأرامية اي « عريف » وقد كانت هذه طائفة نقول ونسمة « صومانية » .

(٢) صاريون او صابة مفردة صارة من تدية . ارامية اي معاني .

(٣) ص ٣٥ : مسودتي ج ٢ ص ١١٦ .

(٤) المسودتي ج ٢ ص ٦١ - ٦٦ مرده جان من لغة .

هينكل فيه . وليس من شك في أن مؤهلاتهم العقلية وخدمت بعض نوابغهم العلمية هي التي
أثبتت بأنهم من ذوي المنهج العلمي الذي لأهل الكذب^١ . وقد سبقت الإشارة إلى أن
قوة وغيرة من علماء الخمس حرائير^٢ . أما سنان ابن زيات فقد حمله الخليفة التتار على
الاسلام^٣ . ومن الزعمين بن "عنه" البتاني الفلكي ومن وحشية اسلوب اليه كذب
الزوجة البطية . ومن حار من حين الكبروي الشهير كان منهم أحد^٤ . إلا أن الثلاثة
الأخرون قد أسماوا^٥ .

الغورس ومواقفهم من الثورة

لا يمكن أن يكون الغورس مؤيداً غير صحيح . ذلك (الغورس) الذين ورد ذكرهم
في عدد في القرآن^٦ في عدد من الكتب غير المستندة للتاريخ معاملة فئة من
أهل السنة وحسبوا كآلهم من أعدائهم . فقد قصت السيرة العديدة والصادقة أن يومه طاف
السيرة فطش كل أهل اليمن . وهكذا إذا كانت السيرة الإسلامية (وكانت من القوة)
وهذا كما بعد المنهج الإسلامي منسوبة لأي لامة الإيرانية وحسب أن في العراق والهند
وحسب السيرة التي في الغورس من فارس^٧ . ولا يزال فريق منهم اليوم في بلاد الهند كان
أولهم قد رجوا اليهم من بلاد فارس في واقع القرن الثامن . وغداً بعد من أصبحوا أحدث
أحد المستقوى لاسلام قدمهم من الغورس

أما الذين قدسهم من غيرهم من المسلمين فإن لامة وحسبهم قوة عدي وأخرى
في وثيقة كما حسمهم وذكر كآلهم^٨ . ويظهر أن عامي عدي (المتوفي ٢٧٦ هـ)
أقمت بعض السمع وكانت تقفهم حيث بن الهندي والفارسي صدر يوم حكمة نصيفة

١ - فهرست ص ٢٨٨ .

٢ - فهرست ص ٣١٦ وقد أسماوا في مجموعة ص ١٠٠ - ١٠١ .

٣ - محمد بن عدي ومعه من جماعة في كتاب *Di Chawls dar De Saftan wa dar Saft-e-ans* ٢ Vols. (S. Peterburg, 1884) .

٤ - سورة هج ١٧٢ .

٥ - السيرة ص ١٠٠ .

على هذه التركة في الخمس . ويقال : سب مليون آخر خمسة في مئة يهودية (١) .
وكان له مؤدب قتل في أحد زبده (٢) . وفي سنة ٧٨٠ حسب نوادي في حب جماعة من
الدين السراوية . وفي السنين الأخيرين من عهده حدث في عظمهم والبحث عنهم في
الآفاق وجرد فيهم "السيف" (٣) . وقد أصبح فادي من عدد على أنوار نفسه (٤) . وتحدثت
تقته على الزبده . ثم جاء رشيد فولي مره موطأ حامداً فأسدو حق قتل الثارين
بالثبوت (٥) . وسكن كثيرين من السراوي ومن تبعه في مذكرة (٦) لأشتر كية حوا
به ذلك المصنف . ومنع من قرآن لأمره التركين وشبهه لاسد (٧) . ومن بعد
تمسك قد فصول من مثل هؤلاء من يحوي مديونية في تحدي ورفقة ووسطانية في
عدد كانه استحل عليهم أن يسلموا ودية من عهده .

انتهاء المذهب

إن المعتقدات التي وقع كبرها في دور جد ، وشيخ تمت في توقيع كبرها . فعلى
السلاح العربي والمؤمنين العرب وجمعة على حلال ورس وفلاح . حسب وفرة الشريعة
الشرقية . ثم في القرن الأول من حكم العباسيين حدثت المعتقدات في مرحلة جديدة هي
مرحلة انتفاخ الإسلام كدين . هي حلال هذا العصر حدث غشيق لعدد لافضه من سكان
الاعراب لاسلامهم . ومن سكن كثر من عشقوا الاسلام منذ به التتويج لأول

(١) التوراة من ١٢٣٧ .

(٢) أطراف أسماء كتاب العرب عصفار يديق (وهي مشقة من رسالة يهودية) هي كبر سبع دور عهده
القرن ٧ سنة ثمانية . وصارت نسخة يديق في عهد لول هي من صنف وطبعة أفكاره قبل (١٢٠٠) .
Brown, A Literary History of Persia vol. 11 New York, 1902, pp. 159-60.

الأول من هذا الكتاب من ١١٤٠ هـ مثل رقم ٢ .

(٣) الطبري ج ٥ من ٢٩٩ . ٢٩٩ . ٢٩٩ . ٢٩٩ .

(٤) المصنف نفسه من ٥٤٨ - ٥٤٩ .

(٥) من أقدم المصادر عن المديونية والعصا : مبرسات من ٣٠٠ وما في : التوراة من ١٨٩٠ وما في :
يعقوبي ج ١ من ١٨٠ - ١٨٣ وراجع على : مبرسات من ٣٠٠ وما في : التوراة من ١٨٩٠ وما في :
Researches in Manichaeism (New York, 1932) .

(٦) الطبري ج ١ من ٨٨٥ - ٨٩٧ : شيرازي من ١٩٠٠ وما في : ١٩٠ - ١٩٢ .

(٧) التوراة من ١١٦٠ - ١١٦٠ : الأنبياء من ٩٨٠ - ٩٨٠ : التوراة من ٩٨٠ .

ولكن هناك بلاداً كسورية مثلاً ظلت محافظة على مظهرها المصري طوال العصر الأموي .
أما في هذا العصر الجديد فقد أخذ التحول يظهر بشكل واضح . وقد آتت النهضة العربية في
سنتها الرشيد واشتوكل بحق الذميين إلى ازدياد عدد الداخلين في الإسلام . وكان هناك حالات
خاصة ذكره فيها بعض الأفراد أو الجماعات على الإسلام . من ذلك أن خمسة آلاف مصري
من بني تميم وأهل المهدي تحولوا إلى دينهم . ان يسمو فمشهور . لأن المدحون في
الإسلام وإن لم يكن هناك محض عنه آخر الأمر كانت وجهه عدم عملاء غير جديهم . هذا
قضت المصلحة الفردية به ومن وراءها حب التصحر من أمة خيرية وقد هبت من دلائل
والتهرب من الأذى والرغبة في التقدم والوصول إلى ما يود سويس والتمتع بقسط وفير من
الحرية والأمان .

ونفيت هوس وجهه عدم خروج حظيرة دين لاسلامي . من مظهره سمو الالة
قرون . ولا يزال فيها إلى اليوم من ألباح في أوقات هو ٩٠٠٠ من . من جزيرتي في
العراق فقد قال ابن المقبة (١) عن سكان في القرن العشر ميلادهم « مسجون في أجلاء
التصاري » . ولا يزال في لبنان إلى اليوم كثرة مصر به . مصر وهي البلاد التي اشتد
التصارية بصورة سلبية في القرن الرابع ميلاد فقد حدثت ثورة في الإسلام على بحر
الطرف . والأقرب في اليوم أقوى ضليلة . وكانت تلك الثورة التي مصرته في أوسع
القرن السادس لأن على دين المصرية في القرن الثاني عشر . من حتى أواخر القرن
الرابع عشر . الإسلام البربر وهي طريقة المانية حيث إدهرت قبالاً كنيهة مسيحية
ذكرت من جنتهم من أحسن فقد نزع « دين كبير حرج على مدقة وذلك بعد أن
أفسس القيروان ونحوه مركز خصوبة الحرية ومفر مقبوض لاسلامي . ولكن الإسلام

(١) ابن عربي ، *Chirican-Supremacy* , ed and tr. P. J. Hains and (٢) Kirsch (Leipzig, 1891), vol. 1, test 1 p. 145 = vol. 1, pp. 134-5.

١١٩٠ من ٣١٤ .

(٣) الأندلس ، صفة المغرب نقر ولجة دوري ودي عوبة (١٨٦٤-١٦٦٠) ، من ٢٧ من ١١٩٠
المصري .

(٤) ابن بطوطة ، من ٣٩٦ .

لأقبي. بعد أن توفّر بين معادس العرب في القرنين الثاني والثالث حين أخذت جموعهم تنحدر في
سبيل الحبش الإسلامي وتغتنق لاسيما طبعاً ما قدّمه لهم في تجرّدها الفتح. وكان البربر يركب
بحسب الإسلامي الذي أتمّ فتحه في قبة إفريقية والخصم السببية. غير أنه حتى في هذه الحالة
كان لا يزال في بلادهم من اللاسة قروا من الفتح العربي. أربعمون استغنية. الأمن أصل
حسنة كانت فيه. وقد تمّ الإسلام اليوم الأخير حتى القرن الثاني عشر لحيالات. ومن بعض
فدائي البحر من ما تمّ حتى في القرن السادس عشر. وكان إسلامهم على يد جماعات من
مسمى لأمس الذين أخذوا عن مدرّجهم في أسبانية من سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢.

التهجد العربية

وكانت من جملة اللغة من مدرّج من جملة لغة وفيها تضرعت اللغة العربية على
مات الشعوب مدبوغة. وكانت هذه من جملة آخر مدرّج. وهذا وقد است فيه الشعوب
المدبوغة الخطم مدبوغة ومدبوغة. وسكن فيه أكثر العدد في غيرها من الشعوب. وأما
الخطم عن كونه السببية من عندهم فمدبوغة من مدبوغة. لأن قبل أن تخطي عن لغتها،
وهو تخطي اليوم الأخير لغة عربية حتى يوجد معاً مدبوغة. وقد أصبحت اللغة العربية
في تونس وقت من هذا المتوحدت من جملة لغة من وخطمة إفريقيا من مدبوغة وسكنها ما
توسل فقط في لغتها عن لغة الأخير مدبوغة من وخطمة إفريقيا من مدبوغة وسكنها ما
من مدبوغة هي لامية إلى مدبوغة أخرى هي مدبوغة أخرى. غير أن الفتح الذي
لم يكن مدبوغة في هذين القطرين كغير من مدبوغة مدبوغة مدبوغة عن فضاء مدبوغة
من كافحت كثير في مدبوغة لامية من مدبوغة مدبوغة. وفي واقع اللغة العربية
لا يزال محكومة إلى يومنا هذا في ثلاث من فروع من مدبوغة في سورية هي مدبوغة
وحب مدبوغة مدبوغة. وهذا ثلاث لامية لا مدبوغة ركنت أكثر مدبوغة في لغة عربية
الخطمة يمكن أن يكون في مدبوغة مدبوغة مدبوغة مدبوغة.

De Mas Latrie, *Religions et coutumes de l'Afrique septentrionale* (Paris, 1886), pp. 27-8; Arnold, *Proceedings*, pp. 136 seq.

١٢ حتى ما تمّ أسبانية بيروت، ١٩٢٥، ص ٣٠-٣١.

وإنه يجب أن نذكر هنا أنه قد تسنى للغة العربية أن تستعير كلمة عن قبل استعمالها بكثرة
تخطب . وقد لاحظنا في الفصل السابق كيف تسربت اليها من بخرطة وفارس وفند مجري
التفكر وخلاصة الثقافات المختلفة المعروفة فانضمت ببغداد والبصرة والكوفة في القرن التاسع
شكل لم يسبق له مثيل آن في حضارة الاسكندرية في العصور الأولى . وهكذا أصبحت اللغة
العربية التي لم تستخدم من قبل للأغراض العلمية أداة للتعبير عن مظهر الحضارة الإسلامية
وسوق الآن البحث في تلك الحركة الثقافية الواسعة .

الفصل السابع والعشرون

المقدمة العلمية والأدبية

تعد عقب عصر الترجمة (حوالي ٧٥٠ - ٨٥٠) الذي تحدث عنه في فصل سابق عصر انتعاش واشكال انتعاش العرب فيه انه لما يكتشفوا بقدس تراث فارس القديم وتراث اليونان القديمة وهدموا من حوله الفلاسفة الخارجين من افكارهم وطرق تفكيرهم واصفوا الذين ما استطاعوا ان يانبطؤوا ، وقد ظهرت آثارهم في الطب والفلسفة والحكمة ، نخلت بنوع خاص في الكيمياء ، الفلك والارصاد والجغرافيا . بل قد نفردوا عرباً ومسلمين بمذاهب في البحث والابتكار في مبادئ الشريعة وعموم الدين وفقه الفقه وعمومها ، اما الترجمات التي قاموا بها فقد طبعها الفقيه العربية بطابع الخاص في الاصيل اللامعة ثم اصبحت مع ما حصل في أوروبا من مبتكراتهم القديمة - فكرة طريق سوربة والسبابة ومقيدة ، وما لبثت ان وضعت اساس حركة العلم والمعرفة التي سيطرت على أوروبا في العصور الوسطى . وان حركة النقل في تاريخ الثقافة لا تقل اهمية وخمراً عن حركة الاشكال نفسها فنوا انتعاش ارسطو وبطليموس وبطليموس فقدت مكان العلم في تقديرهم اليها بالوضع نفسه كما لو كانت غير موجودة أصلاً .

الطب

ويستلزم في كثير من الأحيان تعيين الحد الفاصل بين الترجمة والوضع ، فقد كان كثير من المترجمين والمعلمين في الوقت نفسه . وهذا يصدق على يوحنا ابن ماسويه (٧٧٧ - ٨٥٧) وحنين ابن اسحاق (٨٠٩ - ٧٣) . وكانت الاول طبيباً نصرانياً درس على جبريل ابن يحيى وشيخه ويذكر عنه انه لما عجز عن الحصول على جثث اشربة للتشريح لما في ذلك من مغايرة لروح الاسلام عمد الى القردة فشرحها وكان من ثم التوبة قد اهدى العنصر واحداً في

سنة ٨٣٦ (١). ولم يكن تقدم علم التشريح ممكناً في مثل تلك الأوضاع إلا في بعض الفروع كدراسة العين . وقد كان انتشار امراض العين في العراق وسواه من الأقطار الإسلامية الخارة داعياً أن تركز جهود أهل الطبابة في هذه الدخبة . وث في رسالة لابن ماسويه (٢) في معالجة امراض العين افده أثر عوني في هذا الموضوع بشكل منظم . وقد نشر اخيراً مع ترجمة اسكليزيه كتاب عنوانه « العشر مقالات في العين » * ينسب الى نصير ابن ماسويه - حين ابن اسد في - وبعد افده كتاب مدرسي بين ايدينا لامراض العين .

وقد ظهر اهتمام العرب بعلم الشفاء من الحديث النبوي الذي اشرنا اليه قبلاً - العلم عظم على الأديان وعلم الألمان . وقد كان الطبيب في ذلك العهد يجمع الى علمه بالطب معرفة بنا وراء الطبيعة (علم الاقليات) والفلسفة والحكمة ومن هذا كانت يطلق على من يتولى هذه العلوم لقب الحكيم . وكانت مهنة الطب رائحة ، بناء على ذلك ان جبريل ابن عتيق (المتوفى نحو ٨٣٠) الذي كان طبيب البلاط عند الرشيد والمأمون والبرامكة كانت اولادهم ثمانية وثلاثين مائة وثمانية الف درهم . وكان يسمى بصفته طبيباً بخدمه الرشيد مائة الف درهم وثلث الف درهم وذلك بخدمته من في السنة وكانت يأخذ من ذلك ثلثه لأعطائه انفسه في مائة الف درهم في السنة . وقد اشتهر أسرة عتيق هذه عدداً من الأطباء اللامعين في ستة او سبعة أجيال متعاقبة كان آخرهم من الطب السحر الذي من القرن الحادي عشر .

وقد حفظ العرب في هذا العصر حضرات واسعة في استعمال الفقير لندواتي فيه اول من أشت حواشيت حاشية نبع الأدبية وافده من اسس مدرسة نصيفة بن أول من وضع الأقربان (كتب الادوية) . فقد ألفوا كثيراً من الرسائل في الصيدلة كانت من اولها ما وضعه جابر ابن حيان او السكيب الشهير الذي عفا حوالي ٧٧٦ . وكان يفرغ على الصيدلة منذ

(١) ابن أبي اصيبعة ج ١ ص ١٧٨ .

(٢) واسمها « دمن العين » بها مخطومة في مكتبة نيويورك - وفي كتاب في القاهرة - وأخرى في ليفربول .

(٣) نشره وترجمه ماكس مايرهوف Max Meyerhof (القاهرة ١٩٢٠) .

(٤) الخطي من ١٤٤٠ .

زمن المأمون والمتنصر ان يختاروا امثلاً خاصاً (١) وفرض على الأطباء مثل ذلك . ورفع الى المتنصر سنة ٩٣٩ ثلث رجال من العامة جاء بتداوى حقه ضرر من سوء المعالجة فأمر سنابن ابن ثابت ابن قرة بامتحن الأطباء . وجازت من بنجح منهم وان يطرد من الصناعة من انضج قلة علمه في الأمور الطبية . فتقدم الى الامتحان عدد كبير أجيز منهم اكثر من ثمانين وستين رجلاً ببغداد وتحصنت المصحة من الدخاليين (٢) . وأوعز علي ابن عيسى وزير المتنصر الى سنابن بان ينفذ جمعة من الأطباء يطوفون البلاد ومعهم خزائن ثلاثون والالمانية ويعالجون من برونهم . من المرضي وان ينفذ آخرين لزيارة المرضى في السجن (٣) . وظهر ان هذه المعلومات اهتم اولياء الامر بالصحة العامة وهو امر لم يكن معروفاً في سائر العالم آنذاك . وقد كان سنابن من شدة بغض اليهود التي مذمها رقع المستوى العلمي المهمة الطب وبفضل حسن ادارته تميزت سنابن الكبير في بغداد . وكان هذا السير سنابن اول مستشفى في الاسلام وقد اشتهر هرون الرشيد في مطلع القرن التاسع على الطراز القرومي كما يتضح من اسمه (٤) . ولم يحل الامر كثيراً حتى ظهر في الماء الاسلامي مستشفيات اخرى بلغ عددها اربعة وثلاثين . وكان اول مستشفى في القاهرة ذلك الذي امر بان ياتمه احمد ابن طولان نحو سنة ٨٧٢ وظلت هذه المؤسسة حتى القرن الخامس عشر . اما المستشفيات القائمة فقد ظهرت اولاً في القرن الحادي عشر . وكانت في هذه المستشفيات الاسلامية تحت خدمة نساء ولكل مستشفى ميدانية ملحقة به وكان في بعض هذه المستشفيات مكتبات طبية ودروس في الطب .

علي الطبري

وظهر الأطباء الموفون بعد عصر الترجمة وكان احدهم بالذكر جماعة من اصل فارسي يتكلمون العربية هم علي الطبري والرازي وعلي ابن العباس الخوميني وابن مينا ولاندين . هؤلاء - الرازي وابن مينا - صورتان تزينان القاعة الكبرى في مدرسة الطب بجامعة باريس .

(١) الخطي ص ١٨٨ - ٩ .

(٢) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٢٢ : خطي ص ١٩١ .

(٣) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٢١ : خطي ص ١٩٥ - ٢ .

(٤) يشار سنابن وهي مركبة من كلمتين فارسيتين : سنابن ومعناها مرض وسنابن ومعناها موسم .

جابر ابن حيان في القرن الرابع عشر. وقد اشار اليه روجر باكن تحت عنوان *De spiritibus et corporibus*. وما كان الرازي مقيماً في فارس وضع سقراً جليلاً في عشرة اجزاء، اهداه الى منصور ابن اسحق الساماني امير سجستان وسماه «الكتاب المنصوري». وقد نقل هذا الكتاب الى اللاتينية وعرف بـ «*Liber Almansuri*» ونشر لأول مرة في ميلان ما بين ١٥٨٠ و ١٥٨٩. وقد نقلت منه فصول حديثاً الى الافرنسية واللاتينية. اما رسائل الرازي فاشهرها «الجذري والحضبة». وهي اول ما كتب في هذا الباب وتعد مفخرة من متأخر التأليف الطبية عند العرب. وفيه يرى اول بيان سريري للجذري (١). وقد نقلت هذه الرسالة اولاً الى اللاتينية وذلك في مدينة البندقية ثم نقلت بعد ذلك الى عدة لغات حديثة فاكسبت الرازي شهرة في امة من اقدر المفكرين المتكبرين ومن اعلام الاطباء السريريين ليس في الاسلام وحسب بل في سائر اقطار العالم في العصور الوسطى. على ان اسم مؤلفه على الاطلاق هو كنيته «اخوي» الذي نعه الى اللاتينية فخرج ابن سينا الاسرائيلي سنة ١٢٧٩ برؤية كان اسمها الاول هناك صفيحة. وقد طبعت الترجمة مراراً بين سنتي ١٥٨٦ و ١٥٩٣ تحت اسم *Continuum* وكانت الطبعة الخامسة سنة ١٥٩٢ قد صدرت في البندقية. والكتاب كما يدل اسمه موسوعة في علوه الطب حيث خلاصة معارف العرب المستفادة من المصادر اليونانية والفارسية والهندية وفيها ايضا بعض ما اثر العرب انفسهم. وبعد ان ترجمت تأليف الرازي الطبية وطبعت - وكانت الطبعة لا تزال في اول عهدها - اخذت نعمة في الغرب وظل لها تأثير كبير على العرب اللاتيني مدى اجيال طويلة.

اما علي ابن العباس (توفي ٩٩٤) فقد كان في الاصل زرادشتياً كما يدل عليه «الحوسني» وقد امتاز بتأليفه «الكتاب المنكي» الذي وضعه لعصا الدولة قبا خسرو اليوناني الذي دام حكمه من ٩٤٩ - ٩٨٣ (٢). وقد سمى هذا الكتاب ايضاً «كامل الصناعة الطبية» وقيل فيه

(١) نشرها كريستوس فابريك (نسخ ١٨٦٦ - وبيروت ١٩٨٧).

(٢) ان ابن أبي الصبغة ج ١ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ في المجلد من ٢٢٢.

« كذب جليل » وكشّش نبيل اشتغل على علم الطب وعمله ^(١) . وهو أوجز من « الحاوي » وقد عمت دراسته إلى أن استحل عمله ككتاب « القانون » لابن سينا ، وأفضل أقسام الكتاب المنكي تلك التي تبحث عن الأغذية الصحية وعم العقاقير الطبية ، ومن الأمور المبتكرة فيه إثباته في وجود الحركة الدموية الشعرية وبرهانه على أن الطفل في الولادة لا يخرج من بطن أمه بل ينقل من تحت عصبية في الرحم .

ابن سينا

وكان اسم ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧) ثم أصبح بعد الرازي في تاريخ الطب العربي وقد كتب ابن سينا شهرته بالشيخ الرئيس ^(٢) . وقد كانت الرازي يتفوق على ابن سينا في الطب ولكن ابن سينا تفوق عليه في الفلسفة وفي الواقع قد أثبت بل تحدث في ابن سينا الطبيب والفيلسوف والفقيه والشاعر خلاصة علم العرب .

هو أبو علي الحسين بن عبد الله وكان أبوه عبد الله هذا استغنياً عما انخرجه فقد ولد بالقرب من بخارى أقصى جبال في القسم الشرقي من امّة الاسلامي ثم مات ودفن في هذا حيث لا يزال قبره إلى الآن . وقد حقق في حياته أن طباً وحاً من منظور سلطان بخارى الساماني الذي مات من سنة ٩٧٦ - ٩٧٧ فلهذا منحه السلطان الحق باستعمال مكتبته الطبية الفريدة . وكان ابن سينا يشار إليهم بهرة اشته على فهم العلوم وحفظها واستوعب أهم محتويات تلك المكتبة النكية . ولا يكف جامع الحديث والعلمين من عمره حتى آس من نفسه استمر في الشروع في التأليف . فخذ على عاتقه أمر تنظيم المعارف الرائعة في عصره وضبطها . وقد ذكر الفقهني ^(٣) بعض مؤلفات ابن سينا هذا بينها واحد وعشرون كتاباً والرابع وعشرون رسالة ولكن هذه مؤلفات أخرى تجعل العدد إلى تسعة وتسعين وهي المدور على

١ - نقل من ٢٣٦ وفي فهرست المخطوطات العربية في جامعة ترينتو بين رقم ١ ذكر نسخة يرجع تاريخها إلى سنة ٨٨٦ هـ . ١١٩٠

٢ - أيضاً ، نقل الثاني ، أي يأتي حدارسطو — العلم الأول .

٣ - ص ٢١٨ . نقل من ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ١٩ - ٢٠ . ابن خلدون ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ . Carl Brockelmann, Geschichte der arabischen Literatur, vol. II (Weimar, 1898), pp. 153-8.

الفلسفة والطب والفنسية والفنون والآداب وفيه اللغة والفنون . أما أشهر منظوماته فتصديقة
شوية في النفس وهبوطها الى الجسد مضمونها :

هبطت اليك من النحل الارق ورقا ذات نجيب وتغلب

ولا يزال كثير من الطلاب في الشرق العربي يستظهرونها الى اليوم . واشهر كتبه اعمية
التي هي « كتاب الشفاء » وهو موسوعة فلسفية مبنية على تقاليد ارسطو كما تراها الافلاطونية
الجديدة وعلى علم الاهلبيات الاسلامي . و « القانون في الطب » وهو آخر كتاب دوت فيه
خلاصة الفكر الطبي شاملا آثار الاعريق والعرب . وقد نشر النص العربي لكتاب « القانون »
في روما سنة ١٥٩٣ فهو من اقدم الكتب العربية المطبوعة (١) . وكان جرارد الكرموني قد
نقل القانون الى اللاتينية في القرن الثاني عشر بما فيه من المعلومات الشاملة والغريب
المنظم والاسنوب اعلافي وسريع . اعلى مرة عالية في آداب ذلك العصر الطليمة واحتل
المكانة التي كانت تحتلها كتاب حليموس والرازي والهموسي واصبح الكتاب المدرسي
للعلم الطب في دور العلم الاوربية . وقد ظهر في الماء اللاتين سنة الاخيرة من القرن الخامس
عشر في خمس عشرة طبعة لاتينية وواحدة عبرانية . وقد نقل بعضه في القرنين الاخيرين الى اللغة
الاسكيزية (٢) . ومن فضل انه يميز بين التهمب المتعصب المصدري (او الخيرو) وبين
ذات الجنب وينص على ان المصنف يتقبل بالعدوى وان عدوى الامراض تسري واسطة
الداء والثراب . وفيه شخصين شعي نداء الاسكيوسوتوما وهو يرد سب هذا الداء الى وجود
دودة في الامعاء . اما القسم الذي قصر على علم المذقير والادوية فقد ادرج فيه المؤلف احوال
في نحو سبعين دواء . فلا عجب ان يتبع الكتاب تلك المنزلة التي بنفهم . وجمع
المؤلف لطلاب العلوم الغنية ترقا وغربا حتى القرن السابع عشر . ولا يزال الى اليوم يستعان
به احيانا في الشرق الاسلامي . وروعه الدكتور اوزر (٣) ان كتاب « القانون » حال

١ . وقد صدرت اول مرة كتاب الشفاء ديالكتاب « القانون » .

O. Cameron Greener, A Treatise on the Canon of Medicine of Avicenna (London, 1930).

William Osler, The Evolution of Modern Medicine (New Haven, 1922), p. 98. (٢)

الحجة والمرجع في الطب مدة أطول من أي مدة ينتج كتب طبي آخر .

ومن رجال الطبقة الثانية في الطب علي بن عيسى أشهر كتابي العرب ، وهو نصري ولد في بغداد في النصف الأول من القرن الحادي عشر بعد مضي قرن ونصف على زمن عيسى ابن علي ^(١) طبيب البلاط عند المعتز . وكثيراً ما يخطئ الكتاب بين الاثنين ، ثم كتبه العربية الأندلس والتلاوت في عهد محمد فقدم وأصله كتب ، المذكرة السبعين ^(٢) الذي لا يزال محفوظاً في مكتبة الكائن الأصلي . ولا يبق في هذا الموضوع إلا رسالة من منصور ورسالة حنين ابن اسحق . وقد وصفت « المذكرة » مرة وثلاثين مرة من مرض العين ، وقد نقلت إلى العربية مرة وإلى اللاتينية مرتين ولا تزال مستعملة في الشرق .

ومن أطباء هذه الطبقة أيضاً ابن حريز (توفى ١١٠٠) وهو نصري الأصل ^(٣) صنف مؤخر طبيباً عنوانه « تقويم الإنسان في دبر لسان » . سيج فيه على منوال « تقويم الحجة » الذي كان قد صنعه طبيب نصري آخر هو ابن عجلان ^(٤) توفى في الحجة سنة ١٠٦٣ . وقصد بالتقويم ترتيب الأمراض على غرار ترتيب النجوم في السمكة . وقد نقل كتب ابن حريز هذا إلى اللاتينية في ستراسبورغ سنة ١٥٣٢ .

وأخر من يذكره من الألف في هذه القائمة يعقوب ابن أبي حريز ، وكان بطريرك شد المعتز (٨٩٢ - ٩٠٢) وقد وضع رسالة في تربية الخيل سماها « تقويمية وشية حنين » . وهي أول مصنف عربي في هذا الباب وفيها بعض نوات من البيطرة ولا تزال منه نسخة محفوظة في المتحف البريطاني .

(١) فهرست ص ٢٩٧ : ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢١٤ .

(٢) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٤٧ وقد ترجمه — ولكن من غير الحرية — كزبي وود (Carter A. Wood, The Tadhkirat of Ali Ibn Isa (Chicago, 1933) .

(٣) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٥٥ : قطبي ص ٣٦٠ : ابن خلكان ج ٣ ص ٢٥٢ .

(٤) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٥١ وما يلي : قطبي ص ٢٩٥ وما يلي : كتب لأعقاب (ص ١٠٠) من مائة شعر حتى إرستوى ١٩٣٠ ص ١٨٣ — ١٨٤ .

(٥) فهرست ص ٣١٥ : يعقوب وحداً باسمه « ابن الخمر حرام » وأما ابن يعقوب هذا .

الفلسفة

فلسفة عند العرب هي معرفة الاسباب الحقيقية للامور، بتقدير ما يمكن الوصول اليه عن طريق العقل، وليست فلسفتهم في الجوهر الفلسفة اليونانية متأثرة بنظريات الشعوب التي غلبوا ويجمع المؤثرات الشرقية. وقد وضعت شكل وافق العقيدة الاسلامية واتخذت اللغة العربية لغة للتعبير عنها. وقد حسب العرب ان مؤلفات ارسطو دونت بجميع التراث الاغريقي الفلسفي كدونت مؤلفات جالينوس قرأها الخليلي. واعتبر العرب المسلمون ان كل ما يتسكه العرب من تراث اخصر في الفلسفة الاغريقية والعلم الاغريقي واعتقدوا في اوقات مبكرة ان التراث وعلم الاقليات الاسلامي يمثلان خلاصة التمرع والاختيار الذي ومن هذا كان المبدأ الذي ظهرت منه آراءه وتشكاراته فيه ناحية متوسطة بين الفلسفة وعلم الدين وبين الفلسفة والطب. وعلى مر الزمن اعد مؤلفو العرب يحفظون لفظة «فلاسفة» او «حكيم» على ارباب الفلسفة وهم الذين لا يتقيدوا بآراءهم بقيود الدين وقصروا لفظة «مكالمين» و«اهل الكلام» على ارباب الدين حصصوا طرقهم التفكيرية لفظة الدين اطلاقا. وقيل اهل «الكلام» في الاسلام الكذب المذموم في اوروبا المسيحية وقد ابرزوا نظريتهم فوجدت غير كلام فسموا هذه الاسماء. وما لبثت «الكلام» ان تصبح وتأتي بمعنى علم الاقليات وسعت لفظة «تشكير» على علماء الاقليات. فالعراق في معنى الطبقي «مكلم» وسامع له في بعض اقطاب الفلسفة العربية الأولى فهو السكندري والقرطبي وابن سينا.

السكندري

ولد ابو يوسف يعقوب ابن اسحق السكندري في السكوفة في منتصف القرن التاسع ورواه بيمداد. وقد اُكسبه لقبه امر في اعراب لقب «فيلسوف العرب». ووافق انه اول عربي وآخر عربي يمثل الفلسفة الارسطوطالية في الخلافة الاسلامية في الشرق. وقد استقى آراءه من ابي المنصور تمسعي مثل صاحب الفلسفة الافلاطونية الجديدة ال مزج آراء افلاطون وارسطو متحداً الرغبات التي خففتها مدرسة فيثاغورس المتأخرة ارسطو العلم على

الأطلاق، على أن الكندي لم يكن فيسوفاً فحسب بل كان أديباً عبقرياً بالتصميم والكيفية
والبصيرة وأصول الموسيقى، وقد نسب إليه ما لا يقل عن مائتين وخمسة وستين كتاباً أكثرها
منهوبة مع الأسف. ومن كتبه التي كانت منتشرة في الشرق والغرب مصنف فريد في علم
البصريات مطبوعاً على الآراء الهندسية والمسيولوجية بدءاً على مؤلف أبقليس في البصريات
المحفوظ في رواية ليون "De Visione" وضمت هذا الكتاب مكانه إلى أصل حل محله كتاب
أوسع منه مادة لابن أثير. وقد ذكر روبرت كن بترجمة لامية لكتاب الكندي عنواها
"De compositione". والكندي الأصل رسائل ثمانية في الموسيقى من الطبيعة النظرية وهي أقدم
المحفوظات من آثار العربية المذكورة في كتبه اليونانية في ذلك الموضوع. وقد ذكر في إحدى هذه
الرسائل الأربعة كنه من عصر الموسيقى العربية. وقد فاقه المؤرخون عرفة السكون قبل
أن عرفته أوروبا النصرانية. وبفرونت. ولكن أكثر المحفوظات من مصنفات الكندي هو في
تريجات لامية كترجمت جرارد كيرموني لافي لغة العربي.

الفارابي

إن محبة التوفيق بين الفلسفة الإغريقية والإسلام التي بدأها الكندي العربي قد تابعها
الفارابي التركي والمكب في الشرق إلى سبب القديسي.

ولد محمد ابن محمد ابن طرخان أو نصر البخاري^١ في مدينة أرمق قدس على طيب
بخراني وعلى أحد القلاع المصيرية ببغداد. ثم زل حبيب واتبع ببلاط سيف الدولة الحمداني
حيث عرف بالتصوف. وتوفي أخيراً بعد خلق سنة ٩٥٠ عن عمر يناهز الثمانين. أما فلسفته
كما ظهر من رسائله المختلفة في الفلاطونية ورسطو فمزيج من الأفلاطونية والأرسطوطالية
والشوفية وقد اكتسبته قبل أن يحد شبه وهو "العلم الذي" أي أي أرسطو. وفيه عدد الشروح
التي وضعها الفارابي على كتاب أرسطو وسماه من فلسفة الفارابي فيه قد ألف جملة من

^١ في آخر عصر بغداد ولاحقاً من هذا الكتاب.

^٢ نسخة من كتاب في بركمان، في ١٠ ص ١٣٤؛ نسخة من ٢٧٧.

الكتب في علم النفس والسياسة وما وراء الطبيعة أشهرها «رسالة قصوم الحكم» (١) و«رسالة في آراء أهل المدينة المدخلة» (٢). وقد أظهر في هذه الرسالة الأخيرة وفي رسالة أخرى عنواب «السياسة المدنية» رأيه في كيف تكون المدينة الفاضلة مستوحياً من أفكار جمهورية أفلاطون وسياسات أرسطو. فتصور لنا هذه المدينة المدخلة قائمة على نظام الطبقات يعملون بعضهم بعضاً كما يعملون عند الجسم الحي. فمثلت الذي يتقبل مركزه القاب في الجسم بخدمة موظفون وهؤلاء يخدمهم آخرون آخرون منهم. والآن انظر في جميع الطبقات ما في المدينة المثالية التي يرآها هو سعادة الزعينة. والآن في نصف السكان في الخلافة وقواد إقليمية.

ولقد رأيت كتب أخرى على أنه كان مثلاً أو نموذجاً من درجة متوسطة وعادة ما يحرم وموسيقياً مثلاً. وفي واقع الأمر مد عظم عدد الموسيقى العربية المتأخرين. لقد كانت في الموسيقى في كثير من كتبه التي تخص فيها المصنف وزاد على ذلك في أنه يخص من ثلاثة كتب كبرى أهم «كتب الموسيقى الكبير» (٣). وقد ذكر عنه أنه حضر مرة مجلس سوف الدولة فأخرج عوداً فأب بها فبجلك منها كل من كان في المجلس ثم ضرب ثم خدماً آخر فبكي كل منهم ثم غير ترتيبهم وضرب ضرباً فدا كل منهم حتى انقلبوا (٤). ولا يزال أصحاب الطريقة المولوية يشدون بعض الأهل القديمة النسوة اليه.

وقد جاء بعد الفارابي ابن سينا المتوفى (١٠٣٧) - وقد مر ذكره - فأنفق العربية بأهله المصنفات في الموسيقى النظرية. وهو مدين للفارابي في آرائه الفلسفية. ويذهب ابن

١ : فريدريش ديترس، *Die Philosophie der Araber im IX. und X. Jahrhundert n. Chr.*, vol. xlv (Leyden, 1820), pp. 60-81.

٢ : *Die Philosophie*, vol. xvi : وشرعاً أيضاً ديترس : *Die Philosophie*, vol. xvi (Leyden, 1820).

٣ : صدر عنديت : *Les Actes du dixième congrès international des orientalistes*, vol. 2, Sec. 4 (Leyden, 1887), pp. 100-108. وفي مكتبة برادوتون مطبوعة عن «الكتب

المدخل إلى صناعة الموسيقى» : *مجلد ١٩٦٠ - ١٩٦١* وعسى على ما يظهر الفارابي، انظر موريس المخطوطات في برستون رقم ١٩٩٤.

٤ : ابن خلكان ج ٢ ص ٥٠٦.

حسبك^١ إلى أن « القنبراني أكبر فلاسفة المسلمين وإن يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه
وترأس أبو علي ابن سينا، بكتبه تخرج وبكلامه انفع في تصديقه^٢ ». ولكن إلى ابن سينا
يرجع الفضل في اطلاع الطبقة المتقدمة من العلماء الإسلامي على مجموع الحكمة اليونانية التي
نفسهم بعمقها الخاصة. وبواسطة حتى لمتقدم الفيلسوف اليوناني لاسيما نظرية فيثاغورس^٣ Platon^٤
سبل الاندماج في الاسلام.

أخرونه الصفاء

حوالي منتصف القرن الرابع للهجرة (حوالي ٩٧٠ م) ظهرت في البصرة مدرسة فكرية
متميزة بالاهتمام قامت على أساس اختيار من الفلسفة الرائجة آنذاك مع الميل إلى التطورات
التي عرفت اصطلاحها باخوانسنة^٥. وإن هذا الاسم مستعار في الواقع من قصة
الخدمة المطلوبة في كتابه « كاتبة ودمنة » التي ذكر فيها على سبيل الجوانب أن اخوان
العداء^٦ إذا تم توحيدهم واستمع بعضهم ببعض استطاعوا السيادة من الخصماء^٧.

وأما الاخوان - وقد كان لهم فرع في بغداد - فلم يهتموا على القناعة بحسب بل
مهدم إلى ميدان الدين والسياسة وقد ظهر فيهم ميول شيعية متطرفة - اسماعيلية في الاربعين
مدرسة النظام السياسي القائم وقد جمعوا ما بينهم هذه هذه النظام وذلك زعامة الاسس التي
قوة فيها المعتقدات المكملة والدينية الشاملة آنذاك. ومن هنا كان هذا التفرع والظنية التي
حدثت بالأعمال التي قاموا بها وبقصص الاضرار التي القصورية في مؤسستهم. وقد تمسك
التي مجموعة من رسائلهم^٨ وقد رأت شكل موسوعة فيها أسماء بعض من ساهموا في انشائها

١ - ج ٢ ص ٤٩٩.

٢ - ينضح من هذا أن معنى صفاء هو لا غش في البصيرة. وما عني هو غيب. وعلى هذا ما
المتشرقين الذين يرجعوا الكلمة إلى بريد الشهادة والخلافة - - purus في الأكرية وما يرد لها في
الأمم الأخرى - - يهييها لها.

٣ - Goldenberg in *The Islam*, vol. I (1910), pp. 22-6.

٤ - لقد نشر رسائل اخوان صفاء وترجم قسم كبير منها فرنسي في : *Die Philosophie*, 16 vols (Leipzig and Leyden, 1838-1845). وكان من الطبعة الشرقية الأخيرة طبعة حجرية لدين البركلي -
٥ - الجزء (القاهرة ١٩٢٩).

وتكثفها أسماء غامضة تنوء غير معروفين منهم أبو سنان محمد بن مشير البستي الفقيه وإبراهيم
الحسن علي بن هرون الزنجاني وزيد بن دقاعة والموفي . وعدد الرسائل الثمان وخمسون مائة
إحدى في الرياضيات والتمثيل والجغرافية والموسيقى وعلم الأخلاق والفلسفة وقد تضمنت خلاصة
ما ينظر من الرجل المتقف أن يقف عليه من معروف ذلك العصر . وكلها نوط . الأخيرة التي
تعتبر خلاصة العلوم . أما أسلوب هذه الرسائل فإنه يظهر أن اللغة العربية في ذلك العصر قد
بقيت من الكفاءة والفني . جعلها أداة مطوعة صالحة للتعبير عن الفكر العلمي في جميع
مناحيه . وقد ذكر الغزالي ^(١) في كتبه أخوان الصفا وكذلك أيضاً راشد الدين سنان بن
سليم بن زعيم الحاشين سورية . وذكر أن العربي ^(٢) أول بغداد الخديض حادقت الأخوان
أحمد الجعفي ^(٣) . وكان أوجين التوحيدني (توفي ١٠٢٣) ^(٤) المعرف بمبدأ علم النفس
لم يكن عضواً عاملاً في جموعهم . وبعدده البعض هو والراوندي (توفي ٩١٥) والعمري
(توفي ١٠٥٧) الذين لا كبر فساد في الإسلام ^(٥) .

الفلك والرياضيات

بدأت دراسة تلك العمدة في الإسلام كما قدم تحت تأثير كتب هندية «الهندية»
(رأى الهند هندية في العربية) هي . ٩ بغداد (٧٧١) فترجمه محمد بن إبراهيم الغزالي وأحمد
المعتمد بعد ذلك ما لا يحصى . أما المفهوم البهاوية (زيت) التي وضعت في الحقبة الإسلامية
فقد عبرت الآن وأصبحت في العلوم زمنية وعرف المفهوم في العربية بالترجيح . وقد كان
القائمين اليهود في علم الرياضيات متأخرين لكنه كان لهم من أي تأثير آخر . فكتاب الخديفي
ببليسيوس الذي نقل في أول عهد الترجمة - ظهر بعد ذلك بترجمتين أكثر المقادير ووقفة أئمة الواحدة
منهمم الخديج ابن مضر سنة ٢١٢ / ٨٢٧ - ٨ . والأخرى حسين ابن اسحاق وتبعهما
بعده ثابت ابن قرة (توفي ٩٠١) . وفي مطلع القرن التاسع تمت أول الأرصاد المنظمة وقد

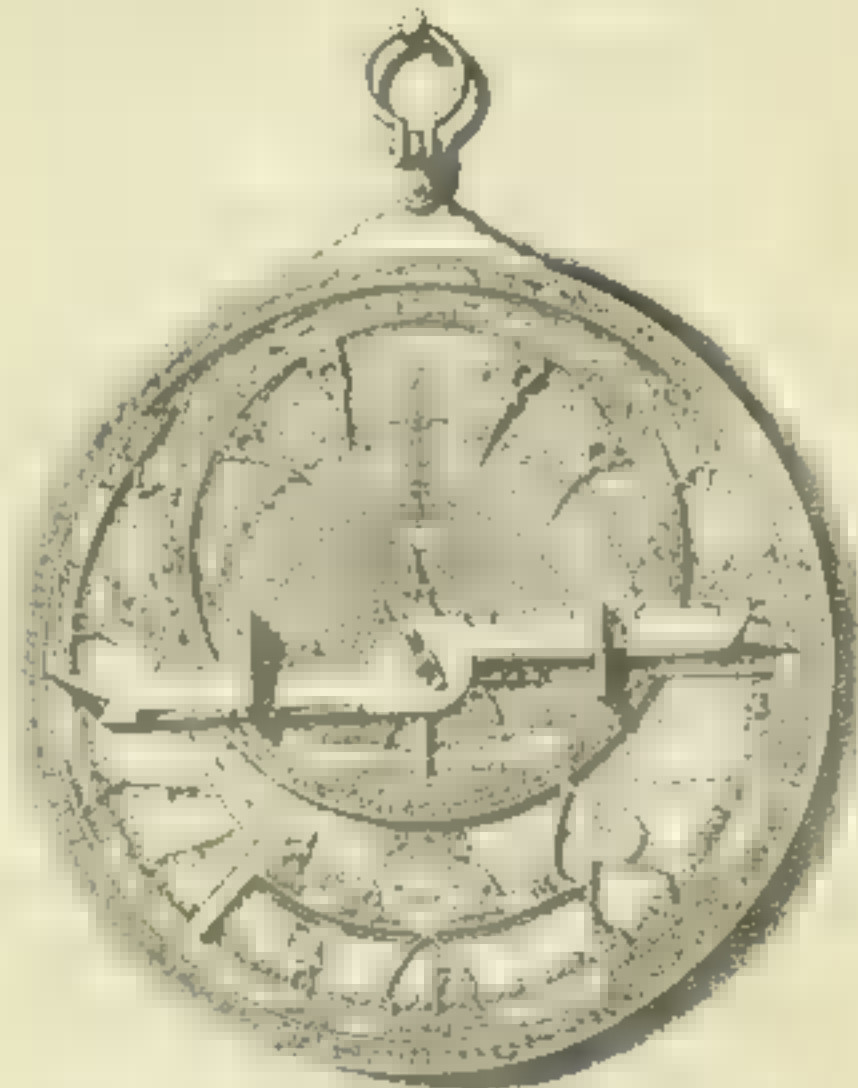
(١) قابل أحياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ رسائل ج ١ ص ١٨٠ .

(٢) راجع ديوبه - فط الزيد - غير شاطو شفيق بيروت ١٨٨٥ ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٣) قابل ابن خلكان ج ٢ ص ٤٢١ : فقه ، الأدب ج ٢ ص ٣١١ .

(٤) السكي ، طبقات شامية بحري القاهرة ١٩٠٦ ج ٤ ص ٣ .

استخدمت لها أدوات على جانب من الدقة مصنوعة في جندابور (فارس الجنوبية الغربية). وقد أضاف المأمون إلى بيت الحكمة في بغداد بالتقريب من باب الرئيسية مرصداً فلكياً وعهد بإدارته إلى سندان علي (وهو إسرائيلي اعتنق الإسلام) ويعني ابن أبي منصور (المتوفى ٨٣٠ أو ٨٣١) ١١٠. وما يكف فلكيو الخليفة فيه بإقامة مرصد منسقة حركات



مرصد المأمون

الأجرام السماوية فقط إلى الحدود الحقيقية بدقة دقيقة جداً في الخطي كالتعرف دائرة البروج ومواقيت اعتدال الليل والنهار ومثل السنة الشمسية الخ ١٢٠. ثم بنى المأمون مرصداً

١٠ | الفهرست ص ٢٧٥

٢ | C. A. Nallin, art. "Astronomy", *Encyclopedia of Islam*. وفيصل ص ١٤٤

طبقات ص ٥٠ - ٥١

آخر في جبل قسبون بدمشق (١١). وقد جبرت المراصد في ذلك الأيام بأدوات مختلفة منها
مقياس لأرتفع والاسطرلاب والمزولة (ساعة شمسية) وعدد من الكرات. وكانت إبراهيم
الجزيري (المتوفى حوالي ٧٧٧) أول من صنع اسطرلاباً (١٢). وليس من شك في أنه قد ساهم
على غرار اسطرلاب يوناني بزيادة استعمال نقطة اسطرلاب الحالية. ومن أقدم الرسائل العربية
في الاسطرلاب رسالة أبي بن عيسى الاسطرلابي الذي زار بغداد ودمشق قبل سنة ٨٣٠.
وقد أجرى فلكيو المنصور ذوق المسائل الجغرافية القديمة وهي قياس طول الدرجة
الأرضية وكان غرضهم من ذلك تحديد حجم الأرض ومحيطها على أساس أن الأرض مدورة.
وقد رأى القياس الذي أجروه في سهل منحدراً نحو البحار وأيضاً قريب لدمر إلى نتيجة جمعت
درجة طول ستة وخمسين ميلاً عربياً والتي تبين وهي نتيجة على غاية ما يمكن من الدقة
لوقت لم لا نزيد عن طول الدرجة الخطي في ذلك التوسع إلا بنحو ٢٨٧٧ قدماً (١٣).
وهو يعمل بحيط الأرض على مئتين ألف ميل وقطره ستة آلاف وخمسة مئيل. وكانت من
حكمة علماء العرب المتفكرين في حل هذه المسألة أنهم موسى ابن شاكر وزياد أيضاً الطولاني
المتوفى الذي وضع رتبة فلكهم عند فخر بن أحمد الذي لا بد من ملاحظة الفلكي (المتوفى
حوالي ١٠٠٧) وبعده إلى الملائكية في سنة ١١٢٦ لإدراك أن باث (Adelard of Bath)
وكانت هذه التفويج المسماة سواها مما ورد في التصنيف التريخية التي صدرت بعد ذلك في
المشرق والمغرب. والعلامة أن هذه التفويج الفلكية وغيرها مما أنتجه العرب كانت محل ما
سبغهم من إنتاج اليونان وأهل الهند وشاعت فأخذ بها المسلمون حتى في الصين.

وهذه عدة فلكي آخر من الجزائريين في هذا العصر هو أبو القاسم أحمد (١٤) المغربي
وأخيه من قرطبة من بلاد ما وراء النهر. وقد أدرك التوكل سنة ٨٦١ بعمل مقياس لميل عند

١ - ابن جيري ص ٢٢٦.

٢ - فهرست ص ٢٦٣.

٣ - سيبويه، علم الحساب (قاهرة ١٩١١) ص ٢٩١ وما يلي. ونحل كفاية من معرفة مسطرة من
الآلية ص ١٠٥-١٠٦.

٤ - أحمد في فهرست ص ٢١٩ وكذلك غيرها من فهرست ص ٢٩٦.

القسطنطينية^(١) ثم عبره ومن أهم كتبه « المدخل الى علم هيئة الافلاك »^(٢) وقد فقه الى
الارامية سنة ١١٣٥ يوحنا الاشيلي وجيرارد الكرموني وقد نقل ايضا الى العربية ، اما النص
العربي فقد وصل اليها بيننا بن مخطوطة^(٣) .

وعلاوة على المرصد المأموني فقد أنشأ ابنه موسى ابن شاكر (٨٥٠ - ٧٠) في منزله
بدمشق مرصداً آخر ، ثم انشا السلطان شريف الدولة التتويجي (٩٨٢ - ٨٩) مرصداً ثالثاً
في قديره بدمشق كان يعمل فيه عبد الرحمن الصوفي (الشوفي ٩٨٩) صاحب « الشكواك
العلمية » وهي رسالة رائعة في الرصد الفلكي ، واحمد الصاغاني (الشوفي ٩٩٠) وابو الوفاء
(الشوفي ٩٩٧) . وقد زهد في بلاط سلطانه ورجع الى آخر في الزمان هو دكن الدولة
(٩٣٢ - ٧٩) الفقيه ابو جعفر الطائفي المعروف باسمه الفقيه اعراف دائرة الخروج وحل مسألة
شعرية عرضها الرخيدس المؤدي الى معادله مكعبة ، ولم يسهل من علماء الفلك في شيراز
واسمهم غير معروف .

التتويجي

الظاهر من ٨٧٧ و ٩١٨ او عند سنة محمد بن حبيب شافعي^(٤) ومنه من صفة حران
وهو ان معدل انظمة فلكي في قومه وعصره ان هو من انظمة فلكي الاسلام ، وقد جرى
العلماء في هذه المدة في الرقة ، وكان من العلماء المشكر بن فقد اصلاح كثيراً مما خلطه
بالبابوس من الآثار العلمية وحيط بحساب الافلاك التي يدور فيها القمر وبعض النجوم
المسيرة ، كذلك انشأ في امكان كسوف الشمس المستدير وصيغ بدقة فائقة مقدار
الانحراف في دائرة الخروج وحول السنة في الاقاييم الخاصة بمسول المعصوم الاربعة ومعدل دائرة

١ ابن أبي الصمغاني ج ١ ص ٢٠٦ .

٢ المخطوط ص ٧٨ : من العربي ص ٢٢٦ .

٣ المخطوطات برلين ج ١ ص ٩٦٦ .

٤ انظر ص ٢٢١٢ من الآثار ج ٩ ص ٩٧ : انظر خلكان ج ٩ ص ٩٠٠ - ٩٠١ .

٥ المخطوط ص ٢٩٦ : انظر ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

٦ انظر ص ٢٧٩ .

الفلك الذي تجري فيه الشمس مع ايضاح حقيقته (١).

البيروني

نشأ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (٩٧٣ - ١٠٤٨) في غزنة بشمال أفغانستان وهو يعد أعظم محدث وعالم في الإسلام في العلوم الطبيعية والرياضية وأكثر علماء الإسلام ابتكاراً في هذه الميادين. وقد وضع هذا العالم الفارسي الأصل وهو في غزنة كتاباً مشهوراً في علم الفلك عنوانه «القانون السعوي في الهيئة والنجوم» وقدمه إلى ولي نعمته السلطان مسعود بن محمود سنة ١٠٣٠. وألف في السنة نفسها رسالة على طريقة السؤال والجواب في الهندسة والحساب والفلك والتنجيم «موسوعيتهم لأوائل صدعة التنجيم» (٢). أما أول كتاب وضعه فهو «الآثار الباقية عن القرون الخالية» (٣) وعالج فيه بالأكثر بقاؤه السنين عند الشعوب القديمة وآثارهم. وقد صدق البيروني في مؤلفه هذه النظرية القائلة بأن الأرض تدور حول محورها وتتناوب بين النهار والليل. وكانت هذه تقديماً لمبدأ حديث شريف يومئذ - وصحبه إمامنا جليل القدر والاعزاز - ثم أنه ارتحل إلى الهند في سنة ١٠٢٨ ودرس فيها وكان من أهل الشيعة ومن الذين ينسبون إلى التأثيرية ففسدهم الفتن. ومن ما تركه من كتب على يد البيروني الطبيعية شوحب مؤلفته «موسو السؤال» ومنها أيضاً شرح القولين والذي هو الأندلس (ميران) كما كان في العصور التي تلت حوض بحر قزوين والأندلس الرواسب. ومنها وصف بعض المخلوقات العجيبة ومنها ما سماه «ببوء تنولمي سبأ» (٤).

محمد الحياص

وكان من سلاطين الخلافة السلطانية خلال تدين ملكه الذي شمل الدراسات

(١) وقد نشر «بيروني» في «موسوعة» (رومة ١٨٩٩).

(٢) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٢٨٠-٢٩١ ابن أبي عمير ص ٢٢٢-٢٢٣. وهو منسوب إلى بيروني بذكر الباء وهي صاحبة من صوابي طو روم ومدها بغيرية «موسوعة» (الآن انشاء وحد في صفحة ٢٠١ من مجموعة المخطوطات رقم ١١٤ (1902) Islamic Culture, vol ١١ ص ٢١ مكتوباً بفتح باء).

(٣) نشره «سالم» في سنة ١٩٦٨ وترجمها أيضاً (London, 1870).

(٤) انظر كتابه «تأليف» ما قبله نشر «سالم» (السن ١٨٩٧).

في سنة ١٩٣٤ من ٣٨٨. في مجلة الجمع ج ١٣ ص ٣٨٨.

الفلكية برعايته وأسس سنة ١٦٧٧ (١٠٧٥ - ٥) مرصداً في لري أو في بلساورد حيث أدخل على تقويم السنة الفارسية إصلاحاً هاماً مبني على قياس دقيق لسنة في الألفية الجديدة. وقد استقدم عمر الخيام الشهر (١١) إلى هذا المرصد الجديد واستدبه لإصلاح التقويم الفارسي. وقد ولد عمر في بسفور بين سنة ١٠٣٨ و ١٠٤٨ وفيه من ١١٢٣ - ٥. وهو معروف لدى العامة أنه شاعر فارسي (١٢) من أحرار الفكر. وقال من يعرف عنه أنه كانت إلى ذلك عند من الطبقة الأولى في الرياضيات والفلك. وقد أدت أبحاثه وأبحاث زملائه إلى إنشاء التقويم السنوي المعروف بالتاريخ الجلالى نسبة إلى المصطفى جلال الدين المذكور. وهذا التقويم أكثر ضبطاً ودقة من التقويم الفارسي الذي يؤدي في بعض مقاديره يوم في كل ٣٣٣ سنة بين الخطأ الذي ينجب عن قويمه الخيام هو نحو يوم في كل ٥٠٠٠ سنة.

وسرعان ما هولاكو (١٢٥٩) بعد مرور حول على تربيته بغداد في سنة مرصد مراغة العظيم بخوان تجربة إرمية فتوفي مرصداً فيه بعد المدة الفارسية (١٢٧٥) وهو أكبر من قدم في العصر الفارسي من فلاسفة الفلكيين. وكانت آلات المستخدمة في هذا المرصد موضوع الإعجاب وهي الشمس كرة ذات حافتين متطابقتين لآلة ذات الحلق وربعاً من القياس الأربعة ودائرة مروج قياس لا انقلاب شمسي وشمسي. وقد تسمى المصير الدين الفارسي في هذا المرصد حيز قويمه فلكية جديدة عرف بترجي الألباني تقويماً يسمى هولاكو الأبحاث الأولى. وقد تمت هذه التقويم والمنشورة في الهند آسية حتى الصين. ولا تزال أسس هذا المرصد الذي لا يزال حرمه كثيراً، فية حتى اليوم. وقد كانت يقوم إلى جانبه دار كتب أشهر هولاكو أيضاً قبل المموت ٢٠٠٠٠٠ مجلد (١) كانت جيوش المغول قد هبت معظمها من سورية والعراق وفارس.

١١- عمر الخيام الكامل هو أبو علي محمد بن إبراهيم خيامي. حرم سيرته في معالي من ١٢٤٣ - ١٢٦١.

١٢- الخيام الخيامي هو أبو علي محمد بن إبراهيم خيامي. حرم سيرته في معالي من ١٢٤٣ - ١٢٦١.

١٣- الخيام الخيامي هو أبو علي محمد بن إبراهيم خيامي. حرم سيرته في معالي من ١٢٤٣ - ١٢٦١.

النسيم

أما التاجيم وهو علم مساعد للقلل فيميز رجلاه أبو معشر (أمتوفى ٨٨٦) البلخي مولداً
والبناددي اقامة (١٠). وقد اعتبرته المراجع النصرانية في العصور الوسطى حجة في هذا الباب
وانزله المعشورون في صورهم كغديس اوني. وقد نقل يوحنا الاشيلي وادلارد اف باث في
القرن الثاني عشر اربعة من كتبه الى اللاتينية. وفيما عدا اعتقاد القريب بتأثير النجوم في
فصبا الولادة والموت وحوادث الحياة للإنسان فانه قد اتخف العالم الاسلامي والأوربي بحقيقة
علمية تتعلق بنظام المد والجزر قد علمها يبحثه على اساس علاقاتها بظواهر القمر وغيابه.
وقد نقلت على مر الالام طائفة من كتب الملل الاسلامية الى اللاتينية لاسيما في اسبانية
وكان لها أثر فعال في ترقية هذا العلم في أوروبا النصرانية.

الدور فاعلم السريانية

يعزى إلى العالم الهندي نفسه الذي أما بلاط المنصور ومعه كتب " الهند هند " الملكي
أمر أوجان مياهي - الحساب الهندي والأرقام الهندية (المعروفة في الغرب بالأرقام العربية)
ومعها الصفر ١٠١٠ . وإذا فقدت الأرقام إلى العالم الإسلامي عن طريق ترجمة الكتب
الهندية التي قدمها الهري . ثم ظهرت تقويم الخوارزمي وحاش الحساب المتوفى بين
٨٦٧ و ٨٧٥) فذات الأرقام واسمها في أرجاء اللغة العربي . ولكن الرياضيين والفلكيين
العرب لم يبنوا هذا الاختراع الهندي البسيط إلا من التردد فقد نعت حتى القرن الحادي
عشر ومن هنا نجد مثلاً أن أبا بكر محمد الكرخي (المتوفى بين ١٠١٩ و ١٠٢٩) يعبر عن
الأعداد في كتابه " الكافي في الحساب " بالألفاظ لا بالأرقام . وقد اشيع غيره الطريقة المماثلة

۱۳ | تاریخ ثبت ۴۵۸ + اس - سبکی ج ۱ ص ۹۹-۱۰۰

52. G. Goeders, *Bulletin School of Oriental Studies*, vol. 54, (1991) pp. 323-8 (4)

كوددي ان الأرقام الهندية ومنها الصفر ظهرت في وقت سابق من القرن الرابع قبل الميلاد وذلك قبل ظهورها في العهد الفارسي زمن خشايارش . ومن ملاحق الصفحة ١٠٢ في المجلد الثاني للأبجدية بواسطة الإصحاح والفتحة « Cipher » التي ظهرت في الأبجدية فان سبور الفتحة « Zero » تأتي عام ١٨٩٤م تحريف لفظة « صفر » العربية وهذا ترجمة كلمة سنسكريتية « صف + دوج = » وتوالت المصادر سرى في ذكره ، و

F. Nauy et Journal asiatique, ser. 10, vol. xvi (1916), pp. 225 seq.

والأغريقية القديمة فاستعمل حروف الالتباس عوض الأرقام - حساب الجمل - أما أحمد
الموسوي^(١) (المتوفى حوالي ١٠٥٠) الذي شرح في كتابه «الفتح في الحساب الهندسي»
قصة الكسور واستخراج الجذور التربيعية والمكعبة على طريقة تقرب من الطريقة الحديثة
فقد عول على الأرقام الهندية مثل الخوارزمي الذي سبقه.

الخوارزمي

كان محمد بن موسى الخوارزمي^(٢) (٧٨٠ إلى نحو ٨٥٠) هذا أبرز شخصيات في تاريخ
الرياضيات القديمة عند العرب وأحد كبار المفكرين المسلمين وقد أثر في الفكر الرياضي كثيراً
في كل من الهند في العصور الوسطى - فهو علاوة على زيجته الذي حدد أقدام جمع من علوم
الفلك فإنه قد وضع أقدم كتاب في الحساب (ولا يعرف اليوم إلا في نسخة مترجمة) وأقدم
كتاب في الجبر هو «حساب الجبر والهندسة»^(٣) أورد فيه ما يزيد عن ثمانين من الأمثلة وهو
أعظم كتبه ولكن الأصل العربي مفقود. وقد نقله إلى اللاتينية جراد الكرموسي في القرن
الذي عشر فاعتدته مصنفات أوروبا حتى القرن الخامس عشر ككتاب مدرسي رئيسي
للرياضيات وبواسطته طرقت إلى أوروبا مبادئ الجبر ومعها نقطة «الجبر» نفسها وإلى
مصنفات الخوارزمي أيضاً يرجع الفضل في نقل الأرقام الهندية - العربية إلى الغرب حيث
سميت باسمه أول الأمر *algoritmus* وكانت من متأخري الربيعين المتأخرين بالخوارزمي عمر
الخيام وأبو نادر فيونانسي^(٤) *Leonardo Fibonacci* من أهل بيزا (المتوفى بعد ١٢٤٠)
وماسر جاكوب^(٥) *Master Jacob* من أهل ميونخ الذي ألف في الحساب والجبر كتاباً
تأريخه سنة ١٣٠٧ يجمع كأحد كتب أيونادر ستة أنواع من المعادلات الرياضية التي كانت
الخوارزمي قد أوردتها في كتابه. على أن كتاب الجبر^(٦) الذي ألفه عمر الخيام يفوق كتب
الخوارزمي ويحتوي على حلول هندسية وحجج لمعادلات الدرجة الثانية مع تسبق بدفع

(١) سيرة ابن خلدون.

(٢) ابن خوارزمي التي ولد بها من خوارزمية وهي بلاد على جفون (آمودار - يوم) لأفغان.
وبدعوه الطبري بالخيوسي.

(٣) نقله إلى الإنكليزية داود كامير. *Haoud S. Kasir, The Algebra of Omar Khayyam*.
(New York, 1932).

جانباً عظيماً من الكتب المنسوبة إليه في العربية واللاتينية ملحق أو غير ثابت . ومنها
يمكن من امر فإن هذه المصنفات نفسها أصبحت بعد القرن الرابع عشر أشد كتب الكيمياء
أثراً في أوروبا وآسيا . ومن الأثر السبب له إبعاده في التخليص والرجاء المحدث إلى أصله
بالاكتساج وقد حسن لسانه التبخر والتصفيد والخمر والتبلور . أما زعمه في أنه عرف
طريقة تحضير الحمض الكبريتي العكر وحده من التبريك العكر ثم مزجها فيما يقول مع
المنج يستخرج الماء الذي يذوب فيه الذهب كما تذوب فيه الفضة أيضاً فليس ما يؤيده . وعلى
العموم فإنه عدل نظرية أرسطو في عدم المحدث على أساس ما نظرنا عليه تغييرات كثيرة
حتى وإلى عصر الكيمياء الحديثة في القرن الثامن عشر .

من المأخوذ من علماء الكيمياء المسلمين فقد كانوا يعنون قدر ابن حيان ويمدونه
بقلمهم . وقد استعملوا نظريته كالمعبراني^١ الشعر السياسي الفرنسي (المتوفى نحو ١١٢١)
المشهور بقصدته لأمية العمدة والتي أقسم العرباني الذي ذكره في السطر الثاني من القرن الثالث
عشر^٢ أن يردوا أو يخذلوا أهل من المتبعين في طريقته الأفيلاً . وقد واصل هؤلاء
الكيمياء وروى الجمهور سمياً لمكتشف عن تمرين الكبريت الأحمر (حجر الفلاسفة)
وكبير^٣ الحقيقة . والتوقع أنه مداهم المفسرين ما يحدث تقدم يذكر في أي فرع من فروع
العلم بخرد أو العلم الطبيعي . وإذا أراد المسلمون اليوم أن يعتمدوا على كتبهم العربية الخاصة
بهم يحدون فيها أقل ما وخدمه أسلافهم في كتب القرن الحادي عشر . ففي الطب والفلسفة
والرياضيات والديت وسواها من الأنظمة الفكرية بلغ التقدم العلمي درجة من الرقي لم يوفق
وقد حقق العرب إلى عهد قريب بتقديس الماضي وحبيل تقليد الدينية والعلمية بحيث قيدت
الترافع وحلت أيديهم على سبيلهم قد أخذوا الآن بتخطيم القيود والتخلص من ربقها .
ويجب أن نذكر هنا أن تفكير الإسلاميين في العصور الوسطى العقل الذي لا يسبق إليه في

١ - مجلة « مرور » ، منها كما مر فؤاد دانه على رسائل « أي » من كتب « الطبري » وهو أطروحة
التي نكتب في أي زيادة وبها سمى كتابي بعدد نكبات عنه وهو « ابن خلكان ج ١ ص ٢٨١ ومايلي .

٢ - على حاشي خفج ج ٣ ص ٢١٩ . ج ٢ ص ٥٥٧ ج ٦ ص ٣٠٤ . وله رسالة اسمها « العلم النكسب
في روضة الذهب » نشرها ورجعها إلى الأكاديمية هوبارد (باريس ١٩٢٣) .

٣ - مجلة « مدونة من الأعراق » .

تاريخ الفكر البشري من حيث توجهه في التوفيق بين عقيدة التوحيد وهي اعظم ما أثر
الشعوب السامية القديمة وبين الفلسفة اليونانية وهي اعظم ما أثر الشعوب الهندية الأوروبية
القديمة . وبهذا مهد الاسلام لأوروبا المسيحية السبيل الى الأجداد الحديث .

وإذا التفتنا الى ميدان التاريخ الطبيعي رأينا ان أقل نجاح أبحاث العرب كان في علم
الحيوان بينما استطاع مسعودي الأندلسي ان يسدوا خدمات فاهرة في علم النبات كما سنبين .
ولم يكن كتاب العرب الذين اتقوا عن مملكة الحيوان الا جملة من الأدباء الذين اقتصر
تأليفهم على ذكر الاحياء والادوية التي تطلبها العرب على الحيوانات المختلفة مقرونة
بمشتقات من اقوال الشعراء . ولا حاشي سوى دراسة اخطبوط قدمت من ارضي . كما
يطلب علم مستقل . وقد وجدت في اخطبوط بعض مسائل صنف انواعها واعراضها وانماها
وآيين خصائصها المخلوقة والدموية .^١

المصادر

ومن اقدم من صنف في علم الحيوانات والاشجار ويوحى ابو عثمان عمرو بن بحر الجصاص
(المتوفى ٨٦٨ - ٩) وقد عثر في البصرة وصنف « كتاب الحيوانات » .^٢ والكتاب
أقرب الى العرض القصصي والكاملي منه الى البحث البيولوجي . وفيه فقيسات عن السموم
وبعض مبادئ الفيزياء الحيوية والتكليف وسيكولوجيا الحيوان . وقد عرف الخياط
طريقة تعصير الأوب من سقم الحيوانات كالكرش وغيره واسطة التطهير لاسف . وكان له
أثر كبير على علماء الحيوانات بعده كالفرايدي^٣ (المتوفى ١٢٨٣) الذي احتسب توصيف
الحيوانات . والدميري^٤ (المتوفى ١٢٠٥) فقد بحث كلامه في علم
الحيوان كغيره من فقه اللغة ولاشب . والدميري فهو اعظم علماء العرب في علم الحيوانات

١ . راجع لاسمير . كتاب الحبل . نشر وبحث فاهر (ربا . ١٩٩٥) : ١ : ١٠١ - ١٠٢ . في
كتاب و. و. ريت . (William Wright, *Uperchia Arabica* - Leyden, 1850) : ١٠١ . في
في الحادية والاسلام والاعراب : ١٠٠ . في العرب وخراسان : ١٠١ . في تاريخ العرب (١٩٩٢) : ١٠١ .
٢ . في كتيبة عجائب الفلك والفلكيات : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٣ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٤ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٥ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٦ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٧ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٨ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٩ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
١٠ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
١١ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
١٢ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
١٣ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
١٤ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
١٥ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
١٦ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
١٧ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
١٨ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
١٩ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٢٠ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٢١ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٢٢ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٢٣ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٢٤ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٢٥ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٢٦ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٢٧ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٢٨ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٢٩ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٣٠ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٣١ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٣٢ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٣٣ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٣٤ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٣٥ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٣٦ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٣٧ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٣٨ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٣٩ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٤٠ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٤١ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٤٢ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٤٣ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٤٤ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٤٥ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٤٦ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٤٧ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٤٨ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٤٩ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٥٠ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٥١ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٥٢ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٥٣ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٥٤ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٥٥ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٥٦ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٥٧ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٥٨ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٥٩ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٦٠ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٦١ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٦٢ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٦٣ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٦٤ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٦٥ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٦٦ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٦٧ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٦٨ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٦٩ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٧٠ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٧١ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٧٢ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٧٣ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٧٤ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٧٥ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٧٦ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٧٧ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٧٨ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٧٩ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٨٠ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٨١ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٨٢ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٨٣ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٨٤ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٨٥ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٨٦ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٨٧ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٨٨ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٨٩ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٩٠ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٩١ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٩٢ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٩٣ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٩٤ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٩٥ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٩٦ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٩٧ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٩٨ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
٩٩ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .
١٠٠ . في حياة الحيوان : ١٠١ . في و. و. ريت (١٩٩٥) : ١٠١ .

ولكن للمحافظة أثر أعظم كأديب وعلماء من علماء الكلام. واليه ينتسب الجاحظية وهو فرقة من المعتزلة اتبعوا تعاليمه^{١١}. وهو إلى ذلك من أكثر المؤمنين العرب النجاشي. وقد كثرت الأقباس عنه^{١٢}. وكان بقوة اتكاليه وببهرته وعنفه وجهته أثر كبير في شهرته غير أن أوج مظهره حال التوكل على نفسه بعد أن كانت قد دعت إلى التوكل ببعض الأمم.

كتب في المرقاة

ما يكن هذه العرب في دار الهند - وهو قرين الكيمياء - عظيم القدر ، غير ان وعدهم
الاحبار الكريهة والظلمة الى ما نسب الى الفوائد من خصالها معجزة بوجهات ما
خلفوه من كتب في الجواهر تزيد عن خمسين . وهذه مخلوقات منهم كتب لطيفة من محمد
الغائب (او الكتاب الثاني) يرجع الى الغرب النافع . على ان الشبهة كتب في
الافكار في جواهر الاحكام . الشبهة الثانية هي السوي في مذهب سنة ١٢٥٣ . وقد عرض
فيه لاربعة وعشرين حجة كما يتضح من كلامه ورواياته ومجده واثباته ما امر عليه
والشبهة وثالثها في غير الهند العربية مستندة ببيوت وكتب ارسطو في الاحكام
وهو منقح . وقد وقع البيروني الشهير في عين السفل السوي في حد وثيق في اربعة حجة معجزة
كثيرة ومفصلة .

المفردات

تعد كرات هناك عوامل دنية دفعت بالسويين الى دراسة الجغرافية منهم فريضة الفجر والبر
وجبه المساجد عند انقضاء يوم مكة ومبين القيمة عند الخلافة . ضعف الى ذلك ان علم المنجم
الذي كان يتغلب عليه خطوط الطول والعرض شكل موسع في الارض كان له اثره معي
اجدا في هذا السبيل . وفوق ذلك كانت التحيز السمين كما واقد بنحو امين القرنت .

(۱) ابتدائی محضر فرق بین فرق سے ۱۱۶ - ۱۱۷

۲۔ یہ وقت صبح ۶ سے ۸ بجے کے درمیان ہے،

$\frac{d}{dt} \left(\frac{1}{r^2} \right) = -\frac{2}{r^3} \frac{dr}{dt}$

(١) القوسين على ٢٧٨ . ان كنهه و منابع لا حصر - ففهم في محضته بكتابة اربعة ...

de Stamm, *Catalogue des mammifères* (Paris, 1831-2), no. 277-1.¹

(۴) شهید ریویزی (فهرست شماره ۱۸۶۸)

والدفع بلاد الصين بحراً وبراً ووصلوا إلى جزيرة زنجبار واقاموا شواطئاً أفريقية جنوباً
ووصلوا إلى روسية شمالاً ولم تصدهم غرباً إلا امواج بحر الظلمات. وكان من الطبيعي حين يعود
التجار إلى اوطانهم ان يقصوا الأخبار عما شاهدوه في اسفارهم فتبر في نفوس الشعب عامة
الرغبة في التعرف على احوال البلدان القصية والشعوب الغريبة. وكان اول ما كتب في
العربية في وصف الصين وشواطئها القندسين في اسفار سليمان الناجر السيرافي. وقد دون هذا
البلد سنة ٨٥١ كالمجهر وفيه يروي سليمان هذا ان بعث اصابع اليد عوضاً عن الامضاء
كان مرا موقفاً في الصين (١). ومن بين هذه الرحلة وسواها نشأت تدريجاً تلك الحكايات
المنقولة في السندباد البحري. وان اقدم بيان جغرافي موثوق عن روسية كتبه احمد ابن فضلان
ان حاد الذي انقضى القندر سنة ٩٢١ الى ملك البندار وكان هذا الملك يقيم حول نهر الفولكا.
وقد حاد اكثر هذا البلد في الموسوعة الجغرافية التي صنفها ياقوت القزويني بمجموع البلدان.
وأشار السعدي * في نجر معين بن القبائل السلافية في الميرس وعلها منطقة قرب البريت
وهو فرع من فروع الميرس.

الظلال البرمانية

نقلت جغرافية بطليموس إلى العربية مراراً، عن اليونانية مباشرة او عن الترجمة
السريانية. واهم من نقلها يعقوب ابن اسحق السكندري قبل سنة ٨٧٤ وثابت ابن قرة
الغوري سنة ٩٠١. وقد عند عبيد الخوارزمي الشهري وضمه كتاب «صورة الارض» (٢)
الذي أصبح نموذجاً للأبحاث الجغرافية التي وضعت من بعد ونهت الناس لأهمية الدراسات
الجغرافية وحررت اهتمام الباحثين بجمع البيانات مشكورة جديدة. وقد أحق الخوارزمي
بكتابه المذكر خريطة هي أيضاً صورة الارض رسمها هو ونسخت واستولت علماً بإشارة من
الأمون وهي اول خريطة في الاسلام تظهر السموات والارض. وقد عرف السعدي (٣)

١ - نسخة تاليفه - نشر لاهاي ص ٤٤.

٢ - ج ٢ ص ٦٤.

٣ - الفهرست ص ١٤٢٠.

٤ - ج ٢ ص ٣٠٨.

(وهو مسيحي النول) وكان قد قام بحسابات الدخل في الادارة المركزية بغداد فسمى بعد سنة ٩٢٨ " كتاب الخراج " الذي عالج تقسيم الأراضي الخلافة الى ايلات او اقصار وعظمه مصلحة البريد واخرها في كل مقاطعة ثم قدمه خيرا في عري آخر من اصل فارسي اسمه من سنة فوضع نحو سنة ٩٠٣ كتاب " الاملاقي الخبيرة " ^١ وفي تلك السنة ايضا هو ابن الفقيه الحمذاني " كتاب الجبال " ^٢ وهو كتاب شامل في الجغرافية قدس فيه كتبها المقدسي ورفوت .

الجغرافية الاداء

ان عهد كتب الجغرافيين ما بعد حتى واسط غرست اربع الجغري وذلك حين ظهر الاصطغري وابن حوقل والمقدسي . اما الاصطغري فقد ولد في اصطخر (برسوبوليس) اربع حول منتصف القرن العشر والخراج كتابه " مسائل الجبال " ^٣ من الجغرافيين الكبار على كل بلاد على عامة . وكان له في كتابه على الأصول الجغرافية التي وضعها ابو زيد السجستاني (توفي ٩٢٤) الذي اهدى في دامت الساميين . وهذه لأصول مفهومة لأن غير ان الجغرافية التي اشتدعها الباهي والاصطغري في وضع الجغرافية ما من ما بعد الخراج عن نطاق الاسماء ودار البحث عندها بالاكتر على وصف الخرائط والرسوم . وما كان كتاب هذه المدرسة الارجل اسفار . والاصطغري اول كتاب بعد السجستاني ^٤ الذي طبع في مصر في مائة سنة . ثم جاء ابن حوقل وهو الوحدة الذي سافر حتى الهندية فخرج خرائط الاصطغري واصدق جغرافيته (بناء على طلب منه) ثم محمد الياس بعد مدة وكتب تأييد واتحاد معه بعنوان " المسالك والممالك " ^٥ والى هذه المدرسة ترجع جغرافية المقدسي وهو يتوفى من سبقه ابتكاراً وقد ولد ببيت المقدس - ومن هنا دعي المقدسي او المقدسي - وازاد بعد ان الاسلام

١ - شرح دي غويه (لندن ١٨٩١ - ١٩٠٢) .

٢ - شرح دي غويه (لندن ١٨٨٥ - ١٨٨٦) .

٣ - شرح دي غويه (لندن ١٨٢٠ - ١٨٢١) .

٤ - ج ٢ ص ٨٠ والخارج وصف المطاحن وخراب : المقدسي . حدة الجغرافيين عدلت في بعض احوال بلز (١٨٦٦) ص ١٨٢ .

٥ - شرح دي غويه (لندن ١٨٦٣) وهناك نسخة اخرى تعرف بصورة الاربعين من مخطوطات كرم في

عند الأندلس وسجستان واغند . وفي ٩٨٥ - ٦ وضع سفيراً يشمل بيان اسفاره التي دامت
عشرين حولاً سعاداً لحسن التفاسير في معرفة الاقاليم ^{١١} «افجاء» حقائقاً بالحقائق لتقيدة والطريقة.
وفي هذه الحقبة نفسه زاهد الجغرافي الهادي العام الاثري الحسن ابن احمد الحمداي المتوفي
سنة ٩٢٥ في سجن بصفهان . وقد ترك لنا كتابين هما «الاكبل» ^{١٢} و«صفة جزيرة
العرب» ^{١٣} ويعتد ان من اعلى المصادر التي بين ايدينا عن جزيرة العرب في الجاهلية
والاسلام . اما ترجمة الشيرازي الذي عرف في هذه الحقبة ايضا فسياتي الكلام عنه
حين نعرف المؤرخين . ولذا ذكر هذا الكتاب في الحول الصف ^{١٤} فن فيه فصلاً بذي الجواهر
القدسية ^{١٥} وفيه شرح نظرية الادوار السكونية التي تغير البقع موجبات فتصبح الاراضي
الغداة تخرج قديراً والمقدار الاراضي رابعة وكذلك تصبح الحزون تدرأ والبحر حزوناً او جبلاً .
بالموت

وقد اقبل انفسه العصر العربي مشير في الاسلام اعظم الجغرافيين الشرقيين قطبة وهو
يقوت ابن عبد الله الحوي (١١٧٩ - ١٢٢٩) مؤلف القاموس الجغرافي المعروف بـ «معجم
البلدان» ^{١٦} الذي رجع اليه غير مرة فيما سبق . ويصنع القاموس تقويماً في الادباء لا يقل
اهمية هو «معجم الادباء» . وقد وردت في هذا في تسمية «صفري» وكان اوله زبانيين
ثم اسر صغبراً ونقل الى بغداد وتوفي فيها بآخر من حياته ومن هذا عرف بالحوي . وقد
قرأ وهو عند سيده شيخ في النحو واللغة ثم شغبه سيده عدة سنين بالاسير في متحصره ثم اعتقه
فانتقل بقوت بالسيح ليكمل اورد عبثه واخذ ينتقل في البلدان في تجارته المخطوطات . ومضى
الى خوارزم وصادف وهو فيها خروج التتر فسيده (١٢١٩ - ٢٠) بنفسه لا يلوي على شيء
عديدين (لندن ، ١٩٣٨ - ٣٩) وقد زعم بعض المستشرقين خطأ ان ابن حزم قصد الأندلس بصفة داع
سري للفاطيين .

- ١) نشره دي عوبه (لندن ، ١٩٧٢) .
- ٢) نشره الكرمل (بغداد ، ١٩٣١) .
- ٣) نشره طرقي محمد بن (لندن ، ١٨٨١ - ٩١) .
- ٤) نشرها الزركلي (مصر) في مجلدين .
- ٥) ج ٢ ص ٩٠ وما يلي : قابل السعدي . عليه ص ٣ .
- ٦) نشره ومستفاد في ٦ مجلدات (لينغ ١٨٩٦ - ١٣) .

« كيمته يوم الخسر من ربه » (١). وكان خط أول نسخة من معجم البلدان في الموصل سنة ١٢٢٤ ثم اكملها سنة ١٢٢٨ في حلب حيث مات بعد سنة واثنتي عشرة سنة من رده في اسماء المواضع على ترتيب حروف الفجاء هو حق موسوعة تحتوي الى جانب هذه الدخيرة من الفوائد الجغرافية حقائق نفيسة في التاريخ وغير المبالاة البشرية وعمد الطبيعة .

غير ان الجغرافية الاسلامية الوصفية لم تؤثر كثيراً في الفكر الاوربي في العصور الوسطى لان التصانيف الموسوعة فيها لم يتيسر لها مقبولون يتقنون الى اللاتينية ، وليس ينكر انه قد تسربت الى الغرب بعض المعلومات الجغرافية الفلكية ومنها نظرية تكاثر كوكب صحبحة لاسب اند والجزر اوصحها ابو معشر ، وقدم طول المدرجة الارضية التي وضعها القزويني في كتاب له في الفلك (٢) ترجم فيما بعد ، وكذلك بعض الاخبار الجغرافية اليوربية كمالك التي نقلت عن ارسطو وهليموس فانها قد عادت الى العرب بفضل العرب . ولكن العرب الاوفر من مخدات الجغرافيين العرب لم تنفذ نطاق اسلامهم الى الغرب ، وقد عرف الغرب انما تلك الآثار الجغرافية الزائفة التي نشأت وصف الشرق الأقصى والرقبة الشرقية والسودان وبرايا اوسية وفي الزمر وضعها الخرافات الوصفية والمانية والتجدي لكل بلاد بقدره ، باعتبار انه وحدة قائمة بذاتها وجميع «العلاقة بين السكك وبين البيئة او الطبيعة» . واهم ما عني به الغرب اللاتيني من الكتب العربية هو امر الخراج النقويمة السوية وقويمة النجوم والاستدلال بدوائر البروج على القوائم والافلاك واستكده اعمى الخلق في كلام الاسفار المقدسة بواسطة البروج على ارسطو . وحل هذه البردة تعبه سواد الكائنات فكيف نجيبية له جغرافية انما نقلت الغرب عن طريق لاندلس وصقلية . من اثر البصروحي القزويني والرازي الطليطلي والادريسي النوري (من تيمم) فسر به شند الكلام على لاندلس وصقلية .

كتابة التاريخ

ان اكثر المؤلفات التاريخية العربية الاولى وصغت في الحقبة العباسية ولم يخلف لها كتب

١١ ابن حنكاج ٣ ص ١٢٢ .

١٢ كذلك يعود شعر العرب في طلائع العرب هي آثار حمويه عسمة العريق دثمة على مخطوطات

لارسطو وهليموس .

في المعبر الأموي إلا التزوير اليسير . وكانت أول مادة في هذه المؤلفات قد تحللت عن طريق الأساطير التي تنوقت شفاهاً في النهاية ومن القصص والأخبار الدينية التي حيكّت حول شخص النبي وسيرته . وقد امتدّ في ميدان الأخبار عن النهاية هـ . السكبي التتوفي (٨١٩) ولم يحفظ لنا من مؤلفاته اثنتي عشرة والعشرين التي ذكرها له الفهرست (١١) سوى ثلاثة معروفة (١٢) إلا أن منها من مؤلفاته المفقودة قد أوردها الطبري وبقوت وسوهم من المؤرخين .

وأول المؤلفات المبينة على الأحداث الدينية والتاريخية هي " سيرة رسول الله " لعماد الدين أحمد بن التتوفي في بغداد سنة ٧٦٧ وكان جده يسير أحمد الفاضل المصري الدين سبأه . خالد بن الوليد سنة ٦٣٣ من عين التمر في العراق . وكان هذه السيرة مصبب التي وصفتها ابن اسحق في كتابه الذي رواه من أخذ لأن هـ . التتوفي في القاهرة سنة ٨٣٤ (١٤) . ثم وصفت كتب في حروب الإسلام الأولى والمفوتات منها " كتب الطبري " موسى بن عقبة (١١) التتوفي (٧٥٨) (١٥) (التتوفي ٨٢٣) وكلاهما من النسخة والسواهم . وقد خلفه ابن عمه كاسم أو قدي (١١) التتوفي في بغداد سنة ٨٥٥) أول كتاب كبير في الطائفة التي ذكر فيه سير رسول الله وآله وصحبه حتى زعمه . وكان من مؤرخي الفتح الإسلامية الأول ابن عمه الحكم المصري (التتوفي ٨٧٠ - ٧١٠) وبعد كتابه " فتوح مصر وأخبارها " (١١) قدم وثيقة مخطوطة في فتوح مصر وأخبارها الثانية والأدنى . وأحمد بن يحيى التتوفي (التتوفي ٨٩٢) وأظهر مؤلفه " فتوح

١١ من ٩٥-٩٦ .

١٢ أشهر كتاب الأحكام وقد نشره أحمد زكي (مطبعة ، ١٩١٤) .

١٣ ابن خلكان ج ٢ ص ٢٩٤ .

١٤ أشهر سيرة ابن هشام وسنن أبي يعقوب (مطبعة ، ١٩٢٨ - ٦٠) .

١٥ ابن خلكان ج ١ ص ٢٢٠ .

١٦ ج ١ ص ١٣١٧ .

١٧ نشره فون كريبز (مطبعة ، ١٩٢٦) وأخرى خلكان ج ٢ ص ٣٢٤ .

١٨ ابن خلكان ج ٢ ص ٣٢٦ .

١٩ نشره ساخو (مطبعة ، ١٩٢٩ - ٢٠) وابن جرير (مطبعة ، ١٩٢٩ - ٢٠) .

٢٠ نشره الطبري (مطبعة ، ١٩٢٢) .

البدائي « (١) و « انساب الاشراف » (٢) وهما أول من جمع قصص الفتح المختلفة وحبكها معاً في مؤلف واحد ، وكانت المؤلفات التاريخية قبله تقتصر على ذكر فتح واحد أو وقعة واحدة خاصة .

أنديم المؤرخين الرسميين

وقد آن الاوانت لظهور المؤلف التاريخي الرسمي مبنيًا على هذه الأساطير والتقاليد والأحداث والسير والانسب والحكايات . وكان المثال الذي احتذاه المؤلفون فارسياً في الأصل على طريقة « خدائي اسمه » (كذب النبوك) وكان قد قدمه إلى العربية ابن المقفع (المتوفى ٧٥٧) بعنوان « سير نبوك العجم » . وكان اقتضت المؤلفات العربية في الطلب والمناقشة الأصول اليونانية هكذا حرصت في التاريخ والانسب ، لأدبي نمطه الفارسية . وكانت العكارة في وضع تاريخ علي سكون فيه الحوادث الأولى مقدمة لتاريخ الاسلام مستمدة من التقليد اليهودي المسيحي . أما طريقة الاخراج فقد كانت مقدمة بسبب رواية الخبر النبوي بمعنى أن كل حادثة كانت تروى بين أحد شهود القبول أو من بعدهم من ثم انقلبت إلى أن يصل راويها الأخير وهو المؤلف فيذكرها . وبذلك رسمت الأساليب كما ونسب هذه الكتب إلى الكتب السابقة أو العنصرة . يحدث فيها واحد عن آخر عن ثبات وهو حراً .

ومن هنا أدت هذه الطريقة في وضع أصول المتأنيق والتدقيق إلى تعيين تاريخ الحوادث بحيث كان يذكر بدقة حتى الشهر أو اليوم الذي وقع فيه . لأن من صدق الرواية لما يقع عليه على تحييص الكلام المروي وفحصه وفحصه بل قدم على اتصال الأسانيد وسنده المقاطعها واللقاة روايتها . وإذا استلزم عنصر الصدق الشخصي في اختيار سلسلة الرواة وتجميع الأسناد وترتيب الروايات وسيقها فالتأليف المورخ بالروايات نفسها وتحليلها وتقديمها ومعارضتها وتحييصها كانت فيلًا .

(١) تدمر دي غاييه (بعد ١٨٦٦) و ترجمه إلى الإنجليزية حتى ومرتني (١٨٦٦)
The Islamic State (New York, 1900, 1st pt. 2nd pt. F. C. Munksgaard (New York, 1924).

(٢) نشر التورث ج ١١ (براينر ١٨٨٣) وموبين ج ١ (القدس ١٩٣٦) وشيخ سنجري ج ١ (القدس ١٩٣٨) .

ومن أولئك هؤلاء المؤرخين الذين كتب محمد بن مسلم التوراني المعروف باسم قتيبة
وفد إلى في بغداد سنة ٨٨٩ بعد الهجرة « كتاب التاريخ » وهو مختصر في التاريخ
وهو نسخة أم حنيفة أحمد بن داود بن توري (٣) (توفي ٨٩٥) وقد عثر في كتاب
(ص ١٠) (توراني) في التاريخ القديم (والتاريخ القديم) « لاخير الخوارج » وهو
أرجح عدم من وجهة النظر التاريخية. وكان كلامه إسرائيلي الأصل وهو غير التاريخ كذا ذكر
في ذلك وقوله الحق. وقد ظهر في عصر نفسه ابن راجع البغدادي الخراساني في
التاريخ كتاب « شامل عام » في سنة ٢٥٨ / ٨٧٢ وقد حفظ فيه الفكرة القديمة
الدينية الخاصة. ومن راجع هذه الفكرة أيضا حمزة الأصبهاني الذي عثر في الصفح
سبب توفي في حدود سنة ٩٩١. وقد عرفت مذكرة التاريخية القديمة في حدود
في الخلافة قبل أن تعرف كثير من الكتب فيها. وهذا هو تاريخ ابن راجع
هو مكتوبه (٤) (توفي ١١٣٠) وقد عثر عليه في كتاب « تاريخ » في
والتاريخ عام (٥) (توفي ١١٣٩) سنة ٣٩٩ - ٩٧٩. وكان مكتوبه في حدود
عام. وهذا من مؤرخي الطبقة الأولى التي كان يسمونها « قديمي » وسموهم « قديمي ».

الشمري

ولم أجد غير محمد بن جرير الطبري (٨٣٨ - ٩٢٣) في طبرستان وهي البلاد الفارسية
الخاصة بالحاضرة الساسانية البغدادي من عرق زون وترك شهرته على تاريخه العظيم الفصل

١. تاريخ طبرستان من ٨٢٧ - ٩٠٩. مؤلف: محمد بن جرير الطبري. طبعته في طبرستان سنة ١٢٣٣.
٢. تاريخ طبرستان (٩٠٩ - ٩٦٩).
٣. تاريخ طبرستان من ٩٦٩ - ١٠٢٩. مؤلف: محمد بن جرير الطبري. طبعته في طبرستان سنة ١٢٣٣.
٤. تاريخ طبرستان من ١٠٢٩ - ١٠٩٩. مؤلف: محمد بن جرير الطبري. طبعته في طبرستان سنة ١٢٣٣.
٥. تاريخ طبرستان من ١٠٩٩ - ١١٣٩. مؤلف: محمد بن جرير الطبري. طبعته في طبرستان سنة ١٢٣٣.
٦. تاريخ طبرستان من ١١٣٩ - ١١٨٩. مؤلف: محمد بن جرير الطبري. طبعته في طبرستان سنة ١٢٣٣.
٧. تاريخ طبرستان من ١١٨٩ - ١٢٣٣. مؤلف: محمد بن جرير الطبري. طبعته في طبرستان سنة ١٢٣٣.
٨. تاريخ طبرستان من ١٢٣٣ - ١٢٩٩. مؤلف: محمد بن جرير الطبري. طبعته في طبرستان سنة ١٢٣٣.
٩. تاريخ طبرستان من ١٢٩٩ - ١٣٥٩. مؤلف: محمد بن جرير الطبري. طبعته في طبرستان سنة ١٢٣٣.

الدقيق المسمى « اخبار الرسل والمنلوذ »^(١) وعلى نحره انشور للقرآن المعروف بتفسير الطبري^(٢) وقد وضع التفسير في الأصل بشكل أكبر، وهو فضلاً عن انه أقدم الشروح فإنه يعد أعظمها وأوسعها . وكان الطبري أول من نشط لهذا العمل الخطير فأصبح تفسيره مصدراً استقى منه مفسرو القرآن معلوماتهم فيما بعد . وكذلك كان تاريخه النفيس العام ، وهو أول تاريخ كامل في اللغة العربية ، مصدراً استقى منه المؤرخون اللاحقون مثل مكويه وابن الأثير وإبي القداء . ولا يخرج المؤلف فيه عن نظام التواريخ الإسلامية الأخرى من حيث سرد الحوادث مرتبة على أساس السنين الهجرية . والواقع ان تاريخه يبدأ بحق العالم وينتهي عند سنة ٩١٥/٣٠٢ . وعلى هذا الأسلوب جرى الواقدي قبله في تدوين الاخبار كما جرى مكويه وابن الأثير وإبي القداء^(٣) (١٢٧٣ - ١٣٣١) والذهبي^(٤) (١٢٧٤ - ١٣٤٨) بعده . ويقال ان تاريخ الطبري كان في أصله عشرة أضعاف حجمه الآن . وقد راعى المؤلف في تدوين الوقائع طريقة الاسناد التي أتتها رواية الحديث . وفضلاً عن استعانته بالمصادر الأدبية والتاريخية المتداولة في عصره كوثائق ابن اسحق والكلبي والواقدي وابن سعد وابن الفقع وطائفة من الاخبار التاريخية المترجمة عن الفارسية فقد جمع في كتابه كثيراً من المعلومات التي سمعها في أثناء سفاره وما اخذه عن شيوخه في بغداد وغيرها من مراكز الفكر . وقد بلغت به سفاره في طلب العلم الى فارس والعراق والشام ومصر^(٥) . واحتاج مرة الى قوته الضروري فباع ردي قيمته واشترى بثمنها خيراً . ويمكن ان تكون لانفسنا فكرة عن غيرته للعلم ونشاطه في العمل مما اشيع عنه من انه مكث اربعين سنة يكثف في كل يوم منها اربعين ورقة^(٦) .

(١) مشروعه دي توبه في ١٥ مجلداً (لندن ، ١٨٧٩ - ١٩٠١) .

(٢) اسمه الكامل : جامع البيان في تفسير القرآن ، في ٣٠ مجلداً (بولاق ، ١٣٢٣ - ٩) .

(٣) اظهر تاريخه المسمى ايضاً : المختصر في اخبار البشر ، في ٤ مجلدات (المطبعية ، ١٢٨٦) .

(٤) اظهر كتابه : دول الاسلام ، في مجلدين (جبر آباد ، ١٣٣٧) .

(٥) المهرت من ٣٣٥ .

(٦) ياهوت ج ٦ ص ١٢٦ .

المعري

هو أبو الحسن علي المعري (١) الملقب بـ « هرودوت العرب » وقد ابتدع طريقة تدوين التاريخ حسب المواضيع ، فلم ينظم الحوادث حول السنين بل حول الدول والملوك والشعوب وهي طريقة جرى على متوالها ابن خلدون وصغار المؤرخين . وكان من أقدم المؤرخين الذين احسنوا الاستعانة بالقصة أو النكتة التاريخية في سياق البحث . وكان ينسحب إلى المعتزلة القائلين بحرية الفكر ورحل وهو شاب في طلب العلم على عادة النساء في زمانه فزار من بغداد (٢) مسقط رأسه إلى الشرق حتى زنجبار نفسها وزار أكثر الاقطار الآسيوية ولم يكن هناك مجالاً للشك في انه بلغ الصين ومدغشقر . اما المقتد الأخير من حياته فقد قضاه في مصر والشام عاملاً في تسيق المواد التي جمعها في مصنف كبير يقع في ثلاثين مجلداً حفظها موجز منه عنوانه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » (٣) شهي حوادثه في سنة ٩٢٧/٣٣٦ . وقد تاملت في هذه الموسوعة التاريخية الجغرافية المسكرة الجامعة في نفس المؤلف وحب الاستطلاع العلمي نمت حلتته على البحث في ما يقع وراء نطاق المواضيع الإسلامية البحتة مما يتعلق بتاريخ الأمم الهندية والآرية والرومانية والعبرية وديانات هذه الشعوب . وقبل وفاته في القسطنطينية سنة ٩٥٦ اختصر آراءه في مقدمة التاريخ والطبيعة وأضاف إلى ذلك انصل به من الآراء الفلاسفية المعروفة عن درجت الأرنف . القاصلة بين التمدن والنبات والحيوان (٤) ووسمها في كتب يقابل بكتاب بيشوس اسمه « التنبيه والأشراف » (٥) . وقد بلغ من التأليف التاريخي العربي أعلى مراقبه فيها خفقه الطيبي والمعري ، واخذ بعد مسكوبه (انتهى في ١٠٣٠) يسر بخطى سريعة نحو الانحطاط . وقد اختصر عز الدين ابن الأثير (٦) (١١٦٠ - ١٢٣٤) محتويات تاريخ الطيبي ووضعها في كتابه « الكامل في

(١) متولد من بغداد ابن مسعود .

(٢) أخذاً من سنة ١٠٤٠ في حمله من العرب ، قبل وفاته بـ ١١١٩ .

(٣) نشر ورجة ديجامبارة ودي كورت في ٩ مجلدات (١٠٥٦ - ١٠٦٢) .

(٤) طاب في رسائل الخوان صفا ١٠٠ ص ٢٥٢ - ٨ .

(٥) نشره دي غوز (١٨٩٣ - ٤) .

(٦) ولد بجزيرة ابن عمر على يد ورجة في تونس . ابن خنكاح ٢ ص ٢٤ - ٦ .

فن في التاريخي اعظم المؤرخين .

عالم الدين

ونظرة الآت في الحركات الفكرية التي وجدت النظرية العربية لاسلامية ونهضة
الاحدث والحدث والحقه وفقه ملة وصول ملة . فقد كان نظره العمدة في هذه الملة في عرب
على قبض القلب والملك وبر صيت والكهوية التي كان رجلا اعز من اصل مصري او
يهودي او فارسي .

ثم ان هذه الامم العرب وعندهم انجبت في كثر هذه الملة التي دعت اليها
المنفعة الدينية . فضرورة هذه ملة في القرآن واضح فوافقه والبرهان صحت حقا لا كبر
لذات الاقليات العميقة والاشياء الموروثة الدقيقة . و ان من التمكن منه بين . مصري في
دمشق خلال القرن الاول للهجرة ومع من التفكير المسمى اللاهوتي الذي وصل الى شوا
مصري ارحمة واقدرة التفكير بين .

اما مصدر العقائد الدينية في القرآن الكريم وانيه سنة * وهي عشرة عن الحمل التي
وتلاوه في زيرو . وقد توفقت السنة اول الامر شها في ان هذه الملة التي لها حركة قدوات
وحملت في الحدث . فحدث ان هو نص محفوظ يدور على عمل الله الذي او امر افرد او
هو كتابه فيه . على انه قد يطلق عليه اوسع على ما تحته اوقية الصحابة والتابعين وكانت
لاحديث النووي او عظيم في تطور الفكر الاسلامي وادغم من انه دون القرآن منزلة . فحدث
كلام الرسول وقرآن كلام الله . وفي الحديث يستت ان المعنى المقوم به قبل كل شيء .
اما القرآن فالمفاد فيه كالمعنى معبر وفي وهو المصدر الاول الاعلى لنطقه والكلام ثم يشوه
الحدث . وليس بين شعوب الارض كذا غير المسلمين من ان من مجموعة الاحداث الدينية
وكثير الكتب التي منى بالاقليات عند قلة طائفة .

علم الحديث

في عمل الامر بالمسلمين المتدينين لا غير حتى زوال ان علم الحديث هو العلم الحقيقي دون

الاستنتاج مرق لاسلامية في اصل هذه .

وهي ملة * سنة * لاسلامية * سنة * و * حريفة * و * كانت بكلمة معان اخرى صالحة .

سواء (١) . فكان طلاب العلم يرتحلون في طلبه امتثالاً للحديث المرفوع « اطلبوا العلم ولو في الصين » . قاطعين المسافات الطوال ومحاملين المشقات في أسفارهم في اقطار الاسلام . واصبحت الرحلة في طلب العلم (٢) تعيب في عداد الأعمال المستحسنة التي يفتخ بها المدين . ومن تمت وهو يقوم بها فكأنه مات في الجهاد .

وفي خلال القرنين الاول والثاني ونصف القرن الثالث ازداد الحديث المنسوب الى النبي وغازت مادته . وكان كما نسب خلاف بين فريقين من المسلمين دينياً كان او سياسياً او اجتماعياً . عمد كل من الفريقين الى حديث النبي محاولاً ان يظهر بما يؤيد دعواه غير مبالي ان يكون ذلك الحديث صحيحاً او غير صحيح . وقد ادى الى وضع الحديث وزباده وتسميته وتوسيع نطاقه امور كثيرة منها اختلاف السياسي بين علي وابي بكر والخمومة بين معاوية وعلي والمعاد بين بني العباس وبني امية والتنافقة بين العرب وغير العرب . هذه الاسباب وامثالها من الامور الطارئة هيأت السبل لتلفيق الحديث على النبي ونسبه . زاد على هذا ان صناعة وضع الحديث اصبحت من الموارد التي تدر على اصحابها مالا كثيراً . وقد اقر ابن ابي العوجاء قبل اعدامه في الكوفة سنة ٧٧٢هـ وضع اربعة آلاف حديث حرماً فيها الخلال وأحل الحرام واذاعها في الناس (٣) . وقد يقال بوجه عده ان الاحاديث المنسوبة الى مدرسة المدينة كانت اكثر قيمة او اقرب الى الثقة من احاديث مدرسة الكوفة الا انه ليس كل رواية الحديث في المدرسة الاولى ممن تعتمد روايتها او يصح الأخذ بما نقل عنهم . فقد نسب الى ابي هريرة الصحابي المعروف بغيرته وانفصاعه في نقل الحديث ونسبه انه روى اكثر من ٥٣٠٠ حديث (٤) وليس من شك في ان كثيراً منها قد حمل عليه . وتقلت عائشة ٢٣١٠ أحاديث واخرج انس ابن مالك ٢٢٨٦ وعبد الله ابن عمر ابن الخطاب ١٦٣٠ (٥) .

١ : راجع مصلى ٥ : ١٢٧ في البخاري ج ١ ص ١٦ ومايلي .

٢ : راجع ابن خلدون : المقدمة ص ٤٧٦ : Alfred Guillaume, *The Traditions of Islam* (Oxford, 1924), pp. 68-9 .

٣ : البخاري ج ٣ ص ٥٧٦ ونقل عنه ابن الأثير ج ٦ ص ٣ : قال البغدادي : محض من ١٦٦ .
٤ : ابن حجر : الامامة ج ٢ ص ٢٠٩ وقد قيل في سبب اتمه : اني هريرة : القوال كثيرة منها وله

بالخطاب : ابن قتيبة : المعارف ص ١٤٩ : ابن سعد ج ٢ ص ٢٢ .

٥ : تنويري ص ١٦٥ : ٣٠٨٠ .

وفي كل حديث تام أسناد ومتن والمتم يتلو الأسناد ويجب أن يكون مروياً بنصه الأصلي حرقاً كأن تقول مثلاً: حدثني فلان قال حدثنا فلان عن فلان قال حدثني فلان أنه سمع النبي قال كذا وكذا.... وهذه العينة نفسها درج عليها بعض المؤلفين في كتابة التاريخ والأدب الحكمي. وفي كل هذه المواضع كان النقد سطحياً يقتصر على معالجة الرواة ومقدار صدقهم وثقتهم وامتناعهم في النقل والعمل بأسانيدهم اتصالاً لا غبار عليه. وعلى هذا الأساس حذفوا الحديث وحفظوا منه الصحيح والحسن والضعيف^(١). أما الاهتمام الزائد بنقد الحديث خارجياً (أي من جهة أسنده فقط) فقد أدى إلى مثل الحكاية التي يروونها من أن محدثاً ركب سفينة فشرب دواء مبالاة قدح خمر قدمه له نصراني فقال له النصراني: إنها خمرية. فقال المحدث: من أين علمت؟ قال: اشتراها غلامي من يهودي. فقال المحدث للنصراني: «ما رأيت أحق منك نحن أصحاب الحديث شكك في مثل سفينة ابن عيينة ويزيد ابن هارون الفهمي نصراني عن غلامه عن يهودي؟ والله ما شربها إلا لضعف أساندها^(٢)».

كتب الحديث السنن

وقد كانت أن جمعت في القرن الثالث للهجرة كتب الحديث الستة فأصبحت مرجعاً في هذا الباب. وأولها بل أوثقها عند السنة «صحيح» محمد بن اسماعيل البخاري (٨١٠ - ٧٠) وقد جمع فيه ٧٢٧٥ حديثاً كانت قد استخلصها من ٦٠٠٠٠٠ حديث سمعها من ألف شيخ في مدة ست عشرة سنة قضاه سائحاً دارساً في العراق والشام والحجاز ومصر^(٣) ورواها بموجب مواضع كالحلالة أو الخبيخ أو الجهاد الخ. ولا يضم البخاري في صحيحه حديثاً إلا وثقه قبل ذلك وصلى ركعتين^(٤). وقد رد متون الأحاديث كلها إلى أسانيد لها وأسانيدها إلى متون فقرر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل ورفعوا صحيحه إلى منزلة الأولى بعد القرآن فكان له أعظم تأثير على العقيدة الإسلامية. وقد دفن البخاري بجوار سمرقند ولا يزال قبره

١ - راجع إلى ما كرج ج ٢ ص ١٨ وما يلي: ابن خلدون، المقدمة ص ٢٧٠ وما يلي.

٢ - راجع ص ١٢.

٣ - الجامع الصحيح، في ٨ مجلدات (بولاق، ١٢٩٦).

٤ - انوري ص ٩٣ - ٩٤ - ٩٥.

٥ - بن حنبل ج ٢ ص ٢٣٩.

هذه من رواية أحمد بن حنبل في مسنده.

وهذه كتب أخرى في الحديث بكتاب ينفذ في صحيح البخاري هو صحيح مسلم بن الحجاج
القيروني (توفي ٢٦١ هـ) وتساوي محتواه في صحيح البخاري وثاني الأئمة قد اختلف
وفي تصحيحين أربعة كتب أخرى في الحديث اتفق المسلمون على اختلاف مجازاتهم في مؤلفي
الدين هي «سنن» أبي داود البصري (توفي ٢٤٨ هـ) و«جامع» القوي (توفي ٢٩٧ هـ)
(٢٩٢ هـ) و«سنن» ابن ماجه القزويني (توفي ٢٤٦ هـ) و«سنن» أبي شيبة (توفي في مكة
سنة ٢٤٥ هـ).

وفضلاً عن إخراج الحديث في الكتب وسرحها في لافها في فقهها في
الدين ما في الرسول وبين وأحدث يؤمن في كل مدعي الحديث كثيره ومعهده ، وثاني احدا
مثلاً قصة الامراء التي وردت فيها آية قرآنية واحدة (الآية الاولى من سورة الاسراء) وهي
جاء في الحديث مرفوعة بصف شاذ مسبوقة عرقه الغرب في بعد وطهر ثم في كنيته في .
وبما في الحديث كذلك كثير من الحكم والنواميس والامثال والكرامات والعجائب - سورة
الى الذي وهذه الامور مستفدة من مصادر مختلفة ومنها الاحاديث . وقد اخرج ابو داود
حديثاً مرفوعاً فيه ما يقرب كثيراً من الخلافة الربانية - اي الذي في السموات - وخرج
البخاري ٢٠٠٠ ومما ١١١ حديث عن ابي هريرة مرفوعاً الى النبي (وقد نقل عن ابي هريرة
كثير من هذا القبيل) فيه : «ورجل عذق بحذقة فأخذه حتى لا يم تململه صنعه بيده»
ولي هذا وأمثله ما يدل على قبول الاسلام لكثير من حكم لامب الأخرى وليس من شك في
ان الحديث أثبت الاسلام .

الشرعة

ليس في العصور الوسطى بعد الرومانس من عني غير العرب بعد الشريعة وجمعه نظاماً

١. هذه طائفة كثيرة غلبت على كتاب ما في مصر وانما ونكتها غير عمية .

٢. (القاهرة ، ١٢٨٠) ج ٢ ص ١٠١ .

٣. ج ٢ ص ١٠٥ .

٤. (تل أبيب ، ١٣٦٩) ج ١ ص ٢٢٩ .

مستفلاً إذا أصول وقد كان هذا النظام وهو الفقه ^{١٠} منياً في الدرجة الأولى على القرآن والسنة
وهو لأصحاب الرئيسين وليس من شك في أن الفقه المذكور بنظام البيروني الرومي، وبواسطة
الفقه اتصلت الطريقة ^{١١} (وهي وأمر الله تعالى في القرآن والتوضيح في الحديث) بالعلوم
الشرعية، وشمل هذه العلوم القوانين التي يجب أن تراعى في المعاملات (العدالت) والعمليات
المدنية والشرعية (المعاملات) والقوانين الجزائية (المقدمات).

وليس في آيات القرآن التي تزيد عن ستة آلاف ما يخص بالشريعة سوى ما في آيات
السور المدنية والكثير في سورة البقرة وسورة النساء، وما استلزمه من القوانين التي
الشرع الذي تضمنته هذه الآيات، من كل أنواع المقاصد المدنية والجزائية والسياسية التي
أحدثت حرص المسلمين بعد استقرارهم في سورية والعراق وسواهما من الأقطار وفتح من
البيروني أن يحلوا في الأول، وعند الأول، فمحدثين من البيروني في الأساس
عن طريق الطريقة والمطبعة، والأجمل في الحق لأمة، وهو بين القاضين - ليس
والأجمل - أصبح لفقه أصحاب العديد من تصوف إلى الامميين الرئيسين - القرآن وحديث -
الذي "أرأى" أن كان قد اعتمد عليه بعض الفقهاء ولم يرق إلى درجة الأصول لأمة
المذكورة، وهذا ما ثبت تاريخاً في تاريخنا من حيث هو، فإنه أصبح من المعلوم
بعض دستور الفقه الإسلامي - قال النبي: "مما نزل به حكماً قول: لا تكذبوا" ^{١٢} قول:
"من لم يجد قول أئمة رسول الله، فلن أقبل ما أحدث قول" ^{١٣} قول النبي:
أحدث الله الذي وفق رسول الله ما يرضاه ^{١٤}.

من الكتب الستة السابقة وأتمتها

كان الأمام أبو حنيفة النعمان ابن أبيب - وهو مؤلف فريسي لأصل ^(١٥) - على رأس
المدارس العراقية التي تقول وجوب العمل بأرأى ولا تنسب في الأمور العقلية منقضة كانت

١٠ معناه الأصلي: طريقة، وهو مكتفٍ.

١١ تاريخه في الأصل: طريقة، وهو قد شرب له ما سمعت به من أبي حنيفة وجوب لم يرد.

١٢ المهرستاني ص ١٥٥.

١٣ المهرستاني ص ١٥٥: "أين منكم من قال: لا أحدث قول أئمة رسول الله؟"

المدرسة المدنية التي تعتمد الحديث^(١)، وقد زها أبو حنيفة في الكوفة وبنداد وتوفي سنة ٧٦٧. وكانت قد اعترف التجارة ثم مال عنها إلى الفقه فاصبح اعظم علمائه في الاسلام وقد افضى بتلاميذه شعباً تلاميذه ومنهم أبو يوسف (توفي ٧٩٨) الذي دون في مصنفه كتاب الخراج^(٢) زيادة آراء شيخه. على ان ابا حنيفة لم يتدع قانون القياس بل دعا اليه وعمل به كما انه دعا بشدة ايضاً إلى حق الاستحسان^(٣) أي العدول عن القياس متى اقتضت العدالة ذلك. وكان كما مره الامام مالك في المدينة في انه لم يفكر قط في تكوين مذهب شرعي، ومع ذلك فقد اصبحت مؤسس أقدم مذاهب الشرع الاسلامي وأوسعها وأكثرها تاهلاً، وإلى مذهبه ينتمي نصف العلماء السني تقريباً. وقد اعترف به رسمياً في كل البلدان التي كانت تخضع للسلطنة العثمانية الزائلة وفي الهند الاسلامية واواسط آسية ويعده فون كريتير^(٤) أعلى ما اوحده الاسلام من فقه ودية شرعية.

أما مدرسة الشرع في المدينة فمؤسسها الامام مالك بن أنس (حوالي ٧١٥ - ٩٥) (٥) وبعد الحكة من ابناء المدينة أقرب الشريعتين تمهيد حياة النبي وعقائده. وله مصنفه المعروف بالموطأ^(٦) وهو قد جمع مجموعة للشريعة الاسلامية بعد مصنف^(٧) زيد بن علي (توفي ٧٤٣) وفي الموطأ وقد حوى تمام ما سمعته حديث دونت السقا واصفدت للاجماع صيغته الأولى الرسمية بموجب عرف المدينة فاصبح المرجع الأعلى للمذهب المالكي ثم انتشر هذا المذهب في المغرب والاندلس وحل محل المذهبين الناضبين هناك مذهب الاوزاعي (توفي ٧٧٤) ومذهب الظاهري^(٨)

١ - الثوري ساني من ١٦٠ - ٢٠١ من خلفون، المقدمة ص ٢٧٢.

٢ - القاهرة ١٣٤٦.

٣ - الاستحسان، عدم الغلبة، والاستصلاح، عدم النكبة، وما يراه، يجب استعمالها كالإمام في أدلة القياس.

Culturgeschichte, vol. I, p. 197.

٤ - لاني ابن خنكاز ج ٢ ص ٢٠٩.

٥ - (١٣٠٢ هـ) وانظر أيضاً كتاب الدعوة الكبرى (القاهرة ١٣٢٣) في ١٦ مجلداً.

٦ - مجموع الفقه، نسخة عربية، ميلان ١٩١٩.

٧ - هو داود ابن خلف الأصبهاني (ابن خنكاز ج ١ ص ٢١٢) وكان بالظاهري الفقه موجوده الحد معي فرائد وأحدث الظاهر دون لياض الأمان تعاليمه ثم تمت بالرغم من ان ابن حزم القرطبي (٩٩٢ - ١٠١٢) المواقف المشهور كان من دعايتها.

(٨١٥ - ٨٣) ولا يزال الى يومنا معسولاً به في انحاء افريقية الشمالية باستثناء الوجه البحري من مصر وفي شرق جزيرة العرب . وقد بلغت دراسة الشريعة الاسلامي بعد ابي حنيفة ومالك شأواً عظيماً واصبحت اكثر العلوم العربية اتساعاً .

ثم ظهرت مدرسة ثالثة للشريعة توسطت بين العراقيين المتساهل والمذنبين المحفوظة ودعت الى سبيل الاعتدال قاتلة بطرؤ القياس مع بعض التحفظ وهي المدرسة الشافعية التي اسسها الامام محمد بن ادريس الشافعي القرشي المولود في غزة سنة ٧٦٧ . وقد درس الشافعي على مالك في المدينة ولكنه قضى حياته في بغداد والقاهرة (١) حيث توفي سنة ٨٢٠ ولا يزال شريعته في سائر النقط مزاراً يقصده الزائرون . ولا يزال المذهب الشافعي متبعاً في الوجه البحري من مصر وفي شرق افريقية وفلسطين وغرب الجزيرة العربية وجنوبها وسواحل الهند وجزر الهند الشرقية . ويبلغ عدد اتباعه ثلاثة وسبعين مليوناً يقاسمهم من الخلفيين مئة وثمانية عشر مليوناً ومن المالكيين ثلاثون مليوناً ومن الحنابلة ثلاثة ملايين .

واخر المذاهب السنية الاربعة المذهب الحنبلي نسبة الى الامام احمد بن حنبل نزيل الشافعي واحد اصحاب الحديث المشهورين . وقد عرف الحنبلة بشدة المحافظة وطائفاً وقفوا سداً منيعاً في وجه تيار الحركات التجديدية التي نظمها المعتزلة في بغداد . وقد محمد بن حنبل المحدث التي نعرض لها فذهبن وسبق مكبلاً بالحديد في زمن المأمون وسيم العذاب بامر المعتصم ولكنه صبر على ذلك كله ولم يجرع بل لزم ايمان السلف الصالح (٢) . وكان له مقام عظيم في نفوس الناس بحيث قدر من حضر جنازته ببغداد سنة ٨٥٥ (٣) بمائتي الف رجل ومستمين الف امرأة واصبح شريعته مزاراً مكرماً في الاجيال اللاحقة ودعي اماماً كابي حنيفة ومالك والشافعي . وكان للاحاديث المجموعة في مستند (٤) والتي تزيد على ثمانية وعشرين ألفاً أهمية خاصة ولكن ليس للمذهب الحنبلي اليوم اتباع كثيرين غير الغهابيين .

١- ذيل ١٠٠٠ ج ٦ ص ٣٦٧ ومايلي ٤ ابن خلكان ج ٢ ص ٢٠٥-٢٠٦ .

٢- ابن عساکر ١ تاريخ ج ٢ ص ٥١ ومايلي .

٣- ابن خلكان ج ١ ص ٢٨ .

٤- في ٦ مجلدات (القاهرة ، ١٣١٣) .

ومدة حتى القرن السادس الميلادي.

المصنف الرومي

إن المعرفة ذات أهمية التي لا يمكن أن تكون من غير معرفة حقيقة من طبيعة وطبيعة وشؤون الحياة المختلفة مع غيرهم. وهي كذلك ليس السلوك والآداب الخفية في المجتمع الإسلامي، وتوجهه. سميت بحل سر من طرفة عين هي ولا يحسن شيء. وهذه هي الحقيقة التي لا يمكن أن تكون حقا. ومع ذلك، فإنها ليست من الغزوي سر، على فوهة ولا إله على تركه. إننا نلاحظ أن كل ما ذكره في الذكر والذكر ولكن لا يقرب من حصة عليه، حصة حصة الذي يستحق من كية الغائب.

مع أن التصنيف الأخلاقي نسبة إلى القرنين وحدثت كثيرا منهم لا تشمل كل ما صدقته العرب في علم الأخلاق. فهذه هي الأقل ثلاثة أوجه أخرى. أما كتب الأدب التي من حسن السلوك وآداب التصرف وهي تخرج، لا أكثر في أصول هدية هدية من المواقف والأمثال والحكم والذوق الخفية. (١) لأن المقام (١) وقد أعده حوالي (٧٥٧) وهي تدرج الاعتدال والشجاعة والكرم والمصحة والشهيرة في العمل. ومن هذا القليل أمثال قمان، أسوب العرب، ودراسة أخلاقية (١٠٥٨) التي أشتهرت دولته من الأصول الدستورية ففي هذه الرسالة حكم مسوية إلى الرسول والصحة وهي لا تزال تدرس في بعض مدارس مصر وسورية. أما النوع الثاني فهو فلسفي يرجع إلى حاتم الرسطو والمدرسة الأهلونية الجديدة والمدرسة التبعثورية الجديدة. وأهم هذه المؤلفات الأخرى التي استمد منها العرب كتاب الرسطو الذي نقله حنين أو ابنه إسحاق بن حنين. «كتب الأخلاق» فوضعت عليه أسس علم الأخلاق العربي وغرسه كغرس الرسطو وأفلاطون تسهيل الحصول

(١) نظر جامعي جده ج ١ ص ٢٠٠-٢٠١.

(٢) نشرها شكيب أرسلان (بيروت، ١٩٩٧).

(٣) أدب الدنيا والدين - طبعة سادسة عشرة (دمشق، ١٩٦٤).

(٤) قابل المبرهن ص ٢٥٢.

على السعادة الارضية . واجل المستغاث في هذا الموضوع كتاب « تهذيب الاخلاق » (١) لمسكويه وهو افضل كتاب ادبي بين الكتب الفلسفية الاسلامية الراجعة الى اندرسة الافلاطونية الجديدة . وفي رسائل اخوان الصفاء - ومنها واحدة هي التاسعة تدعى بالاخلاق - مجموعة من الافكار الادبية الاغريقية يتخذها تأملات تعجيمية ونظريات غيبية غيبية . وتظهر في كتابات اخوان الصفاء ميول خاصة لجعل المسيح او سقراط مثالا للرجل الكامل . مع ان الصفة تعتبر عمداً الرجل الكامل والشيمة عليا . اما الطبقة الثالثة من كتب الاخلاق او الفلسفة الادبية فيمكن تسميتها بـ « الكتب العقلية الصوفية » ومن رجاها الغزالي وبعض المؤمنين الصوفيين ممن سئلواهم في فصل قادم . وفي كل هذه الفلسفات الاخلاقية بنوه الاسلام بفضائل معينة كالتسليم لارادة الله والقناعة والصبر وبعد الرذائل علماً غيبية وليس لها سوى فيلسوف الاخلاق طليبا . اما تصنيف هذه العمل فقام على تحليل القوى النفسية واظهار ما لكل قوة من فضيلة او رذيلة .

الادب

في اوائل الدولة العباسية نشأت بين الشعوب المغاوبة ولا سيما الفرس حركة حربية بالفرس ترمي الى مقاومة روح السيادة والافضلية التي كان يبدونها المسلمون العرب وقد نشأت هذه الحركة بالشعرية (راجع سورة الخجرات : ١٣) وكان قوامها الدعوة الى النسوة بين كل المسلمين . ومع انها كانت تتجلى بين الخوارج والشيعية بشكل سياسي حزبي وتصلح في بعض الاوساط الفارسية بصفة دينية كالزندقة وما اشبه فانها قد اتخذت على العموم شكلا من الجدل الأدبي وراحت تسخر بما يدعيه العرب من غفوف عقلي وتزعم بدورها ان الشوف في الشعر والادب كان غير العرب . وقد زعم الشعورية من رجال الادب جماعة كاثيرون وحجرة الاصمغاني بيتا دافع عن العرب جماعة من العرب وغير العرب اصلاً منهم الجاحظ (٢) وابن دريد (٣) وابن قتيبة والبلاذري . وكان بمثابة هذه الخصومة بين الفريقين انشأ وضعت

(١) طبع مراراً في القاهرة وليس فيها طبع عمية .

(٢) البيان ج ٣ من ٩ وما يلي .

(٣) من اصحاب الحاج تولى في بغداد سنة ٩٢٣ . وقد هاجم شعورية في كتاب الاغاني الشعرية وساعد

(غوتفرد ، ١٨٤٥) .

طلاقة من القطع أو الرسائل المتكررة في الأدب العربي .

وما نسميه بالأدب العربي لم يكن عربياً صرفاً فوجدناه مختلفوا الأجناس وهو يتلخص بتجميعه
انتاج حضارة لا انتاج شعب معين (١) . حتى في ميادين فقه اللغة ومفرداتها وحرفها وأحوالها
وهي علوم عربية الأصل والروح تجلى فيها نبوغ العرب وإبتكارهم - قول حتى في هذه
الميادين - فأننا نقرأ عن أعلام لم يكونوا عربياً - فالجوهري (المتوفى حوالي ١٠٠٨) الذي
أصبح معجمه (٢) نموذجاً لأصحاب المعاجم اللاحقين (وقد رأيت على أساس الحرف الأخير
من حروف الفعل الجرد) كانت تركيماً من قاراب (٣) ومعاصره ابن جني المتوفى في بغداد
سنة ١٠٠٢ وهو صاحب الخصائص في فقه اللغة كان أبوه ثلوكا يونياً (٤) .

المؤدب بمفناه الدقيق

بدأ الأدب العربي في مفناه الدقيق بالمحافظ شيخ أدباء البصرة (المتوفى ٨٦٨) وبلغ
قمته في القرنين الرابع والخامس للهجرة في كتابات بديع الزمان الهمذاني (٩٦٩ - ١٠٠٨)
والشمالي (٥) التنبخي (٩٦١ - ١٠٣٨) والحريزي (١٠٥٤ - ١١٢٢) . ومن مزايا
التنفي في هذا العصر المبني (تأثراً بالأدب الفارسي) إلى التعميل والتدقيق . فلا نجد والاقتصاد
اللفظي وبساطة العبارة التي امتازت بها العمود الأولى زالت واحتل مكانها أسلوب الزخرفة
والاناقة والتبسط في المخار والاقبل على السجع . وكانت الدراسات الكتابية في
هذا العصر تطلب على الدراسات العلمية . وهو من الوجهة الفكرية عصر احتضار عشت فيه
طبقة من مرتقة الأدب كانت الحاجة تدفع الكثيرين منهم إلى التنقل في طول البلاد وعرضها
دبلتهم المشاحنات على المسائل العلمية المذهبية والشذرات الصوفية والمجوبة العقيمة والتغالب
على سواهم في الشعر والنثر توفيراً إلى نيل هبات الأمراء والكبراء . وفي هذه الحقبة ظهرت

(١) لم يقدّم ابن خلدون من ٩-٤٢٢٠ فصل موسوعته في اللغة العربية في الإسلام أكثر من غيره .

(٢) الصحاح في جزئين (يولاق ١٢٢٩١) .

(٣) بلوت . أدباء ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٤) قصص الفصحى ص ٥٠ .

(٥) يعرف بالشمالي لأنه كان من . ابن خلدون ج ١ ص ٤٢٢ . وشعر كثره بديعة الشعر . أجزاء
(دمشق - ١٣٠٢) وهي مجموعة لأشعار معاصرة .

بقوله : « انه ديوان العرب ... وهو الخديعة التي يسمونها الأدب وأثنى عليها (١) وأهدى
أبو الفرج الأثري إلى سيف الدولة خدائي فغضبه الف رجل (٢) . ثم إن الخليفة الأندلسي
الحاكم الثاني أرسل له مثل ذلك ، وقد ذكر أن الف رجل أبو يحيى صاحب ابن عباد (المتوفى
٩٩٥) كان يستصح في سفره حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب ليقرأها ، فوصل إليه
كتب الأغاني استغنى به عنها . »

الف ليد وليد

وفي هذه الخفية قبيل منتصف القرن العاشر وضع في العراق المصنف الأول لكتاب الذي
عرف بهذا الاسم الف ليلة وليلة (٣) . وكان واضعه الجيشتاري (٤) (المتوفى ٩٤٢) وقد
بناه على أساس كتاب فارسي قديم اسمه « هزار افسان » أي ألف قصة يحوي حكايات هندية
الأصل . قيل أن عصر الجيشتاري أسودين فأخذ عنهم الحسن من حروف من الأسماء والخرافات
وأضاف إلى ما في الكتاب (٥) . لأن محور القصة وهيكلها وسماها إلهاماً وعطالاً . ومنه
شهرزاد مستمدة من الأصل العربي . وتطور الزمن أصبحت في هذه المجموعة حكايات جديدة من
مصر والهندية وحبشية وعربية ومصرية وغيرها . وأسربت إلى المجموعة حكايات
شرفية من مختلف الألفان أصبحت أيها مع الزمن وعرفت أيها مع الف رجل وكت ديدة
وغراميت من ابن هرون رشيد . غير أن الكتاب لم يتكامل شكلاً لا مضموناً حتى أو آخر
عصر الف ليلة . وقد كان في نوع مادة الكتاب والخرافات . برزت فيه مادة واحدة
التي كانت المعبر عن الف ليلة . من ناحية « الف ليلة وليلة » مجموعة حكايات
فارسية رويت للشبكة أشهر (٦) على طريقة دنا هرون رشيد في نهاية في هذه قرن الرابع

١٩ ص ١٩٧ .

٢ . ج ٥ ص ١٨٠ . ج ٢ ص ١٩٠ . ج ٢ ص ١٩٠ .

٣ . ج ٢ ص ١٩٠ . ج ١ ص ١٣٣ .

٤ . ج ٢ ص ١٩٠ . ج ١ ص ١٣٣ .

٥ . وهو معروف ، لاكن شكاً في كونه فارسي . وكتبه شهره هرون رشيد (ج ١ ص ١٩٢) .

٦ . ج ٢ ص ١٩٠ . ج ١ ص ١٣٣ .

٧ . ج ٢ ص ١٩٠ . ج ١ ص ١٣٣ .

عشر من تاريخ ميلادي * . وكان أول من قدم إلى لغة عربية غلاماً * (Holland) *
 فقد ترجمها إلى الأفرسية ثم غدت بعد ذلك في عهد نوري و آسية الحديثة الرئيسية وكانت
 مكانة كبرى فأصبحت أشهر وأختر لأدب العربي في الغرب، بل إن شهرتها في الغرب فوق
 شهرتها في الشرق الإسلامي نفسه. وكانت أول ترجمة لها إلى الإنجليزية بقلم جوردون وليامز (Gordon
 Williams) * . وهي ترجمة غير كاملة ونسكبه دقيقة وقد قرئت بشرح وف
 فهم وقد طبعت مراراً ثم ظهرت ترجمة جون بين (John Benbow) * فكادت أحدث
 اقترحت في لغة الانكليزية وهي كلمة لا ب حاية من شرح. أما شرح ريتشارد برن (Richard
 Burton) * فقد وضع ترجمة قسرية غير توفيقية من عدد آلاف الشربة وقبله
 الجوردون برن في أن تكون ترجمته أحسن من غيره بحولاً طاهر صيغة الكتاب الشرقية.

التأثير

كانت الشعر العديسة وهي تمثل شعر العروة في الشعر العربي نموذجاً للشعر المعاصر
 الأموي. ثم فقه شعر المعاصر العباسي فغنى به شعر الأموي من لأدب الكلاسيكي
 القديم أو سكن ظهرت في الشعر من حيث حادثة حوت إرباب الشعر على
 الاعتراف عن هذا الأسلوب العربي من فلكو في شعره طرفة حادثة. ومن هذه
 الملامح الحركة الحديثة التي شغلها العرب القدماء ومؤثرات الثقافة الأوروبية والاجتماعية
 الشيعة ولا كثر من حدة الفرس * . ثم رجع إلى السبي حسن الخدم من الشعراء والصلوات
 والمطال التي أغرقوه عليها. ومع ذلك فقد ظل في القرنين المذكورين تحفة على القديم
 وأنته شعر ترويح، دقة حلول معصومي التي مر بها. ولا يزال هناك حتى في عصرنا الحالي
 بعض قريبي الشعر في فطرة ودمشق وبعدها يستهونت فبما ندمه بالتوقف على التسلل

١ في ١٠ مجلدات (1903-07) * Lewis.

٢ في ١٠ مجلدات (1896-1911) * Lewis, (1903-07) * Lewis, (1903-07) * Lewis.

٣ London, (1903).

٤ London, (1882).

٥ في ١٠ مجلدات (1882-83) * Lewis, (1882-83) * Lewis.

٦ في ١٠ مجلدات (1882-83) * Lewis, (1882-83) * Lewis.

الحبيب واستيقظ ذكرب وشبه تيون الحبيب عيون
روح المصير .

وفي ضبيعة أحد الذين من شعر هذا العصر العربي شاعر عربي ضروري شاعر من بلاد
وقد فاته الشهدي سنة ٧٨٣ سبب هجته فوز بدقه يقول بعض - ولا يرجع إليه سبب
قتله كانت الزبدقة وما كانت يكتم من تعذيبه في الأشد ومضى - وكان شاعر من أشد
الناس نبوغاً وأحسن وهو الغاني - حمد الله الذي ذهب بصري - ولا يرى من الجفني -
وهو بعد من المحدثين الذين جرحوا على السبب شعر مقدم - ومن دقة مدرسة الشعرية
الجديدة أبو ولس ١٢١١ المتوفى حوالي ٨١٠ إيهو من الأفرسية وكان منزهة لأمين من الرشيد
ويشعر بحرية - ولا يزال اسمه مقروناً في نيوه بالعرف والعون - وفي نوعه في هذا من
براحه في مدان شعر العون وراثة الأسلوب فهو شاعر طر وتنهك وعت في التاريخ
الاسلامي دون مناد - وإن في غزله مذكراً في الشبه - معن (أو غيره) مني مدح
السيوي القاري والشرب - م مكن صورة حية لألمعية مرفقة في ذلك العصر (١٢١١)
وتقوم غزله في شمس على مقطوعات شعرية مقتضة يتروح مدح بها إلى طلبة وخصة
عظماء وقد جرى فيها طريقة عرس الذين أبو هذا الأسلوب قبل العرب والمسلمين -

وكان من أجل أن يخلص نفسه ويحفظه من حياة فاسد من حياة كاذبة ماني وانهذهبه
(٧٤٨ إلى حوالي ٨٢٨) - حياة زهد وخلق في حياة وبعد الحيد والتفكير
سواء الفقهية، وقد كان ينسب إلى قبة عزرة بولاء، وله منتهى من الأمر، ثم هذه منتهى
الطائفة التي قد غلبت زهد، ويرى على وهو متعدد عن أن يكون حياة بعد فترة واحد ينضم

१७५

[illegible]

$(\mathbb{Q}_p)_{\infty} = \mathbb{Q}(\mu_{p^{\infty}}) = \mathbb{Q}(\zeta_{p^{\infty}})$

[illegible]

فصاحبه الزهنية المشبعة باحترار الدين وحطامه شكل شعبي يعبر عن العواطف الدينية الرقيقة عند عامة الناس . ومع ان الزيد كان يخشى فيه في كل سنة خمسين ألف درهم فإنه ليس الخوف وتوهمه وقصر همه على الوعظ وشعر الزهد وبعد من هذه الناحية ابا الشعر الزهلي عند العرب (١) .

وقد ظهر في المصدر لاسي الشء في الخطبة العيسية فر من اثمة اشعر الشهره ابو تمام
(المتوفى نحو ٨٥٥) وامر العلامة . وكان والده بي ثمة حجاز او عطار بصراية بدمشق ٨٥٥
تاجوس (نذايوس) فخره ابو ثمة عند سلامه الى اوس (١٠) . ويبلغ تواتره في الشعر وتناقل
في الاقطار الاسامية وتوجد في مخطوطات عدة . ومذبح المأمون وسننم وتوافق . ولكن شهره
تركز بالاختصار على جمعه « ديوان الخصة » (١٣) الذي يحوي الكثير من دهر اشعر امرسي .
ال « ديوان الخصة » (١٤) لآدم الذي جمعه . ويحتوي (٩٧-٨٣٠) ساكنة فيه ضرب من ابي
ثمة . وهو ديوان خمسة ابي ثمة .

[illegible]

1885 - 1886

[illegible][illegible]

وہاں پہنچ کر وہ نے ایک کھوکھلی دھڑکی سے اس کی طرف اشارہ کیا۔

Journal of Management Studies, 19(1), 67-80.

الفصل الثامن والعشرون

التربية والتعليم

بدأ تربية الولد في المنزل كما يذكر العهد الذي يستطيع فيه أن يحسن التفق حتى يتولى والده أمر مربيته «^١ الكتاب «^٢ ثم ذكر «^٣ لأنه لا بد من وقاية المدرسة تربت عليه القيم تفرض الصلاة و... بدأ تربيته برسمية...»

التعليم الابتدائي

وكان الكتاب مدرسة الولد الابتدائية وكان مخصصاً لمسلمين لما كان المسجد ذاته، وقد قدم منهج الدراسة فيه على قراءة القرآن ثم على هذا الكتاب. وقد لاحظنا من خبرنا^(١) عند زيارته دمشق في سنة ١١٨٥ أن التمرين الخطية كانت لا تؤخذ من القرآن بل من الشعر وذلك «^٢ حريصاً» كتاب الله عز وجل عن التمثال تعبيراً بالآيات و «^٣ نحو «^٤ وكان الطالب يتعلم مع القراءة والخط الحرف والنحو وقصص الأنبياء، لا سيما الأحداث المختصة بالسيرة النبوية وقواعد الترياق الأساسية والأشعر لا يمكن غرامها. وكان مضافاً للمدرس في منهج الدراسة قسماً على الخط وقوة المذاكرة. وكان لأذكار من الطلبة في كتبهم مقدار إذا حفظوا المنهج يعمل والحمد لله على دأبه ويسر له في شوارع المدينة وينتشر عنه الثور وقد حدث مرة أن أصابت امرأة عين سيد فذهبت بعصاه^(١) ولا يزالون في بعض الأوساط إلى هذا اليوم يحتفون بالصبي إذا ختم القرآن في مكان حفظه. وكانت الولد إذا انتهى حراً من القرآن منح عطية يوم أو بعض يوم.

وكانت أبواب التعليم الديني الأولى مفتوحة للبنت ولكن لرغبة في زيادة تعبيرها لم

١ «^٢ بن صوفي، ج ١ ص ١٠٣.

٢ «^٣ ص ٢٧٢.

٣ «^٤ المجلد ١٨ ص ١١١.

تكن عظيمة ، وقد جاء في الحديث : « وخير العلم امرأة العزيز »^١ . وكان لأبناء اليسر
مؤثرون بعلومهم ، أصول الدين وحسن الأدب وفق النظر . وكثيراً ما كان هؤلاء المؤثرون من
الأعاجم . أما غاية التربية لأستطرابية ومثلها الغيب فيمكن أن ندركها من وصية الرشيد إلى
مؤدب ابنه الأمين حين قال : « أقرئه القرآن ، وعرفه الآثار ، ويزود الأشعار ، وعلّمه
السنن ، وبصّرهم مواقع الكلام ، وعلّمه . وامنع الضحك إلا في أوقاته ، وخذو تعظّم مشايخ
بنينا هلم إذا دعوا عليه ، ورفق بحسن القول إذا حضروا مجلسه ، ولا تترن بك ساعة إلا
وإنت مغتم فيها فائدة عيدة إياه من غير أن تحرق به قصبته ذهنه ، ولا تمن في مسامحته
فبستحي البراءة . وأمه ، وقومه ، ما استطعت بالتقرب والملاينة فليأت إمام فضلك بأشدّة
والمنطقه »^٢ . ونحو ذلك كان المؤدب يستعين بالعقد لتقوية الأخلاق إذا لزم الأمر وقد
رضي الخليفة عنه كما تضحى من ذكره . إن يطبق امره على ابنائه . وقد جاء في « رسالة
السيرة »^٣ : « لأن سداً فعلى » في تدبير الرجال وأنه يقول فيه : إن أولادك قد يحتاج إلى
الاستشارة بما يند بعد الأهل الشديد .

وما كان من إمراس في الكذب معصاً كان أو فقيهاً مبررة عالية في الهيئة الاجتماعية .
وقد قال بعض الحكماء : « لا تستخبر معصاً ولا راغب غير ولا كثير القعود مع السوء »^٤ .
بال مع الأمر بعد فقهه في أمور الدين مع شهادة المؤمنين إمام الحكماء . وفي الأدب العربي طائفة
كبيرة من المؤثرات النسبية على الأخلاق . إنظر غيد أو تحقق بحيث ضرب به أمثال فقبيل :
« الحق من معركته »^٥ . ولكن جعل الضيقة المالية من المعصين كانوا بوجه عام مؤثرون
احتراماً عظيم . وكانت هناك رابطة تربطهم في شكل غلبة . وكانت الشيخ إذا أهدى الطالب
عنده مسبق الدراسة المعروف أعطاه إحداً بذلك . وقد وضع الزروقي « رسالة في فن

١ - ابن جرير من ١٠٤٠ .

٢ - معجمي ج ١ ص ٣٢٦ - ٣٢٧ من غيدون . المصنف من ٢٧٤ - ٢٨٠ .

٣ - ابن جرير من معصي في ١٠٤٠ . المصنف من ١٨٠٦ - ١٨٠٧ .

٤ - المصنف من ١٠٤٠ .

٥ - المصنف من ١٠٤٠ .

٦ - معصي من ١٠٤٠ . المصنف من ١٨٠٦ - ١٨٠٧ .

التعليم سنة ١٢٠٣ خضع فيها فصلاً من يترتب على الطالب من الاحترام والاعتبار كحرفة
المدرس ، وذكر القول المذكور اسلوب الى الامام علي " من عظمي حرفة صحت له عبداً " .
وتعد رسالة الزرقاني هذه أشهر رسائل الموضوع في العربية في موضوع التربية وهناك نحو
اربعين رسالة في الموضوع نفسه لا يزال أكثرها محفوظة في مكتبات العامة ولا يطبع بعد .
دور التربية العالية

كان بيت الحكمة أول دار لدراسة العالية في الاسلام . وقد أسسه النعمان سنة ٨٣٠ في
عاصمته فهو علاوة على كونه دار ترجمة كان معهداً لهم مدرّس كتب عامة وله مرشد ملحق به .
وكانت المراسد التي ظهرت في ذلك الزمن مدارس لتعليم الفلك كما كانت استشفيات التي
ظهرت لأول مرة في هذه الحقبة مراسد لدراسات الطبية . ولحققت أول مؤسسة عممية في
الاسلام (١٢) بالمعنى الصحيح حيث اضطلع بسبب العباس واصبحت مثلاً لما قدم بعده من
دور التعليم العالي هي المدرسة النظامية التي تأسست في سنة ١٠٦٥-٧ نظام الملك وزير السلطان
الاب اسلان وولده ملكشاه وولي أمر الخدم . وقد سبقت السلاجقة في رعاية العلوم
ومدعهم هم تأسست في سنة ١٠٦٥ وسواهم من السلاجقة الا انهم لم يهتموا بذلك في
الاسلام . فقد كانوا يهتمون في ذلك اسبقاً منهم في ظهور . وقد خضعت المدرسة
النظامية لتعليم الفقه لاسم اصول المذهب الشافعي والنظام الاشعري الثاني . وكان علم الأدب
فيها قائماً على دراسة القرآن والشعر القديم كما كان قائماً في جامعات اورشليم . وقد كان على
الدراسات الكلاسيكية . وكان الطلاب يشقون الشغل في هذا المعهد العالي ويجري على كثير
منهم رواتب سنوية . ويزعم البعض ان جامعات اورشليم قد انقضت بعض تفاصيل التنظيم
من المدرسة النظامية (١٣) . وكان نظام المدرسة النظامية كلمة موحدة تستند على ذلك من
قديمه مرة على متوالي امر الخانات من قبل المحكمة سنة ١١٨٧ وخبرهم اياه حين جاء ليحكم

١٢ - انظر لاهوتاني : *The Contribution of the Arabs to Education* (New York, 1926), pp. 57-76.

١٣ - ترجم بروملي : *حسن الحاضرة* ج ٢ ص ١٥٦-٧ وفيه تاريخي . كتاب من ١٢٩٦ .
١٤ - ترجم : *Reuben Levy, A Baghdad Chronicle* (Cambridge, 1920), p. 107.

غرفة طاب بسكن في المدرسة وقد توفي جون وارث^(١).

وكانت النظامية مدرسة فقه رسمية اعترفت بها الدولة ، وقد أشار ابن الأثير^(٢) إلى حدوثه ذكر فيه أن مدرستاً بالنظامية صدر له التعيين ولكنه لم يؤذن له بالتدريس إلى أن كانت موافقة الخليفة على تعيينه ، والظاهر أنه كان ينتدب للتدريس على واحد فقط^(٣) أياؤه معيدان أو أكثر^(٤) ، ويقوم عمل المعيد على تلاوة المحاضرة نفسها بعد انتهاء المدرس وإيضاح من لم يفهم من الطلاب . وقد حضر ابن جبير^(٥) محاضرة في المدرسة النظامية أو صلاة العشر تقية المدرسة أشار إليه بالتقديم في العنوم الأسبوعية ، فعند الأستاذ المير وخطب خطبة تكون ووقر ثم رثقه الطلاب شائب السائل من كل جانب ودفعته إليه عدة رقع فجمعها جميعاً في يده وعمل يدوب على كل واحدة منها ويبدئ بها إلى أن فرغ منها وقد حث السامعون فترق الجميع . وفي المدرسة النظامية هذه قدم الغزالي بالتدريس أربع سنوات (١٠٩١-١٠٩٥) . وقد ذكر الغزالي في كتبه الأحكام^(٦) شيئاً عن التربية فذكر في الفصل الذي افتتح به الكتاب وموضوعه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن هدف التربية هو إدخال المعرفة إلى العقل وتثباته على وجوب تحريك الشعور الأخلاقي في الطالب . فهو من هذه الناحية فن أول مؤلف في الإسلام ربط مسألة التربية ربطاً وثيقاً بنظرة أخلاقية عميقة . ومن المدرسين الآخرين في النظامية ب. الدين المعروف بأبي شاذان كاتب سيرة صلاح الدين . وقد أخبرنا في مذكراته التي أوردها ابن خلكان^(٧) أن جمعة من الطلاب شربوا قديراً من البلافز بمحمولاً بالناء لأجل سرعة حفظ والفهم فحصل لأحدهم الجنون وجاء إلى المدرسة وهو عريان ليس عليه شيء . يفسر تورده

(١) ابن الأثير ج ١١ ص ١١١ .

(٢) ج ١١ ص ١١١ .

(٣) ابن الأثير ج ١١ ص ١٢٣ .

(٤) نظر ابن خلكان ج ٣ ص ٤٣٠ .

(٥) ص ٢١٩-٢٢٠ .

(٦) ابن خلكان ج ٢ ص ١٤٦ : تقدم خلال غزوة . ١٣٦٩ م ١٣٦٩-١٣٧٠ .

(٧) ج ١ ص ٤٩-٥٠ : أبو الوليد . عمر ودرجة علمه بـ ج ١ ص ١٨٣٨ . ونرجع إلى المجلد

G. H. Scherer (Beirut, 1933) .

(٨) ج ٣ ص ٤٣٥ وما يلي .

حيث يروى عنه انه كان يحفظ مائة الف حديث . وقد استحسن البخاري في مئة حديث قلبت متنوها
واسيده وجعل متن هذا لاسند لاسند آخر فرد كل متن الى اسنده وكل اسند الى
منه فوقع اليه الاسناد بالحفظ (١٢١) . وراجع الشرايع فيقول صاحب الحديث في الحفظ ، وقد روي
ان النبي قرأ كذا ثم روى ابو ابيدانة الكتب فحفظه كله ولم يعد بحاجة في سرائره . وهذا
بواقر كثيرة من هذا القبيل تروى للمدائيل على قوة الحافظة عند اني شاء وانما هي وغيرها .

سيرة البابا القيس

ما تكن تربية الباقين قائمة على اساس منظم الا ان الباطني في كل امة الاسلاميه
كانت مراعاة تروية . وهذا ما حل في الرقي مدسة ما قصد جمعها وهو والقي انه سيجد فيه
شيء يعطي درسا في الحديث . وهذا ما فعله القيس (١٢٢) . ثم يقول عبد زبير بن السوس ، وقد
وجد هذا الجفر في الرحلة وهو من رجال القرائن العاشر كثير من الخلفاء والنجاش يعقدها
الفهم . وقرأ القرائن والآراء في الباطن (١٢٣) في القيسين (موسمه) وفي سوريسه ومصر
وعيس . وكان الامام الشافعي يقرأ هذه الخلفاء في مسند عمرو بن مسعود
حيث كان يفي دروس متبوعة كل صبح حتى تسعة مائة (١٢٤) . وقد اشار ابن حوقل (١٢٥)
الى حقائق في سجستان . ثم يكن هذه الخلفاء او نحوها مقتصرة على الدروس الدينية بل
كثير ما كانت خارجا فم . سواصبع المأخوذة والشعرية (١٢٦) . وكان مسد كل مسد ان يعرض
هذه المحاضرات التي كانت على في المسند والتي خلت حتى القرن الحادي عشر اذا توسيع
مدى الامر في الاسلام .

ثم ان هذه الخلفاء التي كانت على في المسند مذكورة في بعض اخرى كانت قباء في

١ - ابن مسعود ج ١ ص ٢٨ .

٢ - ابن مسعود ج ٢ ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

٣ - ص ١٢٤ .

٤ - السيرة ص ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .

٥ - السيرة ج ٢ ص ٢٢٠ ، السيرة ج ١ ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .

٦ - ص ١٢٤ .

٧ - السيرة ج ٢ ص ١٢٣ ، ج ١ ص ١٢٤ .

بيوت الطبقة الأرستقراطية وأفراد الهيئة الاجتماعية الممتنة ونعرف بجناح الأدب^{١١} . وقد أخذت هذه الجناح بالظهور منذ أوائل العصر العباسي . وكانت المبيعات الشعرية والمجذلات الأدبية والمؤثرات الأدبية تملك في مجس خزانة الأول . وقد تعدد اليها بعض الكتاب ثم يرجع الفضل في وضعه إلى هذا الجناح نفسه^{١٢} .

درر الكتب

وكانت المتجدد تستخدم كمتودعات للكتب وأصبحت خزائنها غنية بالكتب لا سيما الدينية التي كان الناس يهبونها لها أو يقهرونها فيها على القراءة . ومن جملة الذين وقفوا كتبهم الخطيب البغدادي (١٠٠٢-٧١) وقد وقفهم على السمين وسما قبل ثمانية لأحد صدقاته^{١٣} . وكانت هذه خزائن كتب أخرى لها لأعيانهم ورجالهم وهي تبه محومية وكانت تضم كتباً في مواضيع متنوعة كالتفقه والفقه والفلسفة والموسيقى . وكانت في متناول العامة وذوي الشكافة أن يحضروا حتى إلى الكتب الخدمية بقراءة بردهوت . وكانت في الموصل قبل منتصف القرن العاشر خزائن كتب جميع المصنفات وجمت وقفاً على كل طائفة لا يتبع أحد من دعوته وإذا أحدهم غريب طلب لأدب وإن كان مفسراً أعضاء صاحبها ووقف بكتب عليه^{١٤} . أما خزائن الكتب التي تده عند الدولة العباسية (٩٧٧-٨٢) شجرا فقد كانت كتباً مرتبة ترتيباً في الخزائن والمدفون منصفه على الزخرف لكل نوع بيت . وهذا فخر من بانيها الكتب وغنيها وكيل وحازن ومناظر^{١٥} . وكان في العصر في ذلك القرن خزائن كتب أخرى صاحبها المال على من قصدهم ويزم القراءة والسمع فيها^{١٦} . وازدهرت في أري في الزمن نفسه دار كتب فيها أكثر من أربعة عشر من جنس الكتب وقد وضع لها فهرس في

١١ - الأدي ج ١٨ ص ١٠٠٠ .

١٢ - انظر ص ١٣٤ من هذا الكتاب .

١٣ - انظر ج ٩ ص ٢٥٢ ج ١ ص ٩٩٧ .

١٤ - انظر مثلاً في ذلك في العصر ج ١ ص ٢٦٧ .

١٥ - انظر ج ٢ ص ١٢٠ .

١٦ - نقض ص ٢٢٩ . انظر ج ٢ ص ٢٢٦ .

١٧ - نقض ص ٢١٣ .

عشرة مجلدات ضخمة ١١٠. وكثيراً ما كانت المكتاب متشدي الغلاء يتداولون فيها الأبحاث العلمية والتأطرات الأدبية. وقد قضى بقوت ثلاث سنوات في دور الكتب بمرور وخوابه يجمع المعلومات لكتابه «معجم البلدان» ولكنه اضطر إلى الفرار سنة ١٢٢٠ عند وصول جنكيز خان الذي جصها فمعه الكثيران.

هوانيت الوراقين

تعد ظهرت حواشيت الوراقين في مطلع العصر العباسي بعد وكنت من العوامل التي ساعدت في الترقية العلمية. وقد ذكر اليعقوبي^١ أن بغداد في رمدته (٨٩١) كانت بهي بها أكثر من مئة حارة للوراقين في سوق واحدة. وتظهر أن كثير منها كانت دكاكين صغيرة قرب باب المد كاتي منهم اليوم في دمشق والندرة وسواها من المدن العربية. ولكن بعضها دون ذلك كانت من سعة حيث عرض فيها الكتب وبنيت فيها الطرقات والمواضع. أو باعة الكتب فقد كان أعضائهم من الخطاطين أو النسخين أو المأذنين الذين جعلوا حواشيتهم لا محالاً كتب فحسب أن من كتب لأحد من رافعة ولا يكن معصوم الأجر على وصية. وقد كان بقوت في أول عهده في عمل كاتبة نسخ كتب. وكان من القديم الوراقين بمصر (المتوفى ٩٦٥) نافع كتب أو أستاذ المكتبة من غريباً أن يكون فهرست كتبه أقيام في الأصل فهرستاً. وتعد فيه أن عرافة حارة المكتب كانت له خزنة الكتب في القديم من المخطوطات في الجلود وحكاك وفراش مصر وورق القيني والورق القيني وجلود أمه وورق خراساني. وعلى كل مديح توقيع الكتب وتخته شهادات صحة و سنة اجبال من الغلاء.

الورق

كان السعوي حتى أوائل القرن الثالث للهجرة يكتبون على الرقوق أو الحردي. وقد روي أن بعض الخطاطين التي هبت في أثناء الحرب الأهلية بين الأمويين وعباسيون بحيث تكثرت عنها

١. بقوت ج ٢ ص ٢١٥.

٢. ص ٢٢٥.

٣. ص ٢٢٠.

ولكن ليس من السهل تقرير مستوى الثقافة بين العامة من الناس ، وقد وردت قصة عما حدثت به الحال كثيراً ومرضت ابتداء فقلت : « زوجته » هت شبت من كبتك بيعة أو ترهه « ففطن عليها بذلك ، إذ درجة المراضة التي كان يعاني منها شفتون منذ عهد الرشيد إلى القرن الثاني عشر فاستطاع أن يستدل على شيء من الأدوية التي احدثت بها تجربة نورد الملاء على استنباط كذا كرنه « (الملية رقم ٢٣٨ - ٦١) فقد ذكروا أنها قلت : العقل عقلاان موهوب ومكسوب والعقل الموهوب منه في القلب ويعدده شة عنه في الدماغ ، وحق في الآلات الثلاثة يستول عرق ومشتل ولا يعولس عبقاً وخمس حواس . والآلات مركب من أربعة عناصر هي : النار ، والفرق ، والبر ، والفرق . وقد عدت نورد الملاء اربعة اقلب والاربعين مروجين له . ثم زعمت ان الكبد فيه زحمة وانحلال فيه صحت والكبدتين فيه السكر . وقت ان ليس ان زمة الخمس قوى هي : الخمس الشتركة والخمس والشعرية والزهرة والخففة وتمددة بنت لده ، والحمية رأس لده ، و كروك السعة عنده فهي : شمس واقمر وعطارد وزهرة وخرميج وشكري وزحل .

المفصل التاسع والعشرون

الفنون الجميلة

قد اظهر العربي كماله في فنه وشعره ميلا واعجرا يندلق ولغة حيل وبه هو ذاتي غير موضوعي وكان قبل المدنية والمقدرة على الجمع بين الاحراء وسبقه في كين واحد شامل على امة يسع في هندسة البناء والتصوير في عهده لاول تقدمه معية وقف بعده كما وقف في مجهوده العلمي من القرن السادس

هندسة البناء



صورة اوكى على نسخة
من مخطوطة

ان ما كان يزين مدينة منصور ورشيد قبة من مسروح في هندسة البناء يبق في اليوم من الزمان لا يزال من آثار العصر الاموي سرحدان من الفخار ما على من هن البناء الاسلامي

هو السجور لأموي سدمشق وقبة العجوة في بيت مقدس . اما دار خلافة المروقة ببيت الذهب (او القبة الخضراء) التي عهدها منصور . وقصر الخلد الذي بناه خلفه . وقصر برصقة الذي بناه في عهده يدي . وقصور البرامكة في السجوة . وقصر آخر الذي بنى في سنة منصور (٨٩٢ - ٩٠٣) . اعمدة الف دينار . ومن آثاره مفرق خلافة بني برمك حدثت قبل في سمرقند . وقصر جوار الخراء المعروف بـ « الدج » . (او قد كنه بمسكني) (٩٠٣ - ٨) . ودار منصور (٩٠٨ - ٣٢) الفريدة المعروفة بـ « دار الشجرة » لا كان في تركتها عجرة من ذهب والفضة . والقصر البويعي المعروف بـ « الخراقة » سبة في معر الموية (٩٣٢ - ٩٧) وقد بلغت اكلالة ميون

١ . الفهرست ج ١ ص ١٢٢ .

٢ . تاريخ حياء الجاهل لشرقي من بغداد .

٣ . السجود ج ١ ص ١١٦ . وقد نض دجلة بعد فريخ ميهه حد منصور .

٤ . الخطب ج ١ ص ٩٩ ومايلي .

ديار (١٠) ، كل هذه وغيرها من ابياني الفخمة التي شهد العباسيون اندثرت وغشت رسومها ولم يبق لها اثر يشعر بعظمتها وفخمتها ، فالدمر الذي جرت به الحرب الأهلية بين الأميين والامويين ، وما ارتبه بالدمامة سنة ١٢٥٨ هو لا كرم من هذه وتخريب ، وعوامل القناء الطبيعية قد امت على كل هذه الأبيات في بغداد حتى يستمر عينة اليوم اميين امكنة الكبر منب بالخطوط . اما في غير بغداد ومثلها العباسيين لا يمكن رجوع عهد اقدم الى ما قبل عهد المعتصم (٨٣٣ - ٨٤٢) مؤسس سمرقند ولا في سمرقند (٨٤٧ - ٩١١) باني المسجد الجامع (١٢) فيها . وقد بلغت نفقة حاشه سبعة الف دينار . وهو ما مستطيل من قدره وافنده ذات



صورة في جامع سمرقند الكبير (الربيع)

الزخارف الخشبية على أكبر هندی . ولكن من في الجدران التي منه اثر الخراب ولا في مسجد ابي حنيفة بالقرب من سمرقند الذي يرجع عهده الى منتصف القرن التاسع . والظاهر ان خراب استحدثت في سورية ، لا كثر على خراب كرمي لأمتف في البيع . وقد اوقع قبة حدار

١٠ من الأبيات ٩ من ١٠٠٠ .

١٢ من الأبيات ٩ من ١٠٠٠ .

١٣ من الأبيات ٩ من ١٠٠٠ .

Ernest F. Richmond, *Mosques of Islam* (London, 1926), p. 111.
cf. Ernest Herzfeld, *Die Geschichte der Araber in der Provinz Samarra* (Berlin, 1912), p. 10.

المسجد الجامع في سامرا من الخارج برج يسمى المنيعة اليوم يشبه منسجول الدار في غوربات «
الدينية فقد ابن ملولون هذا البرج في تشييد منسجول المسجد الذي بنى سنة ٨٧٦ - ٩ وظهرت
فيه القنطرة المروسة مرة الثالثة وكانت قد ظهرت قبلا في مسجد عمرو (٨٢٧) ومقدس النيل
(٨٦١) . اما البقايا المحفوظة في الرقة التي ترجع الى آخر القرن الثامن فتعكس الفن الاسيوي
ولاسي الفارسي بخلاف الأبنية الأموية التي تحمل ثوالث اليراني السوري . وفي العهد الساساني
(٢٢٦ - ٦٥١) بنى عند العرس برج من هندسة البناء يندرج بمفرداته خاصة منها القبة المنيعة
الشكل او الاهليجية والقنطرة القوسية والارواح المنيعة والشرفات المنبثة في القلاع المدافع
الحربي وحجارة الأجر المنقوشة بحدائق الأمانة والسطوح المنقوشة بالمواد المعدنية . وقد
اصبح هذا النوع من الفن البنائي عند العرس من أقوى العوامل في تشكيل الفن العباسي .
النصر -

وكما ان الاسلام لم يستطع ان يقطع دائرة التورث في جميع الاماكن رغم استنكاره
الشديد لمحرم كدلت قنات عداوة الفقه . فمن التصوير لم تكن دون اربعة على شاطئ
اسلامية مرفقة . وقد قدمت ان تصور اقدم على قبة قصره شمال فليس انه كان للاستدلال
على انه الزيج . وان الامين انشأ برجاً على دجلة في شكل الاسود والصور والحيث .
وان اقتدر ايضا كانت له اعمدة في فسيحة تحف بها حنية غدا . فيها شجرة وسط بركة كبيرة
مدورة امام ابواب . وقد روي انه كان فناء الشجرة خفية عشر غصن من المذهب والعمارة لكل
غصن فروع كثيرة حدود طيور من المذهب والقصة اذا مر اخوان عليها كانت العجايب من انواع
الصغير والهدير . وفي حاش الدار عن بين البركة تلال خمسة عشر فرساً على خمس عشرة
فرساً ومنهم عن يسار البركة قد انبثوا انواع الخرز المذبح مقيد بالخيوف وفي المذهب انظاره
يشعر كون على خط واحد فيظن ان كل واحد منهم الى مدحه قصد .

اما الخليفة المعتصم باي سامرا (٨٣٦) فقد جعل الملاط في حدران قصره من حرق كرخوف
« قصر عمر » فيه نقوش تظهر فيها اجساد عدة عذريات ومث هذا المسجد أعيا من صنع بعض

أهل الفن من المصري . وقد سفت مبراً في عهد حمله الثاني . تنوكل غيرة بجده .^(١٧)
وقد عول هذا في تزويق جدران قبة عن مصوريين بين اثنين . بعضهم مدح من وضع
صورة كبيرة فيهم . هين بين محوطة الصور التي تنمو .^(١٨)

وما من لاسلام بالصور في ساحة لا في عهد متعبر ولكن هذا الفن لم يكن له قط
من الأهمية ما كان له في المذاهب البوذية والتفدية . وقدم أثر بخير في صورة تشيل التي
شاهدها في فرعي في عصر القرن التاسع عشر في بلاد الهند .^(١٩) لهم كانت
من صنع السطحة . بالصور التي تملأ الغرف في ماحوفة عن خداج القدامى بالمد عن
شرفى الحرم . ومنه صورة رأس الهري وحده خيوي عذاج على مسود في فن
الأشوريين . ولكن التصوير لاسلامى لم يزل يظفر حتى في القرن الرابع عشر .
والظاهر من منموه الكائن في مصر في الشرقية والأحس البوذية والسطحة
كالطهرت نموت .^(٢٠) وقد نال عن صدق إحافة الكتب . من إحراف الحقيقة
فان كان فيهم من لم يزل يرضى من سمي في وضع أريج مصوري شمين
هو فريرى التوى ١٩٤٢ لا . مدحه مقلود .^(٢١) لكن هذا هذا النوع من الفن
وقدمه وقع عليه النحون من محطومات المذاهب ذات الصور . صورة لا يرجع في
مافيل القرن . من شمس حباله . وهي الكتابة ورمته .^(٢٢) قدمت في طريري
والكافي . وهو فيهم نموت هي . من مدح المصري ومن مدح في بين التوى
الطاهر مستورة من مدح . من مدح ذات لأن من كان يرغب في ذلك من شمين متفصلاً

١٧ - مدح في لاسلامى . تنوكل يعوي من ٢٠٠ - ٢٠٠ . وقوت ١٢ - ١٨ . وقوت

١٨ - مدح في لاسلامى . تنوكل يعوي من ٢٠٠ - ٢٠٠ . وقوت

Ernst Herzfeld, *Die Mäntel von Samarra*, Berlin, 1927, p. 150, fig. 1.

١٩ - مدح في لاسلامى . تنوكل يعوي من ٢٠٠ - ٢٠٠ . وقوت

Arnold, *Painting in Islam*, Oxford, 1928, p. 100.

Thomas W. Arnold and Adolf Grohmann, *The Islamic Book*, London, 1929, p. 2.

٢٠ - مدح في لاسلامى . تنوكل يعوي من ٢٠٠ - ٢٠٠ . وقوت

صورة صفة في لاسلامى . تنوكل يعوي من ٢٠٠ - ٢٠٠ . وقوت

عن تلاميذ القبط، كان لا بد من الاستدراك على متوهمين بعقبة في سائر شهر
بين مدين القبطية هذين مستقويين . وقد كانت ورش نظيرها ومبناها القبطية هندسة
الأبوية غنية مثل هؤلاء المندسين . ومن الخطأ أن يظن أن هذا النوع من التزيين في
الورش تزيين اليونان المسيحية لأن الطبيعة كانت في ورش حيث أصبح تزيين الدولة في قبة
الدولة الصفوية سنة ١٥٠٢

الفنونه الصناعيه

وقد كان الفرس منذ القدم لا بد من الاستدراك في ورش زخرفه والتزيين . وقد عرفت
فنون الاسلام الهندسية دراسة عميقة من طرفي . فمعرفة الهندسة من مود في اليمن
الفراتينية في مصر وهو من عهد الفرس . وكانوا يحسنون على السجود على القيد
والخزائن من السجود من السجود الثابت لأول . وكانت ورش مقام تزيين السجود
الطريقة الزخرفه الصنوعه على لأول الدولة في مصر ومصر في حيث أن الصيادين وغيرهم
من أهل العرب كانوا يحسنون على سواها ككذلك لهم وقد عرفت .

وفي صناعة الخزف وهي أيضاً قديمة العهد من ورش صناعة قديمه تجسم الشري
والنبات والاشكال الهندسية ولا بد قبة (المقوطة) المزار لا بد في أي من سلاحي
آخر القرنين . والفرقة من الخزف على سطح وحدهم على أن القديس (صنع الزميل)
والتصوير في القرن الثاني والثالث فمعرفة من صناعة الخزف وتعدون طائفة الخزف في المقود
البسيط قطعاً رائعة لا مثيل لها . والفرقة الآخر القديس مزينة بزخرف الزهور وقد أخذ العرب
هذه الصناعة عن الفرس فانتقلت إلى دمشق وبلغت كمالها تحت المماليك في بحرفة
الأبوية من الداخل والخارج . وقد كانت لأبياء عربية على سواها في أن تتكيف بها
تعود من الزخرفه وصنعت مودنة فبدأت في القوس الاسلاميه . وأما في الزخرف
التي وسميتها بـ (حرفة) حرفة في حرفة وسميتها بـ (حرفة) حرفة في حرفة
كصور وغيرهم . وبين كثر متحف مودن بحرفه . ومتحف بيرطاني . متحف المتحف العربي

بالتجارة آثار فية من سائر المناطق منها الآلية والأقداح والمزهريات والأباريق والقناديل
التي كانت تشعل في المنازل والحد مطنية ضئيلة زاهية بأوراق لامعة أو مغطاة بخواد معدنية
مصقولة تتراوح في ألوان قوس قزح .

فروع الفقه

كان من اغراض فن الخط ان يعيد كلام الله في الصحف ومن هذا استمد مكائده . وقد
 جاء في القرآن الكريم تشبيها لهذه السكينة قوته على في اول سورة القدر : « انزلنا بالقلم وما
 نسطرون » وفي سورة العنق : « اقرأ باسم ربك الذي علم بالقلم » غير ان الاساليب في عالم
 الفن قد اختلفت في هذا الفن في القرن الذي تاهرتة وما زالت اقرن الثالث حتى اصبح اشرف
 فن برز في عصره . وهو فن اسلامي خاص كان له اثر كبير في التصوير وبه وجد المسلم
 منفذ للتعبير عما في طبيعته من موقف احسن ما كان يؤمن عليه ان يعبر عن هذه الطبيعة
 الحسية في عصره في ميدان التصوير او تجميل الكائنات الخفية . وقد كانت تلك الخطاطين مكاتبة
 وكرامة اعلى بكثير من كان مصورين حتى ان تلك الامر انفسهم كانوا يسمون تجميل الخطوة
 الهندسية بكتابة المرقن . ونفهم ان الكتب لأدب والتاريخ وما . عدد من الخطاطين من اغدقت
 عليهم السموات الطيبة لخلاف اصحاب هندسة . والمصورين وصدق الاولي الهندية الذين
 ابدوا الفرج بحدوده على ذكره . ومن وجهي ليس من فخط عند العرب الرابعاني (١٣)
 (متوفى ٨٣٤) الذي به في عصر - موسى - ومن اسلوب الخط المعروف باسمه . وان مقلة
 (٨٨٦ - ٩٤٠) الوزير العباسي المشهور . وكان احبته يرضى امره بقطع يد من يقتعه ذلك
 عن احدى الخطاطين . ومن كان يشتهر في عصره لا يثنى ويكتب به ايضا . ومنهم
 ايضا ابن الجواب (متوفى ١٠٣٢ و ١٠٣٣) وقد اثنى على ذلك ان كان في بلادهم
 باب الخليفة بمسنداه وهو صاحب اسلوب الخط المعروف بالحقق . وآخر من برز من اصحاب

$$x = \varphi(\tilde{x}_1, \tilde{x}_2, \tilde{x}_3)$$

۱۲۱ | اظہار - لکھنؤ - ۱۳۴۲ھ = ۱۹۲۳ء - ۱۳۴۳ھ = ۱۹۲۴ء - ۱۳۴۴ھ = ۱۹۲۵ء

[illegible]

شماره ۱۷۲ : شهری من ۱۳۷۴ - ۳۷ - ۷۱ : تاریخ : ۱۳۷۴

[illegible]

الخط في الخطبة العباسية ياقوت المستعصي خطاً بالبلاد في عهد آخر الخلفاء العباسيين وإلى أنسب
الخط "ياقوتي" على أنه لم يرد أن يحكم على الفن الخطي ما وصى من آثار ياقوت^١ وسواء
من الخطاطين العرب أم استطاع أن يحكم على ما عدا ذلك. ومن الخط هو الفن الوحيد الذي لا يزال
يُتلى في العصر الحديث رجال في القسطنطينية والقاهرة وبيروت ودمشق على آثار خطبة نفوق
تجده أروع ما أخرجه القدماء.

وليس الخط فقط بل كل الفنون المتصلة به كإحرفة بالألوان وتزيين الكتب والذهاب
وصناعة متعدد يرجع شوقه وإدهشه في دلائلهم ككتاب الله وقد مدفن إحرفة الكتب
وتزيين النسخ منذ أواخر العهد العباسي وبعده في عصر عهد آل بختيار. وهذا أيضاً
بالإضافة إلى فن التصوير السلطاني واليعقوبي كان له أعظم الأثر. وحيث بعد الخطاط وجملة
الذهب وما ينحصر فن الذهب في القرآن بل صار يستعمل في تزيين الكتب على أنواعها.

الموسيقى

وكانت الأفكار أصحاب النسخ موسيقى ما يؤثر في دمشق كذلك هو ما يؤثري
بمداد. وقد أخذ المهدي الخليفة العباسي نفسه برعاية هذا الفن عند ما انتهى الخلفاء
الأوروون المتأخرون وأحضر إليه سباط^٢ الشكبي (٧٣٩ - ٨٥) صاحب الصوت الشجي
الذي قلنا في صوته "أولاً المعروف من حناء على" ثم أحضر أيضاً عبد سبط إبراهيم
الموصلي (٧٤٢ - ٨٠٤) الذي غدا بعد الخلفاء هذه الأصول الموسيقية الكلاسيكية عند
العرب. وكان إبراهيم هذا من أسرة فارسية ثم غدا في دمشق فخلقه حجاج الموصلي في
حدثاته عصابة من الأشقياء فتمرد بعض الغنيمه وهو أول من وقع الألبان القضيبي^٣ في
وبلغت براعته بالموسيقى أنه كان يستطيع أن يخرج من آلة جارية فطر من جميع طريقة

١٨ خط. B. M. Arabic Palaeography, Cairo, 1906, pl. 80.

٢ عصابة أي وهم دون خرمية. الألف ج ٣ ص ٩.

٣ الألف ج ٦ ص ٨ ولفه. يوري ج ١ ص ٢٨٩.

٤ فهرست ص ١٤٠: ابن خلكان ج ٩ ص ١١٥. يوري ج ٥ ص ٣٢٠.

٥ المقد ج ٣ ص ٢٤٠.

واحدة وعشرين في الاوتار وتر غير مستوي ان يشير الى احداهن قنطرة ثلاثة عشرين في الاوتار المستوية
وتستوي الاوتار المستوية. ثم بعد ان يشير الى اوتارها فيستحق ان يسمي به وان يسمي به في
١٥٠ الف درهم وكان معه عشرة آلاف درهم كل شهر وقد اعتد به من الف درهم
على صوت واحد غدا به فاعجبه وكان لا يراه في منافس دونه مرتبة هو ان جامع الغرضي ان
سبب ان يسمي. وفي هذا ان يراه في منافس يعرف في الغدا وان جامع اوتارها في الغدا
وقد كان يسمي احد الغرضي ان يراه في منافس يعرف في الغدا وان جامع اوتارها في الغدا
في الغدا يسمي به في الغدا وهو غريب

وكانت ملازمه وشدت نسبت به وارفته قد حد بر عی النوسیقی والفقه که بر عی العرب والفن
تأصبح موانع عدا و مقصد ریاست موسیقی ایشان. و قد زهد فی مله من اقطاب الموسیقی
اجل من عیبه الاثر فی رافقه مقلده من العزیز والمحبوب من عید واد. وقد تركت هذه
المهمة من اهل الفن اکثر دابة حذقة من قصص الفدا فی الكتب که ترى فی «الآدمی»
و «العقد» و «المهرجست» و «الهریفة الذیاب» و عرف هذه کلام فی کتب «الف بستان»
و «الذیاب» و «الذیاب» فی «مهرجست» موسیقی کبار الفان من هؤلاء العزیز والمحبوب کانت
بعدة تعبیه برید. و انما لایمن فیض اخی برید لایه هو برید فیها. هل البلاغة ذکورا
و انما حتی مطلع الفجر. و بعد کان بعد از موسیقی عیضا بعد ذکانت لایمن برید علی صفة
بعد و حوله حوس من موانع برید و الفان

ومن الذين آمنوا به خير محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو سيد ابراهيم النوصلي وكانت
قد انقضى امره فمات وهو حزين في سنة ثمان مائة على يد اعدائه يومه اربع وعشرون

— 24 —

◆ ◆ ◆ ◆ ◆

[Faint handwritten notes at the bottom of the page]

... 4

وہی ہے جو ان کے لئے ہے۔

$$x^2 + y^2 = r^2 \quad x = r \cos \theta \quad y = r \sin \theta$$

وہی ہے جو کہ ہم نے پہلے ہی میں دیکھا ہے۔

٦ - ...

بصوته ثم بالغته من آل الزبير والشهيد المرد في ن صبح من عبيد الرشيد فاعتقه وروى به نسخة
الف ترين^١ ورواه من بحسه . وقد روي عن عارف أنه توسل بحجة في إحدى مايلي
والسفر يعني بمعنى صوته فحقى أحمد من مخرج ولا غناء ولا حدة إلا بكى . وظهرت
الشموع والسرير من حبي دجلة في صحنه القصور والصور فغشى بين يديهم يستمعون
قدود *

وكان من علماء المأمون والموكل سعد بن أبي ترصم موسي (٧٦٧ - ٨٥٠) عبيد أهل
الموسيقى في عصره^(٢) . وقد كانت فيه حصة من روح موسيقى العربية الكلاسيكية . لما
مكثه كوسيلة من عدة حجة في عهد هيبس من بني أموي حيث قيل فيه أنه « أعظم من أجيالهم
الأسامة في هذا الفن »^(٣) . وقد غنى سعد بن كذا غنى من قبل وكذا ادعى أن يرد عليه
أن حين كانت بهبه لأهل .

هؤلاء وسواهم من أرباب الموسيقى والغناء الذين شأوا في طلائع الفقه . أبو رقة ولا
تزل أم وهو مقروء . أحمد الخلد كما ذكر من موسيقيين . فقد منحوا من الذكاء والقدرة
وسرعة الخاطر وقوة الحافظة . وكانوا هم في ذلك يحفظون كثيراً من الأشعار المختارة
والنثر المستندحة وغير ذلك من صنوف النظم فهم الذين غنوا وشعروا وشعروا بآلة الفقه
المعينة في عصرهم . وأما هذا فلا مزية للموسيقى . وأما صاحب الأعواء أم الفارسون
على . وبهذا كذا في مزية . وفي الفارسين طائفة الذين لا يكتفي في الحركات
من وراء القدر . وقد كان من الذين المصروفية في بيوت الخريم وأصبحت ترينين وثلاثين
من الفسحة حكمة . وقد روى السجق جارية حتى برعت فدل له فيها رسول مدح مضر
عشرة آلاف دينار فريدهم وسدومه رسول أمير بطون الروم فب على ثلاثين الف درهم رسول
مدح خراسان التي لم يزل الف دينار وحصل سعد بن كذا على امره معه فان انقلب وتزوج^(٤) .

١ - لأبي ج ٢١ ص ١٠٠٠ ج ١ ص ٢٠٠ .

٢ - لأبي ج ٢١ ص ١٠٠٠ ج ١ ص ٢٠٠ .

٣ - لأبي ج ٢١ ص ١٠٠٠ ج ١ ص ٢٠٠ .

٤ - لأبي ج ٢١ ص ١٠٠٠ ج ١ ص ٢٠٠ .

٥ - لأبي ج ٢١ ص ١٠٠٠ ج ١ ص ٢٠٠ .

٦ - لأبي ج ٢١ ص ١٠٠٠ ج ١ ص ٢٠٠ .

تقد فاق بنو العباس في بغداد بني أمية في دمشق ممن خرج منهم من الفنين والمثدين
والفارسين على العود. فمن آل العباس بنو إبراهيم بن المهدي (أبو الرشيد) الذي أخرج
الأمويون في سنة ٨١٧. وقد اكتسب شهرة عظيمة في الموسيقى والغناء^(١). أما الخليل
(٨٠٢ - ٧) فكان يصحب على العود وقد صنع مئة صوت^(٢) فكان بذلك أول موسيقي
بين الخلفاء. ومن بعده قدم المنتصر (٨٦١ - ٢) ونهار (٨٦٦ - ٩) فأظهر مقدرة في الشعر
والموسيقى^(٣). إلا أن الخليفة المهدي رجع في موسيقى هو نعمته (٨٧٠ - ٩٢). وقد تولى
الجغرافي الشهير ابن خردادبه في عصره خطة في موسيقى وأرفق مدام الأصول خمسة
التي بنى إرباب عن حدة هذين الفنين في ذلك العصر.

أصحاب الموسيقى النظرية

وكان هناك من جملة الكتب اليونانية الكثيرة التي نقلت في العربية في العصر العباسي
بصفة كتب بحث في الموسيقى النظرية. منها كتاب لأرسطو فاجر إلى العربية بخط
السلطوي الشهير حنين بن اسحق (٨٠٩ - ٧٣) أبو عبد الله عمون «كتاب الناس إلى»
والثاني «كتاب النفس»^(٤). وقد ترجمه حنين أيضاً كتاباً بجاينوس «حنون» «كتاب
الصوت»^(٥). وثالثه كتاب أفلوطين «كتاب في العربية» «كتاب النغم» «وكان من
تأليف أفلوطين أصلاً» «كتاب القاموس»^(٦). أما إسحاق بن علي بن إسحاق «كتاب
قبل الميلاد فقد عرف خاصة» «كتاب الإيقاع»^(٧) كما أن يكون كتاب ابن أرسطو عرف
بـ «كتاب الموسيقى الكبير»^(٨). وقد عُدَّ «خزانة الغناء»^(٩) وكان بعضهم فيه يظهر
من أصحاب النظريات في الموسيقى. هذا فن فرقة من الرياضيات ونحو فيثاغورس «تقدمه

١١ من سكان ج ٩ ص ١٢ وما بين ١٠٣٠ و ١٠٣٠.

٢ (٩) لأغاني ج ٩ ص ١٦٣. عنه السوريجي ج ٤ ص ٩٩١.

٣ (٢) السوريجي ج ٤ ص ١٩٩.

٤ (٤) السوريجي ج ٤ ص ٩٩ - ٩٩٣.

٥ (٥) ويمكن أن يكون مترجمه من إسحاق بن إسحاق (٩٩١ - ٩٩١).

٦ (٦) غير مت من ٩٩٦ في الخط من ٩٩٦.

٧ (٧) غير مت من ٩٩٦.

٨ (٨) غير مت من ٩٩٦.

مؤسس الموسيقى النظرية^(١) وقد استمد العرب من هذه الكتب وغيرها من كتب الأعرابي آراءهم الفنية في الموسيقى وأصبحت ثقافة قائمة بذاتها في مبادئ نظرية الصوت الفيزيائية والقيسولوجية. ومن هنا كانت الناحية العلمية الرياضية للموسيقى العربية مستمدة من أصول يونانية أما الناحية العملية فمأخوذة كما أظهرت البحوث في مصر^(٢) عربية بحتة. وفي هذا العهد استعبرت لفظة «موسيقى» (وسميت موسيقى) عن اليونانية وأطلقت على مداهي هذا العلم النظرية وخصصت لفظة «الفناء» القديمة - وقد كانت أول ذلك الزمن تفيد الفناء والموسيقى معاً - للفن العملي. أما لفظة «قياس» ولا لرغن^(٣) وكثير من الألفاظ الفنية اليونانية الأصل فاقبلت لا تزال تستعمل في العربية حتى الآن ومن الواضح أن الأرغن جيء به من بلاد البيزنطيين. ولقد عاش في القرن الثاني عشر الثاني من صناع الأرغن هو أبو محمد بن أبي حنكة المديني (المتوفى ١١٨٠) وأبو زكرياء يحيى البصري الذي عمل بفلاح المدين وكان في خدمته^(٤).

وكان زعيم الكتاب الموسيقيين الذين تمحوا المدرسة الأغر بقبضة الفيلسوف الكندي الذي زده في الشهر الثاني من القرن التاسع. ونظير في كتبه أول بعد الأثر اليوناني. وبعد في واحد من الكتب الستة المنسوبة إليه أول استعمال صريح لعلامات الموسيقى عند العرب. وفيه يمكن الكندي وحيداً في علم الموسيقى النظرية. إن عدد من رجحان الفسفة الإسلامية والعلب كانوا كذلك أيضاً. وقد وضع الرازي (٨٦٥ - ٩٢٥) كتاباً في هذا الفن أشار إليه ابن أبي أصيبعة^(٥) وليس غريباً أن يكون وضع غير كتب واحد. وإنما القرابي (المتوفى ٩٥٠) فقد كان يجيد الضرب على العود وهو انغمس من كتب في أصول الموسيقى بين كتب المصور المصطفى. فإنه علاوة على اشتغاله بأخراج مائة من النروج على مختلف صكوك القديس المفقودة اليوم قد وضع ثلاثة أبحاث مبتكرة منها «كتاب الموسيقى الكبير»^(٦).

١. رسائل الخوان السقاوي ج ١ ص ١٥٣.

٢. *Armenian Music*, pp. 240-241. • *Music in The Legacy of Islam*, ed. Thomas J. Arno and Alfred Guillaume (Oxford, 1931) pp. 346-347.

٣. ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ١٥٥ - ١٦٣.

٤. ج ١ ص ٣٢٠.

٥. ذكر قبلا في ص ٤٤٢ من هذا الكتاب.

وكان أهم مرجع في الشرق . أما في الغرب فأعظم كتبه أولاً وأكثرها شهرة هو كتاب «أحشاء
العلوم» (١) وهو أقدم كتاب في هذا الموضوع وقد نقل إلى اللاتينية . وقد نقلت أيضاً إلى
اللاتينية . تأليف ابن سينا (المتوفى ١٠٣٧) الذي خص كتابه بصفة جديدة وعقد في «الشفا»
إحدى في الموسيقى وتأليف ابن رشد (المتوفى ١١٩٨) وأصبحت هذه التأليف كتباً مدرسية في
أوروبا العربية . أما العربي فقد كان مدفوعاً عن المسعى^٢ لأثر الأكر في ما يسميه الموسيقى
من شأن في الشرق الصوفية .

وإذا يؤسف له أن معظم هذه الرسائل الفنية قد فقدت في أصول العربية . فالموسيقى
العربية وعالمها . وما كانت تقوم عليه من أصول النغم والألفاظ طالت غفلت بالسرعة من حيل
التي هي من الألفاظ العربية اليوم فقيرة بالآراء غنية بالألفاظ وليس بين
الرسائل موسيقى العربية الحديثة من يستطيع أن يشرح حسب الكتب الناقصة في موضوع
الموسيقى القديمة أو يفقه ما عاينها في القديم والحديث الفنية الموسوعة هذا . ويمكن أن نلاحظ
كثير من هذه الملاحظات في أصول العربية وهناك .

١ - شرحه علي بن محمد بن أبي داود : ١٠٣٧ .

٢ - الجزء ٢ من ٣٣٩ ومبني .

الفصل الثلاثون الفرق الإسلامية

فقد أخذت الكلمة في أربعين سنة من القرن العشرين (١٩٥٠ - ١٩٥٥) لأن هذه الفترة القصيرة كانت عصر تكوين وفيه صنعت الخصبة للإسلامية نظام خاص لا يزال إلى يومنا هذا. ففي تلك الفترة والشرق وفي الغرب والمصنفون لأدب والعلوم الإسلامية والأدب تولى الإسلام اليوم فعلاً منذ كل قرن لعدة قرون. وقد أسسيت هذه الحركة الفريدة في اليوم والآن ما ظهر ثالث في الشرق مختلفة التي كانت فيه

المصنفون في العقل والدين

فما كان أول ظهور حركة معاصرة الفقهية في عصر حتى سنة ١٩٥٠. ينتمي عصر القرن العشرين إلى عصر النهضة الإسلامية التي دعت إلى تجديد الدين الإسلامي. وعملوا بتبسيط قواعد الفقه التي كانت في ذلك الوقت ٨٢٧ عاماً. حطوا بها فيه عقيدة حتى القرآن فقامت بذلك رأي المحققين من المسلمين في أن كتاب الله غير محال في معنى أنه كان وجد شكه المفقود منذ القرن ١٩. وما زالت عقيدة حتى القرآن الجديدة أن أصبحت بحث الأيمان وترب على رجل مدونة ومنهج الفقه في الإسلام. وفي سنة ١٩٣٣ رأى المؤمنون الآن من الفقه من لم يرقه في مسألة حتى القرآن. وفيه أيضاً كتب ذلك، وروايت الحجة لاقتحمت من الفكر عقيدة. ولذلك انقسمت تلك الحركة التي كانت ترمي إلى تحرير الفكر فأصبحت أدلة تتبع حريته.

١. ظهر في كتاب تاريخ الإسلام من ١٩٤٠ - ١٩٤١ في جلد ٣ من ١٩٤٠ و١٩٤١.
٢. ظهر في جلد ١ من ١٩٤٠ - ١٩٤١ في جلد ١٩٤٠ - ١٩٤١.
٣. من جلد ١ من ١٩٤٠ - ١٩٤١ في جلد ١٩٤٠ - ١٩٤١.

المؤنة أو دبراته القلبية

ما يكن هذا أول عهد (إسلام) بصيحات تاريخين فإن خليفة هـ بن عبد الملك (٧٢٤-٥٣) أمر بقتل الجعد ابن درهم لأظهاره وقته بخلق القرآن^(١) كما أمر بحبس غيلان ابن ولس الدمشقي لأظهاره القول بالردة المظنة^(٢) ثم من انتهى وحادي حسب عدد من الزيادة ولكن المحنة التي وضعها لأمون كانت أول «دبراته القلبية» المنطوق بها تاريخين محذرين^(٣) وقد اضطهد أمون بأحقة كثيرين عظيمهم فذكر الأمام محمد بن حنبل^(٤) أنه بحديث وساقه إلى المنفى وبسبه لعذب والآلة فصرح بن حنبل على قومه. وإن أجهل له وهو حلاله مذموب السلف الصالح لمصلحة الأمة في تاريخ المحذرين. وسنرى الأصطفاة في خلافة أمون وخبره لأن الشوكلي كتب في السنة الثانية من ولايته على المنية وعدد غيبته السلف. وكان من أعماله المنية في هذا العهد المظنة (توفي نحو ٨٥٥) وقد شطط لمحمس الآراء الشبهة القارسية فقال إن شئت أول ثورة الموحدين أبي حنيفة ما ذكر بتعريف الكندي غورس. ومن الأمثلة المحظرة المصري (توفي ٨٦٨-٩) من حيث التواريخ المتنوعة الواسعة^(٥) وكان من أعماله الاعتزال لأوائل العهد معاير بن عاتق - من (توفي نحو ٨٣٥) وهو قريبي مذكور بالتعريف عندنا.

انتهاء الانتماء

أما في مظهر الحق فإن لرحيل الذي قبله المنية وقوض دعائه طرما، وعدد لا يتسع السلف ميزاته العالية وأصبح بعده تركت هل السنة فهو من الحسن علي الأشعري بغدادي (توفي ٩٣٥-٩)^(٦) وهو من شربة أبي موسى الأشعري أحد الحكمين في صفين. وكانت

١١ ابن الأثير ج ٥ ص ١٥٦-١٥٧.

٢ المصدر نفسه ص ١٩٩ تاريخ ج ٥ ص ١١٣٢.

٣ المصري ج ٣ ص ١١٣١ وما يلي.

٤ ابن حجر - تاريخ - ص ١٥٠-١٥١ في شهر رجب ص ٣١-٣٢ في رجب ص ١١٩-١٢٠.

٥ ابن حجر ج ٤ ص ١١٨-١١٩ في رجب ص ١١٨-١١٩ في رجب ص ١١٨-١١٩ في رجب ص ١١٨-١١٩.

٦ ابن حجر شهر رجب ص ١١٨-١١٩ في رجب ص ١١٨-١١٩ في رجب ص ١١٨-١١٩.

٧ ابن حجر كتابه مقالات الأئمة ص ١١٨-١١٩ في رجب ص ١١٨-١١٩ في رجب ص ١١٨-١١٩.

لشهر رجب ص ١١٨-١١٩.

اعتارة في نظر بعض أهل النقي قد رفعت رأسه ولكن مره انتهى بظهور الأشعري. وقد قرأ الأشعري في حديثه على فقيه معتري اسمه الجاني^{١١} (توفي ٩١٥ - ١٦) ولكنه أبى مد حين عن القول بالعدل وخلق القرآن وأقنع عن آراء أهل الاعتزال^{١٢} وسلط لمره على بعض شيوخه منهم. فشرقت أذهانهم وحاربهم سلاحهم من منطق وفلسفة وأصبح فوق ما كان له من دأب متعدد مؤسس علم الكلام في الإسلام. وبعد ذلك أخذت الغزاة المدرسية الترامية إلى التقريب بين الدين وبين مبادئ الفكر الجواني عصب أعلى مطالب التفكير الإسلامي لها في ذلك شأن النزعة التي عرفت في الحجة تنبؤية في التصور الواسع. وإلى لأشعري سب بعض استبداد مبدأ «بلا كيف» الذي فليس على امتداد طاعة أوامر دين والاراس بلا ممانعة. ومن آثار هذا المبدأ أنه أخرج حجة عسكروا ونهضت بحث الفقي. وقد كانت الغرض من مدرسة النظامية في أسس ويرى - بحوثي - طريقة الأشعرية في منه الإسلامي.

المراد

وقد ظهر المراد في هذا لأشعري فكر طاعة فقه الإسلام دون مذاهب وأية يعود العمل في شئت طاعة لأشعرية على شكل مستقر وأخذ تعيسم عقيدة الإسلامية شاذة. وقد اعتدده أهل السنة والجماعة بوجهة وقوله لم يكن لي حديثي كان قري.

ولد أبو حامد الغزالي سنة ١٠٥٨ في غزني غزاليان وفيه مات سنة ١١١١. وقد أتم في حيدرآباد الشخصية مدنية كل في الإسلام من مظهر وهو روحانية وإتاحة ما قاله عن نفسه:

«وإذا أزل في شغلان شدي من همت السروح قبل روحه من عين لي كان وقد أوف اسن على الحسين فتحه بركة هذا بحر اعيق... وأتوغل في كل مظنة... واستكشف

١١ أخر غير ساري من ٥٥ وما إلى ١: حداثي من ١٢٦.

١٢ الفهرست من ١٤٩.

١٣ يقتضيه أربن سبة جمران من عرب مارونينا محقة تصوية: محمد بن بن سب في مجلة المجمع

ج ١ (١٩٢٧) من ٢٢٤ - ٢٢٥. وقال Duncan B. Macdonald in *Journal Royal Asiatic Society* (1902), pp. 18-22.

اميرار مذهب كل طائفة... لا تدرى بمشيتي لا واجب ان يتابع علي فاشته ولا غيري
الا ويريد ان يتبع علي فاشته... ولا فليس... لا يرفضه ويقوف علي كنه فاشته...
ولا منك... الا وحيد في الامانة علي غنة كلامه ويكرهه... ولا صوف... لا يحرص علي
اعتق علي سر صفوته... ولا يمتد... لا يرفضه... يرجع اليه... لا يرفضه... ولا يرفضه...
الا وانكس... وراه... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه... ولا يرفضه...
منا في الامور... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه... ولا يرفضه...
في حاشي لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه... ولا يرفضه...

الحب امري علي سنة الامانة... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه...
... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه... ولا يرفضه...
... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه... ولا يرفضه...
... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه... ولا يرفضه...
... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه... ولا يرفضه...
... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه... ولا يرفضه...
... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه... ولا يرفضه...
... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه... ولا يرفضه...
... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه... ولا يرفضه...
... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه... ولا يرفضه...

١٠ الي من... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه...

١١ الي من... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه...
١٢ الي من... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه...
١٣ الي من... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه...

١٤ الي من... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه...

١٥ الي من... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه...

١٦ الي من... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه...

١٧ الي من... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه...

١٨ الي من... لا يمتد... لا يرفضه... ولا يرفضه...

انزل النسخة عن العرش الذي كان قد احتله واستعمت اصول كلامه لأشرفي موضع بقاء علي
وانتجح للإسلام. ونذهب السنة محل شيوخ الفلسفة. وقبل سنة ١١٥٠ ترحلت عشرات من
هذه الكتب إلى اللاتينية وأثرت تأثيراً طويلاً في الحركة الفكرية المصرية واليهودية. وقد
تأثرت أوم الكوبي وهو من كبار اللاهوتيين عند المصريين عن طريق غير مباشر. وفكر
الغزالي وكذلك تأثر سكان. وأما ذلك ثوب فكروي مدرس في سنة ١٢٥٠ لاشعري
والغزالي لا يزال ثوب الإسلام في بيوت أم المصرية العربية فليس توفقت في خروج من
وذلك المقدسي لأسبغ به الثورة جروندية.

الاصوف

أما حركة زهد وتكليف في الإسلام من اصوف ومن اصوف مجموعة من
التي هي بالآثار وجهة مكبر وشعور في الأمور الدينية. وليس حركة معاكسة للغزالي
في الدين وحصره في فوات لا شعور. أما بعد فليس اصوف شوق الغزالي في قرب وربي
مباشر إلى الله وأخذ من حقيقة الدينية. والاصوف من سواد من حركات الإسلامية
يعود أصوله إلى القرآن والحديث. هي التي كانت بدء الثورة في المذبح الثاني عشرين
المسلمين وأولها على التوكل على الله. ولكن الله وكلامه ٩٦٠. سنة ١١٣٠
الاصوف ٥٧٠. إن كان علاقة محمد بن عبد الله صوفية تركيز على شعور المشرق بظفيرة
الطبية. وقد صرح أصحاب اصوف مراتب منهم المفسرين حقيقين أنه برافق الحظيرة
توارث في الحداث.

كان اصوف لاهوتي في سنة مقصور على حوزة زهدية رافعة على الاعتقاد والتأمل
كما كان الحال عند الساطع المصري ثم أصبح في القرن الثاني هجرة وعدد حركات صوفية
معتقدات من مصادر شتى عديدة والإصطلاحية الحديثة والعنصرية واليهودية والمذبح من مذهب
السنة إلى مذهب الاصل بالله وشعره لاوهية. أما ليس اصوف فأنحدر عن زهد المصريين
ومنهم أيضاً أخذت فكرة العزوبة أو التمثل التي لم تكن من الإسلام في شيء. وفي التماثلات
العزوبة والتعب الخوان والاصراف إلى التخلوات شيء من تأثير الصوامع السريانية. أما زعم

« الطريقة »^١ عند المتصوفين للإسلاميين الذي نشأ في القرن الثالث عشر وفيه « الشيخ »
و « تلميذ » كما كان عند النصارى الكاهن والتلميذ. فهو نظام يحكي نظام الرهبنة
بألفاظ من الحديث السويبي^٢ أي « لا رهبانية في الإسلام » . كذلك حلقات الذكر^٣
وهي الخلق الذي الوحيد في الإسلام فبأنه عن أصل مسيحي^٤ وتشير التقاليد الصوفية
المختصة بالآخرة وبالمسيح المدخل^٥ إلى كثر متصوفين حسبهم نصارى ويهود.

الزهد

وردت لفظة صوفي في الأدب العربي لأول مرة في منتصف القرن التاسع وكانت ذلك
إشارة إلى طبقة من الزهاد^٦ . ولول من أطلق عليه هذا الاسم حسب بعض الروايات
المشجرة النجدة الشهير حنبل بن حبيب (زهد نحو ٧٧٦) الذي ادعى نفسه مذهباً خاصاً في
الزهد . أما معاصره إبراهيم بن إدهم النخعي (المتوفى نحو ٧٧٧) فإنه أتموذج لهذه الحياة
الزهدية القائمة على الهدوء والقبول . وفي الأسطورة الصوفية التي قص خير اعتناء إبراهيم إلى
مذهب المتصوف ما يدل على أنها وضعت على أساس قصة ورد^٧ . فهي تروي أن إبراهيم
كان من أبناء النخوة فخرج يوماً حاملاً وبيده هو في طلب مسدود هتف به هتاف « ألهذا
خفت أن بهذا امرت ؟ » فبين من دأته وحذوف ألباً لآبيه وأخذ حبة الزاوي وكانت من
صوف فاسم . واعتكف على الزهد والفرج . وفي الأسطورة الحزبية أن إبراهيم كان من أهل
النعمة حين هو مشرف ذات يوم من قصره إذ نظر إلى رجل يلبس رقيق بكل في في القصر
ثم يضرب منه ويده فله استيقظ سأل إبراهيم من حبه وأخبره أنه « كل الرقيق ضلع ونسب
أبناء فروي وأنه يوم طيلاً بلا هبة . فقال إبراهيم في نفسه : « ما أصنع أنا بالدي والنفوس تمنع

١ / إشارة إلى « طريق » في سورة الأحقاف : ٢٩ ومريم .

٢ / إشارة إلى « في سورة الأعراف : ٤٩ .

٣ / Hyslop A. Nicholson, *The Mystics of Islam* (London, 1914), p. 10 .

٤ / ابن مشيخان دجلة الأرمينية : قبل من ٢٤٦ : ٢٤٧ : ٢٤٨ : ٢٤٩ : ٢٥٠ : ٢٥١ : ٢٥٢ : ٢٥٣ : ٢٥٤ : ٢٥٥ : ٢٥٦ : ٢٥٧ : ٢٥٨ : ٢٥٩ : ٢٦٠ : ٢٦١ : ٢٦٢ : ٢٦٣ : ٢٦٤ : ٢٦٥ : ٢٦٦ : ٢٦٧ : ٢٦٨ : ٢٦٩ : ٢٧٠ : ٢٧١ : ٢٧٢ : ٢٧٣ : ٢٧٤ : ٢٧٥ : ٢٧٦ : ٢٧٧ : ٢٧٨ : ٢٧٩ : ٢٨٠ : ٢٨١ : ٢٨٢ : ٢٨٣ : ٢٨٤ : ٢٨٥ : ٢٨٦ : ٢٨٧ : ٢٨٨ : ٢٨٩ : ٢٩٠ : ٢٩١ : ٢٩٢ : ٢٩٣ : ٢٩٤ : ٢٩٥ : ٢٩٦ : ٢٩٧ : ٢٩٨ : ٢٩٩ : ٣٠٠ : ٣٠١ : ٣٠٢ : ٣٠٣ : ٣٠٤ : ٣٠٥ : ٣٠٦ : ٣٠٧ : ٣٠٨ : ٣٠٩ : ٣١٠ : ٣١١ : ٣١٢ : ٣١٣ : ٣١٤ : ٣١٥ : ٣١٦ : ٣١٧ : ٣١٨ : ٣١٩ : ٣٢٠ : ٣٢١ : ٣٢٢ : ٣٢٣ : ٣٢٤ : ٣٢٥ : ٣٢٦ : ٣٢٧ : ٣٢٨ : ٣٢٩ : ٣٣٠ : ٣٣١ : ٣٣٢ : ٣٣٣ : ٣٣٤ : ٣٣٥ : ٣٣٦ : ٣٣٧ : ٣٣٨ : ٣٣٩ : ٣٤٠ : ٣٤١ : ٣٤٢ : ٣٤٣ : ٣٤٤ : ٣٤٥ : ٣٤٦ : ٣٤٧ : ٣٤٨ : ٣٤٩ : ٣٥٠ : ٣٥١ : ٣٥٢ : ٣٥٣ : ٣٥٤ : ٣٥٥ : ٣٥٦ : ٣٥٧ : ٣٥٨ : ٣٥٩ : ٣٦٠ : ٣٦١ : ٣٦٢ : ٣٦٣ : ٣٦٤ : ٣٦٥ : ٣٦٦ : ٣٦٧ : ٣٦٨ : ٣٦٩ : ٣٧٠ : ٣٧١ : ٣٧٢ : ٣٧٣ : ٣٧٤ : ٣٧٥ : ٣٧٦ : ٣٧٧ : ٣٧٨ : ٣٧٩ : ٣٨٠ : ٣٨١ : ٣٨٢ : ٣٨٣ : ٣٨٤ : ٣٨٥ : ٣٨٦ : ٣٨٧ : ٣٨٨ : ٣٨٩ : ٣٩٠ : ٣٩١ : ٣٩٢ : ٣٩٣ : ٣٩٤ : ٣٩٥ : ٣٩٦ : ٣٩٧ : ٣٩٨ : ٣٩٩ : ٤٠٠ : ٤٠١ : ٤٠٢ : ٤٠٣ : ٤٠٤ : ٤٠٥ : ٤٠٦ : ٤٠٧ : ٤٠٨ : ٤٠٩ : ٤١٠ : ٤١١ : ٤١٢ : ٤١٣ : ٤١٤ : ٤١٥ : ٤١٦ : ٤١٧ : ٤١٨ : ٤١٩ : ٤٢٠ : ٤٢١ : ٤٢٢ : ٤٢٣ : ٤٢٤ : ٤٢٥ : ٤٢٦ : ٤٢٧ : ٤٢٨ : ٤٢٩ : ٤٣٠ : ٤٣١ : ٤٣٢ : ٤٣٣ : ٤٣٤ : ٤٣٥ : ٤٣٦ : ٤٣٧ : ٤٣٨ : ٤٣٩ : ٤٤٠ : ٤٤١ : ٤٤٢ : ٤٤٣ : ٤٤٤ : ٤٤٥ : ٤٤٦ : ٤٤٧ : ٤٤٨ : ٤٤٩ : ٤٥٠ : ٤٥١ : ٤٥٢ : ٤٥٣ : ٤٥٤ : ٤٥٥ : ٤٥٦ : ٤٥٧ : ٤٥٨ : ٤٥٩ : ٤٦٠ : ٤٦١ : ٤٦٢ : ٤٦٣ : ٤٦٤ : ٤٦٥ : ٤٦٦ : ٤٦٧ : ٤٦٨ : ٤٦٩ : ٤٧٠ : ٤٧١ : ٤٧٢ : ٤٧٣ : ٤٧٤ : ٤٧٥ : ٤٧٦ : ٤٧٧ : ٤٧٨ : ٤٧٩ : ٤٨٠ : ٤٨١ : ٤٨٢ : ٤٨٣ : ٤٨٤ : ٤٨٥ : ٤٨٦ : ٤٨٧ : ٤٨٨ : ٤٨٩ : ٤٩٠ : ٤٩١ : ٤٩٢ : ٤٩٣ : ٤٩٤ : ٤٩٥ : ٤٩٦ : ٤٩٧ : ٤٩٨ : ٤٩٩ : ٥٠٠ : ٥٠١ : ٥٠٢ : ٥٠٣ : ٥٠٤ : ٥٠٥ : ٥٠٦ : ٥٠٧ : ٥٠٨ : ٥٠٩ : ٥١٠ : ٥١١ : ٥١٢ : ٥١٣ : ٥١٤ : ٥١٥ : ٥١٦ : ٥١٧ : ٥١٨ : ٥١٩ : ٥٢٠ : ٥٢١ : ٥٢٢ : ٥٢٣ : ٥٢٤ : ٥٢٥ : ٥٢٦ : ٥٢٧ : ٥٢٨ : ٥٢٩ : ٥٣٠ : ٥٣١ : ٥٣٢ : ٥٣٣ : ٥٣٤ : ٥٣٥ : ٥٣٦ : ٥٣٧ : ٥٣٨ : ٥٣٩ : ٥٤٠ : ٥٤١ : ٥٤٢ : ٥٤٣ : ٥٤٤ : ٥٤٥ : ٥٤٦ : ٥٤٧ : ٥٤٨ : ٥٤٩ : ٥٥٠ : ٥٥١ : ٥٥٢ : ٥٥٣ : ٥٥٤ : ٥٥٥ : ٥٥٦ : ٥٥٧ : ٥٥٨ : ٥٥٩ : ٥٦٠ : ٥٦١ : ٥٦٢ : ٥٦٣ : ٥٦٤ : ٥٦٥ : ٥٦٦ : ٥٦٧ : ٥٦٨ : ٥٦٩ : ٥٧٠ : ٥٧١ : ٥٧٢ : ٥٧٣ : ٥٧٤ : ٥٧٥ : ٥٧٦ : ٥٧٧ : ٥٧٨ : ٥٧٩ : ٥٨٠ : ٥٨١ : ٥٨٢ : ٥٨٣ : ٥٨٤ : ٥٨٥ : ٥٨٦ : ٥٨٧ : ٥٨٨ : ٥٨٩ : ٥٩٠ : ٥٩١ : ٥٩٢ : ٥٩٣ : ٥٩٤ : ٥٩٥ : ٥٩٦ : ٥٩٧ : ٥٩٨ : ٥٩٩ : ٦٠٠ : ٦٠١ : ٦٠٢ : ٦٠٣ : ٦٠٤ : ٦٠٥ : ٦٠٦ : ٦٠٧ : ٦٠٨ : ٦٠٩ : ٦١٠ : ٦١١ : ٦١٢ : ٦١٣ : ٦١٤ : ٦١٥ : ٦١٦ : ٦١٧ : ٦١٨ : ٦١٩ : ٦٢٠ : ٦٢١ : ٦٢٢ : ٦٢٣ : ٦٢٤ : ٦٢٥ : ٦٢٦ : ٦٢٧ : ٦٢٨ : ٦٢٩ : ٦٣٠ : ٦٣١ : ٦٣٢ : ٦٣٣ : ٦٣٤ : ٦٣٥ : ٦٣٦ : ٦٣٧ : ٦٣٨ : ٦٣٩ : ٦٤٠ : ٦٤١ : ٦٤٢ : ٦٤٣ : ٦٤٤ : ٦٤٥ : ٦٤٦ : ٦٤٧ : ٦٤٨ : ٦٤٩ : ٦٥٠ : ٦٥١ : ٦٥٢ : ٦٥٣ : ٦٥٤ : ٦٥٥ : ٦٥٦ : ٦٥٧ : ٦٥٨ : ٦٥٩ : ٦٦٠ : ٦٦١ : ٦٦٢ : ٦٦٣ : ٦٦٤ : ٦٦٥ : ٦٦٦ : ٦٦٧ : ٦٦٨ : ٦٦٩ : ٦٧٠ : ٦٧١ : ٦٧٢ : ٦٧٣ : ٦٧٤ : ٦٧٥ : ٦٧٦ : ٦٧٧ : ٦٧٨ : ٦٧٩ : ٦٨٠ : ٦٨١ : ٦٨٢ : ٦٨٣ : ٦٨٤ : ٦٨٥ : ٦٨٦ : ٦٨٧ : ٦٨٨ : ٦٨٩ : ٦٩٠ : ٦٩١ : ٦٩٢ : ٦٩٣ : ٦٩٤ : ٦٩٥ : ٦٩٦ : ٦٩٧ : ٦٩٨ : ٦٩٩ : ٧٠٠ : ٧٠١ : ٧٠٢ : ٧٠٣ : ٧٠٤ : ٧٠٥ : ٧٠٦ : ٧٠٧ : ٧٠٨ : ٧٠٩ : ٧١٠ : ٧١١ : ٧١٢ : ٧١٣ : ٧١٤ : ٧١٥ : ٧١٦ : ٧١٧ : ٧١٨ : ٧١٩ : ٧٢٠ : ٧٢١ : ٧٢٢ : ٧٢٣ : ٧٢٤ : ٧٢٥ : ٧٢٦ : ٧٢٧ : ٧٢٨ : ٧٢٩ : ٧٣٠ : ٧٣١ : ٧٣٢ : ٧٣٣ : ٧٣٤ : ٧٣٥ : ٧٣٦ : ٧٣٧ : ٧٣٨ : ٧٣٩ : ٧٤٠ : ٧٤١ : ٧٤٢ : ٧٤٣ : ٧٤٤ : ٧٤٥ : ٧٤٦ : ٧٤٧ : ٧٤٨ : ٧٤٩ : ٧٥٠ : ٧٥١ : ٧٥٢ : ٧٥٣ : ٧٥٤ : ٧٥٥ : ٧٥٦ : ٧٥٧ : ٧٥٨ : ٧٥٩ : ٧٦٠ : ٧٦١ : ٧٦٢ : ٧٦٣ : ٧٦٤ : ٧٦٥ : ٧٦٦ : ٧٦٧ : ٧٦٨ : ٧٦٩ : ٧٧٠ : ٧٧١ : ٧٧٢ : ٧٧٣ : ٧٧٤ : ٧٧٥ : ٧٧٦ : ٧٧٧ : ٧٧٨ : ٧٧٩ : ٧٨٠ : ٧٨١ : ٧٨٢ : ٧٨٣ : ٧٨٤ : ٧٨٥ : ٧٨٦ : ٧٨٧ : ٧٨٨ : ٧٨٩ : ٧٩٠ : ٧٩١ : ٧٩٢ : ٧٩٣ : ٧٩٤ : ٧٩٥ : ٧٩٦ : ٧٩٧ : ٧٩٨ : ٧٩٩ : ٨٠٠ : ٨٠١ : ٨٠٢ : ٨٠٣ : ٨٠٤ : ٨٠٥ : ٨٠٦ : ٨٠٧ : ٨٠٨ : ٨٠٩ : ٨١٠ : ٨١١ : ٨١٢ : ٨١٣ : ٨١٤ : ٨١٥ : ٨١٦ : ٨١٧ : ٨١٨ : ٨١٩ : ٨٢٠ : ٨٢١ : ٨٢٢ : ٨٢٣ : ٨٢٤ : ٨٢٥ : ٨٢٦ : ٨٢٧ : ٨٢٨ : ٨٢٩ : ٨٣٠ : ٨٣١ : ٨٣٢ : ٨٣٣ : ٨٣٤ : ٨٣٥ : ٨٣٦ : ٨٣٧ : ٨٣٨ : ٨٣٩ : ٨٤٠ : ٨٤١ : ٨٤٢ : ٨٤٣ : ٨٤٤ : ٨٤٥ : ٨٤٦ : ٨٤٧ : ٨٤٨ : ٨٤٩ : ٨٥٠ : ٨٥١ : ٨٥٢ : ٨٥٣ : ٨٥٤ : ٨٥٥ : ٨٥٦ : ٨٥٧ : ٨٥٨ : ٨٥٩ : ٨٦٠ : ٨٦١ : ٨٦٢ : ٨٦٣ : ٨٦٤ : ٨٦٥ : ٨٦٦ : ٨٦٧ : ٨٦٨ : ٨٦٩ : ٨٧٠ : ٨٧١ : ٨٧٢ : ٨٧٣ : ٨٧٤ : ٨٧٥ : ٨٧٦ : ٨٧٧ : ٨٧٨ : ٨٧٩ : ٨٨٠ : ٨٨١ : ٨٨٢ : ٨٨٣ : ٨٨٤ : ٨٨٥ : ٨٨٦ : ٨٨٧ : ٨٨٨ : ٨٨٩ : ٨٩٠ : ٨٩١ : ٨٩٢ : ٨٩٣ : ٨٩٤ : ٨٩٥ : ٨٩٦ : ٨٩٧ : ٨٩٨ : ٨٩٩ : ٩٠٠ : ٩٠١ : ٩٠٢ : ٩٠٣ : ٩٠٤ : ٩٠٥ : ٩٠٦ : ٩٠٧ : ٩٠٨ : ٩٠٩ : ٩١٠ : ٩١١ : ٩١٢ : ٩١٣ : ٩١٤ : ٩١٥ : ٩١٦ : ٩١٧ : ٩١٨ : ٩١٩ : ٩٢٠ : ٩٢١ : ٩٢٢ : ٩٢٣ : ٩٢٤ : ٩٢٥ : ٩٢٦ : ٩٢٧ : ٩٢٨ : ٩٢٩ : ٩٣٠ : ٩٣١ : ٩٣٢ : ٩٣٣ : ٩٣٤ : ٩٣٥ : ٩٣٦ : ٩٣٧ : ٩٣٨ : ٩٣٩ : ٩٤٠ : ٩٤١ : ٩٤٢ : ٩٤٣ : ٩٤٤ : ٩٤٥ : ٩٤٦ : ٩٤٧ : ٩٤٨ : ٩٤٩ : ٩٥٠ : ٩٥١ : ٩٥٢ : ٩٥٣ : ٩٥٤ : ٩٥٥ : ٩٥٦ : ٩٥٧ : ٩٥٨ : ٩٥٩ : ٩٦٠ : ٩٦١ : ٩٦٢ : ٩٦٣ : ٩٦٤ : ٩٦٥ : ٩٦٦ : ٩٦٧ : ٩٦٨ : ٩٦٩ : ٩٧٠ : ٩٧١ : ٩٧٢ : ٩٧٣ : ٩٧٤ : ٩٧٥ : ٩٧٦ : ٩٧٧ : ٩٧٨ : ٩٧٩ : ٩٨٠ : ٩٨١ : ٩٨٢ : ٩٨٣ : ٩٨٤ : ٩٨٥ : ٩٨٦ : ٩٨٧ : ٩٨٨ : ٩٨٩ : ٩٩٠ : ٩٩١ : ٩٩٢ : ٩٩٣ : ٩٩٤ : ٩٩٥ : ٩٩٦ : ٩٩٧ : ٩٩٨ : ٩٩٩ : ١٠٠٠ : ١٠٠١ : ١٠٠٢ : ١٠٠٣ : ١٠٠٤ : ١٠٠٥ : ١٠٠٦ : ١٠٠٧ : ١٠٠٨ : ١٠٠٩ : ١٠١٠ : ١٠١١ : ١٠١٢ : ١٠١٣ : ١٠١٤ : ١٠١٥ : ١٠١٦ : ١٠١٧ : ١٠١٨ : ١٠١٩ : ١٠٢٠ : ١٠٢١ : ١٠٢٢ : ١٠٢٣ : ١٠٢٤ : ١٠٢٥ : ١٠٢٦ : ١٠٢٧ : ١٠٢٨ : ١٠٢٩ : ١٠٣٠ : ١٠٣١ : ١٠٣٢ : ١٠٣٣ : ١٠٣٤ : ١٠٣٥ : ١٠٣٦ : ١٠٣٧ : ١٠٣٨ : ١٠٣٩ : ١٠٤٠ : ١٠٤١ : ١٠٤٢ : ١٠٤٣ : ١٠٤٤ : ١٠٤٥ : ١٠٤٦ : ١٠٤٧ : ١٠٤٨ : ١٠٤٩ : ١٠٥٠ : ١٠٥١ : ١٠٥٢ : ١٠٥٣ : ١٠٥٤ : ١٠٥٥ : ١٠٥٦ : ١٠٥٧ : ١٠٥٨ : ١٠٥٩ : ١٠٦٠ : ١٠٦١ : ١٠٦٢ : ١٠٦٣ : ١٠٦٤ : ١٠٦٥ : ١٠٦٦ : ١٠٦٧ : ١٠٦٨ : ١٠٦٩ : ١٠٧٠ : ١٠٧١ : ١٠٧٢ : ١٠٧٣ : ١٠٧٤ : ١٠٧٥ : ١٠٧٦ : ١٠٧٧ : ١٠٧٨ : ١٠٧٩ : ١٠٨٠ : ١٠٨١ : ١٠٨٢ : ١٠٨٣ : ١٠٨٤ : ١٠٨٥ : ١٠٨٦ : ١٠٨٧ : ١٠٨٨ : ١٠٨٩ : ١٠٩٠ : ١٠٩١ : ١٠٩٢ : ١٠٩٣ : ١٠٩٤ : ١٠٩٥ : ١٠٩٦ : ١٠٩٧ : ١٠٩٨ : ١٠٩٩ : ١١٠٠ : ١١٠١ : ١١٠٢ : ١١٠٣ : ١١٠٤ : ١١٠٥ : ١١٠٦ : ١١٠٧ : ١١٠٨ : ١١٠٩ : ١١١٠ : ١١١١ : ١١١٢ : ١١١٣ : ١١١٤ : ١١١٥ : ١١١٦ : ١١١٧ : ١١١٨ : ١١١٩ : ١١٢٠ : ١١٢١ : ١١٢٢ : ١١٢٣ : ١١٢٤ : ١١٢٥ : ١١٢٦ : ١١٢٧ : ١١٢٨ : ١١٢٩ : ١١٣٠ : ١١٣١ : ١١٣٢ : ١١٣٣ : ١١٣٤ : ١١٣٥ : ١١٣٦ : ١١٣٧ : ١١٣٨ : ١١٣٩ : ١١٤٠ : ١١٤١ : ١١٤٢ : ١١٤٣ : ١١٤٤ : ١١٤٥ : ١١٤٦ : ١١٤٧ : ١١٤٨ : ١١٤٩ : ١١٥٠ : ١١٥١ : ١١٥٢ : ١١٥٣ : ١١٥٤ : ١١٥٥ : ١١٥٦ : ١١٥٧ : ١١٥٨ : ١١٥٩ : ١١٦٠ : ١١٦١ : ١١٦٢ : ١١٦٣ : ١١٦٤ : ١١٦٥ : ١١٦٦ : ١١٦٧ : ١١٦٨ : ١١٦٩ : ١١٧٠ : ١١٧١ : ١١٧٢ : ١١٧٣ : ١١٧٤ : ١١٧٥ : ١١٧٦ : ١١٧٧ : ١١٧٨ : ١١٧٩ : ١١٨٠ : ١١٨١ : ١١٨٢ : ١١٨٣ : ١١٨٤ : ١١٨٥ : ١١٨٦ : ١١٨٧ : ١١٨٨ : ١١٨٩ : ١١٩٠ : ١١٩١ : ١١٩٢ : ١١٩٣ : ١١٩٤ : ١١٩٥ : ١١٩٦ : ١١٩٧ : ١١٩٨ : ١١٩٩ : ١٢٠٠ : ١٢٠١ : ١٢٠٢ : ١٢٠٣ : ١٢٠٤ : ١٢٠٥ : ١٢٠٦ : ١٢٠٧ : ١٢٠٨ : ١٢٠٩ : ١٢١٠ : ١٢١١ : ١٢١٢ : ١٢١٣ : ١٢١٤ : ١٢١٥ : ١٢١٦ : ١٢١٧ : ١٢١٨ : ١٢١٩ : ١٢٢٠ : ١٢٢١ : ١٢٢٢ : ١٢٢٣ : ١٢٢٤ : ١٢٢٥ : ١٢٢٦ : ١٢٢٧ : ١٢٢٨ : ١٢٢٩ : ١٢٣٠ : ١٢٣١ : ١٢٣٢ : ١٢٣٣ : ١٢٣٤ : ١٢٣٥ : ١٢٣٦ : ١٢٣٧ : ١٢٣٨ : ١٢٣٩ : ١٢٤٠ : ١٢٤١ : ١٢٤٢ : ١٢٤٣ : ١٢٤٤ : ١٢٤٥ : ١٢٤٦ : ١٢٤٧ : ١٢٤٨ : ١٢٤٩ : ١٢٥٠ : ١٢٥١ : ١٢٥٢ : ١٢٥٣ : ١٢٥٤ : ١٢٥٥ : ١٢٥٦ : ١٢٥٧ : ١٢٥٨ : ١٢٥٩ : ١٢٦٠ : ١٢٦١ : ١٢٦٢ : ١٢٦٣ : ١٢٦٤ : ١٢٦٥ : ١٢٦٦ : ١٢٦٧ : ١٢٦٨ : ١٢٦٩ : ١٢٧٠ : ١٢٧١ : ١٢٧٢ : ١٢٧٣ : ١٢٧٤ : ١٢٧٥ : ١٢٧٦ : ١٢٧٧ : ١٢٧٨ : ١٢٧٩ : ١٢٨٠ : ١٢٨١ : ١٢٨٢ : ١٢٨٣ : ١٢٨٤ : ١٢٨٥ : ١٢٨٦ : ١٢٨٧ : ١٢٨٨ : ١٢٨٩ : ١٢٩٠ : ١٢٩١ : ١٢٩٢ : ١٢٩٣ : ١٢٩٤ : ١٢٩٥ : ١٢٩٦ : ١٢٩٧ : ١٢٩٨ : ١٢٩٩ : ١٣٠٠ : ١٣٠١ : ١٣٠٢ : ١٣٠٣ : ١٣٠٤ : ١٣٠٥ : ١٣٠٦ : ١٣٠٧ : ١٣٠٨ : ١٣٠٩ : ١٣١٠ : ١٣١١ : ١٣١٢ : ١٣١٣ : ١٣١٤ : ١٣١٥ : ١٣١٦ : ١٣١٧ : ١٣١٨ : ١٣١٩ : ١٣٢٠ : ١٣٢١ : ١٣٢٢ : ١٣٢٣ : ١٣٢٤ : ١٣٢٥ : ١٣٢٦ : ١٣٢٧ : ١٣٢٨ : ١٣٢٩ : ١٣٣٠ : ١٣٣١ : ١٣٣٢ : ١٣٣٣ : ١٣٣٤ : ١٣٣٥ : ١٣٣٦ : ١٣٣٧ : ١٣٣٨ : ١٣٣٩ : ١٣٤٠ : ١٣٤١ : ١٣٤٢ : ١٣٤٣ : ١٣٤٤ : ١٣٤٥ : ١٣٤٦ : ١٣٤٧ : ١٣٤٨ : ١٣٤٩ : ١٣٥٠ : ١٣٥١ : ١٣٥٢ : ١٣٥٣ : ١٣٥٤ : ١٣٥٥ : ١٣٥٦ : ١٣٥٧ : ١٣٥٨ : ١٣٥٩ : ١٣٦٠ : ١٣٦١ : ١٣٦٢ : ١٣٦٣ : ١٣٦٤ : ١٣٦٥ : ١٣٦٦ : ١٣٦٧ : ١٣٦٨ : ١٣٦٩ : ١٣٧٠ : ١٣٧١ : ١٣٧٢ : ١٣٧٣ : ١٣٧٤ : ١٣٧٥ : ١٣٧٦ : ١٣٧٧ : ١٣٧٨ : ١٣٧٩ : ١٣٨٠ : ١٣٨١ : ١٣٨٢ : ١٣٨٣ : ١٣٨٤ : ١٣٨٥ : ١٣٨٦ : ١٣٨٧ : ١٣٨٨ : ١٣٨٩ : ١٣٩٠ : ١٣٩١ : ١٣٩٢ : ١٣٩٣ : ١٣٩٤ : ١٣٩٥ : ١٣٩٦ : ١٣٩٧ : ١٣٩٨ : ١٣٩٩ : ١٤٠٠ : ١٤٠١ : ١٤٠٢ : ١٤٠٣ : ١٤٠٤ : ١٤٠٥ : ١٤٠٦ : ١٤٠٧ : ١٤٠٨ : ١٤٠٩ : ١٤١٠ : ١٤١١ : ١٤١٢ : ١٤١٣ : ١٤١٤ : ١٤١٥ : ١٤١٦ : ١٤١٧ : ١٤١٨ : ١٤١٩ : ١٤٢٠ : ١٤٢١ : ١٤٢٢ : ١٤٢٣ : ١٤٢٤ : ١٤٢٥ : ١٤٢٦ : ١٤٢٧ : ١٤٢٨ : ١٤٢٩ : ١٤٣٠ : ١٤٣١ : ١٤٣٢ : ١٤٣٣ : ١٤٣٤ : ١٤٣٥ : ١٤٣٦ : ١٤٣٧ : ١٤٣٨ : ١٤٣٩ : ١٤٤٠ : ١٤٤١ : ١٤٤٢ : ١٤٤٣ : ١٤٤٤ : ١٤٤٥ : ١٤٤٦ : ١٤٤٧ : ١٤٤٨ : ١٤٤٩ : ١٤٥٠ : ١٤٥١ : ١٤٥٢ : ١٤٥٣ : ١٤٥٤ : ١٤٥٥ : ١٤٥٦ : ١٤٥٧ : ١٤٥٨ : ١٤٥٩ : ١٤٦٠ : ١٤٦١ : ١٤٦٢ : ١٤٦٣ : ١٤٦٤ : ١٤٦٥ : ١٤٦٦ : ١٤٦٧ : ١٤٦٨ : ١٤٦٩ : ١٤٧٠ : ١٤٧١ : ١٤٧٢ : ١٤٧٣ : ١٤٧٤ : ١٤٧٥ : ١٤٧٦ : ١٤٧٧ : ١٤٧٨ : ١٤٧٩ : ١٤٨٠ : ١٤٨١ : ١٤٨٢ : ١٤٨٣ : ١٤٨٤ : ١٤٨٥ : ١٤٨٦ : ١٤٨٧ : ١٤٨٨ : ١٤٨٩ : ١٤٩٠ : ١٤٩١ : ١٤٩٢ : ١٤٩٣ : ١٤٩٤ : ١٤٩٥ : ١٤٩٦ : ١٤٩٧ : ١٤٩٨ : ١٤٩٩ : ١٥٠٠ : ١٥٠١ : ١٥٠٢ : ١٥٠٣ : ١٥٠٤ : ١٥٠٥ : ١٥٠٦ : ١٥٠٧ : ١٥٠٨ : ١٥٠٩ : ١٥١٠ : ١٥١١ : ١٥١٢ : ١٥١٣ : ١٥١٤ : ١٥١٥ : ١٥١٦ : ١٥١٧ : ١٥١٨ : ١٥١٩ : ١٥٢٠ : ١٥٢١ : ١٥٢٢ : ١٥٢٣ : ١٥٢٤ : ١٥٢٥ : ١٥٢٦ : ١٥٢٧ : ١٥٢٨ : ١٥٢٩ : ١٥٣٠ : ١٥٣١ : ١٥٣٢ : ١٥٣٣ : ١٥٣٤ : ١٥٣٥ : ١٥٣٦ : ١٥٣٧ : ١٥٣٨ : ١٥٣٩ : ١٥٤٠ :

تأريثاً « قلبس الصوف وخرج سائحاً » (١). وخرج ابراهيم الى سورية حيث نشأت المنظمة الصوفية الأولى وهناك اخذ بعشاش بعرق جبينه .

ملوك المتصوفين

ولم تخل هذه الحركة الزهدية ان أثرت باموريات النصرانية والافكار الخبيثة فاصبحت في القرن الثاني للهجرة طريقة تصوفية واخذت حيزاً عند اصحابها كسبيل عظيم لتطهير النفس البشرية بحيث تتعرف الى الله وتتوصل الى محبته والاتحاد به بخروج الخيبة والانحدار لا كمنساب الرضوان والقبول في الآخرة . وهذه « المعرفة » بالله عند اهل التصوف هي شكل من المنوسبة (المعرفة) عند اليونان برغمي اليها اليك ثم اوتيه من النور الباطني وهي غير « العلم » بالله الذي يتيسر عن طريق العقل او بواسطة الرسوم بتأيد المربية . وقد اشتهر عقيدة « المعرفة » هذه ابو سليمان النابلسي (المتوفى ٨٥٩ - ٩٠٠) ومريجه في دار - بنوار دمشق وكان لا يزال مزاراً بقصده الزائرون حتى ايام وفاته . وكان اول صوفي احد مذهب « السلوك » دون المذهب هو معروف الكرخي (المتوفى سنة ٨١٥) المنتمي الى مدرسة بغداد . كان معروف نصراني الاصل او على كثر على مذهب الصائفة (٢) وقد شرب خمر تصوف يحب الله او « عشق الله » وحدث له كرامة الاولى . ولا يزال قبره في الجانب الغربي من بغداد (الكرخ) مزاراً الى يومنا هذا . وكانت الدس في زمن القشيري (٣) (المتوفى ١٠٧٥) يعتبرون الصلاة عنده تواء يشفي المرعى . ويعوجب قانون السلوك ليس من كان الا الله فأنه هو الخالق المبرمدي وليس سبيل الى الله الا الحب . فالحب اذن جوهر السلوك عند المتصوفين .

١ - اطراش عساكر ج ٢ ص ١٦٦ - ١٦٧ كمي ج ١ ص ٢ - ٣ : قصيري - رسالة (القاهرة ، ١٢٨٤) ص ٩ - ١٠ .

٢ - موجد البلدان ج ١ ص ٥٢٦ .

٣ - قاضي الفجوري : كشف المحجوب : ترجمة لكهن (يد . ١٩١١) ص ١١٥ .

٤ - رسالة ص ١٢ .

الاتصال بالله

وهو التصوف من الناحية النظرية التي بحث - مذهب الصوف الفلسفي - في مذهب
 « الأصل بالله » . وقد تم هذا الانتقال في عهد الترجمة من اليونانية وتأثير الأفكار الفيلسوفية
 وكان راعي مذهب الأصل بالله ودعمته الكثيري ذو النون^١ نصيري الذي كان ولده من
 البوذية^٢ . وتوفي في البصرة سنة ٨٦٠ . ويعتبره أصحاب التصوف عامة مؤسس العقيدة
 الصوفية وبذويهم من قطبهم الأول وغروب اسمهم كما ذكر « حرفة » فقام الله سبحانه وتعالى . وفي
 الواقع قد حمل ذو النون بصوفية شكك في أنه فقد دخل اسم « الفكرة » قائلا أن حقيقة معرفة
 الله لا يتوصل اليها إلا بواسطة « التوحد » . وكان ذو النون على ما يروي السموذي^٣ « بطوفه
 بين الأقاليم الدارسة وخطه مصر فبعث في حال يهوى كنهه قصد استخراج أسرار العلوم
 القديمة منها » .

شمس التوفيق

ولما كان الانتقال من مذهب الأصل بالله إلى القول بـ « شمول الأوهية » ممجواً وقد تم
 بتأثير الفكر الهندي لأبراهيمي . وقد حفظه صاحب « الأغاني »^٤ صورة واحدة على الأقل
 ظهرت في تصانيفه ووجه النظر البوذية . أما تلك الزائدة الذين وصفهم الجاحظ^٥ أنهم
 إما من معتنق السحر والجنود والمسلمة البوذيين أو معتنقهم^٦ . وقد يربط^٧ السطامي
 (المتوفي حوالي ٨٧٥) وكان حده محوسباً فأحدث القول بـ « شمول الأوهية » الذي انعكس عنه
 فكرة « التوفيق » البوذية . وحده بعد فرسي آخر هو الخلاج الذي جسد سنة ٩٢٢ وعاشق

١) أي صاحب الخلق وهو قد أصحى عو يوس في سورة الأعراف : ٨٧ واسم الخطابي تون . ي .
 القبط ابن إبراهيم .

٢) غفراني ص ١٠ : غفراني ص ١٠٠ .

٣) ج ٢ ص ١٠٠ : ١٠٢ .

٤) ج ٣ ص ٢٤ .

٥) الخليل ج ١ ص ١١٦ : ١١٧ .

٦) Ignaz Goldziher, *Vorlesungen über den Islam*, ed. F. Babinger (Heidelberg, (١٩٢٦) . p. 490 .

٧) تحرير م . بو زيد في التركية : خط غفراني ص ١٧ - ١٨ : بن خلكان ج ١ ص ١٢٩ .

على خشبة تم سرات علقه وأحرق في حجة مدينة غوة : د . د . خلق ، وقد كان صلبه سبطاً
في أن يكون اعظم شهيد سوي . وتظهر نظريته الصوفية في البيتين التاليين :

« أنا من أهوى ومن أهوى » نحن روحنا حياء

هكذا يصري بحريته وإذا بصريه حريته « ١١ »

ولا يزال قبره مغري بمدد ، إلى يوم يعتبر كغروب الشمس . الأنت شمس القامبين بالوحدة

والسوية هو محيي الدين ابن عربي (١١٦٥ - ١٢٤٠) لاندني وفريجه في سطح جبل

قسيون السمنق قائم اليوم وسط مسجد كبير يعرف باسمه . وهو عكس مصوفي السفة كما قال إلى

والجيد المنددي (السوي ١٩١٠) قد سمى إلى جمال التصوف عند محمود في حقائق

السالكين . وإيه ترجع فكرة شمول لأهمية القامدين في كل الموجود .

الشعر الصوفي والفلسفة الصوفية

لما يعرف العرب في ميدان الشعر صوفي سوى غم واحد هو من يعرف (١١٨١ -

١٢٣٥) وهو قصائد غنائية سكرية (١) وهي السودور الغني في الحب الغني سينا كانت

أكثر شعراء المنطقة الأولى عند العرب من السريدي وحفظه وحلال الدين تلامي من المتصوفين .

لما في الفلسفة الصوفية فقد ورد في اللغة العربي عن كبريل بعد أن من علمه اصحاب العقول

في الاسلام هم العربي والعراقي . وفي هذا الأخير ترجع اتصال في التوفيق بين التصوف على

ما فيه من زعمات غير سنية وبين الاسلام وهو الذي أدخل مذهب تصوف في بحري

التفكير الغني الاسلامي .

الطرق الصوفية

فلما التصوف طاول القرون الحجة الأولى اختبرنا شبيبة شحمية . ومع انه قد نشأ بعض

(١) ان ذلك ج ١ ص ٢٦١ وفي H. A. Nicholson, *Studies in Islamic Mysticism* (Cambridge, 1921), p. 80. Louis Massignon, *al-Hallaj, martyr mystique de l'Islam* (Paris, 1922), vol. II, p. 338.

(٢) التشرقي ص ٢٤ - ٢٥ : شعوري ص ١٢٩ - ٢٠ .

(٣) ديوان ابن العربي . شعر بين شعري . نسخة جامعة (بيروت ١٩٩٥) ص ٦٥ - ١٣٢ .

الحلقات من المريدين والسالكين والتفت حول بعض الشخصيات من كبار المتصوفين أو حول ذكرى شهادتهم كالحلاج مثلاً فإن هذه الحلقات نفسها كانت حقيقة ولم يكن لها سوى نفوذ محلي مؤقت. ولكن ما كاد ينهي القرن الثاني عشر الميلاد حتى أخذت الهيئات الصوفية المنظمة في الظهور. وأول منظمة أو طريقة صوفية هي القادرية نسبة إلى عبد القادر الجيلاني أو الجيلي (١٠٧٧ - ١١٦٦) (١) القادري الذي لم في بغداد. وتتصف هذه الطريقة بالتساهل وعمل الخير. وقد انتاب منتسبون في جميع أنحاء العالم الإسلامي ومنها الجزائر وجنوب وغينيا، وإلى القادرية في أتمه الطريقة الرفاعية التي أسسها أحمد الرفاعي (المتوفى ١١٧٥) وأعضاؤها كأعضاء الطرق الأخرى يقومون بأعمال خيرية كإصلاح الجبل والأقاعي الحية والزجاج أو خرق أجسادهم بالمسكات واحكامين. ثم ظهرت الطريقة المونوية وينسب إلى الشاعر القادري جلال الدين الرومي المتوفى في قونية سنة ١٢٧٣. وقد خرج جلال الدين على السائد من تقاليد الإسلام فأقام للشيخ (نوحيفي) مكاناً في مراسيم طريفته الصوفية. وضمت زعدة هذه الطريقة متواركة في أثناء جلال الدين وأحفاده وكان يشجع الزعيم منهم شرف قايد السلطان الجديد من خلفاء بني عثمان السيف.

ولقد نشأت طرق أخرى في مختلف الأقطار الإسلامية على مر الزمان. "تفاوت وجوه التصوف فيها بين الزهدية الصامدة وبين الإلهية الخلوية التي تقول بشؤون الألوهية، والغالب أن مؤسس كل طريقة كان يصبح امام مذهب صوفي ويكتسب شيئاً من الصفات الإلهية أو شبه الإلهية ويصبح مقراً بعد موته مقام نبي وحاكم. وأهم الطرق الصوفية في أفريقيا الطريقة الشاذلية (٢) التي أسسها علي الشاذلي (المتوفى ١٢٥٨) ولم تزل قوية في مراکش

(١) أهم المخطوطات من سيرته هو في المذهب، تاريخ الإسلام، نشره مرغوليوث في *Journal Royal Asiatic Society* (1907), pp. 207-310. وأظهر ذكر كراماته في المخطوطات بجهة الأمرار (الفاخرة)، (١٣-١٤). وبهاشم ٧٨ نسخة للجيلاني عدونها فذبح عيب.

(٢) انظر الشعراوي، الحلقات الكبرى (الفاخرة، ١٢٩٩).

(٣) انظر قواصم، حكم الإشراف لآبي التوامم القادري (١٣٠٩)، وقد ترجمه إلى الإنجليزية Edward J. Jurji, *Illumination in Islamic Mysticism* (Princeton, 1938).

وتونس بنوع خاص وهذا فروع عرف باسمه خاصة . وشيخ مراكن بكراثة الأولى . أكثر من
أي صقع إسلامي آخر . أما الطريقة السنوسية التي كان مقرها واحة كفرة وقبها جفوب فقد
أسسها سنة ١٨٣٧ الشيخ الجزائري السنوسي وتختلف عنه سبق من الأطراف في أسسها مؤسسة
دينية ذات أغراض سياسية وعسكرية . وأما طرف المتصوف بشعر طريقة البدوي نسبة إلى أحمد
البدوي (المتوفى سنة ١٢٧٦) ومركزه طيط . أما في تركيا فلهذا الطرف الطريقة البكتاشية
المشهوره بما كان لها في الماضي من علاقة بالأكثريه وقد قامت في أوائل القرن السادس
عشر وهي تدعو إلى القتال وإكرام الأمام علي وفي جانبها شيء من أثر السجعية . ويظهر أنها
أقرب إلى فرقة دينية منها إلى مذهب صوفي . أما طريقة الدراويش في آسيا الصغرى فانها
فضلاً عن تأثيرها بدايات آسيا الصغرى القديمة قد احتفظت بأثار الشامية التي جاء الترك بها
من أواسط آسيا .

ويمكن أن يعد المتصوفة المنظمة الكهنية ارجحية في الاسلام ويمكن اعضاءها
الدراويش^(١) منازل خاصة بهم تعرف بالتمكبا او الزوايا او الزايات ويكون هذه المنازل
نشأة أمدية اجتماعية في الوقت نفسه وهو أمر لم يعرف في الهند . وقد يكون في الطريقة عدا
الشيوخ والمريدون طبقة ثالثة من المتصوفين وهم اعظم . مما يكون خضعون لأحد أو لبس الطريقة
البرية

وفضلاً عن التمسك والطموس الدينية^(٢) أدخل المتصوفون إلى الاسلام أموراً أخرى
منها استعمال السجعة عند السمين^(٣) . ولا ينكره اليوم من السمين سوى الزهاديين فانهم
يحتبرونها بدعة في الاسلام . وهي هندية الأصل وأهل المتصوفين استمرواها من ألبان القنصرية
الشرقية لا من الهند مباشرة . وفي زمن الحروب الصليبية نقل أمرها بالعام العربي الكاثوليكي .
وقد وردت أول إشارة إلى السجعة في الأدب العربي في شعر لابي بلال (المتوفى نحو ٨١٠)^(٤) .

(١) لفظة « درويش » العربية مستعارة من فارسية ومعناها الأصل صوفيا الانوار أي مستط .

(٢) انظر بغداد غير مسلم هي هو ابن خوري + قدم ٢٦٢ وما يلي .

(٣) Ignaz Goldziher in *Revue de l'histoire des religions*, vol. cxi (1894), pp 285-
(200; Vorlesungen), p. 164.

(٤) ديوان من ١٠٨ - قابل في ليرة - شعر ص ٨ - ٩ .

وكان الجنيد التصوف المشهور (اتوفى ٩١٠) سفاداً يحسن متعبداً وفي يده سبعة فلما غابته
أحدهم قائلاً: «استمع شريفك أخذ بيدك سبعة» «أجاب: «طريقه ومخارجها
بني لا أفترقه» (١).

تكرم الأولياء

وفوق هذا فقد أحدث أهل التصوف عدة سكرية لأولياء على طريقة مصرى منية
تطلب الزهاد الزايعين في الحصول على واسطة بينهم وبين الله . ومع أنه ليس في القرآن
والإسلام ما يبرك في سكرية الأولياء . لو قد يسمونه فارسي المذمومة قد أقر ذلك مسنداً في كرامات
قوة بها الأولى . وفيما بين القرن الثاني عشر حتى كان قد زال العنفاد المذمومة عند السنة والشبهة
أن الدعاء إلى الأولياء سرك وذلك تأثير الصوفية التي سمعت أن التوفيق بين كرامة الأولى من
ناحية وبين العقيدة القديمة من ناحية أخرى . وبرزت الصوفية إلى الساحة بين «أبناء الله»
فلا فرق عندهم بين رجال وامرأة في هذا السبيل (٢) . ومن هذا كان راحة العدو البصرية
(نحو ٧١٧ - ٨٠١) وهي امرأة متصوفة شريفة المسك والخلق (على مراتب الأولياء عندهم)
ثم أصبحت بعد ذلك سيدة الأولياء عند السنة . وكانت راحة في حدائقها شوكية ولكن
سيداً رأى هامة من النور حولها وهي تعطي فتنهم واستنكرت راحة الزواج فقصت عمرها
منفردة إلى الزهد والعمل الآخرة تحت الشكوى على التوبة والعبر والشكر والزهد والفقير
والتوكل . وقد سميت مرزاهل بعض الشيطان فحدثت أن حبها لها بتركة بحالها بنفس
الشيطان . وظهر لها النبي في حلم فسمها هل تحبه فقلت أنت أحب الله قد امتك وجودها فلم
يخلف موضعاً لبعض أحد أو حب أحد غيري (٣) . وقد يروي أنها قالت في منسية أخرى :
«ما عذبت الله خوفاً من الله... ولا حباً لجنه... وسكني عذبه حباً وشوقاً إليه» (٤).

١. المشيرى ص ٤٠٠.

(٢) بعض أبو يعقوب (متوفى ١٠٣٨) قدماً من كتاب «سكر حلية الأولياء» وحدثت لأصحابه ص ٢
(قاهرة ١٩٢٣) ص ٣٩-٢٩ هذه التعديلات والتأنيات.

(٣) فريد الدين عطار . تذكرة الأولياء . نشر بكلمين ص ١٩ (بيروت ١٩٠٥) ص ٦٥ .
(٤) أبو طاهر (شكوى) . قوته المسمومة (قاهرة ١٩٢٢) ص ٢ من ٨٣ . راجع شأن راحة المدعوة
Margaret Smith, Rūbū the Mystic and her Fellow-Saints in Islam (Cambridge, 1924).

ومن هؤلاء المتصوفين الذين امتلأت قلوبهم بحب الله السهروردي الذي قتل في حلب (١١٩١) متبعاً بالزبدقة بأمر الملك الظاهر وإليه صلاح الدين وهو إذ ذاك ابن ست وثلاثين. وفي دعاء منسوب إليه يظهر أن مذهب المتصوفين كان مدينياً في فكرة الاتصال بالله للفلسفة الأفلاطونية الحديثة والمتصافية أيضاً (١).

الشيعية

وهذه حركة دينية أخرى انبثقت في زمن العباسيين وتشعبت فرقاً لعبت أدواراً مهمة في تاريخ الإسلام والخلافة وهي الشيعة. ولا يمكن حذف الشيعة في الخلافة العباسية بغير أن يلاحظ في الخلافة الأموية وذلك بالرغم من أنه كانت لهم يد تذكر في نقل السلطة من أبي بكر إلى أبي بكر بن العباس. ولم يكن عطف الأمويين على الشيعة والتأيد المصيري (شعرهم) المصيري بدل الموالاة وعقد البيعة بولاية المهدي لم يزل (٢) أحد أشتاتهم يجدي كثير من يدونه نفعه فقد قد التوكل على المؤمنين وكان شديد التحمل عليهم فعد سنة ٨٥٠ حركة لأصحاب هذه فبر علي في النجف وحرق قبر الحسين في كربلاء (٣). ومن هنا هذا البعض مني كنهه الشيعة إلى اليوم. وفي سنة ١٠٣٩ أفضى الخليفة أقدار حطيت من الشيعة من جملة في عدد ووسع بحكمه سنة (٤). وكان من نتيجة هذه المداواة المستمرة للشيعة والأصفياء الدائم أن جذت الشيعة إلى أحاديث التفتية (٥) بحيث انفتحت مبادئ الدين بمحافة على السلامة والبقاء للغير. وكان الخوارج (٦) قد افروا التفتية مبدأ دينياً ولكن الشيعة جعلته أمراً جوهرياً في الدين وأصبحت إليه فكرة أساسية هي أن المؤمن إذا ملك امرأه الأعداء لم يؤم عليه - وإنما لا جواراً فقط - الظاهر بالمذهب السني وقبلة ولأبداً، فإنه (٧).

Louis Massigron, *Recueil de textes inédits concernant l'histoire de la théologie en Pays d'Islam*, Paris, 1929, pp. 511-12.

١ - فوري ج ٢ ص ٥٥٤.

٢ - فوري ج ٢ ص ٢٢٥.

٣ - الأثير ج ٩ ص ٢٦٨.

٤ - مساعدا الحربي ٥ الخوف والظفر ٥ سورة آل عمران ٥ ٩٩.

٥ - الشريعتاني ص ٩٤٠٩٢.

Goldziher, *Vorlesungen*, p. 205.

ومع ان الشيعة كانت اقلية مضطهدة فقد قام ابتناؤها بشورات نجحت فيها روح البطولة وان
 لم تشكل دائماً بالنتيجة . وقد فبروا عنها مجاهرة او تحت ستر التقية داعين بالولاية لامام من
 ذرية علي . والامام الخليفة عندهم خلافاً للشيعة لا يرث عن النبي الملك الديوي فحسب بل
 يرث عنه ايضاً حق تفسير الشريعة و ينتج عن هذا ان الامام معلم معصوم ثم اصفوا الى
 عصيته (١) نزوه عن الاتيم (٢) وخلافاً لعقائد السنة ايضاً والصوفية قالت الشيعة بان الخليفة
 الحسيني لا يمكن الحصول عليها الا من تعاقب امام كهذا محمي بحماية اعية من المعاصي . والامام
 الاول في عرف الشيعة هو علي بن ابي طالب انه الحسن ثم الحسين (٣) . وذرية هذا الأخير هي
 أشهر الدرستين . فقد كانت منها تسعة ائمة من الأئمة الاثني عشر الذين تبعهم الفرقة الاثنا
 عشرية - اهم فرق الشيعة . ومن هؤلاء الأئمة التسعة تقي اربعة حنفهم بالاسم وهم حنفر (٧٦٥)
 في المدينة وموسى (٧٩٩) في بغداد وعلي الرضا (٨١٨) في طوس ومحمد الجواد
 (٨٣٥) في بغداد . وقد قتل آخرون في نيرانهم على صولة الخلفاء او بايدي الجلازين . ومنذ
 اختفى (٨٧٨/٢٩٥) الامام الثاني عشر محمد او نقيب في كهف جامع سامرا وكان شاباً ولم
 يترك ذرية أصبح الامام المستر او الامام المنتظر (٤) . وهو عندهم حي لا يموت في حاة غيبة
 موقلة وهو المهدي الذي سيظهر فيحكم العالم قطبة ويرجع الدين الحقيقي ويكون ظهوره فائقة
 عصر يسبق نهاية العالم . وانه وان كان مستتراً فهو الامام المذبح وهو « قائم الزمان » . وقد
 سادت في فارس الاثنا عشرية بعد سنة ١٥٠٢ وذلك بفضو الدولة الصفوية التي ادعت
 التحدّر من الامام السابع موسى الكاظم . ومنذ ذلك الحين أصبح شاه ايران يعتبر مثلاً للامام

(١) البغدادي . اصول ج ١ ص ٩٠٢٧٧ .

(٢) شهرستاني ص ٩٠٩٠٩ : ابن عديمون ، المقصود ص ٩٠٩٠٩ .

(٣) تشير ذرية الحسن والحسين الى ان النسب الى الحسن يسمي شريعاً وإلى الحسين مبيداً وهم خلق في ارض
 الهائم الحنفر . ان اشراف مكة ومصر . ذلك اشراف ومالك اشراف شرقي الارض اليوم واشراف مراکش هم متحدرون
 من الحسن ابن علي الأكبر .

(٤) قابل الطوسي ج ٢ ص ٩٩٩ .

(٥) الطوسي ج ٢ ص ٩٩٩ : ابن خلدون ج ١ ص ٩٩٩ .

(٦) الكهرستاني ص ٩٣٨ : البغدادي ، مختصر ص ٩٦١-٩٦١ : ابن حزم ج ٢ ص ٩٣٨ : أبو يحيى .
 فرق الشيعة ، شرح رز (القضاة) ١٩٣٩ (ص ٩٨٠) . قابل ابن خلدون ، مقدمة ص ٩٦٦ . ولا
 يزال سرداب القدي نقيب فيه معروف في سامرا .

المستقر والمجاهدون وسطه بينه وبين الأمة .

وهكذا أصبحت عقيدة الإمام المهدي أمراً جوهرياً عند الشيعة وهي إلى اليوم أهم فرق منهم وبين السنة . ومع أن أهل السنة ينتظرون محمداً من بعد محمد الذين ذهبوا لا يستدلون على ذلك ولا يسمون الإمام المنتظر مهدياً (١) .

واليك لأئمة يظهر بسبب الأئمة الاثني عشر :

(١) علي (التوفي ٦٦١)

(٢) الحسن (ت ٦٦٩)

(٣) الحسين (ت ٦٨٠)

(٤) علي زين العابدين (ت نحو ٧١٢)

(٥) محمد الباقر (ت ٧٣١)

(٦) جعفر الصادق (ت ٧٦٥)

(٧) موسى الشكافة (ت ٧٩٩)

(٨) علي الرضا (ت ٨١٨)

(٩) محمد الجواد (ت ٨٣٥)

(١٠) علي الهادي (ت ٨٦٨)

(١١) الحسن العسكري (ت ٨٧٤)

(١٢) محمد المنتظر - مهدي - (اختفى ٨٧٨)

(١) لقد كان الاعتقاد برحوخ المهدي داعياً إلى أن يظهر كثير من الذين ادعوا أنهم مهدي في التاريخ الإسلامي .

الاسماعيلية

فذكرت الشيعة أربعة خصبة لأشياء شتى الفرق ، وفي حديث حوي : « فرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنين وسبعين واليهودية مثل ذلك وفتقرت امتي على ثلاث وسبعين فرقة » (١) وقد تسميت أكثر الفرق الإسلامية عن الشيعة .

و- يمكن الاستعانة بالفرقة الشيعية الإمامية الجديدة فالتجربة جماعة أخرى وانقسم من حيث الأئمة السبعة الأول حتى جعفر الصادق ثم خالفهم في سوف الإمامة من بعده فجعلهم في بكره اسمعيل (المتوفى ٧٦٠) عوضاً عن أخيه موسى وجعلت اسمعيل الإمام السابع والأخير . وهكذا فإن هذه الفرقة قد اعلمت الأئمة الظاهرين سبعة فقط عرفت بـ « السبعة » وعرفوا بالاسماعيلية نسبة إلى اسمعيل الإمام الأخير . وكان جعفر قد عين ابنه اسمعيل خليفة له وسكنه مدائن ذلك لأمر أحده على اسمعيل وعين ابنه الثاني موسى . وقد وافقت الأئمة السبعة على هذا التغير فكان الإمام السابع بين الأئمة الاثني عشر . ولكن البعض الآخر رغبوا في الإمامة لعمدة لا يمكن أن يؤخذ عليه شيء ، فمؤيد كثير من الثقات مثلاً وظنوا أن اسمعيل الذي مات قبل والده لمع سنين وأصبح اسمعيل عندهم الإمام الهادي مستورا (٢) .

و- شبه الإمام اسمعيل الميثاقية القديمة من حيث اعتبار العدد « سبعة » مقدساً . وقد حوت السبعة النظام الكوني والخرافات التاريخية أو أحياناً على هذا العدد وهم يتبعون في حدوث الكائنات فلسفة « تنومنية » مبنية على حد على الأفلاطونية الجديدة ويعتقدون النجانيات سبعة هي : ١ الله ٢ العقل ٣ النفس ٤ المادة الأصلية ٥ النفس ٦ الزمن ٧ عالم الأرضين والنفس . وهذا العالم سبعة أبناء مشرقين يسمى كل واحد منهم « الناطق » وهم : آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ثم محمد الله ابن اسمعيل . وبين كل اثنين اثنين سبعة أبناء صاعدون نوحه الأساس ومن جهة الصاعدين اسمعيل وهارون وبطرس وعلي

١١ من الجوزي . قدم من ١٩-٢٠ . قابل بغداد في مختصر من ١٤ .

١٢ الوثائقي من ٥٧-٥٨ . بغداد في مختصر من ٥٩ : ابن خلدون : المقدمة من ١٦٧-٨ .

على وشك الظهور . وهكذا استغل ابن المقداد العربي الوصيعة المداوة المضطربة بين العرب
والفرس من المسلمين لتأسيس جمعية سرية ذات مراتب تشمل العرب وغير العرب ودفعهم إلى
أن يستعينوا بالفرس ضد الخلافة حيث يكون هو وذريته من مدد حكاماً على المسلمين وهي
خطة هائلة في تصميمها كما كانت مذهبة في سرعة تنفيذها . وكانت من نتائج قيام الدولة
الفاطمية في تونس ومصر .

الضباط

وقد مات عبد الله عند (حوالي سنة ٨٧٤) مصر بين رجل الدعوة الباطنية رجل يقال
له حمدان قرمط^(١) كانت في الشداء امرد فلاحاً في سواد العراق ثم انصر إلى جماعة عبد الله
وكان من غلاة دعائه . وكان حمدان قد رأى في النجوم فيما يروى انه سيؤذي من العرب إلى
الفرس^(٢) . وقد سمع خلق كثير نعت اصبح مؤسس فرقة باطنية تعرف بالقرمطة نسبة
إليه . وقد نعلت في حركته هذه روح المداوة القديمة بين الفلاحين من اهل البلاد وبين ابناء
الصحراء . وابتنى لنفسه سنة ٨٩٠ مقراراً رسمياً نحو الكوفة حرف مدار المديرة^(٣) اصبح
مقر الحركة الجديدة وعظم اموره وكثر عدد تلاميذه من سكان البلاد الاصبين لاسيما الفلاحين
والصناع المروقيين في المصادر العربية بالقطيف ، ودخل في دعونه اعداد من العرب انفسهم
فاشتدت فرقته مندعة بهم . وكانت هذه الحركة في الاصل منظمة سرية ذات صبغة اشتراكية
وكان يمرض على من يريد الانضمام اليها ان يتركس رسمياً . وكان للمدينة كلها اوراق جارية
من آروة مشتركة مستمدة مما يؤديه الأعف . برع في الظاهر ولكنه في الحقيقة سلسة من
الضرائب المتزايدة . وقد أتاح قرمط الاشتراكية في الماء والاموال (الآفة)^(٤) . وقد
كان لبلاشفة الاسلام هؤلاء كما دعاهم احد الكتائب المعصرين قانون ايمان يقوم على مبدأ

١ . اشتقاق اللفظة غير ثابت . والمؤلفون عرباً يحملونها عربية من قولك قرمط لرجل ذي مشية يهرب
بين خطواته . المداوي : المعصر من ١٧١ : فهرست من ١٨٧ : السجاني من ٢٤٩ م . ولعناب من أصل
آرامي بمعنى معلم سرى . نظرياً ج ٣ من ٢١٢٥ : ٢١٢٦ م . الخوزي من ١١٠ .

٢ . القهرست من ١٨٨ .

٣ . لابن الأثير ج ٨ من ١٤٦ .

٤ . وهناك فرق أخرى فاضل هذا الآثر . نظرياً ج ٢ من ١٤٣ .

السُّلَّانَ والجُوابَ مبني على تحريف القرآن تعبيراً رمزياً بشكيف لبعث مقتضيات كل الأدبيات والأجناس ، وهم يشددون على القهمل والمساواة ويعطون العيان والاحتجاج صنوفاً لها مراسيم كمراسيم النقابات اليوم . واقدّم وحذف لتنظيم هذه النقابات الإسلامية ورد في الرسالة الثامنة من رسائل اخوان الصفا الذين كانوا على الأرجح قرامطة . وفي رأي ماسينيون ان حركة هذه النقابات اتصلت بالغرب فثرت في تكوين النقابات فيه والانسوية (١) .

وكانت حركة القرامطة عارفاً من آثار الاشتراكية والبول الثورية بثبة ورم حيث في جسم الخلافة لاسيما والى ابعث كانوا يبحون سلك دماء حصومهم ولم كانوا مسلمين . وقبل ان يتم انظمتهم ساهوا في ثورة الزنج المنيرة هذه الثورة التي كادت بين سنتي ٨٦٨ و ٨٨٣ ان تقوض اركان الخلافة ماب . وقد تمكن القرامطة زعامة ابي سعيد الجذائي (٢) وهو في الأصل من دعة قرامطة (٣) نفسه التي يؤسسون سنة ٨٩٩ دولة مستقلة على شواطئ خليج فارس الفرس . واتخذوا الاحكام (٤) مبنية تحضروا بها وحملوها قاعلة دولتهم واصبحت هذه الدولة أساس قوتهم ومصدر الرغب لمخلافه في بغداد . وكان القرامطة يقومون بفارات متواصلة من مقرهم الجديد على الميدان المحورية ، الجذائي تولى اخضاع اجماعة حوالي سنة ٩٠٣ ثم عزرا عمان ، اما ابنه وطهر ساهون الذي خلفه فقد انتف وخرب معظم العراق الجنوبي ، وقطع طريق الحج (٥) ، وبقيت فظائمه انه احتل مكة سنة ٩٣٠ وحمل الحجر الاسود (٦) منها الى هجر ولم يرجع اخبر ابي حتى سنة ٩٥١ أي بعد ان ظن بايدي القرامطة نحواً من عشرين سنة وكان ارجاءه مار الخليفة الماطي النعمور (٧) . وبين القرنين العاشر والقرن

(١) ما: « Karmatians », *Encyclopedia of Islam*.

(٢) كانت جناب بلدة في درس قرية من مصب نهر على خليج البحر ، الاسفغري ص ٣١ .

(٣) ابن حوقل ص ٢١٠ .

(٤) الخفوف اليوم ، ابن الأثير ج ٨ ص ٦٣ .

(٥) ابن الأثير ج ٨ ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٢٢ .

(٦) مسكويه ، تحارب الامم ، بشر أبيضروز ج ١ (كنفورد ١٩٢٠) ص ٢٠٩ : ابن الأثير ج ٨ ص ١٠٣ .

(٧) فاني البغدادي ، مختصر ص ١٢٦-١٢٧ : ابن الأثير ج ٨ ص ١٥٣ .

الحددي عشر كان باع قريته وخطاني بشون حرات من مقره في سعية ويعينون قسداً
في ارض الشام والعراق وبسايحون لمدن على بخت عتق والطلاق والاضطرابات التي
انزوها ارض حراس و يمن فصبحت هي مدونه من كركمقن والظمة .

الختانرون

قد سفلت دولة قرامقة على ان ه سبهم سفلت في المظفيري في مصر ومن هؤلاء
سفلت اطرقة لبريا في كرامقة الاسماعيلية حادثة معروفة بحدثين في الموت وسور
وقد عرفت حركة الخاشعين عند احوالهم في الدعوة الخشعية " او " وهي مدنة في الشام
لاحسن ابن المداح (المتوفى ١١٢٢) وهو في راجح قرسي من صولس وقد رغبه في
بسيه الى مانوك حبر قدام في حموي حزمه في موقع التي تسمى تاسيس هذه الحركة
فصله منبوعة النجف وزنته في دار لأهل دنة ، وقد عرفت ان مداح في حرمه
وهو في ارض التي تسمى الشام حلبية وميمم ثم كان مصر فبكت في عهد يوسف شاه
ثم قال راجح في موعده برة الدعوة الخشعية " او " وكان في السنوات في سنة ١٠٩٠ هـ
وابدعه على حصن حربي منيع في سب من قريتين يعرف بـ " الموت " وهو ذو
موقع حربي خطير في طرف شمال غرب على ربيع عشرة آلاف ومائتي قدمه فوق سطح
البحر على انحر الذي هو قصر مرفق بن شومى ، بحر قزوين ومعدن ارض ، وقد دى
احتلاله لأموت - او " على السر " كما يعيد معنى الكلمة على لأرجح - في ان يكون بيده
وبد حلفه مدح حصن على عبة يكون من لأهمية وكان الاسيلا على هذا الحصن ان
حادثة تاريخية في حياة الخاشعين .

ومن الموت اخذ داعي مدعة " وابدعه بشون حرات على الاماكن المجاورة فمكوا

١١ المطبوع ٣ من ١٩١٧ وسلي ٥ شعوي ، كتبه من ٣٠١ - ٦ : مكتوب ٢ من ١٠٨ - ٩ .

١٢ اشارو الخشيش وهو من مكتوب به بالحق .

١٣ الشيرازي من ١٠٠ .

١٤ وس هاشمية بالزري : من لأرجح ١٠ من ٣٦٩ .

١٥ من لأرجح ٩ من ٣٠٤ : من ١٠ من ١٦١ .

وكان اغتيال نظام الملك وزير السلطنة السلجوقية انشور سنة ١٩٠٢ على يد قذافي من هؤلاء. متذكر نزي صوفي (١) أول حادثة في سلسلة من حوادث الاغتيال الخفية التي روعت العالم الاسلامي واقتتله في مضطرب من القوي والارتباك. وفي هذه السنة ارسل ملكشاه السطاط السلجوقي عسكرياً لتأديب اصحاب القلعة ولكن حاميته خرجت ليلاً على جيش المحصرين وردتهم خائفين. وقد قُتلت مساء اخرى عدائهم من قبل الخلفاء واللاطين الى ان ج. هؤلاء كانوا الذي قضى على الخلافة بغداد فاستولى على القلعة في سنة ١٢٥٦ مع

وفيل حناء القرن الحادي عشر تمكن الخشاشون من نسبت اقدامهم في الشام وقد استأجروا الى فرقته رضوان ابن تقي امير حلب السلجوقي (متوفي ١١١٣) وفي سنة ١١٤٠ كانوا قد احتلوا حصن معياد (٢) وحصوناً كثيرة في سورية الشمالية كحصن الكهف والتقدموس والمائقة (٣). اما سير على العاصي فقد احتل الخشاشون احتلالاً مؤقتاً وبدعوههم اسامة ابن مسدد (٤) بالاس عينية. ومن اشهر دعائهم في الشام راشد الدين سنار (متوفي ١١٩٢) الذي اقام في معياد واقرب شيخ الجبل (٥) وعرفه العنسيون وكان رجلاً راشد الدين هم الذين اتوا العرب في نفوس الصليبيين. وبعد ان فتح النول معياد سنة ١٢٦٠ قدم بيرس اسد سلاطين ارميك فوقع الخربة القاضية باخشاشين سنة ١٢٧٢. وعند ذلك اخبر تفرق نملهم واشتتوا بين شمالي سورية وفارس وعمان وزنجبار والهند على الاحصاء حيث بقي منهم حوالي مئة وخمسين الفا ويرف واحد منهم بالخوجه او النولى (٦) وهم اليوم حاصمون لرئاسة آغا خان

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٥٦ .

(٢) بما ان كتب الخشاشين ومقوماتهم قد انتت آنذاك فان معوماتهم هذه تعرفه القربة مستمدة بالأصغر من مصادر متادية لها .

(٣) او مصايف ومصبات وهي في موقع جبل الصبيرة الى ناحية الشرق . ابن الأثير ج ١ ص ٥٢ ؛ ابو امداد ج ٣ ص ١٦ .

(٤) ابن بطوطة ج ١ ص ١٦٦ .

(٥) كتاب الاعتبار دكتور حتى ص ١٤٩-١٥٠ .

(٦) إقبال: William of Tyre «Historia rerum in Regno des historiens des croisés: historiens occidentaux», vol. i. (Paris, 1883), p. 990.

(٧) وهناك أيضاً الخارضية في غزجارات بغداد وعددهم يزيد على مئة ألف وهم من الاثنا عشرية ولكنهم لا يتبعون آغا خان .

الهندي من بومباي الذي يرجع نسبته إلى آخر « داني دعة » في أنبوت ومنته إلى اسم عجل
الاسم السابع . وأنه تصل أعمار أموال المؤمنين من جميع الأعداء حتى من سورية وهو ينتقل
في الأعقاب بين باريس ولندن وأنه ولم شديد بسبق الخيل .

الصبورية

إن صبورية سورية الشربة الذين سبق عهدهم في سورية عهد الدروز في لباسهم
الخطأ فرقة من الفرق الاجتماعية البقية . ويرجع اسمهم إلى محمد ابن نصير الذي ظهر في الشعر
الثاني من القرن التاسع وهو من أئمة الأمام العلوي الخادي عشر الحسن العسكري (١)
(توفي ٨٧٥) . وفي رأي دوسوا^٢ أن ما في اسم ابن نصير من لامية لا تحبب جماعة انتقلت
من الوثنية إلى المسيحية وهذا ما جعل وجود فروق ظاهرة بينهم وبين سواك الأمازيغية .
وهم كانوا من غلاة الشيعة (مسحاة لامية غنية) يقولون بتجسد لاهوتية في علي^٣
ومن هذا أطلق اسم العلويين عليهم منذ عهد الانتداب لأفرسي . ويختلفون عن الدروز
وإن في لاهوتية لاخرى في أن هم في ملابستهم ما يشبه القدامى وهم يقولون هم من أجداد
العباسيين كعيد الميلاد والعبد الكبير . ويستعملون بعض الأسماء المصرية مثل « نبي » و « حنا »
و « جلال » و « كاترين » . وعلا ذلك فإن ديتهم التي يحفظون على كتبها أكثر من الدروز لهم عن
نظر عمائدنا . ويهدون اليوم نحو ثلاثمائة ألف شخص أغلبهم من أهل الزراعة ويقطنون
في بلاد جبلية في شمالي سورية وأواسطها وأخذهم منتشرين حتى كيبكية .

وراء شعبة أخرى

إن فرق الصبورية والخشاشين والدروز والقرامطة وغيرها من الفرق الاجتماعية هي في نظر
الشيعة نفسها (أي الأئمة) التي تؤلف أكثرية الشيعة من الغلاة وذلك لأنها تفضي

^١ وردت أول إشارة عامة لابن حجر وفوه في مخطوطات حمزة وسواه من أصحاب الجد عند الدروز
في أوائل القرن الحادي عشر .

^٢ René Dussaud, Histoire et religion des Nouria (Paris, 1900), p. 51.

^٣ الشورستاني ص ١٤٤-١٤٥ .

من الوهية الله وتتفاضل عن ان محمداً هو آخر النبيين (١) . ومن الغلاة فرقة قالت ان الله ارسل
جبريل الى علي فاخطأ في طريقه الى محمد لانه كان يشبهه (٢) ومن متطرفي الغلاة المتأخري
الشيعة « النخعية » (قطاع الخشب) الذين يقطنون غربي الاناضول وال « علي الالهية » من
اهل فارس وتركستان واقربانهم ال « قول باش » (حمر الرؤوس) من اهالي الاناضول الشرقي
وال « نكتشية » في تركية وال «

وعلى بعض هؤلاء الزيدية في اليمن وهم البيع زيد (٣) (حميد الحسين) الذي يسمونه
مؤسس فرقتهم فهم اقرب الفرق الشيعية الى اهل السنة واكثرها تساهلاً من وجوه كثيرة .
وبين الطرفين الغلاة من ناحية والزيدية من ناحية اخرى نفع اثنا عشرية فهي درجة وسطى
بين فرقي الشيعة . اما الزيدية فتختلف بقية الشيعة في انها لا تعتقد بالامام المنصور ولا تمارس
المسحة ولا يبيح التقية على انها وافقها في معاداة التصوف . اما عدد ابناء المثل والفحل الشيعية
جميعاً فلا يريد على الثلاثين مليوناً او عشرة بالمئة من جميع المسلمين .

(١) اما فرق الغلاة الاخرى فراجع شأنها البغدادي ، مختصر ص ١٤٥ وما يلي ، الشهرستاني ص ١٣٢
وما يلي ، ابن خزم ص ٤٠ ص ١٤٠ وما يلي ، الاشعري مقالات ج ١ ص ١٦٠-١٦١ .
(٢) البغدادي ص ١٣٧ .
(٣) اطرو لائحة نسب الائمة الاثني عشرية ص ٢٣٩ من هذا الكتاب .

الفصل الحادي والثلاثون

تجزؤ الخلافة ونشوء دويلات في الغرب

١. في الأندلس

لم يكن قد انقضى على تأسيس الخلافة العباسية أكثر من خمس سنوات حين بلغ قرطبة عبد الرحمن الداخل فتي بني أمية العظيم بعد أن تعاطى طريقة عجيبة من الذخعة الكبرى التي دشنت بها العباسيون عهدهم الجديد . ولم يطل به الأمر في الأندلس أكثر من سنة حتى أنشأ فيها دولة مستقلة زاهرة . وكانت الأندلس أول مقاطعة انشقت عن الخلافة العباسية حين كانت هذه في أول عهدها ، ثم انعتها مقاطعات أخرى .

٢. الإدارة

وفي سنة ٧٨٥ م هاجم ادريس بن عبد الله وهو من أحفاد الحسن في إحدى ثورات العلويين التي كانت تتكرر كثيراً في المدينة . ولكن الثورة اخذت فترس ادريس من المدينة إلى مراكش في الغرب (١) حيث أسس ملكاً للإدارة دام نحو قرنين (٧٨٨ - ٩٧٤) . واتخذ الإدارة (٢) مدينة فاس (٣) عاصمة لدولتهم وكانت هذه الدولة أول دولة شيعية في التاريخ . وقد استمدت الإدارة قوتها من البربر الذين برغم انتمائهم إلى السنة كانوا دائماً يناصرون الحركات الانفصالية . على أن هذه الدولة وقد وقعت بين مصر والأندلس كانها بين

(١) نبطولي ج ٢ ص ٤٨٨ ابن خلدون ج ٢ ص ١٢ - ١٤ ابن عسكري ج ١ ص ٦٠ ومايلي .
(٢) ج ٢ ص ٤٨٧ ومايلي .

(٣) أراجع Stanley Lane - Poole, *The Mohammedan Dynasties* (London, 1880), repr. (London, 1925), p. 33; E. de Zambaur, *Manuel de généalogie et de chronologie pour l'histoire de l'Islam* (Hanover, 1927), p. 63.

(٤) بنها ادريس . انظر بن بن زريق (عائلي) - رومس كركاش في أخبار ملوك المغرب ، نشر لودويج (إيسالا ، ١٨٤٣) ص ١٠ .

شقي كلاً به لم تلبث ان سقطت تحت الضربات المتتابعة التي سددها اليها احد قواد الحكم الثاني
(٩٦١ - ٧٦) الخليفة الأموي (١١).

٣ . الوغاب

وبينا كان الادارة يقتطعون لأنفسهم امددة في غربي افريقية كان الاغالبه السنيون
يشجعون خطة مثلها الى الشرق منهم . فقد كان هارون الرشيد عقد سنة ٨٠٠ ل ابراهيم ابن
الأغلب (١٢) على المنطقة التي سماها العرب « افريقية » (افريقية الصغرى اي تونس) . ولكن
ابن الأغلب (٨٠٠ - ٨١١) حكماً مستقلاً عن بغداد فمجدد سلطة بغداد بعد ذلك حذر مصر
الغربي . واكتفى الاغالبه بلقب أمير ولكنهم قد اعنوا بنسب اسم الخليفة على مكوثهم
افراس برعاته الروحية على الأقل . واخذوا القبرون (وريثة قرطبة) عاصمة وجعلوها طينة
القرن الذي سادوا فيه (٨٠٠ - ٩٠٩) قاعدة لشرب سيادتهم على مناطق البحر الابيض الوسطى .
وقد جاء بعد ابراهيم رجال من ذوي الاقدار منه فاصبحت امارته مركز الدائرة في ذلك
الكتف التاريخي بين آسية واوريا . وقد تمكنوا بسطوهم الحسن المدة ان يجتاحوا شواطئ
إيطاليا وفرت و كورسيكا وسردينيا . وفي سنة ٨٧٧ أرسل احدثهم وهو زيادة الله الأول
(٨١٧ - ٣٨) حنة بعرة على صقلية البيزنطية وكان قد وجه غنيم من قبل غارات قرصانية
عديدة . وأدت هذه الحملات الختفة وما غنيم من حملات أخرى الى احتلال صقلية التام
سنة ٩٠٢ (٣١) فاصبحت هذه الجزيرة كمنزى قاعدة بعرة حطيرة لتوجيه الحملات على البر
الاوربي وبالاضمح على إيطاليا . واستولى الاغالبه ايضا على مملكة وسردينيا وذلك بواسطة
قرصانهم الذين نفذوا بغاراتهم الى رومة وفي الوقت نفسه تكررت غارات القرصان المسلمين من
كريت على جنوبي بحر ايجة بحيث اخذوا في منتصف القرن العاشر يهددون شواطئ بلاد اليونان
نفسها . وقد عثر اخيراً في اثينا على ثلاثة رقب كوفية لشعر بوجود جنائز عربية فيها اعلمها كانت

(١) ابن أبي زرع من ٧٢٠ - ٧٤٠ .

(٢) ابن الأثير ج ٦ ص ١٠٦ وما يلي : ابن عذاري ج ١ ص ٨٣ .

(٣) انظر ابن الأثير ج ٦ ص ١٣٥ وما يلي : ابن خلدون ج ٢ ص ١٩١ - ٢٠١ .

سكن هناك وظلت حتى مطلع القرن العاشر (١١).

أما جامع القيروان الذي لا يزال قائماً إلى الآن مشاهداً مساجد الشرق الشهيرة فقد بشّر تشييده زيادة الله مكان المسجد السبط الذي كان بذه عقبة مؤسس القيروان ثم أتم بده إبراهيم الثاني (٨٧٤ - ٩٠٢). وكان أحد الحفلة الذين خلفوا عقبة قد جال المسجد بالعمدة من رخام استخرجها من خربة قرطاجنة فاستعمل الأغلبية هذه العمدة نفسها في الجامع الجديد. وكذلك فإن المئذنة الأربعة في هذا المسجد الجامع كانت من بقايا مسجد عقبة الراجح إلى العصر الأموي وهي الآن أقدم المآذن الباقية في إفريقية وبها أدخل طراز المئذنة السوري إلى الشكل الغربي من إفريقية حيث بقي ولم يزل يحل الطراز المزخرف الفارسي أو المصري. وفي السوري يعتمد على الحجارة بينما يعتمد في الطراز الآخر على القرميد. وبهذا الجامع أصبحت القيروان عند مسلمي الغرب رابعة مدن الإسلام المقدسة بعد مكة والمدينة وبيت المقدس.

وكان في زمن الأغلبية أن تم انتقال إفريقية من يده لأبي القاسم مسيحي الدين ظاهر إلى يد عربي اللغة إسلامي الدين وسقطت إفريقية الشرقية اللاتينية التي هيئت للقديس أوغسطين ذلك المحيط الثقافي الذي نشأ فيه سقوطاً لا نهوض بعده. وهو انقلاب سريع ثم ريثاقاً كان له مثيل في جميع البلدان التي فتحها الإسلام. أما القنومة التي ظهرت في بعد فقد صدرت عن بعض القبائل البربرية التي لم تكن قد أخضعت تماماً وكانت تهدد القنومة نفسها من قبيل الحركات الحزبية الدينية.

وكان آخر الأغلبية زيادة الله الثالث (٩٠٣ - ٩٠٩) وهو الذي في سنة ٩٠٩ أمام الجيش القاطن دون أن يبدى أي مقاومة (١٢). أما القاضون الذين قهرت الأغلبية وخافوها سنة ٩٠٩ في شمالي إفريقية وانزعجوا ذلك سنة ٩٢٩ من أيدي الأخشيدين في مصر وجنوبي سورية فسندوا هذه فعلاً خفاً. وعرض الآن لندوة الطولية التي سبقت

١٢ D. G. Karamanoglou, « The Saracens in Athens », *Social Science Abstracts*, (١ vol. ١١ (1930)), no. 274; G. Soderici, « Arabic Remains in Athens in Byzantine Times », *ibid.*, no. 276.

١٣ انظر لأهمية الأغلبية في Lane-Poole, p. 37; de Zambaur, pp. 67, 68.

١٤ ابن عذاري ج ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ من ختوم ج ٢ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ من أبي زرع ص ٢١.

الاحتشدية في مصر والشام .

١ - الردود الطولونية

كان مؤسس الدولة الطولونية (٨٦٨ - ٩٠٥) التي لم تعمر كثيراً أحمد بن طولون . وكان أبوه تركياً من سبي فرغانة أرسله سنة ٨٦٧ أمير بخاري الساماني هدية إلى المأمون (١) . وثأ أحمد شاة عبادة فعين سنة ٨٦٨ نائباً لوالي مصر . ولكنه ما كاد ينظمها حتى استغل بها (٢) . فقد حدث في أثناء ثورة الزنج التي احتاج الخليفة اعتمد (٨٧٠ - ٩٢) إلى المال فاستنجد بالنائب على مصر فم ينجده . وكان ذلك فاتحة فصل جديد في تاريخ مصر أصبحت بعده دولة مستقلة حافظت على سيادتها طوال العصور العثمانية . وقد كانت ثروة مصر حتى ذلك الزمن تسرب إلى بغداد وجيوب العمال الذين كانوا يحكمونها أما الآن فقد ضلت الأموال في البلاد وإن يكن معظمها قد انفق في سبيل الأسرة الحاكمة . وكان قد غاب على مصر منذ احتلالها حتى عهد ابن طولون نعوثة والي استعوا جبراً . وكان معدل مدة الحكم للأفراد منهم لا تتجاوز السنتين والرابع (٣) . وفي العهد الطولوني ألزمت البلاد وأقيمت على عصر واحد نسبي .

وقد عزز ابن طولون دولته المسلحة بقاء عسكرياً . وبينما ودهم سجنه بعض من مشاة الف محارب نواجه حرس خاص من الترك والزنج . وانحد على الجند والموالي وقبضة الناس البيعة لنفسه على أن يعادوا من عداوه ويأمنوا من والاه (٤) . وفي سنة ٨٧٧ وولي سوريه استولى أحمد ابن طولون عليه دون كبير مقاومة (٥) . ولأول مرة منذ أيام البطانية أصبحت مصر ذات سيادة دولية ولأول مرة منذ عهود الفراعنة حكمت سورية . وإراد أحمد ابن طولون

(١) ابن خلدون ج ٢ ص ٢٩٥ ، ج ٢ ص ٢٩٧ .

(٢) ليفوني ج ٢ ص ٦٦٥ وما يليه : ليفوني ج ٣ ص ١٦٩٧ .

(٣) قابلي لو تعمر في الكندي . نشر غوييت ص ٢١٢ - ٢١٣ . جيوطلي . عين الحاصرة ج ٢ ص ٩ - ١٠ .

de Zankour, pp. 23-5.

(٤) ليفوني ج ٢ ص ٦٦٥ .

(٥) ابن خلدون ج ٢ ص ٣٠١ - ٣٠٢ : الكندي ص ٢١٩ وما يليه .

أن يوطد ولايته على سورية بعد أن فتح سواحل الشام فأنشأ قاعدة بحرية في عكا^(١) أوجبت سورية بعد ذلك تابعة لولايتي النيل بنعمة قرون .

الاحتلال العام

ولقد اهتمت الدولة المملوكية بأمور الزراعة والذي وهب أهم مرافق البلاد الاقتصادية فعمل أحمد ابن طولون على تحسين مقياس النيل في جزيرة الروضة بالقرب من القاهرة . وكان أول من بنى هذا المقياس هناك والى أموي سنة ٧١٦ ليحل محل المقياس القديم الذي صنع في تمبليس^(٢) . وكان حكم هذه الدولة أول حكم منذ الفتح العربي ساعد على انتشال مصر من ركز للفقر ومفقر بلاط منكمي فخر . ولزادت القطاع^(٣) وهي الأحياء الجديدة في القسطنطينية دسمة مصر بأية فخمة منها البحار منان الذي ابتداء أحمد ابن طولون^(٤) قبلت بفقاره ستين ألف دسر . ومسجد الجامع الذي لا يزال معروف إلى اليوم باسم جامع أحمد ابن طولون أيضاً وهو من أهم مباني الإسلام الدينية . ويظهر في مثنته - وهي أقدم المآذن في مصر - أثر الهندسة الهندية الماثوفة في سمر حيث قضى أحمد فخر حياته . وقد كلف بناء الجامع مئة وعشرين ألف دينار^(٥) . ويمتد بأحد الأجر التي فيه والقناطر المروسة القديمة . وقد أنشأ على أطراف حشبي تحت سقفه كدابة باطن الكوفي فيها نحو سدس القرآن^(٦) .

وعقب أحمد ابن طولون خديويته ابنه (٨٨٤ - ٩٥)^(٧) وكان مبدراً فبنى قصراً جعل فيه « فوعة مذهبة » مطلية بدرابا بالذهب ومزودة بنقوش رائعة وصورة بينها صورة

١ - بولاق ج ٣ ص ١٧٠ - ١٧١ .

٢ - تاريخي . شهر ربيع ج ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

٣ - تاريخي (بولاق) ج ١ ص ٣١٣ وما يلي .

٤ - ابن عربي ج ١ . نحو جزيرة في ملك مصر والقاهرة . شهر ربيع ج ٢ (يناير ١٨٥٠) ص ١١ .

٥ - ابن حنبل ج ١ ص ٢٩١ . ابن عربي ج ٢ ص ٨ .

٦ - ابن الصل وصف هذا المسجد في أوردته نحو ١٤٢٠ . تاريخي (بولاق) ج ١ ص ٢٦٥ وما يلي .
٧ - ابن الصل ج ١ ص ٢٦٥ .

٨ - كان لأحمد ثلاثة وثلاثون ولداً منهم ١٦ صلياً منهم خديويته أحمد . ابن عربي ج ٢ ص ٢٩١ .
٩ - ابن الصل ج ٢ ص ١١٠ .

ومسورة ناسه ومفنياته (١) وبعد هذا القصر من ابدع الابنية الاسلامية وأروعها . وقد حُفرت
مسورة خارويه وصور ناسه في الخشب بالحجيم الطبيعي وعلى رؤوسهم جميعاً التيجان المذهبة
وليس خافياً ان الصور التي تمثل الاحياء أمر نادر جداً في الفن الاسلامي . وقد شيد القصر
وسط بستان كبير زرعت فيه الزهور المعطرة على هيئة ثلاث عريية وفيه اشجار غريبة الاصل
قد نمت حول احواض الماء المصفحة بالذهب (٢) . ومن الفرايب التي فيه أيضاً مأوى للطيور (٣)
وحديقة للحيوانات (٤) ولكن أغرب ما فيه بركة من الزئبق تطلو على سطحها وسند من
جلد متفوخة تتلى من حبال حريرية تربط الى أعمدة من فضة وكان يضطجع عليها الأمير
حين يساوره الأرق فتعزبه برفق وتدني الماس الى عييه . وقد وجدت آثار الزئبق في موسم
القصر بعد دونه سنين (٥) . وقبل ان مات خارويه اغتبالاً بزوج ابنته قطر الندى من الخليفة
المعتضد وفرض لها مهراً قدره مليون درهم وأهداه فوق ذلك ألف هاون من الذهب وأخفاً
أخرى نادرة المثل (٦) . وشدة بذيذه وبذخه كان يحده المحافظون رجلاً مارقاً من الذين
وقد ذكر عنه انه استطاع ان يشرب اربعة ارجال خمر في جلسة واحدة (٧) . وروي به حين
أُزيلت جثته في القبر مع الدس من جانب المقبرة التي دفن فيها ابوه قتلته فرأى القرائن تدل
« خذوه فاعملوه الى سواء الجحيم » (٨) .

وتمثل الدولة الطولونية وازدهار الممثلة التركية الجديدة التي ظهرت في الخلافة وقد
استطاع الترك بعد هذا ان يؤسسوا كثيراً من الدويلات التركية . وكانت دولة ابن طولون مثلاً
للكثير من الدويلات التي شيدت على انقاض الخلافة او انفصلت عنها ولم يعد لها علاقة بها

(١) ابن خلدون ج ٢ ص ٥٧-٥٨ : تاريخ ج ١ ص ٣٩٦-٣٩٧ .

(٢) ابن خلدون ج ٢ ص ٥٧ .

(٣) المصدر نفسه ص ٥٧-٥٨ .

(٤) المصدر نفسه ص ٥٧-٥٨ .

(٥) المصدر نفسه ص ٥٧-٥٨ : تاريخ ج ١ ص ٣٩٧ .

(٦) ابن خلدون ج ١ ص ٣٩٧ . ابن خلدون ج ١ ص ٣٩٧-٣٩٨ : تاريخ ج ١ ص ٣٩٧-٣٩٨ .

(٧) ابن خلدون ج ٢ ص ٥٥ .

(٨) التوكلية : جامع الخواص : شرح مرقىوت ج ١ (لندن ، ١٩٢٩) ص ٢٦٦ .

(٩) سورة المدثر ٥١١ .

غير الاعتراف بسلطة الخليفة الاسمية . وتبرهن سيرة احمد ابن طولون عن مقدار القوة العسكرية والسياسية التي يستطيع ان يصل اليها القائد الطموح حين يعتمد على مناصرة الجيش . وبثأر بالسلطة السياسية على حساب الحكومة المركزية . الا ان الدولة الطولونية ومنشأ الاخشيدية وكثير من الدويلات الأخرى التي نشأت لم تكن تركيزاً على اساس قوي في البلاد التي توضعها ولذلك لم تنش طولياً . وكان مصدر الضعف فيها عدم وجود جماعة كبيرة بين ابناء البلاد من عنصرها تناصرها . فرفضاء هذه الدويلات انفسهم كانوا دخلاء . اضطروا ان يعتمدوا على حرس مأجورين من الأجانب كانوا قوام جيوشهم . ولا يدوم حكم مثل هذا الا اذا كان القائم به من ذوي الكفاءة الذرة والشجاعة المبرزة . فاذا ما فترت هذه الحكاية او السلطان او كل ساعده او مات . سرى الانحلال الى جسم الدولة كلها . فلا عجب ان كانت الدولة التي شيدتها ابن طولون قد عادت الى حوزة العباسيين في ولاية شبة (٩٠٤ - ٩٠٥) انه رابع الملوك الطولونيين (١١) .

٥ - الدويلات الاخشيدية

عادت مصر وسورية الى حكم العباسيين ولكن حكمهم لم يكن موثقاً الا في كوتة . بقضي عليه مدة يسيرة حتى ظهرت في المصاطرة دولة تركية أخرى فرغية الاصل (١٢) تعرف بالدولة الاخشيدية (٩٣٥ - ٩٦٩) . وكان مؤسسها محمد بن شجاع (٩٣٥ - ٩٦٩) . وقد وكنى اليه الخليفة أمر مصر فنظم احوال البلاد المضطربة (١٣) وفي سنة ٩٣٩ منحه خليفه ارض

١١ كندي ص ٢٤٧ - ٨ . وفيما يلي شعرة من مدونة طولونية :

١٢ احمد ابن طولون ٨٦٨ - ٩١١

١٣ تاريخ دولة ٩٠٤ - ٩٠٥

١٤ جيش ٨٩٥ - ٩٠٤ (١٥) تاريخ ٩٠٤ - ٩٠٥ (١٦) مصر حتى ٩٠٤ - ٩٠٥

١٥ ابن سعيد . تاريخ في حق العرب . شرح لكتاب ابن خلدون . ٩٩٩ - ١٠٠٠

١٦ كندي ص ٢٤٨ : ٢٤٩ ج ١ ص ٢٢٢ . ٢٢٣ ج ٢ ص ٢٢٤ : ٢٢٥ ج ٣ ص ٢٢٦ .

لقباً أميرياً إرانياً هو الأخشيده . وفي السنين الثلاثين ملك الأخشيده الطريق الذي سلكه قبله ابن طولون فاستقل بالأمر يوماً واستولى على سورية وفلسطين ولم تمض سنة أخرى حتى ضم مكة والمدينة إلى دولته وأصبحت شؤون الحجاز - القطر الذي كان يتراوح بين الشرق والغرب - من جملة بقصر طيلة بضعة قرون من الزمن .

خشيدي - دهر

ولم يكن أب الأخشيده الدان حاقباً على الأمر بعده يحكمون إلا بالاسم فقد أسندت مقابله الأمور في الدولة إلى خشيدي قدير اسمه كهور أو اسك كان الأخشيده قد اشتراه فيها يقال من تاجر زيت ثمانية دهر . وقد تولى كهور منفرداً إدارة مصر بين سنة ٩٩٦ و ٩٩٨^(١) واستطاع من يدافع عن مصر والشام ويضارح دولة الخديين التي ظهرت في شمالي سورية . وقد حدد الخشيدي^(٢) شعر سيف الدولة الخدي وأشير الشعراء في ذلك العصر اسم كهور خديده به وحدثه . وكانت حادثة هذا الخشيدي الأسود الذي بعض من خضبط الفضة إلى منصة الدنان الأول من وجهه في الإسلام ولكنهم لم تكن الأخيرة . وكان أمراء الدولة الأخشيديّة وبنوع خدم الأخشيده معه بمقدون المظايا من أموال الدولة على رعاياهم اسمته قلوبهم شامخ في ذلك شأن أمراء الدويلات الأخرى . فقد روي أن مطيع محمد الأخشيده هذا كل مدحه كل يوم من الأرزاق مئة حبة ومئة خروف ومئتان وحمولة من الأوز وحمولة فرح طير والف حمولة ومئة درهم من الخلوى . وحين مدح أحد الشعراء كهوراً فقال :
 . . . زلزلت مصر من خوف إبراهيم
 . . . نسكتها رقت من عدله طرباً

أما ما عرفت دهر^(٣) وإذا استثنينا صروب البدخ والقرع هذه فإن الدولة الأخشيديّة لم تغم بأي مثرة في سبيل الحياة الفنية والأدبية ولم تخلف شيئاً يذكر من الآثار العامة . وكان آخر أمرائها أو القوارص أحمد وقد ولي الأمر وهو ابن إحدى عشرة سنة وفي عهده سقطت الدولة

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٨٥ - ١٩٩ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٦١ - ٣٦٢ بن خزيمة ج ٢ ص ٣٦٣ .

(٢) دهران ، نشر في قريش (١٨٦٩) ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ابن سبويه ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٣) ابن أبيس - بدائع الزهور في وقائع الدهور ص ١٣١٩ ج ١ ص ٢٢٤ .

ازدهار الأدب

إن سيف الدولة مدين في شهرته في التاريخ العربي أولاً لما قصره ثقله والأدب ثم مجده ودفي
مناضلة الروم بعد أن أعيا قواد الإسلام أمرهم . وثبت حقة الأدب التي رعاه هذا الأمير
الحمداني الشاعر^(١) المتعبد إلى الدهن ذكرى الرشيد والأمين فقد تمت فئة من الاعلاء فيه
القاراني المياسوف الموسيقي الشهير وكان يتقاضى نقاداً يومياً من خزينة الدولة مقدارها أربعة
درهم فقط وذلك لمدحاته السيطة . وفيه الأصمعي مؤرخ الأدب والموسيقي الشهير
الذي أهدى سيده نسخة من كتابه الأغني خطه بيده فأعجبه بالخط فبخره . وإن نسبة
(المتوفى ٩٨٥) خطيب البلاط الحسن الذي كانت مواعظه البليغة^(٢) المسموعة عند في
القلوب وتحرك عواطف القوم لمواصلة الجهاد على يديهم . وفوق هؤلاء انتهي شأن البلاط
(٩٠٥ - ٩٥) الذي رفاه أسلمه الشعري وبه فيه من روعة وفخامة ومباقة ودقة في الصنعة
ويقال الحكم أن يكون أشهر شاعر في الإسلام في يومه هذا . وليس هناك شعر شاع بين
الطبقات المختلفة شيوخ شعراء^(٣) وقد قل فيه أحد القدماء : « أما شعراء فهو في النهاية »^(٤)
ولد انتهي بالكوفة وكانت ابن سناء في يروى أنه تردد إلى بادية السيرة حيث قيل به ادعى
النموه فسمي بالنتهي^(٥) وقد دخل انتهي حقة سيف الدولة وفيها أخته من المصا والاداء
فكرمه سيف الدولة فعلمه على الأمير أبي فراس الحمداني^(٦) ابن عم سيف الدولة وهو شاعر
معروف انت بدل انتهي مثل ذلك الأكرام وعند بعض من شانه والخير انتهي الأمر في
انت سيف الدولة لا يظهره العطف الذي كان يؤمنه فكره وفي دعوة قيم الدولة الأحيدة
كافور وانت مدانة من خلع وجوائز ولكنة انت ما كان يؤمنه من أمره أو ولاية فغلب

(١) ابن حنكل ج ٢ ص ٦٦ - ٦٨ . تاريخ ص ١٣٤ .

(٢) خطب ابن سناء وقد صارت مراراً في الغمرة وبهرت .

(٣) شعر ديوانه يشتمل على خمسة عشر ألف بيت في ديوانه . تاريخ ص ١٨٨٢ . وقد أورد في ديوانه من شعره

١٩٣٥ مرقوم على وفاة . ٨٣٥٤ . في سيرة ولسان وعبره .

(٤) ابن حنكل ج ١ ص ٦٣ . انظر أيضاً فخره في انتهي . تاريخ ج ١ ص ٦٨ - ٦٩ .

(٥) اسمه انت أو خطيب . تاريخ ص ٦٣ .

(٦) انظر ديوانه شعره في فخره . تاريخ ص ١٩٠٠ . وانظر خطب ج ١ ص ٦٢ - ٦٣ .

حقيقاً وترث مصر .

وقد تبع في اواخر هذه النهضة القبطية في شمالي سورية رجل فلذ هو ابو العلاء المعري (٩٧٣ - ١٠٥٧)^{١١} فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة . ظهر ابو العلاء في زمن اضطربت فيه الاحوال السياسية وفي بيئة ساذ قيم الفساد والاعطاش فجدت عنده مראה لعصره يغلب فيه الشك والتشؤم . وكان المعري من قبيلة غوخ اليمنية وقد ولد في معرة النعمان واليهما نسبته وفيها قبره الى اليوم . وقد اجدد بناء هذا القبر سنة ١٩٤٤ في عيد الانبياء . اسبب المعري بانجزي وهو في الرابعة من عمره فذهب اخذ في بعضه على ان ما فقدته من دأمره استعاض عنه بصبره وشدة حافضته وثأ على الصبر والادب وتردد الى الاوساط المدنية في طرابلس ومطركية وحلب ثم اوجع سنة ١٠٠٩ الى بغداد وافد فيها سنة وسبعة اشهر فاحد بعض آراء الخوانسار القضاة وآراء اخرى هندية لاصل . ثم رجع الى المعرة وازم منزله مائتاً نوعاً من المعزة فيه نقطة عن اكل المعوز شأن السابقين . ومن مؤلفاته في اواخر حياته « التروميات »^{١٢} و « رسالة العفران »^{١٣} . ويظهر فيها انه كان يحن الى عقل هذيل والاشك منهجاً . وان رسالة العفران هذه قد تركت فيه يرى بعض المستشرقين اثرات في رواية دانتى « الملهة الاخوية »^{١٤} وقد نقلت بعض رباعياته الى الاسكيزية . وقد لاحظ كثير من الناحين الذين درسوا شعره وشعر عمر الخيام الفارسي - اشوقي بعده مدة سبعين سنة - تشابهاً وصلة بينهما بل رأوا ما يبدئ على انبثاق اخيه قد تروى آراء المعري . وبالنسبة للمعري ختم عهد الشعر العربي الهادي . ولم يبق بعده في الاسلام شاعر بلغ مراتبهم .

غارات على بلاد الروم

وبعد ان ثأبت سيف الدولة مدطته في شمالي سورية اخذ يقوم بالغزوات المنظمة الى بلاد

١١ راجع عنه حسين دكري في « بلاد الشام » : القاهرة ١٩١٥ .

١٢ التروميات او نووم ما لا نرم . نشر محمد زيد في جزئين (القاهرة ١٩٩١ ، ١٩٩٢) وترجم بعضها الى الاسكيزية امين الزحاني . (New York , 1918)

١٣ نشرها كامل النكلافي في قسمين (القاهرة ١٩٢٣) وترجم بعضها نكسن في مجلة الجمعية الاسيوية الشكية سنة ١٩٠٠ و ١٩٠٢ .

١٤ Asin, Islam and the Divine Comedy , tr . Sunderland . (:

الروم - وقد بدأ هذه الغزوات سنة ٩٤٧ واستمر بها حتى ثمانية سنة ٩٦٧ بحيث لم تمر سنة من هذه السنين العشرين لم يغز بها بلاد الروم (١). وقد سمر في النصر أولاً فاستولى على مرعش وغيرها من المدن الواقعة على الحدود وكاد أن يخرج الروم ولكن القيادة البيزنطية قدت عليه خططه وقد كانت بيد اطلين من قواد الروم أصبح كل منهم في بعد امبراطوراً هما نقفور (Nicephorus Phocas) وابن شمشيق (John Tzimiskes). في سنة ٩٦١ استطاع نقفور ان يصل الى حلب و غزاه من ايدي الخدابين ما عدا اقلعة وقد قتل ما يزيد على عشرة آلاف من جندها وجميع الاسرى الذين اخذهم في الحرب ودمر قصر سيف الدولة نفسه، وأقام فيها بعد فتحه نحو ثمانية ايام وسراياه بصرى في طاهر المدينة ونسي وعمر ثم رحل عنها (٢). وبعد ان أصبح امبراطوراً (٩٦٣ - ٩٦٩) انزعجت عما كرهه قيس من ايدي العرب واحتلت كبلبيكة (٣) وبذلك مهد الحيل فتح سورية، وفي آخر سنة ملكه دخل حلب انطاكية - المدينة التي طامح ارباد الروم انزعج من العرب لاسيما كرمي البطركية ومدينة القديسين والجامع الكسبة الاولى. وكانت تصارع بيزنطة نفسها في السكاسة الدينية، وبقيت انطاكية في ايدي الروم من ٩٦٩ الى ١٠٨٥. ولم يثبت قائد نقفور بعد استيلائه على انطاكية ان سار الى حلب حيث حاصر محمد الدولة (٩٦٧ - ٩٦٩) ابن سيف الدولة واصطدمه الى قبول صلح مذل ثم اعترف عنه (٤). اما الامبراطور ابن شمشيق (٩٦٩ - ٧٦) فقد اتخذ سياسة الحزم في ضبط ما فتحه الروم في كبلبيكة وشمس سورية وتوطيد الحكم فيه، وجعل يعصب عليه تحرير بيت المقدس من يد العرب فعاد انطاكية في شبه حملة صليبية ودخل دمشق وابكته لم استطع التوغل في فلسطين. وفي اوائى عهده خرج بنو حبيب في نصيبين - وهم بنو عم الخدابين - بدمار يهود ومواسيهم ونقلهم في اثني عشر الف فارس هرباً من الضرائب

(١) انظر يحيى ص - عهد الانطاكي التاريخ - ترجمه الى الفرنسية - 1 Kratichovskiy and A. Vasiliev in *Patrologia Orientalis*, vol. cxvii, pp. 208 seq.

(٢) ابن الاثير ج ٩ من ٢٠٠٢ طبع بغداد ج ٢ من ١١٠.

(٣) مسكويه ج ٢ من ١٦٦ - ١٦٧ يحيى الانطاكي من ٧٨٦ - ٧٩٠.

(٤) باقوس ج ٢ من ٢٢٧.

(٥) يحيى الانطاكي من ٩٦٣ - ٩٦٤.

المفروضة عليهم والتجأوا الى بلاد الروم فتصروا بأجمعهم واثقوا ملك الروم من الغرب وعادوا الى بلاد الاسلام فشنوا الغارات عليها (١) وخلف ابن شمشيق باسيل الثاني (٩٧٦ - ١٠٢٥) فشن بنفسه بدافع عن ممتلكاته السورية التي اخذ يهدوها الفاطميون من مصر وذلك برغم القوى التي كانت تهدده في الوقت نفسه من شمالي فريقية حيث استطاع العرب هناك ان يعتنوا صقلية وكثيرا من جزر بحر ايجة . وفي مطلع القرن الحادي عشر عقد صلحاً مع الحاكم الفاطمي فلم يجر بينهم قتال بعد ذلك . وهكذا وسمت اليهود التي بدف باسيل وسفده تقفور وابن شمشيق حدود الامبراطورية البيزنطية شرقاً على حساب المسلمين حتى في الثمرات وقلب سورية الثانية (٢) . وكانت عهدهم ازهى عهود بيزنطة في تاريخ علاقاتها مع المسلمي المشرق (٣) .

(١) ابن حوقل ص ٩٥ - ٩٦ .

(٢) ابن الأثير ج ٨ ص ٤٤٠ - ٤٤١ .

(٣) Vasiliev, Byzantine Empire, Vol I, p. 381 .

المفصل الثاني والثلاثون

إمارات مختلفة في الشرق

وسبب كانت تتجهز الخلافة إلى دوليات أكثرها عربية في الغرب كان الأمر نفسه يجري على يد الترك والفرس في الشرق .

١ بر طاهر

وأول من أسس دولة شبه مستقلة في الجانب الشرقي من الخلافة مظهر ابن الحسين الخراساني وهو القائد الذي كان المأمون قد عبثه على الجيش فحقق له النصر في النزاع الذي شب بينه وبين أخيه الأمين . وقد ذكر أن هذا القائد وأحد من الخواريزميين كان يضرب بالسيف في قتله ضد الأمين بسراة كما يضرب بيمد يده في قتله المأمون ذا اليمينيين (١) وكان أمورا قتال فيه أحد الشعراء :

٢ ذا اليمينيين وعين واحدة نقصان عين وبيتين رائدة (٢)

وكان المأمون يثق به فكفاه على مدينته له في أن استعمله سنة ٨٢٠ على خراسان وكل البلاد الواقعة شرقي بغداد فجعل مرو عاصمة ولايته . ومات مظهر بعد ذلك بسنتين ولكنه قبل أن يموت استطاع أن يسلك عن المدعى للخليفة في الخطب أيام الجمع (٣) . وتتابع على الحكم بعده جماعة من بيته دأبوا بالخلافة اسمياً ولكنهم استقلوا بأكمل ووسعوا نطاق ولايتهم حتى حدود الهند . ونقوا قاعدتهم إلى نيسابور حيث ظلت هذه السلطة حتى سنة ٨٧٢ (٤) حين أراحهم العمة أريون .

(١) الطبري ج ٣ ص ٤٢٩ : ابن خلكان ج ١ ص ٢٤ : وفالي السعدي ج ٦ ص ٤٢٣ .

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٤٢٢ : ابن الأثير ج ٦ ص ٢٧٠ .

(٣) ابن الأثير ج ٦ ص ٢٧٠ - ٢٧٠ .

(٤) السعدي ج ٨ ص ٤٢ : الطبري ج ٣ ص ١٨٨٠ .

٢. بنو الصفار

يرجع تأسيس الدولة الصفارية الى يعقوب بن ابيت الصفار (٨٦٧ - ٧٨) وقد نشأت في سجستان وملكت فارس احدى واربعين سنة (٨٦٧ - ٩٠٨). وكان الصفار كما يستدل من اسمه يشتغل بصناعة النحاس ظاهراً وينصرف الى اعمال المعصومية سرّاً، وكان الهارثية وفروسيته وشدة شوكته قد استرعى انتباه عامل الخليفة على سجستان ونال اعجابه فهدأ اليه بقيادة حبشه (١). والظاهر انه خيف الوالي نفسه على سجستان واصبح سلطانها وازضاف الى ممتلكاته كل فارس تقريباً والاقليم الهند الشخمة لما عبت نزع به الامر احياناً ان يهدد بغداد عاصمة الخليفة المعتمد (٢). ولم يطل امر الدولة الصفارية وادبل من سطوتها في اكثر ممتلكاتها الى دولة جديدة هي الدولة السامانية (٣).

٣. بنو سامان

ملك بنو سامان فارس وما وراء النهر من سنة ٨٧٥ الى ٩٩٩. ويرجع اسمهم الى سامان احد اولاد بلخ من الناحية الشمالية. وكان مؤسس دولتهم نصر بن احمد (٨٧٤ - ٩٢) الا ان موطن الدولة هو اسماعيل (٨٩٢ - ٩٠٧) اخو نصر فهو الذي اتبع خراسان سنة ٩٠٣ من قبضة بني الصفار (١). نشأ بنو سامان محلاً منسجين لبي طاهر ثم ما لبثوا ان وسعوا ملكهم في عهد نصر الثاني بن احمد (٩١٣ - ٩٣) وهو الرابع من ولاتهم الى اعظم حد بلغه فامتدوا على سجستان وكرمان وخرجستان وما وراء النهر وخراسان وتمتعوا بسلطة مستقرة وان كانوا يدينون في الظاهر للخليفة في بغداد. وكذا في نظر الخليفة امراء اي حكماً

١. ابن الاثير ج ١ ص ١٢٥ - ١٢٤ ابن حنبل ج ٢ ص ٣٥٠ - ٣٥١ بطوني ج ٢ ص ٦٠٥ - ٦٠٦ متوفي فروسي التاريخ كوزيما غير مروي ج ١ (١٢٠٠ - ١٢٠١).

٢. الاسعدي ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

٣. المسعودي ج ٨ ص ٥١ - ٥٢ الطبري ج ٣ ص ١٦٩٨ - ١٧٠٦ - ١٧٨٠ - ١٨٧٠.

٤. ابن الاثير ج ٢ ص ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ ج ٨ ص ٤ - ٥ - ٦ لاصطفي ج ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

٥. الطبري ج ٣ ص ٢١٩٤ - ٢١٩٥ تاريخي سامان - نصر طاهر - صهران (١٩٣٢٠) ص ٢٥٦.

٦. راجع متوفي فروسي ج ١ ص ٣٩١ - ٣٩٢ ابن الاثير ج ٨ ص ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢.

هذه المقاطعات بل عملاً على الخراج لا أكثر برغم استقلالهم في الشؤون الداخلية .
وعلى يد السامانيين تم للإسلام تدوين ما وراء النهر نهائياً وكادت بخاري عاصمتهم
وسمرقند سيدة مدنهم أن تسبق بغداد كمؤنن للعلم والفن . ولم ترق فيهم الدراسات العربية
فحسب بل الفارسية أيضاً . وقد قدم الرازي الشهير كتابه الطبي المعروف بالنصوري إلى أحد
أمرائه بني سامان ألا وهو أبو صلاح منصور ابن اسحاق السجستاني وهو ابن أخي أميرهم الثاني .
أما الأمير الساماني نوح الثاني (٩٧٦ - ٩٧٧)^(١) فقد استدعى ابن سينا - حين كانت
ابن سينا يافعاً دون العشرين - إلى بخاري فزادها وأطلع على خزائنها كتبها^(٢) المسكية
الفنية حيث هي . له كتب يستمد من العصور تلك الثروة المظنية . وفي هذا العصر أخذ يشأ
الأدب الفارسي الحديث ، وبكفي دلالة على ذلك أن الفردوسي (حوالي ٩٣٥ - ١٠٢٠)
وضع أول أشعاره فيه . وفيه أيضاً نقل البلخي وزير منصور الأول^(٣) (٩٦١ - ٧٦) مختصر
تاريخ الطبري إلى الفارسية^(٤) وهو من أقدم كتب التاريخ المخطوطة في الفارسية . وكان المرش
منذ الفتح الإسلامي قد درجوا على استعمال العربية أداة لتعبير الأدبي ولكن على يدهذين الكبار
أخذ الأدب الفارسي الإسلامي يسير نحو التقدم .

ولم تنج الدولة السامانية من عصر التهديم والقوضى التي قضت على سواها من الدول في
العصر نفسه برغم أنها كانت من أرقى الدول الإيرانية وأكثرها علماً واستنارة . فعلاوة على
المشاكل التي كانت تواجهها من حيث مطامع الكبراء العسكريين وسرعة توالي الأمراء على
المرش بدأ خطر جديد يهدد كيان الدولة وهو ظهور قبائل الترك البدوية في الشمال . حتى في
الشؤون الداخلية كانت القوة كانت تتحول تدريجياً إلى أيدي الفواري الترك الذين كان بنو
سامان قد ملأوا بلادهم منهم . أما المنطقة السامانية إلى الجنوب من جيحون فقد انزعما سنة

(١) راجع ابن الأثير ج ٩ ص ٦٩ وما يلي .

(٢) ابن أبي عمير ج ٢ ص ٤ .

(٣) هناك وصف شائق لأحوال البلاد الخفية في عصره ذكره شاهد بيان ابن حوقل ص ٣٤١ - ١٢ .

٣٤٥ - ٥٥ .

(٤) سننوني غزويني ج ١ ص ٣٨٥ .

٩٩٤ الفزاريون الذين وصلوا الى ما وصلوا اليه من القوة بفعل احد هؤلاء الموالى . ووقعت المنطقة في شمال هذا النهر في ايدي جماعة من الايلاق من خانات تركستان الذين استولوا سنة ٩٩٢ على بخارى وبعد سبع سنوات قضوا على الدولة السامانية المنهزمة . وهكذا جرى لأول مرة قتال ملوادية من آسية الوسطى تحت اقام الأول في شؤون العالم الاسلامي . ولم يكن النزاع الذي قام بين المنصور الابراقي والمنصور الطوراني في سبيل السيطرة على الاقطار التي تقع على حدود الاسلام سوى مقدمة لتطورات اشد خطورة . وسرى فيها سيمر معاكف لعب الترك دورهم المغير في السياسة الدولية حتى تسلموا معظم صلاحيات الخليفة في بغداد وابتلعوا معظم اقسام الخلافة وآل امرهم انخروا الى تأسيس خلافة عثمانية في استنبول «عند البوسفور» .

١ الفزاريون

وكانت من الموالى الأمراء الذين دفعهم بنو سامان الى مراتب الشرف واستدوا اليهم المناصب العالية رجل اسمه الب تكين . وكان هذا في اول امراء من الحرس الملكي ثم ارتقى الى رئاسة الحرس (١) فولاية خراسان سنة ٩٦٩ . ولم يقض عليه امد طويلا في هذه الوظيفة حتى تم عليه الأمير الساماني الجديد هزيمة وانصرف الب تكين الى اطراف المملكة في الشرف . وهنا استطاع في سنة ٩٦٢ ان يتبرع غزنة (في افغانستان) من قبضة ولاتها الوثنيين ويبنى فيها دولة مستقلة (٢) تمت وكبرت بحيث أصبحت فيما بعد امبراطورية شمال افغانستان والبنجاب (٩٦٢ - ١١٨٩) . اما مؤسس الدولة الفزارية الحقيقي فهو «بكتكين» (٩٧٦ - ٩٧) مولى الب تكين وصهره . وكان امراء غزنة السبعة عشر الذين حققوا كلهم من سلالاته . وقد وضع بكتكين مثلكا به حيث تمت بشاور في الهند واقام خراسان في فارس هذا الاقليم الذي كان قد ولىه من قبل ابني سامان .

محمود الفزاري

وكان اعظم من ظهر في هذه الدولة محمود الفزاري (٩٩٩ - ١٠٣٠) ابن ميككين .

(١) ابن حوقل ص ١٢١١٣ يشير به اسم الب تكين صاحب خراسان .
(٢) مستوفى قزويني ج ١ ص ٣٩٣ - ج ٢ ص ٢٩٩ .

وكانت عاصمة غزنة على قمة هضبة عالية تشرف على سهول الهند الشالية وتتصل بها عن طريق وادي كابل . وقد يتر هذا الاتصال محمود انت يقوم بغارات متتابة على البلاد التي تجاوره من الشرق فنظ بين سنة ١٠٠١ و ١٠٣٥ ما لا يقل عن سبع عشرة حملة على الهند أدت الى الاستيلاء على بلاد البنجاب وقصبتها لاهور وعلى ملتان وبعض أنحاء الهند (١) . وقد ثبتت بعد هذا قدم الاسلام في البنجاب . وعاد محمود من هذه الغارات يحمل الفاتح النبوة من هيب كل الهندوس التي استباحها فاكتسب مكانة عظيمة غبطه عليها معاصروه وذلك لانه هدم الامناء ونامر الزوج الاسلامية المحافظة التي لا ترضى عن البدع ولا تحتمل رؤية الصور والمائيل المنحونة واصبح من ابطال الاسلام الاول الذين احرزوا لقب « الفاتح » (٢) وقد أطلق عليه لاله ايلي في حربه التي شنها على الكفار .

كذلك افلح محمود في توسيع دولته غرباً فقد اغتصب العراق المعجم وفيه الري واسهبان من بني بويه وهم من الشيعة وكافوا اذ ذاك قد ملكوا بغداد واستبدوا بشؤون الخلافة . اما محمود فبصفته سنياً فانه اعترف منذ اول ظهوره بالسيادة الاسمية للخليفة الفادر (٩٩١ - ١٠٣١) (٣) وقد نال منه فيما يمد لقب « بين الدولة » (٤) . واكتفى هو وخلفاؤه من بعده بنقل لقب « امير » او « سيد » على سكوكاتهم . وذهب بعضهم الى ان محمود كان اول من نتج بنقل سلطان (٥) في الاسلام ولكن الشواهد من السكوكات تدل على ان هذا اللقب الرفيع لم يتخذ رسمياً احد قبل السلاجقة . وقد اتست ممتلكات محمود بحيث ضمت حين بلغت اوجها الهند الشالية شرقاً والعراق المعجم غرباً وخراسان وخطارستان وقاعدتها بلخ وقسم مما وراء النهر شمالاً وسجستان جنوباً (٦) . اما عاصمته فقد بنها بالباني القديمة واسس

(١) مستوفى قزويني ج ١ ص ٣٩٥ وما يلي ! نيروي ، تملق ص ١١١ M. Nâsim, The Life and Times of Sultan Mahmud of Ghazna (Cambridge, 1931), pp. 86 seq .

(٢) مستوفى قزويني ج ١ ص ٣٩٦ .

(٣) انظر هلال الصافي ، التاريخ المؤرخ (منقح تحاريف الامم مسكوبة ج ٤ ، شرابروز ص ٣٥١ - ٣٥٠ .

(٤) مستوفى قزويني ج ١ ص ٣٩٥ .

(٥) ابن الأثير ج ١ ص ٩٢ .

(٦) هلال الصافي ص ٣٤٠ ، ٣٨٦ .

فيها مدرسة عالية للمعالم وقف لها الأملاك وجعل بلاطه العامر القوام الرئيسي لشعراء ورجال العلم - والتف حوله جمعة من الأدباء والباحثين منهم المؤرخ العربي المتبحر^١ (المتوفى ١٠٣٩) والعلامة المؤرخ المشهور البيروني والشاعر الفارسي اللاحق الفردوسي الذي احتفى بمرور ألف سنة على مولده في آسية وأوربا وأميركاسنة ١٩٣٥ - ٥٠ وقد ذكر عن الفردوسي أنه لما قدمه منحه العظمى لا الشهادة التي تشمل على ستين ألف بيت إلى الأمير المذكور محمود فكفاه عليها بستين ألف درهم بدلاً من ستين ألف دينار كما كانت قد وعدته هدية ثم فر من وجهه خوف على حياته .

وقد كان ظهور الدولة الغزنوية أول عصر انقصر التركي على العنصر الإيراني في ميدان الزعامة في العالم الإسلامي . ومع ذلك فقد كانت الدولة الغزنوية لا تحفظ كثيراً عن الدولة السلجوقية أو الدولة الصفارية . فقد كانت تستند إلى السيف حتى إذا وهنت اليد التي كانت تحمل السيف حطمت الدولة ونقض كيانها . وهذا ما جرى بالفعل بعد موت محمود إذ انقضت الامتداد الشرقية تدريجاً عن العاصمة القصبية وبدأت تظهر الدويلات الإسلامية المستقلة في الهند . أما في الشمال والغرب فقد انقسمت خلافت تركمشت وسلاجقة فارس أمهات أملاك الغزنويين فيما بينهم . وتمكن غوريو في سنة ١١٨٦ في فتح الهند في وسط من الهند الغربية الفاضية إلى الغزنويين وأعادوا سنة ١١٨٦ تحريراً في لاهور .

الحرس الامير الموردي

وبما كانت جملة السرايوسية بكثرتان في الشرق والغرب كان قلبه هدفاً لنبال الدخلاء من الفرس والترك . ففي سنة ١١٨٦ حكومة بني بويه الفرس الشيعة وبمدهم حكومة السلاجقة الترك السنية لم يكن قد بقي من القوة سوى العاصمة وما يكن لها فيها من القوة سوى سيطرة وهمية . فقد كانت هناك حركة ثور في حرس البلاط انهم ثورة قام بها الزباط من النواحي الزنوج فؤدى هذا إلى انهيار سلطة الحكومة المركزية ومهد السبل للبوهميين ان يستولوا عليها .

١) وله كتابي شيخي - في مريية اسلامية - منسج به منسج محمد محمود وقد ترجمه . الكتاب في الانكليزية James Reynolds (London, 1878) .

وكان الخليفة العباسي الثامن المعتصم (٨٣٣ - ٤٢) ابن هارون الرشيد وأمه مولاة تركية أول من اتخذ الترك حرساً خاصاً له استقدمهم من وراء النهر وكان عددهم يبلغ أربعة آلاف . وكان غرضه من استجلابهم أول الأمر معارضة قوة الجنود الخراسانية الذين كان العباسيون مدعّين لهم بالخلافة . ثم أخذ سبيل الترك يتدفق إلى العاصمة بحيث أصبح وجوده خطراً على الخلافة نفسها وعقدت مدينة السلام التي بنى القصور مدينة الفتن والاضطراب . وما شعر المعتصم أن هناك تربة في بغداد على طرف جندى قد تصل إلى فتنة . فقل مكره في سنة ٨٣٦ إلى عاصمة جديدة أسماها وجندى سمى ١١١١ على بعد ستين ميلاً إلى الشمال من بغداد . ورجع اسم هذه العاصمة الجديدة إلى أصل اشوري فعرّفه العرب إلى « سر من رأى » . وبه عرفت كراهة على مسكوكات العباسيين . وقبل في ذلك الزمن أن معنى هذه التسمية أن من رآها (وقد رآها الترك) سر (نعمة بغداد منهم) .

وإذ كانت سميراً بالقصور والمساجد التي شيد معظمها المعتصم وابنه المتوكل (٨٤٧ - ٦١) ونفت مقر الخلافة مدة ست وخمسين سنة (٨٣٦ - ٩٢) في عهود ثمانية خلفاء متعاقبين . وبعد آثارها اليوم المجرى ما تعذر البقاء من قصر بني العباس ١٢ . وهذه شجرة نسب ما خلفاء العباسيين الذين أقاموا سميراً :

٨ (المعتصم) (٨٣٣ - ٤٢)

محمد ٩ (المتوكل) (٨٤٢ - ٧) ١٠ (المتوكل) (٨٤٧ - ٦١)

١٢ (المستعين) ١٥ (المهدي) ١١ (المتعصم) ١٣ (المتوكل) ١٥ (المعتصم)

(٨٦٢ - ٦) (٨٦٩ - ٧٠) (٨٦١ - ٢) (٨٦٦ - ٩) (٨٧٠ - ٩٢)

وكانت ظهور الجند التركي في الدولة العباسية واستبداده شؤونها شيئاً بحركة الحرس

١ (الفاريح ٣ من ١١٦٩ - ١١٩٠ شمسي ٢ من ١١٨٠ وما بين ١١٨٠ - ١١٩٠ شمسي ٣ من ١١٩٠ - ١٢٠٠)

٢ (شمسي ٣ من ١٢٠٠ - ١٢٠١) (Der Wirtschaft der Bagdad von ١٢٠٠ - ١٢٠١) (Ernst Herzfeld , Samarra Berlin, 1921) .

البريعاوري في رومة وجيش الانكشارية في تركية وهو يعتبر بده عهد الخلال الخلافة وتداعي صرحها . وكان الخليفة في عاصمته الجديدة كالأسير امور بده حرسه . وكانت قتل الخرس المتوكل في مطلع سنة ٨٦١ بتعريض ابنه (١) اول حلقة في سلسلة من الحوادث كانت تقضي على الخلافة العباسية . وكان المتوكل اول الخفاء في دور الانحطاط وقد أصبح اكثر الخفاء بعده وهن مشيئة الجند التركي بتصبوه على كرسي الخلافة وينزلونهم عنها كالثورون . وكان اكثر قواد الجند من الموالي الطامعين الى السيادة . وكان تماء نفوذ خاص على الموالي وفي الملاح زاد في ارتباط الحل بالخليفة المستعفف المستعين (٨٦٢ - ٦) حصره الخرس في سامرا واضطروه الى التنازل عن العرش قرا امامهم الى بغداد حيث قامت امه وهي مولاة في الاصل فقبضت على زمام الدولة بلاشتراك مع قائدتين تركيين (٢) . لما تم المنز الخليفة الذي عنيه (٨٦٦ - ٩) قد غنت على ابنها بده ٥٠ ألف دينار بقندي بها حبه ورغم انها كانت سكتار في دهليز تحت الارض مقدار مئتين دينار فصلا عن حل دائرة الشل . (٣) وحت العومني في القريين التاليين بحيث لم يكن للحل من السلطان سوى الاسر فترى الواحد يتلي العرش وهو لا حول ولا حول له ويحل الى القبر غير مأسوف عنه . وفقد الأمن والسلام الا في من الامصار القصبة التي سدها أمراء مستقون قبصوا على زمام الامور بيد من حديد .

ثورة الزنج

وكان من اقبح حوادث هذا العصر وأدماها ثورة الزنج (٤) . وكان هؤلاء الزنج قد حي بهم أصلاً من نرقى افرقية واستخدموا السباح في وادي الخرات الجنوبية . وكان زعيمهم في الثورة « صاحب الزنج » داعية محمدا اسمه علي ابن محمد نعله عربي الاصل . فانضم غرضه حين كانت الاحوال مضطربة في العاصمة والعمال مستائين بتذرون والشكوى عامة فدعى امه علوي أرسل خلاصهم بالثبوت والتم الروحي وكان ذلك في ايلول سنة ٨٦٩ .

(١) طبري ج ٣ ص ١٢٥٢ - ١٢٥٤ : انصهره ابن الأثير ج ٢ ص ٦٠ - ٦٥ .

(٢) طبري ج ٢ ص ١٢١٢ - ١٢١٣ : فقه ابن الأثير ج ٢ ص ٨١ - ٨١ .

(٣) طبري ج ٣ ص ١٧١٨ - ١٩ .

(٤) من لفظة « زنج » غارسية ومعناها « خبث » ومنها « زنجار » التي حرمت في « زنجبار » العربية .

ودعى الناس الى طاعته فاستجاب له دعوة زمر كثيرة من العبيد الثالث حوله، ويزعم الغابري (١) وهو اهم مصدر لدينا عن هذه الثورة ان الخليفة انفذ احدا كره له قديما «عدو الله» «الغبيث» كما يسميه فاستعصر في منطقة كثيرة المستنقعات والاقنية ملاشمة لحركة الخيرية وتمكن ورجلته الزنج من رد جند الخليفة على اعدائهم، بل ان الزنج جريا على مبادئ الخوارج التي اعتنقها زعيمهم ضربوا اعداء الاسرى وغير الحار بين بعد السيف (٢). وظلت نيران هذه الحرب مظنية طيلة اربع عشرة سنة (٨٧٠ - ٨٨٣) وذلك في عهد الخليفة اعتمد (٨٧٠ - ٩٢). وتختلف المصادر في عدد القتلى ومنها ما يجعله عتف مئويت واكثر. وحدث بعد احدي المعارك الحامية ان بقي من رؤوس القتلى المسلمين التي لم يأت فدا صلب عدد كبير فاقدها الزنج في قمة غوافق المعركة فعمل الناس بانثون تلك الرؤوس في احد رؤس كل رجل اوليائه (٣). وعما الحراب البصرة وواسط والاهواز ولايئة ولا تقع الثورة الا عندما قام الموفق اخو الخليفة فأتى بلاء حسنة وازل العتاف منخرين. وفي سنة ٨٨٣ قتل صاحب الزنج وسقطت «الحدرة» القامة التي ابتدأها وبذلك انحدت سر ثورة غطية لما يعرف في تاريخ آسية العربية ثورة افطه واشد بنية منها (٤). وكان في اناس ان القنات معبر على يد ابن مؤنوس عن صلب الخلافة.

امير الامراء يصل الى الحكم

وبعد مقر الخلافة الى بغداد في زمن اعتمد (٨٩٢ - ٩٠٢) فصبحت هي العاصمة. انت مات عنها سمر في ذلك مدة تزيد عن نصف قرن. وبهذا غير مشهد الحوادث التي كانت تمثل ولكن محاربا لا يتغير قط. فقد ظلت مقاييد الحكم بيد الجيش. وفي هذه الحقبة ظهر عبد الله ابن المعتز فبدأت المقنن الخلافة (وكان من ابتداء عهده) وسطا مقايدها واتخذ

١. ج ٣ من ١٧٩٦، ١٧٩٥.

٢. السعدي ج ٩ من ٢٨، ٣١ - ٦١.

٣. الغابري ج ٣ من ١٧٨٦ - ٦.

N. B. H. , *Asiatic Researches*, 17, 1, 5. Black (London, 1825), 4 p. 171.

تلقب المرتضى ولكنه لم يبق في كرسي الخلافة سوى يوم واحد (١٧ كانون الاول ٩٠٨) ختم بعده واغتيل . وقد كان هذا الخليفة اميل الى الشعر والادب منه الى السياسة . على ان مسندته الكبيرة التي ذكرها الفهرست (١١) وابن خلكان (١٢) لم يعمل اليه منها الا القليل .

اما خلافة المقتدر التي دامت اربعة وعشرين سنة (٩٠٨ - ٩٣٢) فقد شهدت ثلاثة عشر وزيرا يرتقون منعة الحكم ثم يستقون ومنهم من مات قتلاً (١٣) . وقد زاد في القومى والرشاك الحال ان ام الخليفة التركية كانت تدخل دائماً في شؤون الدولة . وكانت من هؤلاء الوزراء الذين وزروا المقتدر ان مقلد الكاتب احد واضعي فن الخط العربي (١٤) . ومنهم على ابن عباس الذي تفرّد بصفات القدرة والبزاة في ذلك العصر الكثير الفساد والظلم (١٥) . وقد تقلد على الوزارة مرتين مدة خمس سنوات فاستطاع ان يولييه من ذرية اقطاعية وحكمت في امور المال ان يصلح شؤون الدولة وان يكون مستلماً يدراً في الاقتصاد والتدقيق والتكسب . وفي عهد المقتدر ظهر عبد الله القدسي (٩٠٩) في شتى ارضية وعبد الرحمن الذي لا موي (٩٢٩) في اسبانية واعين كل منهما خلافة وحقق فيها وفي شعرها والذهب بحيث شهد العالم الاسلام في تلك الحقبة ثلاثة حلفاء رحيمين في وقت واحد . غير ان المقتدر كان عاجزاً في شؤنه الدولة الى ان خلفي مؤسس نظام (١٦) رئيس حرسه وحققه نائب أمير الامراء . وبذلك مؤسس طويلاً حتى استلم في الامور وجمع المقتدر وناح اخذ القهر (١٧) . ثم عاد المقتدر الى العرش واسكن قوماً من العرب القرية والبربر فتودد وحموا رأسه الى مؤسس (١٨) . وبذلك حفظ القاهر (٩٣٢ - ٩٤٥) ما حسن من حفظ ابيه فقد ختم ابيه ومجتمعت عنده فصار من

(١) من ١١٩٩ .

(٢) ج ١ من ٩٩٢ .

(٣) مغربي من ٣٦٠ و ٣٦١ .

(٤) مسكويه ج ١ من ١١٩٥ وسري: اصابوا الوزير . عشر ميعوز من ١١٠٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ - ٣٠٠ .

(٥) اطل : Howard Bowen, *The Life and Times of Ali Durrani, & the Round Father* (Cambridge, 1924) .

(٦) مسكويه ج ١ من ٩٩٦ مغربي ج ٣ من ٩٩٩ .

(٧) مسكويه ج ١ من ١١٩٣ ابن الاثير ج ٨ من ١١٦٧ - ٨ .

(٨) ابن الاثير ج ٩ من ١١٧٩ .

الخليفة المستنفي (٩٤٤-٩٦٠) في بغداد احمد ابن بويه الظافر وجعله امير الامراء واصبح عليه
 بلقب معز الدولة. وكان والد احمد واسمه ابو شجاع بويه يدعى الانساب الى ماونك آل سامان
 القدماء. واعل ذلك من قبيل اسمي نحو طيد اركان دولته^(١). فقد كان زعيم قبيلة نزع بالحرب
 اكثر رحافة. جنيون من الديار في المنطقة الجبلية الواقعة على الساحل الجنوبي من بحر قزوين
 وكانوا في خدمة آل سامان. واحدا بعد ابي شجاع الثلاثة وفيهم احمد بنو غزنون جنوبا فاحتلوا
 اسبغيت فشيران وولاياتها (٩٣٤) وفي السنين التاليتين بلغوا لأهواز (حوزستان اليوم)
 وكرمين وتخذوا شيراز عاصمة لدولتهم الناشئة. وازحف احمد على بغداد (٩٥٥) فاهزم الخرس
 التركي من أمامه واصبح الخليفة تحت نفوذ امير الخرس من الشيعة الخرس لم يكن يحفظ معهم
 باحسن من حفظه مع الترك. ومع ان معز الدولة لم يكن الا امير الامراء فقد اصر على اضافة
 اسمه الى اسم الخليفة في الخطبة وبلغ به الأمر ان ضرب اسمه على التكوكات^(٢).

وفي كانون الثاني من سنة ٩٥٦ أمر معز الدولة اسفل عيني الخليفة وختمه وابع الطبع
 (٩٥٦-٩٧٠) خليفة جديدا. وافقيت شعائر الشيعة وانصب اعاليق الدولة في عسوراء
 حداداً على مقتل الحسين (في العترة من حرّاء) والاحتفال بالميلاد بعيد العذراء كما
 ذهب اليه الشيعة من ان النبي اخذ عينا خبيفة له عند غزير الغم^(٣). واصبحت الخلافة
 في الخطبة دركات ابدل اذ أصبح امير المؤمنين أخوبة في يد امير الامراء غير ان شي. وذهب
 البعض الى ان بني بويه كانوا اول من اتخذ لقب سلطان في الاسماء والواقع انهم اكنفوا كما
 يدل النفوذ التي ضرب بويه بلقب امير او منق يصفونه الى اسماء فخرية كمعز الدولة وعبد الدولة
 ورخص الدولة وهي اسماء أطلقها الخليفة على ابناء بويه الثلاثة في وقت واحد. والتخديم

١. ا. ب. ان خنكان ج ١ ص ٩٨ : يعري ص ٢٧٦ : ان الأثير ج ٩ ص ٩٨ : مستوفى فروغ
 ج ١ ص ٩٢ : ٩٤ : Friedrich Wilken, *Mirchoud's Geschichte der Saffariden aus dem ٩٤٤-٩٧٠*
Geschichte Irans (Berlin, 1856), p. 58 (tr.). (ص ٥٨ : مرسى)
 ٢. مسكويه ج ٢ ص ١٢٤ : ان الأثير ج ٩ ص ٢٢٧ : Wilken, p. 21 (text), p. 66 (tr.)
 ٣. ا. ب. مسكويه ج ٢ ص ٢٩٦ : ان خنكان ج ٢ ص ١٤٩.

٤. يدرج في مكة والديرة فذهب الشيعة الى ان بني بويه من بيت مولاه من مولاه. فسمي
 ص ٢٣ : مسكويه ص ٢٤٥ : ٢٤٦ : وتذكر هذا مولد بعض الشيعة في ١٨ ذي الحجة.

استعمل هذه الألقاب القضاة بذهب . وقد اتخذ عدد من البويهيين الذين خلفوا معز الدولة لقب أمير الأمراء مع أن هذا اللقب كان قد فقد معناه الحقيقي .

ودرج بنو بويه خيبة القرن (٩٤٥ - ١٠٥٥) الذي سادوا فيه على طريق مبايعة الخلفاء واستطاعوا متى شاءوا وكيف شاءوا ، وحكموا العراق من عاصمتهم شيراز في فارس . ومع أنه كان لهم بغداد عدد من القصور المنيعة تعرف بمجموعتهم باسم دار المنكحة (١) كانت بغداد نفسها فقدت شأنها الحقيقي ولم تعد لقب العاصمة الإسلامي كما كانت قبلاً . وقد أخذت أسوارها المظلمة وانفسها في مبدلت الشهرة العامة مدن أخرى منها حرقة والقاهرة وفرطية فضلاً عن شيراز التي ذكرها .

عهد الدولة

وسمى عز بن بويه أوجه في زمن عهد الدولة (٩٤٩ - ٨٣) ابن ركن الدولة . ولم يكن عهد الدولة هذا أعظم أمراء بني بويه فأحسب أن كانت أفع أمراء عصره على الأخلاق . فقد وجد سنة ٩٧٧ الدولات الصغيرة التي كانت قد ظهرت في فارس والعراق في حال البويهيين في أميرائورية قربت في اسمها ما كان هارون الرشيد . وتزوج من ابنة الخليفة الطامع وزوج العليفة من بنته (٩٨٠) وهو ما يدل على قبول الخلافة إلى الحد ذاته (٢) . وكان عهد الدولة أول حاكم في الإسلام لقب نفسه (٣) . ومع أنه لم يلق في بلاطه شيراز فقد سعى إلى تحصيل مداد فحيح لأخيه التي كانت قد مدت وإبنت في بغداد وغيرها كما روى خاتمة المسكوبه . المؤرخ القدير عدد من السجلات والمنسقات وغيرها من الأساية العامة . وقد حصص عهد الدولة لأموال من خزائنة الدولة لتنفق على مشاريعه

(١) الخليل ج ١ ص ٩٠٠ - ٩٠١ .

(٢) مسكوبه ج ٢ ص ١١١١ ياقوت الخوارزمي ج ٢ ص ٢٦٩ .

(٣) بعض شافعاته في فارسية ومعناه : مات الخلق . أما ما نسب إليهم لا يزال غريب
الملك في فارسية ومعناه : عهد الدولة كان أول من اتخذ لقبه قد وقد عرف سبوح خاص الملك
الدولات الأخيرة تركية الأصل .

١ - الخليل ج ٢ ص ٣٣٦ .

٢ - ج ٢ ص ١٠١ - ١٠٢ وأما في الخليل ج ٩ ص ١٦٠ .

السايفي بغداد وقضى على سيادة بني بويه وكانت آخر امراءهم في العراق الملك الرحيم
(١٠٤٨ - ٥٥) وقد قضي سعيداً.

وفي علي شجرة نسب للعتقاء العباسيين في عهد السيادة البويهية (٩٤٥ - ١٠٥٥) :

(١٦) المتفرد

(١٩) القاهر

(١٨) المتفرد

(١٧) السكفي

(٢٣) الطليح (٩٤٦ - ٧٤)

(٢٢) السكفي (٢٠) الراسمي (٢١) السكفي

(٩٤٤ - ٦)

(٢٤) الضام (٩٧٤ - ٩١)

(٢٥) القادر (٩٩١ - ١٠٣١)

(٢٦) القائم (١٠٣١ - ٧٥)

٦ - الصوفي

وفيهم السلاجقة الترك من عصر جديد هام في تاريخ الخلافة والاسلام . ولما مشروا
من الشرق في مطلع القرن الحادي عشر كانت الخلافة لا يشتمل بني من سلطة الخلافة
الحقيقية وكانت اميراطوريته قد تمزقت ارباً ارباً . فالامويون قد استتب امرهم في اسبانية
وكذلك القاطلون الشيعة في مصر وشمالي افريقية ولم يعد بغداد الى انحصار على شوكة
هؤلاء جميعاً من سبيل . اما شمالي سورية والجزيرة العراقية فقد رأينا كيف آل امرها الى
ايدي زعماء من الثأرين العرب نجح بعضهم في تأسيس دولة قوية . ثم ان فارس وما وراء
النهر والاراضي الواقعة في الشرق والجنوب قد تقاسمها بنو بويه وامراء غزاة او املاكها حكماء
مختلفون يترقب كل منهم الفرصة لتفتك بتناقصه ، حتى عمت التمردات السياسية والعسكرية
جميع الانحاء . وتفاقم الخطب بين الشيعة والسنة بحيث خيل للناظر ان دولة الاسلام في طور

الشرع الأخير .

تلك كانت حال دولة الاسلام حين ظهر سنة ٩٥٦ زعيم يدعى سلجوق على رأس قبيلته « غز » او « الغز » التركمانية . وكان قومه هؤلاء الرحل قد تغدروا من سهول كرغيز في تركستان فاستقروا في شقة من بخارى واعتنقوا المذهب السني ونعمروه بغيرة وحكمة . وشن سلجوق طريقه في مناطق خانات الابلك ومناطق السامانيين (١) وعزمه هو وابنه بعده فاستولوا عليها ونشط حفيده المعروف بطغرل (٢) فشن عراده وخواه منافق فيها حتى حرسان . وفي سنة ١٠٣٧ شرع الاخوانث مرد وببوز من ايدي الغزنويين ثم استولوا على بلخ وجرجان وطبرستان وخوارزم ومهدان والري واصبهون . وتداعى صريح بني بويه امامهم باسمه . فوافى اليوم الثامن عشر من كانون الاول سنة ١٠٥٥ حتى وقعت قبائل التركمان بقيادة طغرل بك على ابواب بغداد . واضطر السعدي الذي كان التركي الذي اورد بنو بويه على بغداد الى مبارحة العاصمة (٣) واسرع الخليفة القائم (١٠٣١ - ٧٥) الى استقبال الغزي السلجوقي ونادى به منقذاً .

ولاية طغرل

وغاب طغرل سنة عن بغداد ثم عاد اليها فتقبل بحفاوة فائقة . وطلب مقابلة الخليفة فاذن له في ذلك وجلس الخليفة جلوساً عاماً وهو على سرير عال وعليه برقة النبي ويده انقبضت الخيزران واجلس طغرل على كرسي وكأمة الخليفة بواسطة ترجمان وولاء جميع مدوله الله من بلاده « وخاضه تلك المشرق والمغرب » (٤) اما لقبه الرسمي الذي صار يعرف به

(١) مسعودي قزويني ص ٤٣٥ - ٤٤٠ . *Joannes A. Vullers, Mircchandi historia Seldschuk* (Lugdunum & Glissen, 1887), pp. i seq.

(٢) كان اسم ابيه ميكايل واسم امه داود ومعه موسى . ابن الأثير ج ٩ ص ٣٢٢ وتلم عنه الاسماء التي كانت شائعة عند السلاجقة الاول من تأثير عبرانية (المنطوية في الزجاج) . انظر القزويني . آثر ص ٣٩١ .

(٣) ابن خلكان ج ١ ص ١٠٢ - ١٠٩ . ابن قري يردني . انظر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٢٥ .

(٤) ابن الأثير ج ٩ ص ٤٣٦ . ابن قري يردني ج ٢ قسم ٢ ص ٢٣٣ . عماد الدين الاصفهاني . اتولج آل سلجوق . نشر هولندا (لايدن ١٨٩٩) ص ١٤ .

فهو «السلطان» (١) وكان هذا بداية عصر جديد دخلت فيه الخلافة في حماية دولة جديدة كانت أكثر عقلًا ورفقًا من سابقتها.

وبما كانت طغرل يقوم بغارة في الشرق ظهر الساساني سنة ١٠٥٨ على أبواب بغداد وكانت قد اتفق بالعماطيين واخذ يساعد على نشر دعوتهم. وقد أقبل معه قوم من الديلم وعسكر أخرى فاحتل العاصمة وحمل الخليفة القائم على توقيع وثيقة ينزل فيها عن حقوقه وحقوق سواه من العباسيين ويبيع فيها منافسه العاطمي المستنصر (١٠٣٥-٩٤) في القاهرة. وارسال القائم فوق ذلك إلى المستنصر شعار الخلافة ومنه البردة والدختر الثوبية وعمامة الخاصة وشباك جبال من شبابيك قصير. ولكن طغرل بيك لم يلبث طويلاً حتى عاد فراجع القائم إلى منصبه وأزال بالساساني أعقب فقتله لخياسته (١٠٦٠) وحل نظام جيش الديلم وفهم على سلطان بني بويه.

وكان عهد طغرل بيك (١٠٣٧-٦٣) وإن أحبه إليه أرسلان من بعده (١٠٦٣-٧٣) ومبكتش ابن أرسلان بعدهما (١٠٧٣-٩٢) من أشع الخلق في تاريخ الحضارة السليمانية على الشرق الإسلامي. وقد عظم جيشهم بما انضم إليه من قبائل الترك النشطة فوسّع الخلافة ملكهم في جميع النواحي حتى غدت آسيا الغربية مرة ثانية مملكة إسلامية موحدة واخذ جيش الإسلام يسترجع ماضي مجده. إن عنصرًا جديدًا قد دخل في الإسلام الآن فأخذ يشد أزره ويقويه في النزاع في سبيل السيادة العالية. وإن خبر هؤلاء الخلافة الذين كانوا «كهاراً» فقهروا المؤمنين من ملة محمد ثم اعتنقوا الإسلام فقبلوا حمانه الخبر ليس فريداً في تاريخ الإسلام. فقد نهج نهجهم اقوام آخرون منهم النغول أبناء عمومته في القرن الثالث عشر والسبزوهر الترك الغمايون في مطلع القرن الرابع عشر وهكذا فقد كان يقيض للإسلام حين يمر في أشد الأزمات والمحن في حياته السياسية من يدخل في حظيرة ويكسبه قوة ونفساً من الذخيرة الدينية.

١. أ. بروندي، راحة المصور برشير محمد أقبال (سنة ١٩٢١) من ١٠٥ وكان طغرل أول حاكم سبزوهرت مسكوناً هذا المقام. انظر Stanley Lane-Poole, Catalogue of Oriental Coins in the British Museum, ed. E. S. Poole, vol. 10 (London, 1877), pp. 23-9. ولقد أصبح لف سلطان عند الخلافة نعتاً لامعاً بجاء موكبهم.

الب أرسلان

سار الب أرسلان (البطل الأسد) في السنة الثانية من مسكه فاستولى على آبي عاصمة
 ارمينية النصرانية وهي اذ ذلك مقاطعة يزنطية (١) ثم واصل بعد ذلك المذبذبات مع يزنطية
 العدو الدائم . وفي سنة ١٠٧١ فاز على الروم في معركة مازركرت (٢) القاصلة شمالي نهر دوان
 بآرمينية واخذ الامبراطور رومانوس ديوجنس أسيراً (٣) . واخذت قبائل السلاجقة الرحل
 تستقر في هضاب آسية الصغرى التي أصبحت منذ ذلك العهد جزءاً من دار الاسلام . وكان
 هؤلاء السلاجقة المسلمين الأول الذين استطاعوا ان يشقوا اقدامهم في بلاد الروم . كما انهم كانوا
 واضعي الاساس لتتربك آسية الصغرى . وعهد فيما بعد سليمان ابن قطش ان عم الب أرسلان
 أمر ادارة هذه المنطقة الجديدة فوس فيها سنة ١٠٧٧ منطقة سلاجقة الروم ، وجملي بيعة
 (الزيق في التركية) عاصمتها الاولى . وهي نفسها التي اخرج الصليبيون منها قبح أرسلان ابن
 سليمان وخلفه في الخلة العنسية الاولى . وبعد سنة ١٠٨٥ أصبحت قوية وهي اغنى مدلت
 البراطين في آسية الصغرى واجلها عاصمة السلاجقة في تلك البلاد . وفي الوقت نفسه كانت
 دولة السلاجقة في سورية (١٠٩٢ - ١١١٧) التي أسسها تقيس ابن الب سنة ١٠٩٤ تساهم
 بدورها مع غيرها من دول الاسلام في صد حمة الصليبيين الاولى . وكانت حلب قد وقعت في
 يد الب أرسلان (٤) منذ سنة ١٠٧٠ فبعثها حراً منيعاً في وجه الصليبيين واستطاع ان
 يسترجع من هؤلاء مكة والمدينة .

سلطة السلاجقة في سورية

لم يبق في بغداد أحد من السلاطين الاولين من سلاطين السلاجقة بل ونيا عليها مدبراً
 عسكرياً يحكمها بالنيابة عنهم . اما الب أرسلان فهو يدخل بغداد ولم يرها قط (٥) بل جعل
 اصبهان مقراً له وقد كانت مرو عاصمة صفه . ولم ينفذ السلاجقة مقرهم الى عاصمة الخلفاء

(١) ابن الاثير ج ١٠ ص ٣٥ ومايلي .

(٢) ونذكر ايضاً باسم مازركرت او ملاجرت .

(٣) ابن الاثير ج ١٠ ص ١٤ ومايلي . محمد بن حيدر ص ٣٨ ومايلي . Vasiliev, Byzantine Empire, vol. I, p. 431 .

(٤) ابن الاثير ج ١٠ ص ٤٣ - ٤٤ . ابن حنبل ج ٢ ص ٤٤٣ . (٥) (٢٩)

حتى شتاء ١٠٩١ أي قبل انقضاء عهد منكشاه . وظل الخليفة كما كان قبلاً الموبة في يد
السلطان بفعل به ما يشاء - الموبة مشبوة بأبهة التتصب التي تجلسها على العرش أيدي أعجبية
فتنعم بمظلة مصطمة . وكان اسم السلطان يقرن باسم الخليفة على المنابر في خطبة الجمعة .
وفي سنة ١٠٨٧ اقترن الخليفة المتقي (١٠٧٥ - ٩٤) بأبنة السلطان ملكشاه ورزق منها
ولداً أراد السلطان أن يجعل الخلافة والسلطنة معاً في حفيده هذا فر يوفق (١) .

وفي عهد منكشاه (١٠٧٢ - ٩٢) استقرت قواعد الملك للسلاجقة واتسعت اتحاء
الملكية بحيث امتدت من كاشغر شرقاً وهي مدينة في أقصى بلاد الترك إلى بيت المقدس غرباً
ومن الفسطاطية شمالاً إلى بلاد الحزر جنوباً (٢) . وعبر ملكشاه نهر جيحون مرة فوقع للملاحين
الذين يفلو حوالات مالية على عمل ملكته بأطراف (٣) . ولكن ملكشاه شاكاً بغرق شانه
كأنه كمبراطورية واسعة ذلك أنه أبهى الفرف والجوامع وأصابع الاسوار وحفر الآفنية وافق
الاموال الطائلة على محطات القوافل في الحدود وعلى الترابيات ومنع بطريق مكة معصام وغرم
عليها أموالاً كثيرة وأعطى النكوس والخفريات في جميع البلدان . وذهب ابن خلكان إلى
أنه السبل في أيامه كانت سكة وأخاف آمنة سير القوافل من وراء النهر إلى أقصى الشام
وإيس معها خفير ويسافر الواحد والاثنان من غير خوف ولا رعب (٤) . أما العناية بالصحة
العامة والنظافة فيعداد ما ينسبه ابن الأثير (٥) إلى الخليفة المتقي فإرجح أنها تمت بأمر هذا
السلطان السطجوقي . ومن مظاهر هذه العناية منعه من إرباب الحمامات من إجراء ما نهى إلى دجلة
والزمامه بنهر آبار خاصة للمياه النظرة وأمره من يغسل الملك أن يجر إلى مكان خاص فيفسله هناك .
وهناك حكاية أوردها ابن خلكان (٦) . فظهر خنق ملكشاه قال : لا توجه ملكشاه لحرب
أخيه ودخل مع نظام الملك وزيره مسجداً في طوس فصلياً وأطال الدعاء ثم خرجا فقال لنظام
الملك : أي شيء دعوت ؟ قال : دعوت الله أن يتصرفك ويفقرك بأخيك . فقال ملكشاه :
أما أنا فإدع بهذا بل قلت اللهم انصر اصنعد لصفيين وافعل بقرعية (٧) .

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ٩٠ - ٩١ . المصدر ص ٢٨٧ . المصدر نفسه ص ٢٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨٧ . ج ٢ ص ١٠٠ - ١٠١ . ج ٢ ص ٢٨٨ .

نظام الملك الوزير الأعظم

كانت دقة الأمور ضيقة حكم أئمة أرسلان وسكند بنده وزيرهم القاري نظام الملك وهو من عرابع رجل السيرة في تاريخ الإسلام ، وأما حلفه كلاء ابن خلكان فقد « صار الأمر كله لنظام الملك وليس لغيره لا التفت والعبد قد قدم على هذا العشرين سنة » (١) ومع أن ملكه كان غير متطويعه كان أئمة كايه وخلفه الأعلى منه عملاً بشهوة نظام الملك ، قد جمع في سنة ١٠٧٤ - ٥ جمعة من عيون الحكيم في مرصده الجديد الذي بناه وأمره بإصلاح تقويم السنة القياسية (٢) فوصف أصول تاريخ الخلفاء المشهور الذي سمي بالخلافي إكراماً لملكه جلال الدين أبي الفتح . وهذا التقويم في عرف أحد أئمة العصرين « اتفق في بعض الموجود من التقويم بما في سنده » .

أما نظام الملك فقد كانت متفقاً عند (٣) وأئمة من آئمه رسالة فريدة في باب أصول الحكم « سياسة رمة » (٤) على أن ترمم نكرة عمية أمر به ملكه . فقد طلب السامان من رجل الحكم من أهل خدمته كتباً يضمنها حكاية آرائهم في كيف يكون الحكومة القادة . ومن جملة الكتب المدرسية الموصوفة في هذه الحقيبة ملك أبي الفتح نصر خسرو (المتوفى نحو ١٠٧٤) ترجمة شهر ولد عبد الله لاسمعي . وكتب عمر الجيد (المتوفى ١١٢٣) (٥) الشاعر الملكي الكبير الذي شتمه نظام الملك برعيته وسأله مع نظام الملك في إصلاح التقويم أشار إليه أئمة . ويمكن الجدل الذي رآه هذا الوزير القاري راجع بالأكثر لحاشيته أولاً دور عمه عدي في الإسلام وانحصر « النظامية » التي أسسها في ١٠٦٥ - ٧ بغداد وتولى التدريس فيها حجة الإسلام الخزازي ردماً من الزمان .

نجد مملكة السمرقند

كان نظام الملك في آخر عمره الطويل كما عرفت قبلاً من الضحك المشهورين الأول الذين قعدوا بيد الخشدين . وتوفاه سنة ١٠٩٢ انتهت حقبة الخلفاء التي امتدت بها عهود السلاجقة

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٥٠ .

(٢) ابن الأثير ج ١ ص ٦٦ - ٦٧ . ويمكن أن يكون مرصده بالخط وأئمة كان في صيوان أولي الزري أو بسامور .

(٣) ابن الأثير ج ١ ص ١٠٠ - ١٠١ . محمد بن عبد الله بن خوارزمج ص ٢٠٠ .
(٤) نشره رشيد شيرازي وترجمته ، Charles Schefer (Paris 1893) .

(٥) Charles Schefer (Paris 1893) .

الثلاثة الأول . فقد كانت ملكهم على عصره ملكاً رائعاً دامت فيه لهم أكثر الأنحاء المتباعدة التي كانت جزءاً من الدولة الإسلامية في عهدها الزاهرة . ولكن هذا المجد الذي شاهدته بغداد والاسلام معاً في عصرهم لم يكن الاستحابة صيف . فبعد وفاة ملكشاه نشبت حروب أهلية بين أبنائه وقتت على أثرها قلاقل واضطرابات أثقلت كاهل السلاجقة وأدت إلى تحطيم ملكهم . فامبراطورية السلاجقة وقد أقامها على أساس التفاه القليل قوم بداءة رحيل في عاداتهم وانظمتهم لم يكن ممكناً ضبطها إلا إذا ظل على رأسها شخصية مهيمنة نافذة الأمر . وإن نظام الاقطاعيات الحربية الذي أسسه نظام الملك سنة ١٠٨٧ فجعل الاقطاعيات بموجبه ورائية أدى حلاً إلى نشوء دويلات تتمتع فعلاً بالاستقلال وإن تكن السيادة الاسمية ظلت السلاجقة فارس حتى سنة ١١٥٧ . ومن أهم الفروع التي نشأت عن دوحه السلاجقة تلك الأسرة التي حكمت المراق العجمي (١١١٧ - ١١٩٤) . أما السلاجقة اليوم في ابغوية فقد احتل مكانهم في سنة ١٣٠٠ وما بعدها قوة آخرون من قبيلة الخز نفسها التي ينتمي إليها السلاجقة يعرفون بالترك العثمانيين وهم آخر حمة الدولة الإسلامية . وقد توغل العثمانيون في أوروبا حتى فينا (١٥٢٩) وشيدوا امبراطورية تقارب امبراطورية العرب انشأه الإمان عمرهم المعمر منذ آخر الحرب العالمية الأولى ضمن نطاق آسية الصغرى أو الاناضول .

والناحية الوحيدة التي تراث فيها السلاجقة والترك العثمانيون أولاً في حياة الاسلام الدينية تنحصر في دائرة الصوفية كما نظهر في طرق الدراويش المزدهرة في بلاد الترك فبعد أهل هذه الطرق آراء مثل الشامانية القديمة مختلطة ببعض معتقدات آسية الصغرى الاصلية ونعالم بعض البدع النصرانية . أما نظام « الفتوة » الذي كان متغذاً بروح البطولة العربية في الاسلام فقد ظهر عند الترك شكل جديد يعرف بنظام « الاخوية » . وعلى « الاخوية » كانت في الاصل نوعاً من النقابات الاقتصادية . وفي احد فنادى « الاخوية » اقام ابن بطوطة (١) انشاء تجواله في آسية الصغرى .

(١) ج ٢ من ٢١٨٠٢٦٠ ولا علاقة بين « اخي » و« اخوة » التي هي عربية كما توهم ابن بطوطة بل هي كلمة تركية معناها نيل أو ما يصب إلى القروية . راجع : Franz Taeschner in *Istambul*, vol. ١١ (١٩٢٩) , pp. ١٠٤٧ , vol. ١١ , pp. ٢٣٥ - ٣٣٣ ; J. Deny in *Journal asiatique*, ser. II , vol. xvi (١٩٢٨) , pp. ١٥٢ - ٣ .

ومن المتع في هذه المناسبة ان تذكر ان صورة النسر ذاتي الرأسين التي ابتدعتها بحيلة احد كثر في السومريين القدماء وانتقلت منهم الى البابليين فحثيين قد اقتبسها بعد ثلاثة آلاف سنة السلاجقة الترك واصبحت شعارهم . ثم انتقلت من السلاجقة الى البيزنطيين ومنهم انصلت بالتم وروسيا وروسيا .

بغداد في عهد من المملوك الصليبي

انت سيطرة السلاجقة على الخلافة التي بدأت زمن القادسية سنة ١٠٥٥ قد دامت حتى سنة ١١٩٥ في عهد الناصر . وفي معظم هذه الحقبة كانت الغروب الصليبية يتفاهم شرها في سورية وفلسطين . غير انه لا السلاجقة ولا المماليك ادوا افعالهم بها . وصكوبها ما سكن في نظر الخلافة في بغداد او عند سواد المسلمين امرأ داريل . وبفتح الفرنجة بيت المقدس سنة ١٠٩٩ اقبل وفد من الشام الى بغداد مستعيناً بمولي الأمر مستمراً فيبكوا وأبكوا وذكروا ما دهم المسلمين بذلك اللذ الترفيع وشكهم عدوا من غير قضاء حجة (١٠٩٩) . وأدخل الخليفة المستظهر (١٠٩٥ - ١١١٨) رجلاً أوفد الى السلطان بركياروق (١٠٩٥ - ١١٠٥) حلف ملكه الذي المعروف فلازمته فشراب . والذي به بدأت

١. الخلفاء الذين عاصروا حكم سلطنة المماليك :

٢٦ (١٠٣١ - ١٠٤٨)

٢٧

٢٧ (١٠٧٤ - ١٠٩٥)

٢٨ (١٠٩٥ - ١١١٨)

٢٩ (١١١٨ - ١١٣١)

٣٠ (١١٣١ - ١١٤٨)

٣١ (١١٤٨ - ١١٦١)

٣٢ (١١٦١ - ١١٧٤)

٣٣ (١١٧٤ - ١١٨٧)

٣٤ (١١٨٧ - ١٢٠٥)

٣٥ (١٢٠٥ - ١٢١٨) وقد رقت خضاً ١٢١٨ . ٣٦ (١٢١٨ - ١٢٣٥) بن سبكتكين ١٢٣٥ .

سلطنة السلاجقة لتجمل وانتهت المفاوضات عند هذا الحد . وفي سنة ١١٠٨ أُخلى الفريج
بطرابلس فسار وفد من أهلها إلى بغداد على رأسه زعيم المدرسة الخمسة فبقي أمر استغاثتهم
ولم يظفروا بطائل . وبعد ثلاث سنوات أقامت من مصر مراكب فيها أمتعة كثيرة تتجبر من
حلب فوقم عليها الفريج وأخذوها . فيها فسر جماعة من حلب إلى بغداد مستغاثين على الفريج
واجتمع معهم خلق كثير من الفقه ، وغيرهم ودخلوا جامع السلطان وهو حاصر وكسروا المنبر
وكسروا شبك المقصورة وبطلت الصلاة فأرسل المستظهر حينئذ إلى السفن بكل إليه الأوامر
بهذا الفتى فتقدم إلى من معه من الأمراء فأنجبهوا للجهاد والتبر إلى قتال الفريج فساروا وهم
عدد قليل فلم يجمعوا شيئاً (١) . وهكذا كانت تدور هذه المراكب حامية الوطن بين النصارى
والفريج وأسمه من قتل أدوار هذا الفريج وأمير المؤمنين وسبطه السجوني يقف موقف الفريج
أراء هذا الحادث الجليل ولا يبدلين شيئاً من الأكرث .

وكان بعد ذلك في خلافة المنقضي (١١٣٦ - ٩٠) ثبت أخذ الصليبيون يعيثون فساداً
بالأرض ويضيقون الخناق على المسلم المراكبي (٢) ففارق ذراعاً بهم وبعث
إلى بغداد يستنجد بها على الفريج ويستنجبهم بطلبه الأربعة آلاف رجل .
بينما في الوقت نفسه كان نور الدين ابن زكي وصالح الدين الأيوبي المشهور بقتال النصارى
الفريج ويقاتلهم في صدهم وجهز الجيش على الصليبيين بصر . وفي سنة ١١٧١ استطاع
صالح الدين أن يغضي على الخلافة الفاطمية بصر ونكوه سناً سقط اسم الخليفة الفاطمي من
الخطبة في مصر وسورية واستعاض عنه باسم الخليفة العباسي المستضي . وهذا عدد هذا
الفطران فاعترف بسيدته خديجة ببي العباس الأسمية .

وبعد معركة حطين الفاصلة (١١٨٧) أرسل صالح الدين إلى الأمير خلف المستضي
عدداً من أسرى الفريج وجناباً من النصارى فيهم عسيب من البروتوغاتي بالذهب قبل أنه كان

(١) ابن الأثير ج ١٠ ص ٣٣٨ - ٩٠ من غزالي . من ص ١٧٣ .

(٢) مؤسس الدولة الأتابكية في الموصل وسورية . التي كانت تتركها مؤمنة من . نقا . أي أسود بصر
أي أمير . وكان الأتابكة أول مرشدين و مدبرين لأمر السلاجقة ثم حلوا محلهم أخيراً في البلاد .

أبو شامة . الأروستج في أخبار الخوارج ج ١ ص ١٢٧٧ (١٢٧٧) ص ٢٩ .

يخوي قطعة من عود الصليب الحقيقي فدفن الخليفة هذا الصليب في بغداد (١).

مناقشات خوارزم

دولي الناصر الخلافة من سنة ١١٨٠ الى ١٢٢٥ وكانت حكمه اطول حكم في تاريخ
العباسيين (٢) فحاول محاولة ضيقة لأخر مرة ان يحيي معنة الخلافة ويبعد اليها شئ من مجدها
للقديم . ذلك انه وجد فرصة للظهور اثر المشاحنة بين الامراء السلاجقة واعتراف البطل صلاح
الدين بالخلافة فحاول استرجاع شيء من سلطته المفقودة في العاصمة فظهر بظهر الابهة والبدع
والقبل على تشييد الابهة . وكان تحت رعايته ان بلغت وازدهرت حركة « الفتوة » وهي
من المذاهب المؤسسة على العروسية والبطولة . وبذهب اصحابها الى ان اصلها يرجع الى علي
وكانت لهم رجلاً من ذوي الناصب والنبيل اكثرهم غلو في السب ويلبس اعضقوها لباساً
خاصاً (٣) ويمارسون حقوقاً خاصة عند انراضهم في سكرهم . وكان يزيد ابن معاوية من
اوائل الذين اكتبوا لقب « فتي العرب » في الاسلام ولكن لما يكن هذا القلق معنى
خاص في زمانه .

على ان محاولات الناصر كلها ذهبت دون ثمار . وكانت أول الاخطاء الخطيرة التي
اركبها تعريضه سكرت حاكم خوارزم (١١٧٢ - ١٢٠٠) وهو أحد افراد الاسرة التركية
التي تسمى اليها شاهدت خوارزم (٤) على مواجهة السلاجقة في العراق المجبي (٥) . وكان

١١ بن الأثير ج ١٩ ص ٣٠٤ : ابن خلدون ج ٢ ص ١٦٦ ، ١٦٩ .

(٢) بن مغازي ج ١ ص ٣٦٩ . كانت خلافة طاهر (١٠٢١ - ١٠٥٥) شديدة من حيث طول
المدة في خلافة عباسية . ومع ان الخليفة طاهري استنصر ١٠٠٠٠ - ٩٠٠٠ من كل الحدا من حرك
طول مدة في الحكم حسب جاء في تاريخ الاسلام فقد اصيب بن الأثير ج ١٢ ص ٢٨٦ : ان طاهر ان
هذا الخليفة ارتقى الى الخلافة وهو ابن سبع - ثمان . فاعيد برسم ثلاث لادبسي (٩١٢ - ٩٦٩) ولم
يمض معه خليفة حتى سنة ٩٢٩ .

٣ بن الأثير ج ١٢ ص ٢٦٤ : ابن خلدون ج ٢ ص ٢٨٠ . انظر Hermann Thunberg, *Reise nach Persien und in die islamischen Provinzen auf Grund von Hart Mardad el-Tausiq* (Berlin, 1913) u. H. Ritter in *Der Islam*, vol. x (1926), pp. 241-50.

٤ ان مؤسس هذه الدعوة في بلاد فارس تسمى الخوارزمي في تاريخ آسية الوسطى مدة تزيد على
القرن كان في الأصل تنوكة من مدينة خراسان بالامام كانته حنفي ثم عرفت عملاً على خوارزم .

الخوارزمي في قسم الثاني (لندن ، ١٩١٦) ص ٣ : بن الأثير ج ١٠ ص ١٨٢ - ٣ .

٥ في بلاد عادي القسمة . وهي عند فخر العراق عجمي فخرية له عن العراق العربي .

هؤلاء قد خففوا سلاجقة فارس و بسطوا نفوذهم على بغداد . ودارت الحرب سنة ١١٩٤ بين
تلكش والسطان السلجوقي طغرل (١١٧٧ - ٩٤) فنتهت بالهزيمة طغرل وبه انتهى امر
السلاجقة في العراق وكردستان . وقد ظن القاصر ان الشاه الظافر سيستغل له عن الدخول التي
فتحمها ولكن تلكش قد هزمه الامر غير هذا . فتهجم نهج السلاجقة واصدر النفوذ باسمه على
المنقذات وحاول الاستيلاء على الادارة في بغداد وتركها للحليفة مقدم السيادة الاسمية فقط .
واستمرت الحرب في زمن ابنه الشيبان علاء الدين محمد (١٢٠٠ - ٢٠) فذبح سنة ١٢١٠
القصر الاوفر من فارس وقهر خذري واغتنم سمرقند واستولى على غزنة (١٢١٤) ثم هجم خيرا
على اربل الغربية القاذية بالخلافة العباسية وانتصب خليفة عموي . ويقل ان القاصر التمس
وقد اخرج سنة ١٢١٦ مائة حليف حديد كان نجمة قد بدا في الافق الشرقي البعيد ذلك
هو جنكيز خان (١١٥٥ - نحو ١٢٢٧) زعيم قبائل المغول التولية الخيف (١١) . واسم جنكيز
المغول الجرار المؤلف من سبعين الف من الافواه الفعجية وما انضم اليه من افراد الشعوب
المغاوية الذين حشدتهم جنكيز خان في ميرة غربية لم يسم علاء الدين الا الحرب فلاذ الى
جزيرة في بحر قزوين مات فيها بعد ولا سنة ١٢٢٠ (١٢) .

ظريه جنكيز خان

وفي هذه الاثناء قدم المغول على خيولهم السريعة وقد تمكبنوا قسراً غريبة الشكل فافوا
الرعب وشرروا المغول حيث حملوا (١٣) . وقد انطقت امم هجرتهم معاً الثقافة في عواصم
الاسلام الشرقية وانقلب المير التي احدثت القصور الفخمة وحرمان الكتب والمتحف قداماً
صفصفاً وانفذ خواريسه لا حيلة فيها . وحرث الدماء على طول الخط الذي سنكته جدهم
تاركة اولا لا ينجي . فتلك مدينة هراة لم يبق من سكانها الذين بلغوا مئة الف سوى اربعين

١٠ W. Barthold, *Turkistan*, 2nd ed., tr. H. A. R. Gibb (Oxford, 1928), pp. 383-400.

وكان من مواد جنكيز خان من مدينتي حرم رحمة عربية . وقد سبق ذكر هذه المدن في عهد جنكيز
بين جدار مدينتي وبين القائل رحل من على مغوليا عريقة .

١٢ بروج عدد الجند في الرواية المختصة بين ٢٠٠ ألفاً و٢٠٠ ألفاً والأرجح انها رقعة بالغ فيها .

١٣ مستوفي قروي ج ١ ص ٤٩٩ .

١٤ نحو ج ١ ص ١٢ وما ي ١٢ من الأبرج ١٢ ص ٢٢٤ وما ي ١٢ .

القاء (١) . وتلك مساجد بخارى في عظمتها وحرمتها وتقوى قصاتها قد جعلت زواياها خيول
الغول . أما سمرقند وبلغ فقد استباحت دمها ، الكثيرين من سكابها أو اغسلوا أسرى .
وهذه خوارزم كلها فاصبحت أراض بعد عين . وفي رواية متأخرة أن جنكيز خان حين فتح
بخارى (١٢١٩) وقف يعطى قتل عن نفسه : « آفة من الله أرسلت فأنس قدامه على
مصاصيه » (٢) . ويقول ابن الأثير * وهو مؤرخ معاصر هذه الخوارج أن فراتيه أراد
عند سرد هذه الأهوال وأنه يتدفق أن له ما بعده . وما زال ابن بطوطة (٣) له رأى وسمرقند
وبلخ وما وراء النهر بعد مضي قرن على هجرت الغول وسد مدخل لا يزال العرب مستولوا
عليها . أما بغداد فقد كان دورها مزدهراً أن يحيى .

وهكذا اجتاحت العلم الإسلامي هذا القتل الغولي الذي وضع أساس الكبرياء المروية
شاهدة العلم وقد بعثت رسلهم الذين قددهم في التعصب الأول من القرن الثالث عشر . كان
كل مملكة ما بين الصين والأندلس تلك واحدوا بعض العرب الروسية والأوسط أوربا حتى غربي
بروسية . وروى قولاً يثبت ابن جنكيز خان وخلفه سنة ١٢٤٩ ما تحت أوربا العربية من أسر
هذه القبائل الغولية .

أما الخليفة الناصر فقد قضى سبي مملكة الأندلس في خوف مستمر وكبدت إليه الظاهر
(١٢٢٥ - ٦) وحيداً المستنصر (١٢٢٦ - ٤٢) . وقد بلغ هؤلاء الغول ، أو التتر كما
تسميهم المصادر العربية ، في قدمهم حتى سمرقند واستولوا على أهل بخارا وخوارزم
يخرجون إلى حصونهم . ووقف عنهم الحصار ثلاثة حبات . على أن ذلك لم يكن إلا من قبل
الغول الذي سبق العاصفة .

١ . قبل وفاته . ج ٤ ص ٩٤٨ وقد روي في تاريخ سنة ١٢٢٠ في ج ١ كرم .
فقال عنها أنها أكبر وأعلى مدنة وأعلى .

٢ . الخوارزمي ، قسم ١ ص ٨٦ .

٣ . ج ١٢ ص ٢٢٣ .

٤ . ج ٣ ص ٢٥ - ٢٦ . ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ .

الفصل الثالث والثلاثون

انحلال الخلافة العباسية

وكما كانت الفتوحات التي استولى بها أبناء الدولة العربية على معظم العالم تشهد بسرعة حاسمة هكذا كان انحلال الدولة العربية بين منتصف القرن الثالث ومنتصف الرابع ، فحوالي سنة ٨٢٠ كان قد تم الخليفة بغداد من السلطة الواسعة ، ما لم يتم ذلك آخر في تلك العصور ، ولكن ما استمر إلى سنة ٩٢٠ ألا والخليفة قد أصبح كل سلطته حتى في بغداد نفسها ، وما زالت سنة ١٢٥٨ حتى سقطت بغداد وسقوطها إلى السقوط العربي وانتهى تاريخ الخلافة العربية الحقبة .

وإذا كانت الأسباب المؤدية إلى هذا السقوط وجدت في حملات القبائل الفعجية من مغول وترك على قولها وشدة هجمها لم تكن إلا نتيجة وكذا ذلك فإن سقوط الدول العديدة والامارات المنتشرة في قلب الخلافة وعلى أطرافها من جهة كان عرضاً من أعراض داء الخلافة لا سبباً من أسبابه . ومن الخلافة في ذلك مثل الامبراطورية الرومانية الغربية من قبل وقد أصبحت كمين على فراش الموت فاستمر المقصود من فرصة مرضه الاجتهاد عليه واتبع على ميراثه .

اما عوامل الداخلية لسقوط الخلافة فهم من العوامل الخارجية ، وان القاري ، الذي تتبع الحصول السابقة باهتمام قد ادرك دوافع ربيب الاسباب الحقيقية ولا حظ أثرها خلال القرون ، فالكثير من الفتوحات الاسلامية لم تكن الا اسمية وكانت امكانية التجزؤ والتفكك تلازم بغيمة الحال كثير من سمات التفتيح السريعة في عصور الخلافة الاولى وتقف في سبيل توحيد الامة . ولم تكن طريقة الحكم وما وافقها من اساليب الاستغلال موارد البلاد وجباية الخراج ضامنة لاستقرار الحال وثباتها ، كما ان الفوارق والحوارج بين طبقات الشعب في العرب وغير العرب ، والعرب المسلمين واليهود ، واسمين واهل البصرة - فئات بارزة

مليلة تلك اليهود ، حتى في الجماعة العربية نفسها ، فإن العصبية القبلية ظلت متصلة في النفوس
 شير الضعاف بين أهل الشمال وأهل الجنوب ، ولم تترك عصبية الامتزاج بين الفرس الايرانيين
 والترک المورانيين والبربر الحمين وبين العرب الساميين بل بقيت هذه العناصر العربية محفظة
 على نزعاتها القديمة فترابطت مع غايات موحدة ، ولم ينس انحسار قوميتها السابقة قط
 ولم يذعنوا كل الاذعان للنظام الوطني الجديد ، وقد تأخر معاش البربر عن عصبية القبيلة
 وشعوره بالتمسك بالقديم الذي يغضبه عن سائر العناصر وذلك بتحول لانها والقبيلة على الانسواء
 الى أي حركة اشتقاقية او فرقة دينية انفسانية ، ولم ينقطع أهل الشام عن انظارهم الى سفياني
 يرفع عنهم مذلة الرضوخ لغير العباسيين ، وكان ان ظهر ضمن نطاق الدين معه من النزعات
 المتنافرة ، لا يقل عن الأحزاب السياسية اثر في تمزيق الاوامر ، ومن هذه النزعات نشأت
 الشيعة وحركة القرامطة وجماعة الخشنيين وغيرهم ، الا ان هذه الفرق لم تقصر عملها على
 الدين ، فقد سددت القرامطة الى الجلب اشرفي من منسكات الخلافة العباسية ضربات هائلة ،
 واتبع المذمبيون بعد ذلك قبيل اكثر الامصار العربية ، ووقع ان الاسلام في ذلك العهد
 الاخير لم يعد له من القوة ما يساعده على جمع السكة بين ايديهم اكثر مما كان للخلافة نفسها
 من القوة لخط الاراضي المجاورة لبحر المتوسط برامى آسية الوسطى لتكون دولة واحدة ثابتة
 الاركان ، وقد كانت هناك غير هذه اسباب اخرى اجتماعية ومعنوية لهذا الانحلال ، فالعرق
 العربي المتنازع اختلط على مر الاجيال باعراق الشعوب فنجح عن ذلك فقدان صورة الغالب
 والصفات التي خولته السيادة ، وبانطباع الروح القومية بين العرب ضعفت انفسهم وقواهم
 الشنوية ، ولم يزل الامر بدولتهم حتى تسلمت منهم الشعوب النوبية ، وكانت لتسري وما
 رافقه من طاع الخريم والغصب واقتناء الجوارى والغصب اثر في تقويض مصروفات الامة
 وحط مقام المرأة وفساد رجليها وذهاب المروءة منها ، وبشكاير السرايري تكاثر الانساء
 والبنات المولودون من امهات محنات في بلاط الخلافة والساح الجبل للتمسك والفتن ، اضف
 الى هذا ضروب الترف والدمع التي اتهموها والفطرية التي التراب والفتنة ، هذه العوامل وغيرها
 تم تدميرها قضت على النشاط وحيوية في الافراد ليبت سلكها واورثت اولادها العهد ضعفا جسديا

وروحية، ومما زاد الظن بأنه وبعد على التزايد لأضطراب انت حق ولاية العهد في الخلافة لم يكن قط صريحا.

ثم يجب ان لا يهمل ان المومنان لاقتصادية ولو ان الخراج المرقق وخطة التحكم في شؤون الامصار لصحة الطبقة الحاكمة، كما ان كسب الحياة الزراعية والصناعية، وكان كلما ازداد ما يكون على زيادة الفقراء، وفي ثمرات الدولة الى دولارات قه كل من اولى الامر بايثار المومنان رعيته، وقضت الخروب المتواصلة بالقدس عدد الرجال الممانيين فقدت اكثر امراضهم مجوفة خربة، وزاد الحراب سكر الممانيين في سهول العراق الجنوبية، وحلفت الخدوش شخف، والامراض خربة وزاد انت الاوبئة من ماعون وحدري والاربا وسواها من الادواء التي كان لاسان ينف اسمهم في المعهور اوسطا مكثوف البدين فتشكت بالاسكان فتكا ذرية، وقد سمعت كتب التاريخ العربية لقرون الاربعة الاولى بعد الفتح مسالا بقل عن اربعين واما كبر، وكان من نتائج المرض لاسان عي لاقتصادية ان انقطع عري الطبقة العظيمة والادراج المكمري المنكر.

هولاكو في بغداد

وفي سنة ١٢٥٣ غدر هولاكو حفيد مسكبر حاش بلاد العول في جيش جبار بقصد الفقد، على الخاشين وعلى الخلافة مملوك، وهي خطة الشبهة من حملات الغول وقد اكتملت كل ما كان ادمي من الامارات الصغيرة الدائمة على انقاض الامبراطورية التي بناها شاهنشاه خوارزم، وارسل هولاكو الى الخليفة المستعصم (١٢٥٢ - ٥٨) يدعو الى المساعدة معه في الخطة على الخاشين من ورقة الاستعصمية فرفض دعوته، وفي سنة ١٢٥٦ تم المومنان لقتال عدد كبير من قلائع الخاشين ومنهم قبة الموت مركزهم الرئيسي وذلك دون مقاومة عظمى.

١. المومنان الاخويين

٢١. المومنان (١١٨٠ - ١٢٢٢)

٢٢. المومنان (١٢٢٥ - ١٢٦٠)

٢٣. المومنان (١٢٢٦ - ١٢٥٢)

٢٤. المومنان (١٢٥٢ - ١٢٦٠)

٢٥. الخليفة المومنان جامع، شاركتهم ونور محمد ح ١٢٦٠ م ١٢٦٠ م ١٢٦٠ م

فتموضت بذلك أركان هذه العروة الخفيفة من أساسها وبطش النول حتى بالأطفال. وبينما كان هولاء كور يعبر المضيق الشهير على طريق خراسان في النول من السنة الثانية أرسل الخطباء إلى الخليفة يطالب منه التسليم وهدم سور بغداد الخارجي فرد عليه الخليفة مراوغة. وفي كانون الثاني من سنة ١٢٥٨ هـ هاجم هولاء كور أسوار بغداد وأعمل المنجنيق فيها فتعمرها ولم يضر الدس وبغداد إلا ورابات النول ظاهرة على سورها الداخلي من أحد الأبراج (١). وخرج الوزير ابن العلقمي ومعه جنائيق السامرة. وكان هولاء كور زوجة نصرانية - للمفاوضة بالصالح. إلا أن هولاء كور رفضوا مقابلتهم ولم يشفعت إلى قول من كان يزعم أن الخلف نصيب من يقرأ على قهر مدينة السلام أو النيل من خلافة آل العباس. وقد قيل له: متى قتل الخليفة اختل نظام الأمة واحتجبت الشمس وامتنع القطر والنبات (٢). فلم يجبه بشيء من هذا وقد نصحه منجموه أن لا يعبروا فخذ بنصيحتهم. وما جاء اليوم العاشر من شهر شباط حتى اقتحمت عدا كرم المدينة فخرج الخليفة والأئمة (٣) من حاسه وقصاه خاضعين مستعين دون قيد. وبعد ذلك بعشرة أيام أمر بقتل هولاء جميعاً. ثم أطلق النولون أيديهم ببغداد وأهمها قتلاً وبهاً وتشليلاً حتى قصوا على أكثر سكاتها ولم يستثنوا أسرة الخليفة. وقتل أهواء بمحمد من كرمه رائحة الجيف المنة وأشلاء القنلى الطروحة في شوارع المدينة بحيث اضطرب هولاء كور أن يشهد عن المدينة أياماً. ولعله كان ينوي أن يعمل ببغداد مقراً ومكناً له فهذا لم يعن فيها تحريباً أصابه في المدن الأخرى. وقد عمل جنائيق السامرة معاقبة طيبة وأبقى على بعض المدارس والمساجد. ولأول مرة في تاريخ الإسلام اصمى العامة الأسلامي دون خليفة يدعى له على المنابر في صلاة الجمعة.

وفي سنة ١٢٦٠ هـ نهد هولاء كور إلى شمال سورية وأخذ يشهدده ففتح حلب وقتل بخمسين ألفاً من سكانها ثم دخل حمص وحارم. وأخذ قائداً لحصار دمشق ولكن وفاة أخيه الخائف

(١) القفري ص ٤٥٥: رشيد الدين ج ١ ص ٢٨١ - ٤.

(٢) القفري ص ٤٩٠: رشيد الدين ج ١ ص ٢٦٠. أن في كتاب القفري الموسوع سنة ١٢٠١ م. وقد أعدي لغير الدين عيسى وإلى النول على النول رواية شاهد عيان عن سقوط بغداد.

(٣) ثلاثة آلاف في رواية رشيد الدين ج ١ ص ٢٩١.

الكبير اضطرته الى ان يرجع الى ايران ^(١) . وانتم الجيش الذي تركه في الشام فتح اكثر البلاد السورية . غير انه في السنة نفسها هاجمه عند عين جالوت (الجلود اليوم) قرب الناصرة القائد العظيم بيبرس قائد السلطان قطز (احمد شايك مصر) فقتل عليه ^(٢) واحتل المليك سورية ووقفوا اسدا متيقظا في وجه تقدم المغول غربا . وعدد هولاء كو بعد ذلك وحاول ان يحالف الافرنج على فتح سورية فاختفق .

وكان هولاء كو بصفته مؤسس شركة المغول بايران امدة من بيبرس يحثون الى حدود الشام ومن جبال القوقاز الى المحيط الهندي اول من اتخذ نفسه لقب ايل خان ^(٣) . فتوارثه خلفوه حتى سابعهم غزان محمود (١٢٩٥ - ١٣٠٥) الذي امسح بالذهب النعني في عهده مذهب الدولة الرضي . وكان في عهد الايلخانات وهم خلفاء هولاء كو ان التفت بغداد عن مكانها واصبحت قاعدة لمعرا في العراق فحسب . ومن هولاء كو وكان نائب علي بالاباخان الكبير الى القنصر المصري في رعيته . وكان يقيم في زمن السلطنة في بغدادة ارمية السلطنة حيث ابنت ابيه كثيرة منها مكتبة الشهيرة ومدرسه . وفيها توفي سنة ١٢٦٥ فدفنت معه في ابيات حيايات عملا مامدات المغولية . وقد سلك هو وخلفوه سبيل السلاجقة السابقين ففقدوا اناء ايران منهم واستغاثوا عنهم واقتدرهم في اداة شؤون الدولة . ومن هولاء الملوك المنقرئين الجواني (اتوفي ١٢٨٣) ورشيد الدين (اتوفي ١٣١٨) مؤسس هذه الخلية . واستقام الحكم للايلخانات بغير من مدة خمس وسبعين سنة وهي مدة غيبة بالانج الادبي .

وكان الاسلام في مطلع القرن الثالث عشر يكاد ينقرض في اقطار الشرق وغارات الصليبيين في الغرب قد ان داهم القرن حتى تغيرت الحال واصبح عزيز الجاسب .

(١) اماه الحان كبيره التي ذكره سركو يوم هو اتي آخر له حه قوياي (اتوفي ١٢٩٤) . وهو الذي حل الناسة من فرقة في بلاد المغول التي كانت . رابع رشيد الدين ج ١ ص ١٢٩ ج ٢ لشير طوني البند ١ ٩٩١ ص ٣٥٠ ومايلي .

(٢) ابو جده ج ٣ ص ٢٠٩ - ٢١٠ رشيد الدين ج ١ ص ٣٢٦ - ٣٢٧ تقريره . سبوت ترجمة كاترير .
Sultans mamlooks, vol. i (pt. 2), pp. ٥٦ seq.

(٣) كلمة تركية معناها سيد غلبة (بن) قبلة وحسن سيد او هو زعيم قطاعي فتح الحاقان (الحان الكبير) الذي كان يقيم اولاه في بلاد شون بعيدة شوي سعراء عوفي تومي بكين .

فقد دحر الصليبيون إلى بحر واعترف سبع الايمانيات بالاسلام ديت المدة وكانت اسلافه
يميلون الى النصرانية فجاء ذلك حين جديدا وهو الدين محمد تملأ فتوزع على يد السلاجقة ،
ولم يكذب بتقضي نصف قرن على كنه حولا كذا في سبيل افناء الثقافة الاسلامية حتى قدم
ابن حفيده غراني فكريس وقته وقوته بصفته مسلما لحياء معاد تلك الثقافة نفسها .

آخر مما لا يسلم

غير ان القول لا يكونوا هم الذين كتبوا ان يرموا اربعة لاسلام على بقاع جديدة
واسعة . بل كتب ذلك في قرأهم الفرك العربيين (١) آخر حجة الذين الاسلامي . فقد
امتدت امبراطوريتهم في عهد سيمون (١٥٢٠ - ٦٦) من بغداد على دجلة الى بواست على
المدادوب ومن اسوان في غرب من اول شلالات النيل حتى وغار حبل طريف غربا . وفي
كانون الثاني سنة ١٥١٧ حين دخل سيمون في القاهرة عاصمة المراكم فاقوى بقي هناك
سكرة يدعى انتوكل يشل بات سي العيس الذين احتفظ بهم سلاطين المراكم واقدموهم
سورة خلفاء عندهم نصر مدة قرنين ونصف . وقد كان اول خليفة في هذا الفرع من الخلفاء
وكان قد نجا من بحيرة بغداد فآخذه بيرس (١٢٦٠ - ٧٧) رابع سلاطين المراكم وعقبه
خليفة باهية واحتفل به وانلق عليه لقب المنتصر . ولم يلبث المنتصر طويلا حتى قتل
في محنة طاشة قام بها بيعة عن بيرس لاسترجاع بغداد . وخلفه عيسى آخر سنة ١٢٦٢
اخرى له مثل ذلك الاحتفال والشرفان . وقت السطام سيم الخليفة انتوكل معه الى
القضاء طاشية ثم سمح له بالعودة الى القاهرة حيث قضى سنة ١٥٤٣ وبه انتهت خلافة العباسيين
الاسمية بنصر . وليس في المصادر المدمرة هذه الخواث ما يؤيد الزعم الذي يردده الكثيرون
من ان الخليفة العباسي الاخير قد تم ازل عن الخلافة وما ف من حقوق وامتيازات للفاتح العثماني
او خلفه في القسطنطينية .

(١) نسبة الى عيسى بن جهم الذي وفد على حبيب بن ١٢٥٨ .

(٢) ابو امداح ٣ من ٢٠٩ .

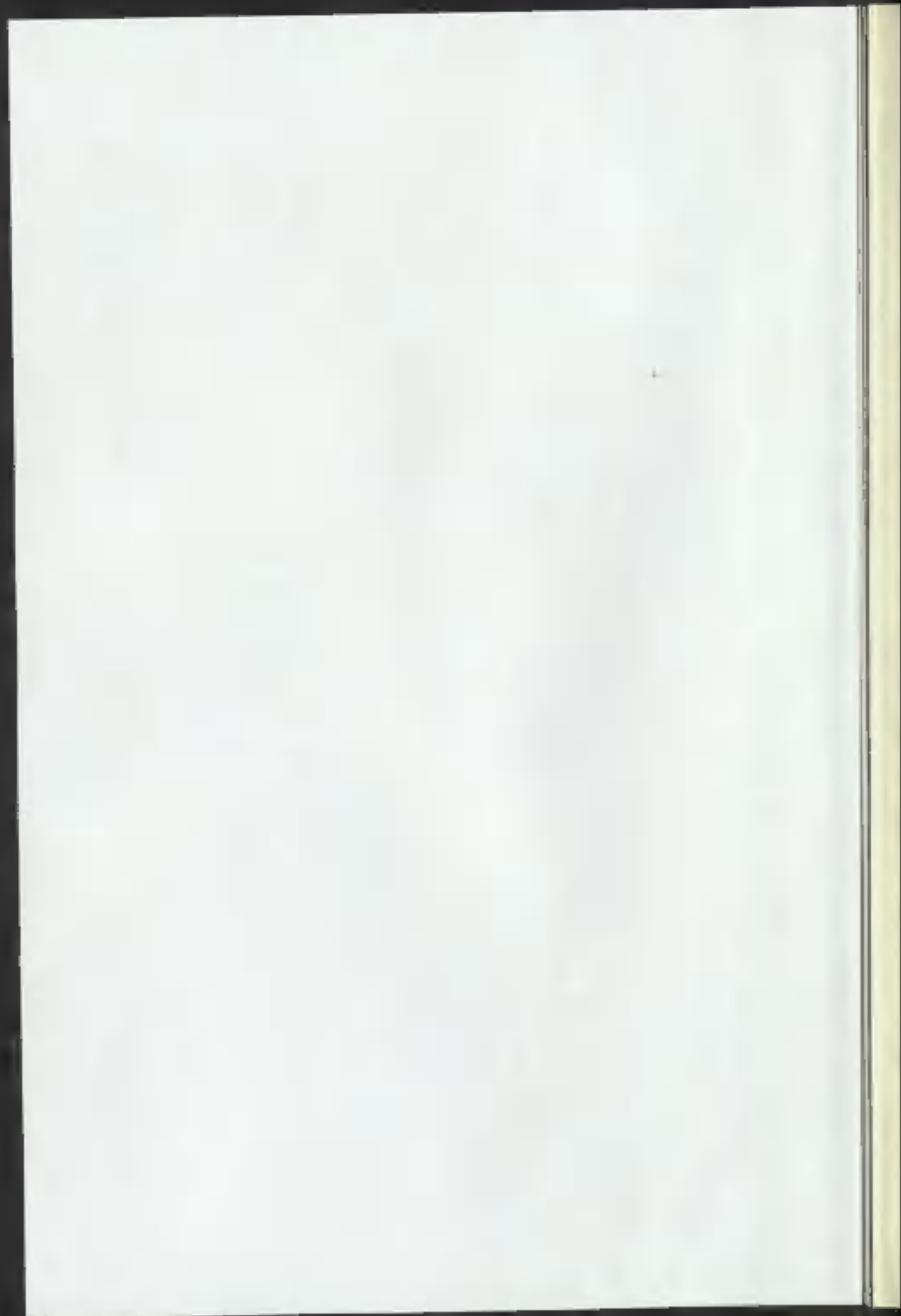
انتهى طبع هذا الكتاب على مطابع

دار الكتب

للشريعة والطباعة والنشر

بيروت - لبنان

في ١٤ رجب ١٣٦٩ الموافق اول جوان ١٩٥٠



ADL LIBRARY

كتابخانه

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00512648

